ديوان العزازي

شهاب الدين أحمد بن عبد الملك
بن عبد المنعم بن عبد العزيز
العزازي
(٦٣٣-٧١٠)هـ

حققه وقدم له:

الدكتور رضا رجب

ديوان العزازي



• الكتاب: ديوان العزازي

• تأليف: شهاب الدين العزازي

• تحقيق وتقديم: د.رضا رجب

• الطبعة: الأولى ٢٠٠٤

دار الينابيع
طباعة. نشر. توزيع

دمشق ـ مزرعة ـ شارع الملك العادل

☎ ٠٩٤٦٦٢٨٥٧٠ /٤٤٤٦٤١١ ✉ ٦٣٤٨

الإهداء

إلى الدكتور عبد الولي الشَّميري

صاحب اللَّبنة الأولى في هذا البناء.

كلمة

ما كان يخطرُ في بالي أنَّني سأنجزُ هذا العمل الممتع بمثلِ هذه السُّرعة، ذلك أنَّ العزازيَّ حضرَ معي، وأنا أقوم بتحقيق ديوان التَّلعفريّ، فكان حضوراً مباركاً، هذا جناه اليوم معروضٌ لمتذوِّقيه، أمَّا كيف؟ فالقصَّة أنَّ الشّهاب العزازيَّ امتدحَ الشّهابَ التَّلعفري بموشحٍ رائع، أثبتَته المصادر التي ترجمت للشَّاعرين، وأثبتت معه ردَّ التَّلعفري عليه، وعنَّتْ في البالِ أمنيةٌ عزيزةٌ يوم أثبتُّ موشَّحة التَّلعفري في ملحق الدّيوان، و بهامشها موشَّحةُ العزازي، وصار تحقيق تلك الأمنيّة همّي الأكبر الذي لا يُفارقني، وهو البحثُ عن ديوان العزازيِّ صاحب هذا الموشّح الرائع، واهتديت إلى أنَّ العزازيَّ قد جمع شعره في حياته، وأنَّه قد قسم ذلك العمل إلى قسمين: قسمٍ يشتملُ على شعره بشكلٍ عامٍّ، وقسمٍ يختصُّ بموشَّحاته فقط، ثمَّ اهتديت - والحمد للَّه - إلى مخطوطتين في دار الكتب المصرية لديوان شهاب الدّين العزازيِّ، وما إن ناديتُ الأديب الكبير والشَّاعر المجلِّي الدكتور عبد الولي الشَّميري مستعيناً به لتزويدي بالمخطوطتين حتَّى كان الصَّوت الذي أطلقتُه من ضفاف العاصي يجدُ كلَّ الصَّدى لدى الصَّديق الشَّميري على ضفاف النِّيل، وإذ بالماضي الذي عايشه العزازي بين «عاصي حماة» في رحاب الأيّوبيين و«نيلِ الكنانة» في ظلال سلاطين المماليك يستقيظُ حاملاً لي مخطوطتي الدّيوان من رحابِ مصر حيث ثوى الشَّاعر واستراح إلى وادي حماة حيث غدا وراح، وما إن أنهيتُ العمل بالشّهاب التَّلعفري حتَّى عاودني العمل بالشِّهاب العزازي، وكانت الأمنيةُ تلحُّ في أن أجمع بين الدّيوانين كما جمعت الأيَّام بين صاحبيهما، وإنّني إذ أنظر مرتاحاً إلى تحقيق هذه الأمنية لأعبّر عن خالص شكري لمن كان لهم الفضلُ في إتمامه، وعلى رأسهم الدكتور الشَّميري والأصدقاء في مكتبة الأسد ومجمع اللغة العربية وجامعة البعث، وقبل أن أضع القلم أرجو من اللَّه أن يجعل ثواب هذا العمل ضمامة ريحان على قبر أمّي التي طالما كنت أسهرُ اللَّيل لأهتدي

إلى صواب كلمة، صعبت قراءتُها تارةً، أو لأهدهدَ من آلامها تارةً أخرى، وإذا كانت قد أسلمت روحها لربِّها قبل أن يرى هذا الكتابُ النُّور، فإنَّ صورتها لباقيةٌ معي في كلِّ حرفٍ خطَّه القلم في هذا العمل...

وباقيةٌ معي إلى أن نلتقي، وما عند اللَّه خيرٌ وأبقى.

رضا.

المقدّمة

العزازي: حياته وشعره[1]

[هو الإمامُ العالم الفاضل الأديب شهاب الدين أحمد بن الخطيب][2] عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضي بن جامع أبو العبَّاس

---

(١) تجد ترجمة الشاعر في المصادر والمراجع التالية:

١- أعيان العصر لخليل بن آيبك الصَّفدي، ت: ٧٦٤هـ، ١/ ٢٦٩-٢٧٥.

٢- توشيع التوشيح لخليل بن آيبك الصَّفدي؛ ٨٠-٨٢.

٣- الوافي بالوفيات لخليل بن آيبك الصَّفدي؛ ٧/ ١٤٨-١٥٦.

٤- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي؛ ت: ٧٦٤هـ، ١/ ٩٥-١٠٥ و٣/ ٢٩٥-٢٩٦.

٥- تذكرة النَّبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب؛ ت: ٧٧٩هـ، ٢/ ٣٤-٣٥.

٦- السُّلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي؛ ت: ٨٤٥هـ؛ ٢/ ٩٥.

٧- المقفَّى الكبير للمقريزي؛ ١/ ٥٠٩-٥١٠.

٨- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني؛ توفي: ٨٥٢، ١/ ١١٥.

٩- عقد الجمان في تاريخ أهل الزَّمان لبدر الدين العيني؛ ت: ٨٥٥هـ، ٣/ ٤٧٠، و٤/ ٩٧ و١٨٠ و٢٧٠-٢٧٢ و٣١٦.

١٠- الدليل الشَّافي على المنهل الصافي لابن تغري بردي؛ ت: ٨٧٤هـ، ١/ ٥٦-٥٧.

١١- المنهل الصافي لابن تغري بردي؛ ١/ ٥٦-٥٧.

١٢- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي؛ ٩/ ٢١٤.

١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي؛ ت: ١٠٨٩هـ، ١/ ١٦٢.

١٤- الأعلام لخير الدين الزركلي؛ ١/ ١٦٤.

١٥- الأدب في العصر المملوكي للدكتور محمد زغلول سلاَّم؛ ٢/ ١٧٤-١٧٨.

ونشير إلى أنَّنا رتبنا هذه المصادر حسب وفيات أصحابها، وراعينا التسلسل الأبجدي للمؤلفات العائدة لمؤلِّف واحد.

(٢) ما بين قوسين عبارة ناسخ الديوان الورقة ٨١/ و.

شهاب الدين العزازيّ التّاجر بقيساريّة جهاركس[1] بالقاهرة.

والعزازيُّ نسبةٌ إلى بلدة اعزاز الواقعة غرب حلب، ولا ندري ما إذا كان ولد فيها أم لا، ولا متى استوطنت أسرته هذه البلدة، ولا متى نزح الشّاعر عنها، وهل فارقها منفرداً أم بصحبة أحدٍ من أهله، وما الأسباب التي دعته إلى ذلك؟

تذكر المصادر على أنَّ العزازيَّ ولد سنة ٦٣٣هـ[2]، دون أن تضيف شيئاً. ينتمي الشّاعر على ما يبدو من نسبه إلى أسرةٍ دينيَّة، وفي شعره ما يظهرُ ميلَه إلى التَّشيُّع، ولعلَّه ورث ذلك عن آبائه.

ومثلما لا نعرف شيئاً عن آبائه لا نعرف عن أعقابه شيئاً، ولا نَدْري ما إذا كان قد تزوَّج أم لا؟ وهل أنجب أبناءً أم لم ينجب، وهل أورث أولادَه شاعريته ومعارفه بل مهنة التجارة التجوال؟.

ويُظهر لنا ديوانه وكتب التراجم التي تحدَّثت عنه أنَّه لم يكن دائم الإقامة في القاهرة التي اتَّخذها وطناً وصارت له قبراً، وما بين أيدينا أنَّه كان يعمل تاجراً، وأنه اشتهر بذلك، وأنَّه كان يمتلك متجراً في المحلَّة الشَّهيرة

---

(١) جهاركس: هو أبو المنصور جهاركس بن عبد اللّه النّاصري الصَّلاحي الملَقّب فخر الدين، كان من كبراء أمراء الدَّولة الصَّلاحية، وكان كريماً نبيل القدر عالي الهمة، وقد بنى بالقاهرة هذه القيسارية المنسوبة إليه، وقيل: إنَّها كانت غايةً في حسنها وعظمها وإحكام بنائها، وقد شيَّد بأعلاها مسجداً كبيراً، وأتمَّها سنة ٥٩٢هـ. وجهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راءٌ ثم كافٌ مفتوحة ثم سين مهملة. معناه بالعربية: أربعة أنفس، وهو لفظ أعجمي معرَّبه: أستار، والأستار أربع أواقي، وهو معروف به. توفي جهاركس سنة ٦٠٨هـ بدمشق، ودفن في جبل الصَّالحية.
انظر وفيات الأعيان؛ ١/ ٣٨١، وأماكن كثيرة متفرقة من المجلد الثالث من مفرج الكروب.

(٢) المقفى؛ ١/ ٥١٠، وذكر الدكتور محمد زغلول سلاَّم أنه ولد سنة ٦٢٧هـ، وقد بنى رأيه على كلام ابن حجر و ابن العماد الحنبلي حيث ذكرا أنه عُمّر ثلاثاً وثمانين سنة.

المعروفة بقيساريَّة جهاركس.

والثَّابت من الإشارات التي تتصدَّر قصائده أنَّه كان كثير الارتحال إلى بلاد الشَّام ولا سيما مدينة حماة حاضرة الأيوبيين من أبناء تقيِّ الدين عمر، ولعلَّ حرفة التجارة ونظم الشعر كانا السَّبب في تجواله الدَّائم بحثاً عن إنفاقِ البضاعتين معاً عند من يقتنيهما ويعرف قيمةَ كلٍّ منهما، ويبدو أنَّ حرفة التجارة كانت تدرُّ عليه مالاً وفيراً، وأنَّه لم يكن يمتدح الملوك والسَّلاطين وغيرهم بغية التكسُّب وطلب الثروة[1].

كان العزازيُّ مثقَّفاً ثقافةً واسعةً، وتدلُّ أشعاره على أنَّه كان عميق الإطِّلاع على التاريخ العربيِّ بما فيه من أحداث كبرى وثقافات متنوعة وأعلامٍ كبارٍ في الشعر والفقه والتاريخ والفلسفة وغيرها. ولكنَّنا نميلُ إلى أنَّ الشَّاعر كسب ثقافته بجهدهِ الشَّخصيِّ وميله الفطريِّ إلى التَّعلُّمِ والتَّزودِ بالمعرفة، فلا نعرفُ له أسماءَ شيوخٍ تتلمذَ عليهم، ولا حلقاتِ درسٍ تردَّد عليها، ولم يتخَّذ التَّدريس حرفةً. فلا نعرف له أسماءً تلامذةٍ ومريدينَ، وإن كانت المصادر تذكر أنَّه كان يُحدِّث بشعره، ويتناقله عنه المحدِّثون وشيوخ الأدب[2].

وبقي العزازيُّ يتابع نظم الشّعر ومزاولة التجارة[3] إلى أنْ وافاه الأجل

---

(١) يقول الصَّفدي في أعيان العصر ؛ ١/ ٢٦٩ : «وكان تاجراً، فهو ينشر البزَّين من نظمه وقماشه، ويجعلُ النَّظمَ لأدبه والمتجرَ لمعاشه».

(٢) يقول ابن تغري بردي في المنهل الصافي : «أنشدني المسند عبد الرحيم بن الفرات إجازةً، أنشدني الصلاح الصَّفدي إجازةً، قال أنشدني من لفظه الحافظ فتح الدين بن سيِّد النَّاس، قال أنشدني شهاب الدين العزازي من لفظه لنفسه يمدح سيِّدنا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلَّم [القصيدة]». انظر المنهل الصافي ؛ ١/ ٣٦٣، ومصادر أخرى.

(٣) قال الصفدي في أعيان العصر : «ولم يزل على حاله إلى أن طويت من الحياة شُقَّتُه وعُدم ما بين معاشريه لطفُه ورقَّتُه».

يوم الأحد في ٢٩ من شهر محرَّم سنة ٧١٠هـ[1]، عن عمر يناهزُ ستّاً وسبعينَ سنةً[2]، ودفن بسفح المقطَّم، رحمه اللَّه وغفر له.

علاقته بعصره:

ولد الشهاب العزازي في نهاية الثلث الأوّل من القرن السادس الهجري، حيث كانت ممالكُ كثيرة في أصقاع العالم الإسلامي تحكمُ من قبل الأيُّوبيين، وهم أصحابُ الأمر والنَّهي في ذلك، وبمقتل الملك الصَّالح نجم الدين أيوب وتولِّي زوجته شجرة الدُّرّ السلطنة سنة ٦٤٨هـ في القاهرة انتقل الملك من أيدي الأيوبيين إلى أيدي المماليك البحريَّة، وزال سلطان الأيُّوبيين عن أغلب الأصقاع التي كانوا يتربَّعون على عروشها، ومن بقي منهم أصبح أمره مرتبطاً بسلطان المماليك، هم يُنصِّبونه، وهم يعزلونه أو يُقرّونه في ملكه أو يستخلفون بعده أحد أبنائه أو يضيفون إلى رقعة مملكته أو ينتقصون منها.

وقد عاش العزازيُّ مرحلةً طويلةً امتدّت ثمانية عقود [٦٣٣-٧١٠]، كان نظام الحكم فيها يتكُّون من:

١- خليفةٍ عبَّاسيٍّ، مقرُّه القاهرة.

٢- سلطانٍ مملوكيٍّ مقرُّه القاهرة.

٣- ملكٍ في إحدى الولايات التابعة للسلطنة.

أمَّا الخليفة فقد كان منصبُه شكلياً في أغلب الأحيان، وأمَّا السلطان فقد كان كلَّ شيء، وإذا اصطفى وزيراً أو نائباً بلغ من الشأن مكاناً مرموقاً، وإذا أقرَّ ملكاً كان صاحب الأمرِ والنَّهي في مملكته مع إعلان الخضوعِ والطاعة للسلطان المملوكي.

---

(١) النجوم الزاهرة؛ ٩/ ٢١٤، المنهل الصَّافي؛ ١/ ٣٦٤، أعيان العصر؛ ١/ ٢٦٩، وكل المصادر التي ذكرت وفاته حددتها سنة ٧١٠هـ.

(٢) كذا ذكر في المنهل الصّافي؛ ١/ ٣٦٤، وقال المقريزي: «توفي سنة ٧١٠هـ عن بعض وسبعين سنة، وقال ابن حجر في الدرر الكامنة؛ ١/ ١١٥، وابن العماد في شذرات الذهب؛ ١/ ١٦٢: أنه توفي عن ثلاث وثمانين سنة».

وقد عايش العزازيُّ عدداً من ملوك حماة كالملك المنصور الثاني أبي المعالي ناصر الدين محمد [٦٤٢-٦٨٣] والملك الأفضل نور الدين علي شقيق الملك المنصور، والملك المظفَّر [٦٨٣-٦٩٨]، وهو آخر ملوك حماة من البيت التَّقويِّ الذين عايشهم، والأمير أسد الدين عمر بن الملك الأفضل والأمير بدر الدين حسن بن الملك الأفضل، وله في هؤلاء جميعاً أشعارٌ رائعة رائقة سنأتي على ذكرها، ولم نجد له شعراً في أبي الفداء إسماعيل بن الملك الأفضل الذي سيتربَّع على عرشِ حماة سنة وفاة الشاعر، وسيكون أهمَّ ملوك حماة الأيُّوبيين على الإطلاق.

ومن خلال معايشته لهؤلاء الملوك والأمراء اتَّصل بالأعيان المقربين منهم والمقيمين في رحابهم ورجالات الدولة ووجهاء المجتمع وأرباب الأدب والفن وشيوخ القبائل المحيطة بحماة ذات الصلة الوثيقة بملوكها.

كما عايش عدداً من سلاطين المماليك البحرية الأتراك، ونظم فيهم غرر القصائد. ومن هؤلاء الظاهر بيبرس [٦٥٨-٦٧٦]، وابنه الملك السعيد [٦٧٦-٦٧٨]، والسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون [٦٧٨-٦٨٩]، والملك الأشرف خليل [٦٨٩-٦٩٣]. والناصر محمد [٦٩٣] و[٦٩٨-٧٠٨] و[٧٠٩-٧٤١] وبيبرس الجاشنكير [٧٠٨-٧٠٩].

شعرُه:

وصلنا ديوان الشاعر العزازي الذي جمعه بنفسه، وبوَّبه ورتَّبه حسب الموضوعات حيث قال: «وقد جعلت ديواني هذا في خمسة فصول».

جعل الفصل الأول منه في مدح الرسول (ص) وآل بيته ثم الملوك الذي عاصرهم.

وجعل الفصل الثاني في مدائح الوزراء والأمراء والقضاة والولاة والأعيان والصدور والكتّاب.

وجعل الفصل الثالث في نكتٍ وملح من تهان وتعاز وأغزال وألغاز وأهاج وعتاب وإخوانيات.

وجعل الفصل الرابع فيما وقع بينه وبين أدباء عصره وشعراء زمانه من مكاتبة ومجاوبة ومعارضة ومناقضة.

وجعل الفصل الخامس خاتمةً للديوان يشتمل على غرائب الأوزان من المخمسَّات والموشَّحات.

وهذا يعني أنَّ الديوان الذي جمعه، قسم إلى قسمين[1]، وقد وصلَنا منه القسم الأول المشتمل على الأبواب الأربعة، بينما أفراد للموشَّحات ديواناً خاصَّاً، لم نعثر عليه، وعساه قد نجى من الضياع.

وقد امتدحه معاصروه وأثنوا على شعره، قال الصَّفدي في أعيان العصر[2]: «كان شاعراً جيد المقاصد، لطيف الاقتناص للمعاني خفيَّ المراصد، لتراكيبه حلاوة وعلى ألفاظه طلاوة، وله شيءٌ كثيرٌ من الموشحات، وكلها بالصناعة البديعية موشَّعات، وكان قد أتقن فنّي القريض والتوشيح وغني اشتهاره في ذلك عن التلويح والتصريح».

وسمَّاه الصَّفدي في توشيع التوشيح: «الأديب الوشَّاح»[3].

وقال عنه في الوافي: «كان مطبوعاً ظريفاً جيد النظم في الشعر والموشَّحات»[4].

ونعته ابن شاكر بالكياسة والظرافة ونعت نظمه بالجودة، فقال[5]:

---

(١) قال الصَّفدي في الوافي: «ووقفت على ديوان العزازي، وهو في مجلَّدين: الشعر في مجلَّد والموشَّح في مجلد». انظر الوافي؛ ٧/ ١٥١. وذكر ابن شاكر ما ذكره الصفدي، فقال: «ووقفت على ديوان الأعزازي، وهو في مجلدين: شعر وموشح». انظر فوات الوفيات؛ ١/ ٩٨.

(٢) أعيان العصر؛ ١/ ٢٦٩.

(٣) توشيح التوشيح؛ ٨٠.

(٤) الوافي؛ ٧/ ١٤٨.

(٥) فوات الوفيات؛ ١/ ٩٥.

«الشاعر المشهور، كان كيِّساً ظريفاً، جيد النظم في الشعر والموشحات».

وذكره ابن حبيب في وفيات سنة ٧١٠هـ، وقال[١]: «وفيها توفي بالديار المصرية الأديب شهاب الدين أحمد بن عبدالملك بن عبد المنعم العزازي.. وله النظم الرائق والموشحات المتقنة البديعة المشهورة».

وذكره المقريزي في السلوك، وقال: «وله ديوان شعرٍ كبير»[٢].

كما ذكره في المقفى[٣]، فقال: «كان شاعراً جيّد النظم مطبوعاً... وحدَّث بشيءٍ من شعره»، وقد نقل المقريزي عبارات الصَّفدي فيه إلى كتابه المقفَّى، ثم قال بعد ذلك[٤]: «وقال عنه الشهاب محمود: كان قويَّ التراكيب صحيح الأساليب».

وقال ابن حجر في الدرر الكامنة[٥]: «الشاعر المشهور، اشتغل في الأدب ومهر وفاق أقرانه، سمع منه نظمه أبو حيان والحافظ أبو الفتح اليعمري، وحدَّث عنه غير واحد، وله في الموشحات يد طولى» ثمَّ قال: «كان مكثراً من النظم، وحدَّث بشيءٍ من شعره، وسمع منه الفضلاء، وكتب عنه الكبراء، ومدح الأعيان والوزراء، وله في كريم الدين الكبير مدائح فائقة».

وقال عنه ابن تغري بردي[٦]: «الأديب المشهور صاحب الموشحات

---

(١) تذكرة التنبيه؛ ٢/ ٣٤.

(٢) السلوك؛ ٢/ ٩٥.

(٣) المقفَّى؛ ١/ ٥١٠.

(٤) م. ن. والشهاب محمود هو: أبو الثناء شهاب الدين محمود الحلبي الدمشقيُّ من أشهر أعلام عصره، له ديوان شعر ضخم، لم يطبع، وأشهر كتبه كتابُه: حسن التوسُّل في صناعة الترسُّل، وقد طبع غير مرَّة. توفي سنة ٧٢٥هـ. انظر فوات الوفيات؛ ٤/ ٨٢، الأعلام؛ ٧/ ١٧٢.

(٥) الدرر الكامنة؛ ١/ ١١٥.

(٦) الدليل الشافي؛ ١/ ٥٧.

البديعة»، وكرَّر قوله هذا في المنهل الصافي فقال[1]: «كان أديباً بارعاً مطبوعاً ظريفاً، له النظم الرائق الفائق، ولا سيما نظمه للموشَّحات، فإنه غاية في ذلك، وله ديوان شعر موجود» وقال مثل ذلك في النجوم الزاهرة[2]: «الأديب الشيخ الشاعر، وكان له النظم الرائق، وله ديوان شعر مشهور».

ونقل ابن العماد ما قاله فيه ابن حجر حرفياً[3].

نظم العزازيُّ الشّعر في كلِّ فنٍّ من فنونه، وقد كان شاعراً مكثراً غزير الإنتاج، ورغم أنَّه قد ضاع من شعره الكثير، فقد وصلنا كمٌّ ثمينٌ من القصائد التي لا تدلُّ على شاعرية متفوّقة حسب، بل تقدّم منجماً غنيّاً بالجواهر ومنهلاً عذباً فراتاً يُغني التراث الشعريَّ والأدبيّ لتلك الحقبة وللشعر العربيّ بعامة.

وإذا كنَّا قد قلنا: إنه نظم الشعر في كلّ الفنون المعروفة، فإنَّنا نستطيع أن نجاري تقسيمه لديوانه الذي وصلنا، ونشير إلى أهم الموضوعات التي نضَّد فيها عقوده، وهي (المدح والرّثاء والغزل والوصف والإخوانيات والخمريات) ولكنَّا لن نُجاري الدّيوان والرُّواة ونضع الشعر في جانبٍ والموشحات في جانبٍ آخر، بل سنشير إلى الموضوعات سواءً انتظمت في هذا الشكل أو ذاك.

١- المدح:

يُشكّل المدح القسم الأكبر من ديوان الشَّاعر، ويُقسَم مديحه إلى قسمين:

أ- **مديحٌ دينيٌّ**، وقد وصلنا منه قصيدتان الأولى في مديح الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، وتقع في (٤٧) بيتاً، نهج فيه نهج كعب ابن زهير شكلاً ومضموناً.

والثانية في مدح آل بيت الرسول عليهم السَّلام، وتقعُ في (٥٣) بيتاً، وهي تذكّرنا بهاشميات الكميت وقصائد السّيِّد الحميري ودعبل الخزاعي وغيرهم.

---

(١) المنهل الصافي؛ ١/ ٣٦٣.

(٢) النجوم الزاهرة؛ ٩/ ٢١٤.

(٣) شذرات الذهب؛ ١/ ١٦٢.

ب- مديح دنيويٌّ أو تقليديّ:

ذكرنا أنَّ المديح هو أكثر مواد ديوانه غـزارةً، وقصـائده تتّسـم بـالطول مشتملةً على عناصر قصيدة المدح المعروفة بمقدماتها التي تمهّد للوصولِ إلى الممدوح غالباً.

وقد بلغ عدد القصـائد و المقطَّعات المدحية التي اشتمل عليها الديوان والمستدرك عليه (١١٥) قصيدةً ومقطعةً، منها قصائد طويلة جداً وصل بعضها إلى (١٠٩) أبيات.

والذي يتوقَّفُ المرء عنده هو غزارة مدحه لملوك حماة الأيوبيين مع أنَّه كان يقيم في القاهرة، وقد بلغت علاقته بهم حداً لم تبلغه مع أحد، وقلَّما بلغه شاعر لدى ممدوح، وتظهر القصائد أنه كان على علاقة حميميَّة تكاد تكون نديّةً بينه وبينهم دون استثناء وعلى رأس هؤلاء الملك المنصور والملك المظفر ابنه.

وقد بلغ عدد القصائد التي امتدح بها ملوك حماة (٥١) قصيدةً، منها (١٤) قصيدة في الملك المنصور الثاني و(١٤) قصيدة في الملك المظفر و(١٤) قصيدة في الملك الأفضل شقيق المنصور، و(٧) قصائد في أسد الدين عمر بن الملك الأفضل وقصيدتان في بدر الدين حسن بن الملك الأفضل، ولم نجد له في أبي الفداء مديحاً خاصّاً ولا ذكراً عابراً في ثنايا أماديحه.

وهذا العدد من الغزارة يفوق ما قاله المتنبي في الحمدانيين عدداً ويضاهيه جودةً.

ومدح سلاطين المماليك، ومع أنه كان مقيماً بين ظهرانيهم، وآلت إليهم مقاليد الدنيا فمدائحه فيهم أقلُّ بكثير من مدائحه في الأيوبيين، فقد مدح الظاهر بيبرس بـ (٤) قصائد والملك السعيد ابنه (بقصيدة) والسلطان سيف الدين قلاوون بـ (٣) قصائد والملك الأشرف خليل بقصيدتين. إلاَّ أنَّ الجامع بين مديحه لسلاطين المماليك وملوك حماة الأيوبيين هو الجودة، ومردُّها إلى شاعريته الرَّاقية وتمكُّنه من فنه وأدواته وثقافته الواسعة. ومدح عدداً كبيراً من الأمراء والوزراء والقضاة والأعيان ورجالات الحكم والسياسة والأدب

وزعماء القبائل وشيوخ العشائر وذوي الشأن، وبلغ عدد القصائد التي وصلتنا في هؤلاء (٤٤) قصيدةً، يحتلُّ منها الأعيان الذين كانوا في بلاط حماة الأيوبي حيّزاً كبيراً.

الغزل:

الغزل هو الفنُّ الثاني من الفنون التي أبدع فيها العزازي، ويلي المديح غزارةً، ويوازيه جماليةً وإتقاناً، ويُقسمُ الغزلُ عنده إلى قسمين:

أ- غزلٌ جاء مقدّمات للقصائد المدحية وغيرها سواء المدائح الدينيَّة أم مدائح الملوك والسلاطين وأرباب الشأن، وهو يشبهُ غزلَ جرير في مدائحه رقَّةً وعذوبةً.

ب- غزل منفرد، ووصلنا منه لوحاتٌ كثيرةٌ آيةٌ في الرِّقة والعذوبة التي تذكِّرنا بعمر بن أبي ربيعة والعبَّاس بن الأحنف وربَّما المتصوِّفة، وقد بلغ عدد المقطعات والقصائد الغزلية عنده (٨٩) قصيدة ومقطعة منها عدَّة مقطَّعات يختلط فيها وصف الطبيعة وما يتفرَّع عنها بالغزل.

الرِّثاء:

عايش العزازي غير واحدٍ من ملوك حماة، وفجع بعضُهم بمولودٍ عزيزٍ أو صديق حميم، وانتقل بعضهم إلى جوار ربِّه فتسنَّم العرش ابنه، فرثاهم العزازيُّ رثاءً حارّاً، يظهرُ فيه الشاعرَ المفجوعَ بحقٍّ، فقد كانوا أولياء نعمته وأصدقاءَه المخلصين ناهيك عن كونهم ملوكاً ذادوا عن الحياض ووطَّدوا الأمن في البلاد، ووصلنا من شعرهِ رثاءٌ في الملك المنصور الثاني والملك الأفضل وغيرهما.

وهو في مراثيه يظهرُ تفوُّقه الفنّيَّ وتمكّنه من محاكاة أرقى قصائد الرثاء في شعرنا العربي.

الموشَّحات:

أفرد المؤرّخون للموشَّحات جانباً من الحديث عن أغراض العزازي الشِّعرية، وامتدحوا تفوُّقه في هذا الفنِّ، ويبدو أنَّه كان مكثراً فيه حتى أفردَ له ديواناً خاصّاً، وقد ذكرنا من قبل أنَّ الموشَّح عند العزازي هو قصيدةٌ مزركشةٌ

قد تنهج نهج القصيدة العاديّة في موضوعها. ولهذا نراه يُفردُ موشَّحاً لمدح الشاعر التَّلعفريّ. وقد استطعنا الحصول على (٧) موشَّحات لهذا الشاعر، ستٌّ منها في الخمر والحبّ والطَّرب ومجالس الشراب ومفاكهة الخلاّن، وكلُّها غايةٌ في الإتقان والصَّنعة، وهو يظهر فيها متمكّناً من فنه عميق الإطلاع على من سبقه من الوشَّاحين الأندلسيين حتَّى أنه يُفاخر بأنه سبق (ابن بقيّ) في هذا الميدان، وابنُ بقيٍّ أشهر موشحي الأندلس والعربية.

موضوعات أخرى:

وصلنا في ديوان الشاعر والمصادر مقطّعات في الهجاء والدُّعابة والمجون، وهي من القلَّة بحيث لا تُشكِّلُ ظاهرةً يُشارُ إليها، وإذا كنَّا قد تعرَّضنا لها فلكي نقول: إنَّ الشَّاعر لم يكن هجَّاءً ولا غزلاً ماجناً، يتخلَّع في شعره ويفرط في الحديث عن الغلمان الذي شاع في عصره، بل كان أنيقاً في شعره كما كان أنيقاً في اختيار حلله الموشَّاة يعرضها على المعجبين بذوقٍ رفيع وحساسيةٍ مفرطة.

هذه هي الموضوعات التي انتظمها شعر الشَّاعر، وسوف يتلمَّس القارىء بنفسه أنه أمام شاعرٍ فحل تُضاهي ديباجته ديباجة البحتري إشراقاً ويرقى تصويره الملحمي في المديح إلى مدائح المتنبي في سيف الدَّولة وتزاحم غزلياته عمر بن أبي ربيعة وديك الجن والعبَّاس بن الأحنف، وتقف خمريّاته مع خمريات أبي نواس على رفرفٍ واحدٍ في سلم الخلود.

تحقيق الدّيوان:

حصلنا على مخطوطتين من ديوان الشَّاعر، وهما المخطوطتان المحفوظتان في دار الكتب المصرية تحت الرقم ٥٥٩ أدب، والرقم ٤٧٩ أدب[1].

---

(١) قال الزركلي في الأعلام؛ ١/ ١٦٤ : «له موشحات وألغاز وديوان شعر: خ، [أي مخطوط] غير كامل في دار الكتب ٤٧٩ أدب، جمع منه الصَّلاح الصفدي منتخبات: خ [أي مخطوط] في ٧٦ ورقة، وفي جامعة الرِّياض (١٦٥) مختاراتٌ لعلَّها هي». وقد حاولنا الحصول عليها، فلم نوفَّقْ.

وقد اعتبرنا النسخة ذات الرقم ٥٥٩ أدب أصلاً لوضوحها وسلامتها وضبط الكلمات فيها، ورمزنا لها «بالأصل».

ورمزنا للمخطوطة الثانية (ب).

أ- مخطوطة الأصل:

تقع مخطوطة الأصل في (١٠٧) ورقة، قياس ١٧×٢٤، في كلِّ صفحة خمسة عشر سطراً.

وقد كتبتْ عناوين القصائد بالمداد الأحمر والشعر بالمداد الأسود. وهي نسخة جيّدة الخط والضبط كتبت بخط نسخيٍّ عادي، وكاتبها علي بن سليمان المغربي، ولم يذكر تاريخَ نسخها، ولكنه قال في الورقة ٨١/ و: «نجز ديوان شعر المولى الأجل الإمام العالم الفاضل الأديب شهاب الدين أحمد بن الخطيب عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي، أطال الله بقاءَه، ومولده في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بقلعة عزاز. غفر الله لمن نظر فيه واستغفر لكاتبه وأفقر عبادٍ اللّه إلى رحمته الفقير علي بن سليمان المغربي رحمه».

ثم قال: «برسم سيدي صلاح الدين بن القاضي محمد بن محمد بن محمد الشهير نسبه الكريم بالكوراني الشافعي مذهباً رضوان اللّه عليهم أجمعين» وأمامها كتب: «ديوان العزازي».

ويبدو أنَّ هذه النُّسخة قد كتبت في حياة الشَّاعر وعن نسخته التي جمعها بيده.

وقام النَّاسخ باستدراكٍ على أصل الديوان استغرق معه حوالي ثلاثين ورقة، وختم الديوان بقوله: «تمت وبالخير عمَّت آمين يا معين، وصلَّى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين يا ربَّ العالمين، وبه نستعين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين». وفي أسفل الورقة تملك غير واضح وخاتم غير واضح.

وعلى غلاف الصّفحة الأولى كتابات كثيرة بعضها غير واضح البتة، ويبدو أنه تمَّلك هذه النسخة غير واحد، فعلى يمينها من الأعلى: «ملك السيد

محمود.. بن السيد محمود بن ...» ثم خاتم غير واضح وكتابات غير واضحة.

وفي وسطها من الأعلى: «ديوان الشّهابي أحمد العزازي» وكرر العبارة نفسها تحتها. ثم تحتها بخطّ كبير: «نظر في هذا الكتاب الفقير الحقير المعترف بالتَّقصير محمد بن أبي بكر بن الشيخ عبد الوهاب العرضي الشافعي القادري».

وتحتها بخطٍّ آخر: «الحمد لله ربّ العالمين ولا إله إلاَّ الله...».

ثم تتمة الفاتحة: «إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم».

ومجموعة قراءات وتملكات وعلى اليسار من الأسفل: «تملكه من فضل الله محمد سعيد داكزمخي [كذا]» وفي أسفل الصفحة بخطّ كبير:

«ديوان الشهاب الأعزازي رحمه الله» وخاتم كبير غير واضح.

- نسخة (ب):

وهي نسخة تحتفظ بها دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٩ أدب.

على غلاف الورقة الأولى بخط حديث من قبل مفهرسي مكتبة الدار: «ديوان أحمد بن عبد الملك المعروف بالشهاب».

وعلى الورقة الثانية: «ديوان الشهاب العزازي».

ثم عبارة: «هذا ديوان الفاضل الأديب أحمد بن عبد الملك المعروف بالشهاب العزازي رحمه الله».

ثم عبارة: «ممَّا صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة ومضاف قيماه [كذا] مايو ١٨٨٠ عـ١٨٢٥٧ نمرة ٤٧٩». ثم خاتم كبير غير واضح تماماً، ولكنه يتبين منه عبارة: «المكتبة الخديوية المصرية».

تقع هذه المخطوطة في (٧٩) ورقةً، وسجّل ذلك على صفحتها الأولى، وقد كتبت بخطٍّ نسخي عاديّ بالمداد الأسود عدا العناوين بالأحمر، وهي غير مضبوطة بالشكل، وكثيرة التحريف، وقد تضمَّنت كل صفحة (٢١) سطراً في

الغالب. والعناوين غير واضحة البتة.

تتطابق هذه النسخة مع نسخة الأصل حتَّى يظنّ المرء أنهما نسختا عن مصدرٍ واحد، أو لعلَّ (ب) نسخت عن الأصل.

وقد سقط من الأصل أبيات من بعض القصائد، ومن حسن الحظّ أنَّها وجدت في (ب).

لم يذكر ناسخها اسمه، ولكنه قال في نهاية الورقة الأخيرة: «تمَّت وبالخير عمَّت، وباللَّه التوفيق، تحرَّرت في ٢٦ شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٥». وتحته خاتم كبير غير واضح ما فيه، ويستدلُّ على أنه خاتم دار الكتب.

عملنا في هذا الكتاب:

- قمنا بنسخ مخطوطة الأصل بمنتهى الدِّقة، وقد عانينا كثيراً من قراءة العناوين التي يبدو أنها كتبت بالمداد الأحمر فلم تظهر في الصُّورة بشكلٍ واضح.

- قمنا بمعارضة نسخة الأصل مع (ب). وأشرنا إلى مواطن الخلاف، وقد كان لهذه المعارضة بعض الفوائد حيث أكملت بعض الخلل الحاصل في نسخة الأصل مع أنها منسوخةٌ عنها على ما يبدو.

- قمنا بترتيب القصائد كما هي واردة في مخطوطة الأصل دون أي تبديل أو تعديل، ورقَّمناها من بداية الديوان إلى نهاية، ورقَّمنا أبيات كل قصيدة على حدة.

- قمنا بضبط النَّصِّ ضبطاً تامّاً.

- شرحنا ما رأينا شرحه ضروريّاً، وترجمنا للأعلام والأماكن والوقائع والحروب الواردة في القصائد.

- تسقَّطنا أخبار الشاعر وأشعاره في المصادر، فاجتمع لنا منها زادٌ وفيرٌ وغنيّ، ألحقناه بالديوان، وجعلناه مستدركاً عليه.

وضعنا للديوان فهارس تفصيلية شاملة تعين القارئ، وتيسِّر له مهمة تناول القصائد بيسر.

وقد صدَّرنا العمل بمقدِّمةٍ تشكّل إضاءةً هامَّة للشاعر وشعره.

هذا هو ديوان الشهاب العزازيّ الحلبي مولداً والحمويُّ هوىً ومراحاً والقاهريُّ موطناً ومثوىً والعربيُّ شعراً وأصالةً.

أقدِّمه لأبناء الضَّاد راجياً أن يكون فيه ما هو نافعٌ وممتعٌ ومفيد.

رضا رجب

حماة ٢٠/ ٦/ ٢٠٠٤

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم

وبه نستعينُ[١]

[الحمد للّه ربِّ العالمين والصَّلاةُ والتَّسليمُ على أشرف المرسلين، وعلى آله و صحبِه أجمعينَ، فيقولُ مؤلِّفُه، رحمه اللّه تعالىَ][٢]: وقد[٣] جعلت ديواني هذا خمسةَ فصول:

الفصل الأوّل: يشتملُ على مدائحِ رسولِ اللّه، [صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم][٤] وآل بيته الطَّاهرينَ صلواتُ اللّه عليهم أجمعين، و[٥]مدائحِ الملوك وذكرِ غزواتهم وفتوحاتهم ووَقائعهمْ وأخبارِهمْ[٦].

الفصل الثّاني: يشتملُ على مدائحِ الوزراءِ والأمراءِ والقضاةِ و الولاةِ والأعيانِ والصدورِ والكتَّاب.

الفصل الثَّالث: يشتملُ على نُكَتٍ ومُلَحٍ من تهانٍ وتعازٍ وأغزالٍ وألغازٍ وأهاجٍ وعتابٍ وإخوانيَّاتٍ وغيرها.

الفصل الرَّابع: يشتملُ على ما وقعَ بيني وبين أدباءِ عصري وشُعراءِ زماني من مكاتبةٍ ومجاوبةٍ ومعارضةٍ ومناقضةٍ وغيرها[٧].

الفصل الخامسُ: من آخر الديوان، يشتملُ على غرائب الأوزان من المُخمَّسات والموشَّحات التي اخترعتْها شعراءُ الأندلس وفضلاءُ المغرب.

وقدَّمتُ مديحَ سيِّدِ المرسلين وآلِ بيته الطَّيبين الطَّاهرين[٨] رجاءَ شفاعتهم يوم الدِّين[٩]، واللَّهَ حسبي، وبه أستعين.

---

(١) سقطت العبارة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب): «قد»، وسقطت «و».

(٤) زيادة من (ب).

(٥-٦) سقط من (ب).

(٧) في (ب): «وغيره».

(٨-٩) سقط من (ب).



صورة الغلاف من نسخة الأصل وعليها

العنوان والكلمات المتنوعة

بلغ ... (marginal note)

وقد جعلت ديواني هذا خمسة فصول

يشتمل على مدائح رسول الله وآل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

ومدائح الملوك وذكر غزواتهم وفتوحاتهم ووقائعهم وأخبارهم

يشتمل على مدائح الوزراء والأمراء والعلماء والولاة والأعيان والصدور

والكتاب [illegible] يشتمل على كتب ورسائل وتهاني وتعازي وغير

وغزل وأهاج وعتاب وإخوانيات ونحوها

يشتمل على ما وقع بيني وبين أدباء عصري وشعراء زماني من مكاتبة [illegible]

ومعارضة ومناقضة ونحوها [illegible]

ومدونة يشتمل على غرائب الأوزان من المخمسات والموشحات التي جرت بها

شعراء الأندلس وفضلاء المغرب وقدمت مدح سيد المرسلين وآله

الطيبين الطاهرين رجاء شفاعتهم يوم الدين والله حسبي وبه نستعين

ولنبدأ بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على وزن بانت سعاد

فقلبي اليوم متبول

دمي بأطلال ذات الخال مطلول ... وجيش صبري مهزوم ومفلول

ومن بلاني الصبابات بلا ... صبر يدافع عنه فهو مخذول

[illegible]

صورة الورقة الأولى من نسخة الأصل

صورة الورقة (٤٩) من مخطوطة الأصل، وعليها كتابات بخط مغاير

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب يسر يا كريم

هذا الذي وجدته منظومًا ووجدته بعد كتابة الديوان ما الحق به

وهو [illegible] مشتمل [illegible]

أنا بين الغواية والعواتب • وأقلع عن معاقرة الـ[illegible]

وكان يجيب داعية النداي • ويصبو للمثالث والمثاني

ولكن الشبيبة حين تولت • تولى اللهو مصروف العنان

أألهو بعدما خمسين عامًا • وقد أشفت على حجج ثمان

وما طربي للهو بعد عمر • تولى غير تعليل الأماني

وفي النفس التفات للتصابي • ولكن النهي عنه نهاني

يهزك الحبيب إلى اصطباح • وداع للمشيب يسبي دعاني

أجرر في الهوى ذيل لهوي • وأمشي في البطالة من عناني

بوصل خفيفة الحركات رود • تثنى كانثناء الخيزران

اذا ما أدبرت فكثيب رمل • وإما أقبلت فقضيب بان

وإن سفرت فيانع جلنار • او ابتسمت فناصع أقحوان

دصافية

صورة الورقة الأولى من ملحق الديوان في نسخة الأصل

ثم انا بتنا مجتمعين من غير ريبة فيما بيننا او خيانه

ومع الهوى وجيبه ما خلت بين [illegible] ولا عصيانه

وعجيب من عاشق غلب الحب عليه فما البنه الامانه

فتثني على محاسنه الملا [illegible] احسانه

بعوالي سبلان حدثت عنها [illegible] سلاسة وبيانه

تثني الفند معجماً من معا [illegible] لسانه

[illegible]

[illegible] احمد بن [illegible] عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي

[illegible] الله تعالى [illegible] • [illegible] في اواخر سنة

ثلث وثمانين وستمائة [illegible]

[illegible]

[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من نسخة الأصل قبل الملحق

صورة الورقة الأخيرة من نسخة الأصل بعد الملحق

ديوان الشهاب العزازي

هذا ديوان الفاضل الأديب
أحمد ابن عبد الملك المعروف
بالشهاب العزازي
رحمه الله



صورة غلاف نسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والتسليم على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين فيقول مؤلفه رحمه الله تعالى قد جعلت ديواني هذا خمسة فصول مدائح رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين صلوة الله عليهم اجمعين يشتمل على مدائح الامرآء والوزرآء والولاة والاعيان والصدور والكتاب يشتمل على نكت وملح من تهان وتعاز واغزال والغاز واهاج وعتاب واخوانيات وغيرها يشتمل على ما وقع بيني وبين ادباء عصري وشعراء زماني من مكاتبة ومجاوبة ومعارضة ومناقضة وغيره من اخر الديوان يشتمل على غرايب الاوزان من مخمسات وموشحات التي اخترعها شعراء الاندلس وفضلاء العرب وقد مدحت بها سيد المرسلين وآل بيته الطاهرين والله حسبي وبه استعين

صورة الورقة الأولى من (ب)

خطرات النسيم تجرح خديه ... ولمس الحرير يدمي بنانه

قال لي والدلال يعطف منه ... قامة القضيب في [illegible]

هل عرفت الهوى فقلت وهل ... ينكر دعواه قال ما برهانه

قلت جسم العشاق من ألم الصبر ... واضنى [illegible]

[illegible] والصباح قد حان ... [illegible] الظلام [illegible]

في قميص [illegible] بالله [illegible] في [illegible] أردانه

وشاحا جلا [illegible] على خصر [illegible] أردافه [illegible]

فتلقيته بضم ولثم ... [illegible]

ودعوة للمدام في الكأس [illegible] ... فنادى [illegible] المدام وشانه

وارتشفت من فيه [illegible] ... قهوة [illegible] عن كل [illegible]

واقتطفت ورد وجنتيه [illegible] ... [illegible]

واحتكم غير [illegible] ... فأبان ترتضي عصيانه

ثم انا [illegible] ما بيننا [illegible]

وحق الهوى [illegible] ولا [illegible]

وعجيب من عاشق [illegible] ... [illegible] فنالته الأمانة

فسألني عن محاسنه [illegible] ... في [illegible] أحسانه

[illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] لسانه

تمت [illegible]

والحمد لله

[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من الديوان في نسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الذي قد تجدد نظمه ووجد بعد كتابة الديوان خارج الجزو

نبا قلب عن الغواية والغواني | وأقلع عن معاقرة الدنان
وكان يجيب داعية التصابي | ويصبو للمثالث والمثاني
ولكن الشبيبة مذ تولت | تولى اللهو مصروف العنان
ألهواً بعدما خمسين عاما | وقد أشفت على حجج ثمان
وما طربي للهو بعد عمر | تولى غير تضليل الأماني
وفي النفس التفات للتصابي | ولكن النهى عنه نهاني
وقد كنت الحبيب إلى اصطباح | وراح للنديم إذا دعاني
بجوهرة لجو تذوب الهوى | وأعصي في البطالة من لحاني
بوصل خفيفة الحركات رود | تثنى كما تثنى الخيزران
إذا ما أدبرت فكثيب رمل | وإما أقبلت فقضيب بان
وإن سفرت فبادي جلنار | وإن بسمت فناصع أقحوان
وصافية إذا الساقي جلاها | كسته حلة من أرجوان
مشعشعة يطوف بها غلام | له سبع وخمس واثنتان
زماناً كان فيه العيش غضاً | وكان الشعر من لباداتي
ويا ما حبذا ما كان فيها | شبابي شافع عند الحسان
ليالي صبوة كنت البطل | لغاياتها البعيدة غير وان
وأذكر بالعواصم طيب عيش | تولى والصبا في العنفوان
والهاني باحضار الندامى | والاصغاء لأصوات القيان

الفصل الأول

(١) *

قال، يمدحُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، على وزن: [البسيط]

بـانتْ سُـعادُ فقلبـي اليـومَ متبـولُ[1] ... ...

(*) ورد من هذه القصيدة في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٠ الأبيات (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢٤-٢٦-٢٧-٣٢-٣٣-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١)
وقال: «وهي قصيدة جيّدة غرّاء».
وورد منها في فوات الوفيات الأبيات (١-٢-٤-٥-٦-٧-٨-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢٤-٢٦-٢٧-٣٢-٣٣-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١).
وورد منها في الوافي الأبيات (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-١٧-١٨-١٩-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧-٣٢-٣٣-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١).
والمنهل الصافي؛ ١/ ٢٦٣، الأبيات (١-٢-٣-٤-٥-٦-٨-١٧-١٨-٢٣-٢٤-٢٦-٢٧-٣٢-٣٣-٣٦).

(١) عجزُه:

. . . . مُتَيَّـمٌ إثرَهـا لـم يُفْـدَ مَكبـولُ

وهو مطلعُ قصيدة كعبِ بن زهير الشّهيرة في مدح رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم، وقصّة إسلامه مشهورة.
وكعبُ بن زهير هو أحد فحول الشعراء المخضرمين من بيتٍ توارثَ فحولةَ الشِّعر، فهو ابن زهير بن أبي سُلمى صاحب المعلّقة الشهيرة.
وقد عدَّه ابن سلاَّم في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية. ولد في الجاهلية، وأسلم منصرف النبيّ صلى اللّه عليه وسلّم من الطائف، وامتدَّ به العمر حتّى زمان معاوية.
انظر أخباره والقصيدة في ديوانه؛ طبعة دار الكتب. وقد وضع ابن هشام شرحاً للقصيدة، علّق عليه عبد القادر البغدادي حواشيَ هامَّة جداً باسم حاشية على شرح بانت سعاد، وصدرت في ثلاثة مجلّدات. وهو عمل جدير بالقراءة.

١. دمي بأطلالِ ذاتِ الخالِ مطلولُ[١] وجيشُ صبريَ مهزومٌ ومغلولُ[٢]

٢. ومَنْ يُلاقِ العيُونَ الفاتكاتِ بِلا صبرٍ يُدافعُ عنه فهْوَ مخذولُ

٣. قُتلتُ في الحُبِّ حُبِّ الغانياتِ وما قارفتُ[٣] ذنباً وكم في الحُبِّ مقتولُ

٤. لم يدرِ مَنْ سلَبَ العُشَّاقَ أنفسَها بأنَّهُ عن دمِ العُشَّاقِ مَسْؤولُ

٥. وبي أغنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مُعتدلُ الـ قوامِ لَدْنُ مَهزِّ العِطْفِ مَجدولُ[٤]

٦. كأنَّهُ في تثنِّيهِ وخطْرتهِ غُصْنٌ منَ البانِ مطلولٌ[٥] ومشمولُ[٦]

٧. سُلافةٌ منه تسبيني وسالفةٌ[٧] وعاسلٌ[٨] منه يُصبيني ومعسولُ[٩]

٨. وكلُّ ما تدَّعي أجفانُ مُقلتِهِ يصحُّ إلاَّ نُحولي فَهْوَ منحولُ

٩. يا راقدَ العَينِ عيني فيكَ ساهرةٌ وفارغَ القلبِ قلبي منكَ مشغولُ

١٠. كم ذا أُعلِّلُ أجفاني بطيفِ كرىً لو كان ينفعُ تسويفٌ وتعليلُ؟

١١. وكيفَ يُطرقُ طيفٌ أو يُلِمُّ كرَى بمقلةٍ جفنُها بالسُّهْدِ مكحولُ؟

١٢. يا مَنْ يرِقُّ لصَبٍّ لا صباحَ لهُ كأنَّما ليلُه بالحشرِ موصولُ؟

١٣. تَفاوضَ النَّاسُ في عشقٍ ألَمَّ بهِ والعشقُ ما زالَ فيهِ القالُ والقيلُ

---

(١) مطلولٌ: مسفوح.

(٢) مغلول: مقيَّد. ولعلَّها: «ومفلولُ» أي مكسور.

(٣) قارف الذنب واقترفه: ارتكبه.

(٤) أغنُّ غزالٌ ذو غنَّة، وهو يستملح، يصفُ حبيباً كالغزال طرفُه فاتر وقوامه معتدلٌ وخصره ليِّنٌ يتثنَّى وهو مجدولٌ، أي مفتولُ السَّاقين، وذلك للمدح.

(٥) مطلول: أصابه: الطَّلُّ، وهو الندى. وهو أعذب الماء وأنقاه.

(٦) مشمولٌ: خالطته الشَّمول، وهي الخمرة.

(٧) في (ب): «وتسلبني». والسَّالفة: خصلة الشعر.

(٨) العاسل: الرمح، يقصد القدّ.

(٩) المعسول: به عسلٌ، يقصد الرِّيق، والمعسول: الفم.

١٤ يصبو إلى الدَّارِ حيثُ الدَّارُ عامرةٌ ... ويذكرُ الرَّبعَ حيثُ الرَّبعُ مأهولُ

١٥ يا دارُ ما صنعتْ تلكَ الحبائبُ والـ ... غِيْدُ الكواعبُ[10] والعِيْنُ المَطافيلُ[11]؟

١٦ بانوا فلا خَبرٌ من بانِ «كاظمةٍ»[12] ... ولا حديثٌ عنِ «الجرعاءِ»[13] منقولُ

١٧ يا برقُ كيفَ الثَّنايا[14] الغُرُّ من «إضَمٍ»[15]؟ ... يا برقُ أمْ كيفَ لي منهنَّ تقبيلُ؟

١٨ ويا نسيمَ الصَّبا كرِّرْ على أُذُني ... حديثَهُنَّ فما التَّكرارُ مَمْلولُ

١٩ ويا حُداةَ المطايا دونَ «ذي سلَمٍ»[16] ... عُوجُوا وشَرقيَّ بانات «اللِّوى»[17] مِيلوا

---

(١٠) الغيد الكواعب: الحسان التي كعبتْ أثداؤهنَّ في أوَّل الشباب.

(١١) العين: الحسانُ العيون، والمطافيلُ: اللَّواتي لهنَّ أطفالٌ.

(١٢) كاظمةُ: جَوٌّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، ومَاؤها شروب واستسقاؤها ظاهر. وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وأشهر شعر سارت به ما ورد في بردة البوصيري. انظر معجم البلدان (كاظمة)، وانظر ما قال البكري في معجم ما استعجم؛ ٢/ ١١٠٩: «أن سعد بن إياس قال: أذكر أني سمعتُ برسول الله (ص) وأنا أرعى إبلاً لأهلي بكاظمة».

(١٣) الجرعاء: الرملة لا تنبت شيئاً، وجرعاء مالك: رملةٌ بالدهناء قرب حزوى، ووردت في شعر ذي الرمَّة وغيره. انظر معجم البلدان (جرعاء مالك).

(١٤) الثَّنايا الغُرُّ: الأسنان البيضاء اللاَّمعة.

(١٥) إضمٌ: وادٍ بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، وقال ابن السّكيت: وادٍ يشقُّ الحجاز حتَّى يفرغَ في البحر، وإضمٌ جبلٌ بين اليمامة وضريَّة. وذو إضم: ماءٌ بينَ مكة واليمامة. وكثر ذكره عند الشعراء وعلى رأسهم البوصيري. انظر معجم البلدان (إضم).

(١٦) ذو سلم: واد بالحجاز، وواد ينحدر على الذّنائب، والذنائب في أرض بني البكَّاء على طريق البصرة إلى مكَّة. والسَّلَم في الأصل شجر. انظر معجم البلدان (سلم). وكثر ذكر ذي سلم في أشعارهم، ومنه مطلع قصيدة البوصيري الشهيرة. ومن أعذب ما قيل فيه:

وهل تعودنَّ ليلاتي بذي سلمٍ ... كما عهدتُ وأيَّامي بها الأُوَلُ

أيَّام ليلى كعابٌ غير عانسةٍ ... وأنتَ أمردُ معروفٌ لك الغزلُ

وقال الشريف الرضي:

أقولُ والشوق قد عادت عوائدُهُ ... لذكرِ عهد هوىً ولَّى ولم يَدُمِ

يا ظبية الأُنس هل إنسٌ ألذُّ به ... منَ الغداة فأشفى من جوى الألمِ؟

وهل أراكِ على وادي الأراك وهل ... يعودُ تسليمُنا يوماً بذي سلمِ؟

(١٧) اللِّوى: بالأصل منقطع الرَّمل، وهو واد من أودية بني سليم. وباناته: أشجاره، وكثر ذكره على ألسنة الشعراء. انظر معجم البلدان (اللّوى).

٢٠. منــــازلُ باكرتْهــــا كـــلُّ غاديـــةٍ وعِقدُهــا في مَغــانيهنَّ محلــولُ
٢١. وراحَ مَــرْيٌ[١٨] خُزاماهــا وعارضَــه مِنَ الحيا وهـو مجلوٌّ ومصقـولُ
٢٢. ومـرٌّ يرفـلُ فجـريُّ النَّسـيمِ بهـا وذيلُـه بسـقيطِ الطَّـلِّ[١٩] مبلـولُ
٢٣. منــازلٌ لأكُـفُّ الغيـثِ توشـيةٌ بهـا وللنَّـورِ[٢٠] توشـيحٌ وتكليـلُ

* * *

٢٤. كأنَّمــا طِيْـبُ ريَّاهـا ونفحتُهـا بطِيْبِ تُربِ رسولِ اللَّـهِ مجبـولُ
٢٥. محمَّدُ المصطفى الهادي ومَنْ شَهِدتْ بصِـدْقِ مـا قـالَ تـوراةٌ وإنجيـلُ
٢٦. أوفـى النَّبيّـينَ بُرهانـاً ومُعجِـزَةً وخيرُ مَن جـاءَهُ بالوحيِ جِبريلُ
٢٧. لــهُ يــدٌ ولـــهُ بـــاعٌ يزينُهمـــا في السِّلْمِ طَوْلٌ[٢١] وفي يومِ الوغى طُولُ
٢٨. وكم لـه آيـةٌ كالشَّمسِ قد نُسخِتْ بحقِّهـا مِـنْ أعاديـهِ الأبـاطيلُ
٢٩. خصائصٌ لا يُطيقُ العدُّ يحصرُها قد أعجزتْ جُمَلٌ[٢٢] منها وتفصيلُ
٣٠. كـانتْ رسـالتُه للرُّسْـلِ خاتمـةً وللنُّبُـوَّاتِ تتميـمٌ وتكميـلُ[٢٣]
٣١. فضـائلُ لرسـولِ اللَّـهِ واضحـةٌ وفي الفضـائلِ معلـومٌ ومجهـولُ
٣٢. سـلَّ الإلــهُ بــهِ سـيفاً لملَّتــهِ وذلكَ السَّيفُ حتَّى الحشرِ مسلولُ
٣٣. وشـادَ رُكْنـاً أثيـلاً[٢٤] مِـنْ نبوَّتـهِ والكفـرُ واهٍ وعـرشُ الشِّـركِ مَثْلُـولُ[٢٥]

---

(١٨) المريُ: المسحُ. ومنه مسحُ الضّرع ليدر اللَّبن.
(١٩) سقيط الطَّلِّ: النَّدى المتناثر.
(٢٠) النَّور: الزَّهر.
(٢١) الطَّوْلُ: المَنّةُ والكرم.
(٢٢) الجُمَلُ: هنا الإجمال.
(٢٣) في البيت إقواء حيث أتى بالرَّفع وحقُّه النَّصب خبر كان إذا اعتبرنا الواو حرف عطف.
(٢٤) أثيل: رفيعٌ متين.
(٢٥) مثلولُ: متهدّم.

٣٤.هل نبتغي بالقوافي رفعَ رُتبتهِ — وفيه للّهِ قرآنٌ وتنزيلُ؟

٣٥.أم هل نَرومُ بها تعظيمَه ولهُ — مِنَ المهيمنِ تعظيمٌ وتبجيلُ؟

٣٦.ويلٌ لمنْ جحَدوا برهانَه وثنَى — عِنانَ رُشدِهِم غَيٌّ وتضليلُ

٣٧.أولئكَ الخاسئونَ الخاسرونَ ومَنْ — لهمْ مِنَ اللَّهِ تعذيبٌ وتنكيلُ

٣٨.نَمتْهُ مِن هاشمٍ أُسْدٌ ضراغمةٌ — لها السُّيوفُ نُيوبٌ والقنا غِيلُ[٢٦]

٣٩.إذا تفاخرَ أربابُ العُلى فَهُمُ الـ — غُرُّ المغاويرُ والصِّيدُ البهاليلُ

٤٠.لَهُمْ على العَرَبِ العَرْباءِ قاطبةً — بهِ افتخارٌ وترجيحٌ وتَفضيلُ

٤١.قومٌ عمائمُهُمْ ذلَّتْ لعزَّتِها الـ — قعساءِ[٢٧] تيجانُ كِسْرَى والأكاليلُ

٤٢.تغشى الوغى بسيوفٍ ليس يمنعُها — في الرَّوعِ مِنْ نسجِ داوودٍ سرابيلُ[٢٨]

٤٣.على خيُولٍ كريماتٍ مُسَوَّمةٍ — يزينُها غُرَرٌ منها وتحجيلُ

٤٤.تُرى تُبلِّغُني مِنْ قبرِهِ أملي — ويُغْيتي الأرحبيَّاتُ[٢٩] المراسيلُ؟

٤٥.وهلْ أعودُ بثوبٍ وهوَ مِنْ دَنَسِ الـ — آثامِ أو دَرَنِ العِصيانِ مغسولُ؟

٤٦.يا ربِّ عبدُكَ قد جلَّتْ خطيئتُهُ — والعفُو عندكَ مرجوٌّ ومأمولُ

٤٧.وكيفَ يُحرَمُ منكَ العفوَ مُقترِفٌ — ذنباً وشافعُهُ في الحشرِ مقبولُ؟

❖ ❖ ❖

---

(٢٦) الغيل: غابُ الأسد.

(٢٧) القعساء: الثابتة.

(٢٨) السَّرابيل: الدُّروع، وقال: من نسج داوود النَّبي عليه السَّلام لأنَّ اللَّه ألان له الحديد.

(٢٩) الأرحبيَّات: النُّوقُ، وهي نسبةٌ إلى قبيلة أو إلى فحل أو مكان، وهي الواسعة الصَّدر، تمتدح بالسُّرعة، والمراسيل: النُّوقُ: السَّهلةُ السَّير.

(٢)

وقال، يمدحُ آل البيت، رضوانُ اللَّهِ عليهم: [الوافر]

١. أما ورُضابِكَ[1] العَذْبِ الشَّهيِّ ... ولُؤلؤِ ثَغْرِكَ الرَّطْبِ البَهِيِّ

٢. ووجنتِكَ التي في صَفْحتيها ... تُشقُّ غلائلُ[2] الوردِ الجَنيِّ

٣. لقدْ أودى هواكَ بذي فُؤادٍ ... عليكَ صَدٍ وذي طَرْفٍ رويِّ

٤. كُفيتَ ولا ابتُليتَ بما أُقاسي ... وما ألقاهُ من ظمأٍ وريِّ

٥. أتدري ما بجسمي من نُحولٍ؟ ... وما أدراكَ بالسِّرِّ الخَفيِّ؟

٦. ولو تَدْري رَحِمْتَ ولِنْتَ قلباً ... خَليّاً مِنْ هوى قَلْبٍ شَجيِّ

٧. بأيِّ جنايةٍ و بأيِّ ذنبٍ ... تُطيلُ عذابَ مظلومٍ بريٍّ؟

٨. وما قلبي بمنقلبٍ ملولٍ ... ولا دمعي بمنزورٍ بَكيِّ

٩. بعِطْفٍ عند خطْرتِه سريعٍ ... وردِفٍ عند نهْضتِه بَطيِّ

١٠. وثَغْرٍ أُقْحوانيٍّ وخَدٍّ ... شقيقيٍّ وطَرْفٍ نَرْجسيِّ

١١. أَبحْني وِرْدَ فيكَ لعلَّ تَهْدا[3] ... ضلوعٌ هُنَّ كالجمْرِ الذَّكيِّ

١٢. وهبْني نظرةً لتكادَ ترقا[4] ... دموعٌ نزحُها نزْحُ الرَّكيِّ

١٣. غريبُ ملاحةٍ خُلعتْ عليهِ ... جلابيبُ الجمالِ اليُوسُفيِّ[5]

---

(١) الرُّضاب: الرِّيق.

(٢) الغلائل؛ مفردها: غلالة: الثياب.

(٣) تهدا: أصلها: تهدأ، وخفَّف الهمز للضرورة.

(٤) ترقا: أصلُها: ترقأ، وخفف الهمز للضرورة. ورقأ الدَّمع: انقطع.

(٥) اليوسفيُّ: نسبة لسيدنا يوسف (ع) أي في غاية الجمال.

١٤. تُضِيرُ بِهِ وِشَاحَاهُ ويُودي ... بِهِ حَمْلُ القلائدِ والحُليُّ

١٥. ويشكو خَصرُهُ رِدْفاً ثقيلاً ... كما يشكو الفقيرُ إلى الغنيُّ

١٦. يَسُوقُ إلى أحبَّتِهِ ويُثني ... إليهِ أعنَّةَ القلبِ الأبيُّ

١٧. بأصداغٍ[٦] مُولَّدةٍ وعَيْنٍ ... مُتَرَكَّةٍ[٧] وشَعْرٍ دَيلميٍّ[٨]

١٨. وأجفانٍ ضعيفاتٍ ولكنْ ... يُسلِّطُها على القلبِ القويُّ

١٩. أيا رشَفاتِهِ هل لي سبيلٌ ... إلى سِلْسالِكُنَّ البابليُّ؟

٢٠. ويا رشقاتِهِ كيفَ التَّسلِّي ... وبي منكنَّ أيٌّ هوًى وبيُّ؟

٢١. إذا أنا لم أبِتْ دامي المآقي ... عليهِ ودانيَ الكمَدِ القصيُّ

٢٢. وأُمسي فيهِ ذا وَسَنٍ ضنينٍ ... وأصبحُ فيهِ ذا شجَنٍ سَخيُّ

٢٣. فلا سارتْ بقافيةٍ ركابي ... ولا عادتْ بناجحةٍ مَطيُّ

* * *

٢٤. وإلاَّ لا اعتقدتُ وَلا[٩] «عليٍّ» ... ولا أضمرتُ حبَّ بني عليُّ

٢٥. أناسٌ أدركوا أمَدَ المعالي ... ونالوا رُتبةَ الشَّرفِ العَليُّ

٢٦. همُ سُحُبُ النَّدى يومَ العطايا ... ويومَ الفخرِ أقمارُ النَّديُّ

٢٧. إذا كرَّرتُ ذكرَهُمُ كأنِّي ... فَتَقْتُ لطائمَ[١٠] المسكِ الذكيُّ

---

(٦) الأصداغ؛ مفردها: صُدغٌ، ما بين العين والأذن والشَّعر المتدلي على هذا الموضع.

(٧) متركَّة: نسبةً إلى الترك.

(٨) ديلميّ: نسبةً إلى الدَّيلم.

(٩) وَلا: أصلها: وَلاءٌ، وقصر الهمزة للضرورة الشعرية. وولاءُ عليٍّ (ع) اتِّباعُهُ والالتزام بسيرته وقيمه.

(١٠) اللَّطائم: جمع لطيمة، وعاء المسك، والمسكُ الذكيُّ: السَّاطع الرَّائحة، وفتقَ اللَّطيمة: فتحها.

٢٨.أبوهُمُ[١١] ذو الجلالةِ منْ قُريشٍ — وذو النَّسبِ الصَّحيحِ منَ النَّبيِّ

٢٩.وناصرُ دينهِ سِرّاً وجهراً — خِلافاً للفريقِ الجاهليِّ

٣٠.وقاهرُ كُلِّ كفَّارٍ عنيدٍ — وقاتلُ كُلِّ جبَّارٍ عَتيِّ

٣١.وضاربُ يومِ «صِفّينٍ»[١٢] و«بدرٍ»[١٣] — أعالي هامةِ البطلِ الكميِّ

٣٢.وكاشفُ كُلِّ مشكلةٍ ولَبْسٍ — وغامضةٍ بلا حَصَرٍ[١٤] وعِيِّ

٣٣.أللباغي عليهم يومُ فخرٍ — كأصلِهِمُ وفرعِهِمُ الزَّكيِّ؟

٣٤.أللسَّاعي بهم نَحو المنايا — كقدرِهِمُ ومجدِهِمُ العليِّ؟

٣٥.أتقدرُ ظُلْمةُ اللَّيلِ الدَّجيِّ — تُغطِّي آيةَ الصُّبحِ الجليِّ؟

٣٦.تُرى بعدَ «الحُسينِ» يَسوغُ ماءٌ — ويحلو موردُ العيشِ الهنيِّ؟

٣٧.وأيَّةُ عيشةٍ تحلو وتصفو — وقد جارَ العدوُّ على الوليِّ؟

٣٨.لقدْ ظَلَموا وما حازوا حقوقاً — لفاطمةَ البَتولِ[١٥] ولا الوصيِّ[١٦]

---

(١١) أبوهم: لعله يقصد أبا طالب شيخ قريش ووالد الإمام عليّ (ع)، وقد ناصر أبو طالب النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ووقف في وجه قريش، ونافح عنه سرّاً وعلناً وشعراً وموقفاً، وله في رسول الله المدائح الغرّاء وفي دينه الكلام الفصل، وهو القائل:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمَّدٍ — من خير أديانِ البريَّةِ دينا

وسمَّى الرسول (ص) سنة وفاته عام الحزن، وربما كان قصده الإمام علي (عليه السلام).

(١٢) صفّين: المكان الذي دارت فيه الموقعة بين الخليفة الراشدي عليّ كرَّم اللَّه وجهه ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٤٠هـ.

(١٣) بدر: المكان الذي دارت فيه موقعة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة.

(١٤) الحصر والعيُّ: بمعنى: وحُصَرَ فلانٌ: احتبسَ عن الكلام.

(١٥) البتولُ: المنقطعة عن الدُّنيا إلىَ اللَّه تعالى، وسمّيت بذلك السَّيِّدة مريم، والسَّيِّدة فاطمة عليهما السَّلام لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً. انظر القاموس المحيط (بتل).

(١٦) الوصيُّ: الإمام علي عليه السَّلام، وتعتقدُ الشيعة عموماً بأنَّ رسول اللَّه سمَّاه وصيَّه، وفي ذلك يقول المتنبِّي، وقد عوتب لعدم مدحه للإمام:

وتركتُ مدحي للوصيِّ تعمُّداً — إذ كان فضلاً مستطيلاً شاملا

وإذا استطال الشيء قام بنفسهِ — وشعاعُ ضوءِ الشمس يذهبُ باطلا

٣٩. فويلَهمُ بما اجترموا وباؤوا — وما ارتكبُوا منَ الأمرِ الفَريِّ

٤٠. أيُحسَنُ أن يموتَ «حسينُ» ظامي الـ — جوانحِ والرَّويُّ بنُ الغَويِّ[١٧]؟

٤١. أيجمُلُ أن تُساقَ مهتَّكاتٍ — بناتِ الهاشميِّ الأبطحيِّ[١٨]؟

٤٢. إذا أنا لم أذُبْ حُرَقاً عليهمْ — فما أنا بالمحبِّ ولا الوفيِّ

٤٣. جُعلتُ فِدا حُسينٍ حينَ ولَّتْ — مَحاسنُ وجهِهِ الطَّلْقِ الوضيِّ[١٩]

٤٤. ومَنْ لي بالفِداءِ وقد رمتْهُ — «أميَّةُ»[٢٠] للمنايا عنْ قِسيِّ؟

٤٥. عجبتُ لكلِّ قلبٍ كيفَ أضحَى — سَليماً يومَ جاؤُوا بالنَّعيِّ؟

٤٦. هُمُ منعوهُ وِرْدَ الماءِ شُحّاً — وتلكَ علامةُ الخُلُقِ الدَّنيِّ

٤٧. سقى دمعي ضريحاً حلَّ فيهِ — وجادتْهُ شآبيبُ[٢١] الحُيَيِّ

٤٨. فُجِعْنا بالإمامِ بنِ الإمامِ الـ — شريفِ الطاهرِ الورعِ النَّقيِّ

٤٩. فُجِعْنا بالإمامِ المُستماحِ الـ — أناملِ والكريمِ الأريحيِّ

٥٠. وأسخى - عامَ مسغبةٍ[٢٢] ومَحْلٍ - — مِنَ الوسميِّ[٢٣] ألحقَ بالوَليِّ

٥١. بكمْ يا آلَ ياسينٍ[٢٤] وطَهَ — تُحَطُّ خطيئةُ الجاني المُسيِّ

٥٢. ويحظَى بالشَّفاعةِ كلُّ جانٍ — ويَسعَدُ كلُّ مجترمٍ شقيِّ

٥٣. سلامُ اللَّهِ والرِّضَوانُ منهُ — عليكُمْ في الغُدوِّ وفي العشيِّ

---

(١٧) الغويُّ: الضَّالُّ، ويقصد بابن الغوي: عبيد اللَّه بن زياد بن أبيه.

(١٨) الأبطحيُّ: نسبة إلى الأبطح، والأبطح والبطحاء مسيل واسعٌ فيه دُقاقُ الحصى، وقريشُ البطاح هم الذين ينزلون بين أخشبي مكَّة.

(١٩) الوضيُّ: أصلُها: الوضيءُ، وأبدل الهمز للضرورة.

(٢٠) أميَّة بنو أميَّة.

(٢١) الشآبيب: دفعاتُ المطر، مفردها شؤبوب، والحُيَيَّ: تصغيرُ الحيا وهو المطر.

(٢٢) المسغبة: الجوع.

(٢٣) الوسميُّ: مطر ربيع الأوَّل، والوليُّ: المطرُ المتابع.

(٢٤) آل ياسين وطه: هم آلُ البيت.

(٣)

وقال، يمدحُ السُّلطانَ الملكَ المنصورَ أبا المعالي ناصرَ الدِّينِ محمَّدَ[1]:

[الكامل]

١. فُقْنَ الظِّباءَ سوالفاً[2] ونُحورا والخيزُرانَ معاطفاً وخُصورا

---

(١) هو السلطان المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك المظفَّر تقيّ الدين محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، تُوفِّي والده سنة ٦٤٢هـ، وله من العمر عشر سنين، فقام بتدبير المملكة نيابةً عنه مجلسُ وصايةٍ مؤلَّف من شيخ شيوخ حماة الشاعر شرف الدِّين الأنصاري ومملوك أبيه سيف الدين طغرل والطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج، وكان مرجع الجميع والدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل ملك مصر.

وقد كان المنصور الثاني حليماً، يعفو ويتجاوز عن سيئات الآخرين، وكان محبوباً ومقدَّماً عند سلاطين المماليك. ذكر بن تغري بردي أنه كان كثير اللعب والانهماك في اللَّذات، وقد أصيب بذات الجنب، واشتدَّ به المرض، وتاب توبةً نصوحاً، وقد وافاه الأجل سنة ٦٨٣هـ عن إحدى وخمسين سنة بعد حكم دام إحدى وأربعين سنة، فدفن إلى جانب أبيه الملك المظفر في جامع حماة الكبير من جهة الغرب، وقبراهما هناك ما يزالان، وعليهما تابوت خشبي مزدوج محفور منذ ذلك العصر.

انظر في ترجمته مفرج الكروب؛ ٥/ ٣٤٥، تذكرة النبيه؛ ١/ ٨٨، السلوك؛ ١/ ٣/ ٧٢٥، شذرات الذهب؛ ٦/ ٤٤، العبر؛ ٥/ ٣٤٥، المختصر؛ ٢/ ١٧٣ و٣/ ١٨، الوافي بالوفيات؛ ١١/ ٥، عقد الجمان؛ ٢/ ٣١٤، وذكر وفاته سنة ٦٨٢هـ، ثم ذكر أنَّ أبا الفداء (وهو ابنُ ابنه) ذكر وفاته سنة ٦٨٣، وقال: «وهو أجدر بذلك».

(٢) السَّالفة: ناحية مقدَّم العنق من لدن معلَّق القُرط إلى قَلْتِ التَّرقوة، والقَلْتُ: النُّقرة. انظر المحيط (سلف).

٢. ثـمَّ اتَّخـذنَ مـنَ المُـدامِ مَراشـفاً ونَظمْـنَ مـنْ حَبَـبِ المُـدامِ ثُغـورا

٣. ونظَـرنَ غِزلانـاً وفُحْـنَ خمـائلاً وخطَـرْنَ أغصانـاً ولُحْـنَ بُـدورا[٣]

٤. وسـكنَّ حبَّـاتِ القُلـوبِ كأنَّمـا غـادرنَ حبَّـاتِ القلـوبِ خُـدورا

٥. لو لـم يُـرِدْنَ بنـا فُتونـاً في الهـوى مـا مِسْـنَ عُجْبـاً واكتحلْـنَ فُتُـورا

٦. ولَمـا كَشـفْنَ عـنِ الوجـوهِ براقعـاً ولما عطفْـنَ علـى القُـدودِ شُـعورا

٧. غازلْنَنـا يومَ «الحِمَـى»[٤] فهتكْنَ مِـنْ حُجُـبِ القُلـوبِ سـريرةً وضمـيرا

٨. وبـرزْنَ في وشْـيِ الـبُرودِ كأنَّمـا أسبلْنَ منْ فوقِ الحريـرِ حريـرا[٥]

٩. إنِّي أغـارُ مـنَ العُيـونِ ولا هـوىً إلاَّ إذا كـانَ المُحـبُّ غَيـورا

١٠. ولوِ اسـتطعتُ حجَبْتُهـنَّ بنـاظري وجعلـتُ أهـدابَ الجُفـونِ سُـتورا

١١. لامَ العـواذلُ إذ رأيـنَ ذَوائبـي بعد الشَّبابِ قدِ اشـتعلْنَ قتـيرا[٦]

١٢. ووعظْنَنـي في الأربعـينَ وقُلـن لـي: حُـبَّ[٧] الحسـانَ ضلالـةً وغـرورا

١٣. كيـفَ السُّـلوُّ وقـد خُلقـتُ مُتيَّمـاً بالغانيـاتِ ومـا خُلقـتُ صبـورا؟

١٤. هل مـن جُنـاحٍ إنْ جنحـتُ إلـى الهَوى وعشـقتُ سَـحَّارَ الجُفـونِ غريـرا؟

١٥. وقطفـتُ ورداً للخـدودِ مضرَّجـاً وهصـرتُ غُصْنـاً للقُـدودِ نضـيرا؟

---

(٣) لعلَّه نظر إلى قول المتنبيّ:

بـدتْ قمـراً وماسـتْ خُـوطَ بـانٍ وفـاحتْ عنـبراً ورنـتْ غـزالا

(٤) الحمى بالكسر والقصر، وهو الموضع فيه كلأ يحمى من النَّاس. وهو اسم لأمكنة عدَّة، ولكلِّ قومٍ حماهم، ولهم فيه أشعار جميلة. انظر معجم البلدان (حمى).

(٥) لباسهنُّ الحريرُ على أجسام ناعمة كالحرير.

(٦) القتيرُ: الشَّيب، وقيل: أوَّلُ ما يظهر منه، واستفادَ من الآية الكريمة: ﴿واشتعلَ الرَّأسُ شيباً [مريم: ٤]﴾.

(٧) حُبَّ: فعل أمرٍ، أي: أحببِ الحسانَ.

١٦ . أتعودُ أيَّامُ البطالةِ والصِّبا — وتُعيدُ[٨] عمراً للوصالِ قصيرا؟

١٧ . أيَّامَ إنْ حاولتُ وصلَ خريدةٍ[٩] — كانَ الوصالُ وسيلةً وسفيرا؟

١٨ . خُذْ في المُجونِ ولا تُقلِّصْ في الصِّبا — واللَّهوِ ذيلَ شبابِكَ المجرورا

١٩ . وأَجِبْ إذا انعقدَ الصَّبوحُ ثلاثةً: — وتَراً وكأسَ مُدامةٍ وغديرا

٢٠ . وإذا صفا وُدُّ امريءٍ وخِلالُهُ — فاخترْهُ خِلاً واتَّخِذْهُ عشيرا

٢١ . واصحَبْ إذا شئتَ المؤانسَ في الدُّجى: — نهداً أقبَّ[١٠] وصارماً مطرورا[١١]

٢٢ . وإذا سألتَ لخَلَّةٍ أو فَاقةٍ — فاسألْ خطيراً كي تنالَ خطيرا

* * *

٢٣ . وإذا أردتَ على الملوكِ وِفادةً — فاجعلْ أجلَّ رحابِكَ «المنصورا»

٢٤ . مَلِكٌ كما حُدِّثتُ عنهُ رأيتُه — يُعطي الكثيرَ ولا يراهُ كثيرا

٢٥ . مَلِكٌ كأنَّ براحتيهِ للعِدى — والسَّائلينَ أمانَةً ونُشورا

٢٦ . مَلِكٌ تُضيءُ لنا أسِرَّةُ وجهِهِ — فكأنَّما أودعتُهنَّ سرورا

٢٧ . يَقني الخيولَ السَّابقاتِ شوازِباً[١٢] — قُبَّاً ويدَّخرُ السُّيوفَ ذُكورا

٢٨ . ولطالما وهبَ اللُّجينَ[١٣] مُطرَّقاً — ملءَ النَّواظرِ والنُّضارَ[١٤] بدورا

---

(٨) في (ب) «ويعود» : تحريف .

(٩) الخريدة في الأصل : اللُّؤلؤة لم تُثقبْ . وتُسمَّى بذلك المرأة البكر التي لم تمسسْ .

(١٠) النَّهدُ : الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحيم المشرفُ ، والأقبُّ صفتُه . وهو دقَّةُ الخصر وضمور البطن .

(١١) لم أجد لها معنًى دقيقاً ، وفي اللِّسان : الطَّريرُ : ذو الرُّواء ، وفيه : الطَّرّارُ : القاطعُ ، ولعله استعمل مفعول بمعنى فاعل .

(١٢) مفرده شازب ، وهو الفرس الخشن الضامر اليابس .

(١٣) اللُّجين : الفضة ، والمطرَّق المسبوك .

(١٤) النُّضار : الذَّهب ، والبُدور جمع بدرة : الكميَّة العظيمة من المال .

٢٩.وصفَ البريَّةُ «حاتماً» في جُودهِ واستعظموا في عدلهِ «سابُورا»[١٥]

٣٠.ولقد نَفَوا «بِمحمَّدٍ» ما أثبَتُوا حتَّى غدا تَعظيمُهُمْ تصغيرا

٣١.وإذا بدا التَّعريفُ شخصاً لامرئٍ فعلامَ يطلُبُ بعدَهُ التَّنكيرا؟

٣٢.لم يروَ ما بقناتهِ من غُلَّةٍ حتَّى يخوضَ سنانُها التَّامُورا[١٦]

٣٣.لا يثبتُ الأعداءُ إلاَّ ريثَما يتأمَّلونَ لواءَهُ المنشورا

٣٤.مِنْ أسرةٍ شادوا الفَخارَ تأثُّلاً[١٧] مجْداً على الفلَكِ الأثيرِ أثيرا

٣٥.«الشَّاذويِّينَ»[١٨] الأُلى بلغوا العلا وتَعوَّدوا الإقدامَ والتَّشميرا[١٩]

٣٦.يتسابقونَ إلى النِّزالِ ضراغماً ويُسارعونَ إلى النَّوالِ بُحورا

٣٧.وافيتُ من «فُسطاطِ»[٢٠] مصرِ نحوَهُ أطوي الفلاةَ أصائِلاً وبكورا

٣٨.مِنْ فوقِ حائلةِ النُّسوعِ[٢١] إذا انبرتْ لا تسأمُ التَّغليسَ[٢٢] والتَّهجيرا

٣٩.حرفٍ[٢٣] إذا حملتْ صحائِفَ شُكرِهِ كتبتْ لها أيدي النَّجاحِ سُطورا

٤٠.تَفلي بمنسمِها الفلا وتشقُّ مِنْ تحتِ الظَّلامِ بصدرِها الدَّيجورا

---

(١٥) حاتم الطَّائي في الكرم، وسابور ملك الفرس في العدل.

(١٦) التامور بالأصل بالهمز، وهو النَّفْسُ وحياتُها، والقلب وحبَّته وحياته ودمه.

(١٧) التأثُّل: الأصل.

(١٨) الشَّاذويّون: أجداد الممدوح نسبةً إلى أيوب بن شاذي.

(١٩) التشمير: الجدُّ والبطولة.

(٢٠) الفسطاط: محلَّة بمصر بناها عمرو بن العاص، انظر معجم البلدان (الفسطاط) وفيه إسهابٌ مفيد.

(٢١) النُّسوع: مفردها: نِسْعٌ، وهو سيرٌ ينْسَجُ عريضاً على هيئة أعنَّة النِّعال، تُشَدُّ به الرِّحال.

(٢٢) التَّغليسُ: سيرُ اللَّيل والتَّهجير سيرُ النهار.

(٢٣) الحرف: النَّاقة الضَّامرة.

٤١.وكـأنَّني في كُورهـا متوسِّـدُ | للـبرقِ مَتْنـا والنَّعـائم[٢٤] كُـورا
٤٢.حتَّى انتهيتُ إلى ابنِ محمودِ النَّدَى | فحمـدْتُ قصـدي أوَّلاً وأخـيرا
٤٣.ورَعيـتُ روضـاً نـاضراً في ظلِّـه | ووردتُ مـاءً مـنْ نَـداهُ نَمـيرا
٤٤.ولثمـتُ كفّـاً بالهبـات سـخيَّةً | ونظـرتُ وجهـاً للعفـاة سَـفورا
٤٥.وكشـفتُ قلبـى عـن سـريرةِ حبِّـه | فوجدتُـه بولائـه مَعمـورا
٤٦.فجليتُ أعـلاقَ[٢٥] المديـح هديَّـةً | ورأيـتُ ذلـكَ تافهـاً مَسْـتُورا[٢٦]
٤٧.وأرى الهَدايـا لا تكـونُ جليلـةً | حتَّـى تكـونَ لآلئـاً وشُـذُورا
٤٨.يـا مَـنْ تهـزُّ بـهِ الملُـوكُ لنَصرهـا | سَـيفاً مُبيـداً للعُـداةِ مُبـيرا
٤٩.حكَّمتَ مـنْ زُرقِ العـدا سمرَ القَنـا | وحطَمْتَ منهـا في الصُّدورِ صُـدورا
٥٠.وأعـدتَ قلـبَ النَّـاكثينَ[٢٧] مروَّعـاً | وَجِـلاً وطَـرْفَ المُسـلمينَ قريـرا
٥١.ورآكَ سـلطانُ الزَّمـانِ ذخـيرةً | للمسـلمينَ وناصحـاً ونصـيرا
٥٢.فحمَى بـكَ الثَّغْـرَ المنيـعَ منالُـه | فأبـاحَ سـيفُكَ للطُّغـاةِ ثُغـورا
٥٣.لم يسـتعنْ بسـواكَ يـومَ ثلاثـةٍ: | وهـى النَّصيحـةُ و الوغـى والشُّورى
٥٤.ومُـذ اتَّخـذتَ لـكَ الشـآمَ عرينـةً | سـكَّنتَ ضَوضـاءَ العـراقِ زَئـيرا[٢٨]
٥٥.يـا ابنَ «المظَفَّـر» لا برحـتَ مظَفَّـراً | كيف اتَّجهـتَ «مؤَيَّـداً» «منصـورا»
٥٦.وبقيـتَ مـا بقـى الزَّمـانُ ممتَّعـاً | بـدوامِ إقبـالٍ وعشـتَ دهـورا
٥٧.إنْ لـم أُطِـلْ بـاعَ القـوافي فيكـمُ | حتَّـى تفـوتَ النَّـيِّراتِ مسـيرا[٢٩]

---

(٢٤) النَّعائم: من منازل القمر.

(٢٥) الأعلاق: مفردها: علق: النَّفائس.

(٢٦) في الأصل: «مسترورا»، والصَّواب من (ب)، ولعلَّها: «منزورا».

(٢٧) الناكث: الناقض للعهد.

(٢٨) غير واضحة في الأصل و(ب)، ولعلَّها الصَّواب عطفاً على «عرينة».

(٢٩) سقطت أبيات من آخر صفحة (١٣) و، و(١٣) ظ، من الأصل و(ب)، وكتب على الهامش في (ب): «في أصله بياض». وواضحٌ أنَّ جواب الشرط ضائع.

(٤)[*]

......: [الكامل]

١. واطلبْ حديثَ الجُودِ عند «محمَّدٍ»	«فمحمَّدٌ» يرويهِ عن «محمودِهِ»
٢. فرعٌ زكا وزكتْ مغارسُ أصلهِ	لَمَّا جرى ماءُ النَّدى في عُودِهِ
٣. أمُهدِّي بالدَّهرِ كُفَّ عن امرئٍ	لا يَرعوي وإليكَ عن تفنيدِهِ
٤. أأخافُ صِرفَ الدَّهرِ أم حِدْثانَهُ	والدَّهرُ «للمنصورِ» بعضُ عبيدِهِ؟
٥. ملِكٌ نَداهُ فكَّني وانتاشَني	مِنْ مخلبيهِ ومن إسارِ قُيودِهِ
٦. ملكٌ إذا حدَّثتَ عن إحسانهِ	حدَّثتَ عن مبدي النَّدى ومعيدِهِ
٧. ملكٌ بعيدُ الصِّيتِ ذكرُ سماحهِ	وقريبُ أبوابِ الرَّجا لوفُودِهِ
٨. سادَ الملوكَ بفضلهِ وبقومهِ	والغُرِّ مِنْ آبائهِ وجدودِهِ
٩. وإذا ترنَّمتِ الرُّواةُ بمدحهِ	وثنائهِ اهتزَّتْ معاطفُ جُودِهِ
١٠. «لأبي المعالي» راحةٌ فيَّاضةٌ	كالغيثِ يومَ بُروقهِ ورعُودِهِ
١١. صَبٌّ بتحصيلِ الثَّناءِ وجمعهِ	كَلِفٌ ببذْلِ المالِ أو تبديدِهِ
١٢. ما زالَ يشمَلُ حاسديهِ نوالُهُ	حتَّى أقرَّ بهِ لسانُ جُحودِهِ
١٣. سَلْ عَفْوَهُ وحسامُهُ في غِمْدِهِ	وحذارِ ثُمَّ حذارِ مِنْ تجريدِهِ
١٤. يغشَى الوغَى متلفِّعاً بردائهِ	ويَخوضُها مُتسَربلاً بحديدِهِ
١٥. فترَى الشُّجاعَ يفِرُّ منه مهابةً	والموتُ بينَ لهاتهِ[1] ووريدِهِ

(*) سقطت بداية القصيدة من الأصل و(ب)، ويبدو أنها في مدح الناصر محمد أيضاً.

(١) اللَّهاةُ: اللَّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

١٦ .يتقهقرُ الجيشُ اللُّهامُ[٢] مخافةً منـهُ إذا وافَـى أمـامَ جُنُـودهِ
١٧ .وتعـودُ مُخفِقـةَ الرَّجـاءِ عُداتُـه وقلوبُهـا خفَّاقـةٌ كبنـودِهِ
١٨ .في معـركٍ إنْ كـبَّرتْ فيـهِ القنـا وصـلَ الحسـامُ ركوعَـهُ بسُجودهِ
١٩ .جـارى الغمـامَ ففاتَـه بنوالـهِ كرَمـاً وفـاقَ كثـيرهَ بزهيـدهِ
٢٠ .والدِّينُ أثَّلَـه وشـادَ بنـاءَهُ حيـثُ اعتنَـى بحقوقـهِ وحـدودهِ
٢١ .إنَّ الأمـاني والمنايـا لـم تـزلْ طوعـاً لسـابقِ وعـدهِ و وعيـدهِ
٢٢ .وأرى الحيـاةَ لذيـذةً بحياتـهِ وأرى الوجـودَ مُشَـرَّفاً بوجـودهِ
٢٣ .هـاجرتُ نحـو «محمَّـدٍ» لمَّـا رأيـ ـتُ العـالَمَ العُلْـويَّ في تـأييدهِ
٢٤ .وثنيـتُ أعنـاقَ القـوافي نحـوَهُ ونظمـتُ دُرَّ مدائحـي في جيـدهِ
٢٥ .ونظـرتُ نُـورَ جلالـهِ ووردتُ بَحْـ ـرَ نوالـهِ ولبسـتُ وَشْـيَ بُـرودهِ
٢٦ .وملأتُ عيني مـن محاسنهِ التـي مـلأتْ عيـونَ وليِّـهِ وحسـودهِ
٢٧ .وجلسـتُ بـين يـديْ أجـلِّ زمانـهِ قَـدْراً وأوحـدِ عصـرهِ وفريـدهِ
٢٨ .وأفدتُ سمعي منْ فَكاهةِ مُمتعِ الـ ألفـاظِ مقبـولِ الكـلامِ مُفيـدهِ
٢٩ .وصدرتُ عن صَدقاتِ مَشهورِ النَّدى والجـودِ مشـكورِ الفَعـالِ حميـدهِ
٣٠ .فلوَ انَّني خُيِّرتُ مِنْ دَهري المُنَى لاخـترتُ طُـولَ بقائـهِ وخُلـودهِ

* * *

٣١ .يـا آلَ «أيُّـوبٍ» جُزيتُـمْ صالحـاً عن مُحسنٍ مدْحَ الملوكِ مُجيدهِ
٣٢ .وبقيتُمُ ما افترَّ عن ثغرِ الضُّحى صبحٌ وما صدعَ الدُّجى بعمودهِ
٣٣ .يا أيُّها الملكُ الذي جازَ[٣] العُلى فنبا عيانُ الفكرِ عن تحديدهِ

---

(٢) اللُّهام: الكثير.
(٣) في (ب): «حاز».

٣٤. أمَّــا الزَّمــانُ فــأنتَ دُرَّةُ تاجــهِ وطِــرازُ حُلَّتــهِ وبيــتُ قصيــدهِ

٣٥. والشِّعرُ أنـتَ أحـقُّ مَـنْ يهـتزُّ عنـ ـدَ سماعهِ ويَميـلُ عنـدَ نشـيدهِ

٣٦. فاسـلمْ لِلْمُـلكِ بـلْ لمجـدِ أنـتَ في تأسيســهِ واللّــهُ في تشــيْيدهِ

* * *

(٥)

وقالَ يُوَدِّعُه، وقد عزمَ على دخوله إلى ديار مصرَ القاهرة[١]: [الوافر]

١. قضتْ ببقـــاءِ دولتِـــكَ الليَّـــالي	فَـدُمْ للمُلْـكِ أو يفنَـى الـدَّوامُ
٢. وسِـرْ لا زلـتَ محروســاً مُوقَّـى	بِعـــينٍ للمُهيمـــنِ لا تَنـــامُ
٣. تُصـاحبُكَ السَّـلامةُ والأمـاني	ويحفظُـــكَ الملائكـةُ الكـــرامُ
٤. فـــأنتَ بكـــلِّ ناحيــةٍ ربيـــعٌ	وأنـــتَ بكـــلِّ منزلـــةٍ غَمـــامُ
٥. لقـد حسـدَ الشَّـآمُ ديــارَ مصـرٍ	عليكَ فلا خلا منكَ الشَّآمُ[٢]
٦. وســوفَ تَعــودُ منصــوراً مُطاعــاً	يُضَــامُ بــكَ العَــدوُّ ولا تُضــامُ
٧. فــإنَّ اللَّــهَ نــاصرُ أهــلِ بيــتٍ	لهـمْ في خلقـهِ المِنَـنُ[٣] الجسـامُ

---

(١) يذكر العيني حوادث سنة ٦٦٥هـ، ويقول: «ثم وصل الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمة السلطان بالدّيار المصرية، ثم طلب منه الدستور [الإذن] بأن يتوجه إلى الإسكندرية ليتفرّج فيها، فرسم له بذلك. وأمر لأهل الإسكندرية بإكرامه واحترامه، وفرش الشُّقق بين يدي فرسه، فتوجه إليها وتفرَّج، ثمَّ عاد إلى الديار المصريّة، مكرَّماً محترماً، ثمَّ خلع عليه السُّلطانُ، وأحسن إليه على جاري عادته، ورسم له بالعودة إلى بلده، فعاد. وقال بيبرس: وتوجَّه الملك المنصور إلى العباسة أيضاً صحبة السلطان للصيد، وعاد صحبته، ثمَّ سافر إلى محل ولايته». انظر عقد الجمان؛ ٢/ ٧. ولعلَّه يُشير بهذه الأبيات إلى تلك الرحلة.

(٢) قوله: لا خلا منك الشَّآمُ، ، لأن الشَّام مذكَّرٌ، وشاع التأنيث خطأً.

(٣) المِننُ الجسامُ: العطايا الكبيرة.

(٦)

وقال يمدحُهُ، وأنشدَها بمدينةِ حماةَ المحروسة: [الكامل]

١. أمسى وحيداً في الجمالِ فتاها | وغدا يفوقُ «زُليخةً»[1] وفَتاها
٢. صَنَمٌ أطعتُ على عبادته الهوى | فأضلَّني لولا اتَّقيتُ اللَّهَ
٣. لو أنَّ «بَلقيسَ» الجمالِ تأمَّلتْ | «بسَبا» محاسنَ وجههِ لسَباها[2]
٤. وجهٌ أعارتْهُ النُّجومُ حُلِيَّها | وكستْهُ أزهارُ الرَّبيعِ حَلاها[3]
٥. ألوَى بصبري مُذْ لَوى أعطافَهُ | وثنَى سُلُويَّ عنهُ حينَ ثناها
٦. ياسينَ طرَّتهِ ونُورَ جبينهِ | إنِّي أعيذُكما بسورةِ طهَ[4]
٧. أحببْتُهُ متجنِّياً وهويتُهُ | متجنِّباً وعشقتُه تيَّاها
٨. ما حلَّ وَفرتَهُ[5] وحطَّ لثامَهُ | إلاَّ أضلَّ النَّاسَ ثمَّ هَداها
٩. يا من لمُختَبَلِ الفُؤادِ مُدَلَّهٍ | في حُبِّ مَنْ سلبَ الجفونَ كراها
١٠. زَعَمَ الوُشاةُ بأنَّه هجرَ القَبا | وجفا المعاطفَ و القُدودَ سلاها

---

(١) زُليخةُ: هي امرأةُ ملك مصر، ويُسمَّى العزيز في لغتهم، وفتاها: يوسفُ الصِّدِّيق، يُشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿وقال نِسْوَةٌ في المدينة امرأة العزيز تراودُ فتاها عن نفسه﴾ [يوسف: ٣٠].

(٢) سباها: فتنَها بحسنه، وسبا الأولى مقصور: عاصمة الملكة بلقيس ملكة سبأ.

(٣) ضبطها في (ب) بضمِّ الحاء، ولها وجهٌ.

(٤) ياسين وطه اسما سورتين من القرآن الكريم. وياسين في مطلع صدر البيت تحتمل معنيين: ياسين: الاسم، وياسين: يا أداة نداء والسِّين: الحرف المعروف، يُشبِّه طرَّته بالسِّين.

(٥) الوفرة: الشعر الكثيف.

١١.لا والـذي أغـرَى السُّهادَ بجفنـهِ ويَـلا حشاشـتَه بمـا أبلاهـا
١٢.صَـبٌّ تُسِـرُّ لـه تحيَّتَهـا الصَّبـا فيقـولُ مـن ألـمِ الصَّبابـةِ: آهـا
١٣.مـا غـرَّدتْ فـوقَ الغُصـونِ حمامـةٌ إلاَّ وأبكـاهُ الـذي أبكاهـا
١٤.أوحَـى إليـه الـبرقُ مـا أوحَـى لـهُ سِـرّاً وحدَّثـه النَّسـيمُ شِـفاها
١٥.فثنـى إلـى بـانِ «الثَّنيَّـةِ»[٦] عِطْفَـهُ وصَبـا لطيـبِ هَوائِهـا وهَواهـا
١٦.خُذ لـي أمانـاً يـومَ معتـرَكِ الهـوى إنْ جَـرَّدتْ حَـدَقُ الظِّبـاءِ ظُباهـا
١٧.وإليـكَ عـن خُـدَعِ الملامـةِ إنَّ لـي سَـمْعاً لفـرْطِ إبائـهِ يأباهـا
١٨.أنـا مَـنْ علمـتَ فـلا علقـتُ بصبـوةٍ أبـداً فحـلَّ العـاذلاتُ عُراهـا
١٩.في كـلِّ يـومٍ للنَّـوى في مهجتـي نـارٌ يُذيـبُ النَّـارَ حَـرُّ لظاهـا
٢٠.أفنَـى الهـوى ومحـا رُسـومي كلَّهـا إلاَّ معـالمَ ربَّمـا أبقاهـا
٢١.خفيـتُ فمـا فطِـنَ البِلَـى بمكانِهـا منِّـي ولا طـرْفُ النُّحـولِ رآهـا
٢٢.فكأنَّمـا سـلبَ الجفـونَ سـقامَها جسدي أو اغتصبَ الخصورَ ضناها
٢٣.ولو اعتبرتُ بني الصَّبابةِ والأسى لوجدتَنـي مِـنْ دونهـا أشـقاها
٢٤.حتَّامَ أُنْضي[٧] العِيسَ في طلبِ الغِنى وأُحِـلُّ هـذي النَّفـسَ دونَ مُناهـا؟

* * *

٢٥.وعـلامَ أسـألُ بـالمدائحِ بـاخِلاً والنَّفـسُ قانعـةٌ بفضـلِ غِناهـا؟
٢٦.لا أسـتميحُ سـوى الملـوكِ لفاقـةٍ وسـوى مواهبِهـا فـلا أرضاهـا
٢٧.ولقـد دُفعـتُ إلـى زمـانٍ أصبحـتْ أحـرارُهُ لا يُسـتجابُ نِداهـا
٢٨.فقطعتُ من صلةِ الملوكِ مطالبي ومطـامعي ويئِسْـتُ مـن جَدواهـا

---

(٦) الثَّنية: اسم عدَّة أمكنة. انظر معجم البلدان (الثنيَّة).
(٧) في الأصل و(ب): «أفضي». وأنضى العيسَ: أهزلَها بكثرة السَّير.

٢٩.ولكادَ حظِّي أن يَـؤوبَ مُخَيَّباً لولا «ابنُ محمودٍ» ابنِ شاهِ شاها

٣٠.مَلِكٌ لو استجديْتَه وسألتَهُ أيَّامَ عصرِ شبابهِ أعطاها

٣١.ملكٌ إذا عاينتَ نورَ جبينهِ عاينتَ نورَ الشَّمسِ عندَ ضُحاها

٣٢.كم كُرْبةٍ بالجودِ فرَّجَها وكمْ غمَّاءَ يومَ كريهةٍ جلاَّها

٣٣.بأبي مواقفُه إذا نارُ الوغَى شبَّتْ وأذكتْ للسُّيوفِ شَباها[8]

٣٤.حيثُ الأسنَّةُ شُرَّعٌ فكأنَّها شُهُبٌ أضاءتْ والعَجاجُ[9] دُجاها

٣٥.والحربُ قدْ صرفَ الكُماةُ وجوهَهمْ عنْها وقدْ فغرتْ[10] إليهمْ فاها

٣٦.بطلٌ تلذُّ له الكريهةُ كلَّما دارتْ على قُطْبِ الطِّعانِ رَحاها

٣٧.ما هزَّ في وسَطِ الهياجِ قناتَهُ إلاَّ التقتْ منْ لِيْنِها طرَفاها

٣٨.ناداهُ حُرُّ المدحِ فانبجستْ[11] له كفّاً يعمُّ السَّائلينَ نداها

٣٩.كالغيثِ إنْ هتفتْ بهِ ريحُ الصَّبا سقتِ الثَّرى عَزْلاؤُهُ[12] أمواها

٤٠.وافيتُ منْ مصرٍ أؤدِّي شكرَ ما أولَى وكمْ منْ نعمةٍ أولاها

٤١.وأقبِّلَنَّ يداً عليَّ كريمةً ما زلتُ حالي[13] الجيدِ منْ نُعماها

٤٢.وأُميطُ عنْ عيني برؤيةِ وجههِ ما نالها منْ ضُرِّها وقَذاها

---

(٨) شباة السَّيف: حدُّه. وأذكت: أضرمت؛ كناية عن الشِّدَّة.

(٩) العجاج: الغبارُ.

(١٠) فغرت: فتحت.

(١١) انبجست: انفجرت وسالت عطاءً.

(١٢) العزلاء: مصبُّ الماء من الرَّاوية والقربة في أسفلها، حيث يُستفرغُ ما فيها من الماء، وجاء بها هنا على سبيل الاستعارة. وجمع عزلاء: عزالي.

(١٣) الحالي: المطوَّق بالحليِّ. كناية عن العطاء.

٤٣ وموسِّدي شُعَبَ الرحالِ مِنَ الرَّجَا سَئِمَ الدُّجى إسْآدَها[١٤] وسُراها

٤٤ تَخِذَتْ بضاعتَها الثَّناءَ وعطَّرتْ سُبُلَ الفَلا أفواهُها أفواها[١٥]

٤٥ سارتْ تؤمُّ متوَّجاً مُتَطَولاً يَروي لآمالِ العُفاةِ صَداها[١٦]

٤٦ حتَّى إذا هبَّتْ عليها نفحةٌ أهدَى الجنابُ «الشَّاذَوِيُّ» شذاها

٤٧ قلتُ: اقصُدوا دونَ الملوكِ «مُحمَّداً» بثَنائكمْ «فمحمَّدٌ» أنداها

٤٨ فتيمَّنتْ خيرَ الوجوهِ ويمَّمتْ أزكى البِقاعِ منابتاً ومياها

٤٩ حتَّى إذا «العاصي» أضاءَ تهلَّلتْ فرَحاً وألقتْ زادها وعصاها[١٧]

٥٠ حلَّتْ برَبْعِ «حماةَ» رحلَ مَطيِّها وتفيَّأتْ منها رحيبَ حِماها

٥١ ثمَّ استظلَّتْ دَوحةَ «تقَويَّةً» كرُمتْ أرومتُها وطابَ جَناها

٥٢ أبني «تَقيِّ الدِّينِ» حُزتُمْ غايةً للمجدِ قد أعيا الملوكَ مَداها

٥٣ وبلغتمُ رُتَبَ المفاخرِ والعُلَى وشأوتُمُ[١٨] الأندادَ والأشباها

٥٤ قد شنَّفَ الأسماعَ طِيْبُ حديثكمْ وثناؤكُمْ قد عطَّرَ الأفواها

٥٥ للَّهِ كم أوليتُمُوني نعمةً مَشْكُورَةً وأنلتُمونِيَ جاها

٥٦ أنا عبدُ نعمتِكمْ وغرسُ صنيعكمْ ووليُّ دولتِكمْ وحربُ عِداها

٥٧ فابقَوا بقيتُمْ للمفاخرِ والعُلَى ورقيتُمُ للمكرماتِ ذُراها

٥٨ في دولةٍ إنْ خانتِ الدُّنيا وفتْ وإذا تناهَى الدَّهرُ لا تتناهَى

---

(١٤) الإسآد: سير النَّهار، والسُّرى: سير اللَّيل.

(١٥) الأفواه: الطيب.

(١٦) الصَّدى: العطش.

(١٧) العاصي: نهر حماة الشَّهير، وتنسب إليه. وألقت عصاها: استقرَّت، ومن قديم الشّعر ورائعه:

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ مِنَ النَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(١٨) شأوتم: سبقتم.

(٧)

وأُحضِرَ يوماً في مجلسِ أنسهِ ذخائرَ وعجائبَ وطُرَفاً عجيبةً، فقالَ بديهةً: [المنسرح]

١. يا ملِكاً جُودُهُ لسائلهِ　　كالغيثِ وكَافةٌ سحائبُهُ

٢. نزَّهتُ طرْفي في كُلِّ خارقةٍ　　للعقلِ حتَّى انقضتْ مآربُهُ

٣. فأنتَ كالبحرِ في عجائبهِ　　والبحرُ لا تنقضي عجائبُهُ

(٨)

وحضرَ ليلةً في دارِ مسرَّةٍ، فجاءَ مطرٌ كثيرٌ، ومدَّتِ السَّماءُ قَوسَ قُزَحٍ، فقالَ: [الكامل]

١. للَّـهِ في دارِ المسـرَّةِ ليلـةٌ وهبَتْ حقيقـةَ لـذَّةٍ ومَجـازا

٢. نَسجتْ بِهـا أيـدي المسـرَّة حُلَّـةً فغدا لهـا قـوسُ السَّحابِ طِـرازا[1]

(١) الطِراز هنا: علَمُ الثَّوب وزركشتُه.

(٩)

وناولَه تُفَّاحةً، وفيها قَدْرُ درهمٍ أحْمرُ ومثلُهُ أصفرُ، فقالَ بديهاً: [المنسرح]

١. تُفَّاحـــةٌ جــادَ لــي بهـــا كَرَمـــاً ابـــنُ شاهنشـــاهِ بـــنِ أيُّـــوبِ

٢. وقــالَ: صِـفْ صُفْـرةً بهـا جُمِعـتْ وحُمْـــرةً عَنْبريَّـــةَ الطِّيْـــبِ

٣. فقلـتُ: قـد أشـبهتْ وقـدْ جمعـتْ لـــونَ مُحِـــبٍّ ولـــونَ مَحبـــوبِ

(١٠)

وقالَ بديهاً فيه وفي أخيه الملكِ الأفضلِ نور الدِّينِ علي[1]: [الكامل]

١. اطلَعْ بوجهِ كالصبَّاحِ المُقبلِ	وافخَرْ بكفٍّ كالغَمامِ المُسْبِلِ
٢. وتملَّ أيَّامَ الحياةِ وطِيْبَها	واشربْ على وجهِ الزَّمانِ المُقبلِ
٣. يا دولةَ «المنصورِ» دُومي وابلُغي	أمدَ السَّعادةِ في حياةِ «الأفضلِ»
٤. مَلِكانِ كلٌّ منهما في نفسهِ	والحربُ مُسْعَرةٌ يُعَدُّ بجَحفلِ
٥. أخَوانِ كالوسْميِّ هذا كُلَّما	عمَّ الورى مَحْلٌ وهذا كالوَلي[2]
٦. «فمحمَّدٌ» سبقَ الملوكَ وفاقَها	في المكرماتِ وجاءَ يتبعُه «علي»[3]

---

(١) هو الملك الأفضل نور الدين علي بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب والد ملك حماة الشهير أبي الفداء عماد الدين إسماعيل . ، ولد سنة ٦٣٥هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٩٢هـ، ونقل إلى حماة. وكان قد عزم على التوجه إلى الديار المصرية حيث طلبه السلطان ليخرج معه. انظر تذكرة النبيه ؛ ١/ ١٦٢ . وعندما خرج السلطان الملك المنصور من القاهرة إلى الشام سنة ٦٨٤هـ، جاء إلى خدمته الملك المظفر صاحب حماة، وعمُّه الملك الأفضل، فأكرمهما السلطان إكراماً كثيراً، وأثنى عليهما، وعاد الملك المظفر وعمه الأفضل إلى حماة، وعملا أشغالهما. انظر؛ المختصر؛ ٤/ ٢٩، وعقد الجمان؛ ٣/ ١٩٩، وتذكرة النَّبيه؛ ١/ ١٦٢، تاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ١٦٢، المنهل الصافي؛ ٨/ ٢٠٧، الوافي؛ ٢٢/ ١٨٧، السلوك؛ ١/ ٧٨٧، الدليل الشافي؛ ١/ ٤٨٢ .

(٢) الوسميُّ: أوَّل المطر، والولي: الذي يأتي بعده.

(٣) لعلَّه ذهب إلى التورية مستفيداً من اسم المنصور محمد وعمه الأفضل علي، وذهب بعيداً إلى الرسول محمد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وسيِّدنا علي عليه السَّلام

(١١)

وأنشدَه بعضَ ليالي أُنسهِ في هذهِ الأبياتَ بديهةً: [السَّريع]

١. الملكُ «المنصورُ» صِمْصامةً — مشهورةٌ بالحَدِّ والصَّفْحِ

٢. وعزْمةٌ عزَّ بها نصرُهُ — مقرونةٌ باليُمنِ والنُّجْحِ

٣. وطلعةٌ تقطُرُ ماءَ النَّدى — إذا اكتسَتْ ديباجةَ المدْحِ

٤. تنكشفُ اللأواءُ[1] عنها كما — تنكشفُ الظَّلْماءُ عن صُبْحِ

٥. قل لأخي البؤسَى: ألا اقصُدْ حِمَى — «أبي المعالي» «بنِ أبي الفَتْحِ»

٦. الملكِ بنِ الملكِ المُرتجَى — السَّيِّدِ بنِ السَّيِّدِ السَّمْحِ

٧. يا ربُّ ظفِّرهُ بأعدائهِ — وامدُدْهُ بالنَّصرِ وبالفتْحِ

٨. حكى: «سُليمانَ»[2] فذا قصرُهُ — كقصرِهِ والنَّهرُ كالصَّرْحِ

---

(١) اللأواءُ: الشِّدَّة.

(٢) سليمان: يريد النَّبي سليمان بن داود، والنَّهر: نهرُ العاصي، والصَّرح: صرحُ سليمان، والصَّرح في الأصل: هو القصر أو كل بناء عال مرتفع، وهو يُشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿قيلَ لها ادخُلي الصَّرحَ [النَّمل: ٤٤]﴾، وقال بعضُ المفسِّرين: الصَّرحُ: بلاطٌ اتُّخذَ من القوارير. وصرواحُ: حصنٌ باليمنِ، أمرَ سُليمان عليه السَّلام الجنَّ فبنوهُ لبلقيسَ. وشبَّه النَّهر بالصَّرحِ لأنَّ بلقيس حسبته لجَّةً كما ورد في القرآن.

(١٠٢)

وقال فيه وفي أخيه الملكِ الأفضل نورِ الدِّينِ علي بديهاً: [الطويل]

١. توسَّلتُ في تخليدِ مُلْكِ «محمَّدٍ» إلى اللَّهِ مِن دونِ الوَرى بنبيِّهِ

٢. وأخلصتُ في صدقِ الوفاءِ مودَّتي «لناصرِ» دينِ اللَّهِ و«ابنِ تقيِّه»

٣. مليكٌ رأى جيدَ المكارمِ عاطلاً[1] فقلَّدهُ مِنْ مدْحهِ بُحليِّهِ

٤. أيا ربِّ زِدْ في مُلْكهِ وبقائهِ وكنْ سامعاً مِن عبدهِ ووليِّهِ

٥. أيا ربِّ واجعلْهُ علياً بسيفهِ أيا ربِّ وانصرْهُ بسيفِ «عليِّه»[2]

---

(١) عاطلٌ: لا حليَّ عليه.

(٢) لعلَّه يقصد بسيف عليّ عليه السَّلام، وهو ذو الفقار.

(١٣)

وأنشدَه، وقد رجع من سفَرٍ بهذهِ الأبياتِ: [الرَّمل]

١. سَفَرٌ أسفرَ عن وجهِ المُنى ... وقُبول[١] كانَ للإقبالِ[٢] فالا

٢. كمْ دَعونا لكَ في أثنائهِ ... وابتهلْنا فيكَ للَّهِ ابتهالا

٣. وارتقبْنا حُسْنَ مرآكَ بهِ ... مثلَما يرتقبُ النَّاسُ الهلالا

٤. فأقِمْ في دَعَةٍ أو فارتحلْ ... أنتَ محروسٌ مِنَ اللَّهِ تعالَى

---

(١) القُبول: العودة.

(٢) الإقبال: الحظُّ والبركة.

(١٤)

وقال أيضاً يمدحُه، وأنشدَها بمدينةِ حماة، حماها اللّهُ: [الرَّمل]

١. شـامَ برقـاً لاحَ بالشَّـامِ خفيًّـا ... فبكـى حتَّـى لقـد أبكـى الخَليّـا

٢. وثنـتْ عِطفيـهِ مـن بـانِ «اللِّـوى» ... نفحـةٌ أهـدتْ لـه نشـراً ذَكيّـا

٣. غَزِلٌ إنْ هتفـتْ قُمْرِيَّـةٌ ... في الضُّحى هاجتْ له قلباً شجيّا

٤. لـو رأى الـدَّارَ التـي فارقَهـا ... لسـقَى أطلالَهـا الدَّمـعَ الرَّويّـا

٥. أيُّها الـبرقُ الـذي أيقظَنـا ... حبَّذا إنْ كنـتَ بَرْقـاً «حاجِريًّـا»[1]

٦. هـاتِ عـن «لمياءَ» يـا بـرقُ وصِـفْ ... مِنْ «سُليمَى»[2] ذلكَ الثَّغرَ الشَّهيّا

٧. وأعِـدْ لـي عـن «ثنيَّـاتِ الحمـى»[3] ... خـبراً جـلَّ[4] بأسـماعي حَلِيّـا[5]

٨. يـا لقومـي خـانَ عهـدي في الهـوى ... ولـوى دينـيَ مـنْ كـانَ وَليّـا

٩. رشـأٌ وكَّـلَ طـرْفي بالبُكـا ... وثنـى صـبريَ مـنزوراً بَكيّـا[6]

١٠. فَتكـتْ أجفانُـه فيَّ وكـمْ ... قتلـتْ في حبِّهـا مثلـي بريّـا

١١. يـا بنـي «عُـذرَةَ»[7] هـلْ مِنْ طـالبٍ ... بدمـي ذاكَ الغُـلامَ البدَويّـا؟

---

(١) حاجريٌّ: نسبةٌ إلى حاجر: وهو موضع في ديار بني تميم. انظر معجم ما استعجم؛ ١/ ٤١٦، ومعجم البلدان (حاجر).

(٢) لمياء وسليمى: اسمان لحبيبتين مُتخيَّلتين كثر ذكرهما على لسان العشَّاق والمتصوِّفة.

(٣) ثنيات الحمى: اسم لأمكنة كثيرة. انظر معجم البلدان (ثنية).

(٤) في (ب): «حلَّ».

(٥) في (ب): «خليّا». وحليّاً: عذباً حلواً.

(٦) في (ب): «بريًّا».

(٧) بنو عذرة: قبيلة ينسبُ إليها أصحاب العشق العفيف.

١٢ .الــــذي يســـطو علـــى عُشّـــاقهِ ... كلَّمـــا هـــزَّ القـــوامَ السَّـــمْهريّا

١٣ .لابـــسٌ مِـــن حُسْـــنهِ ديباجـــةً ... نـــاظمٌ مِـــنْ جَيَـــدِ الجيـــدِ حُلِيَّـــا

١٤ .أنـــا أفـــدي طُـــرَّةً ســـينيةً ... منـــهُ بـــالرُّوحِ وقَـــداًّ ألَفيّـــا

١٥ .ولقـــدْ قلـــتُ لركـــبٍ جـــاوزوا ... أمَـــدَ السَّـــيرِ غُـــدوّاً وعَشِـــيّاً

١٦ .أَرسَـــلوا خُـــوصَ المنايـــا أســـهُماً ... فثنتْهـــا شُـــقّةُ البيـــدِ قِسِـــيّاً

١٧ .أيـنَ أيـنَ القصـدُ؟ قـالوا: عـدَنٌ[٨] ... وأجـلُّ القصـدِ مـا كـان قَصيّـا

١٨ .قلـــتُ: لا تَعتسِـــفُوها مَهْمهـــاً ... حيـثُ لا ظِـلاٌ ولا مـاءَ ورِيّـا[٩]

١٩ .وإذا البحـــرُ طمـــتْ[١٠] أمواجُـــه ... فلمـاذا يـردُ الظّـامي الرَّكِيّـا[١١]؟

★ ★ ★

٢٠ .يـــا بنـــي الحاجـــاتِ إن حـــاولْتم ... سَـعةَ الأرزاقِ والعيـشَ الرَّضيّـا

٢١ .«لِحَمـاةِ» الشّـامِ فـاثنوا عَزْمَكُـمْ ... وأنيخُوا بحمى «العاصي» المطيّا

٢٢ .واقصـــدُوا ذاكَ المُقـــامَ المُرتضَـــى ... والمقـــرَّ «الشَّـــاذَوِيَّ» «التَّقَويّـــا»

٢٣ .فبهـــا مِـــنْ آلِ «أيـــوبٍ» فتًـــى ... خلـــقَ اللّـــهُ لـــه كفّـــاً ســـخيّا

٢٤ .مَلِـــكٌ[١٢] أشـــبهَ آبـــاءً لـــهُ ... ذلَّلُـــوا الدهْـــرَ وقـــدْ كـــانَ أبيّـــا

٢٥ .وإذا أبصـــرتَ أصـــلاً طيِّبـــاً ... فجديـــرٌ أنْ تـــرَى فرْعـــاً زكيّـــا

٢٦ .بطـــلٌ إنْ هـــزَّ أعطـــافَ القنـــا ... وانتضَـى[١٣] في الهبَـواتِ المشـرَفيّا

---

(٨) انظر مادة (عدن) في معجم البلدان، وفيه طرائف وأشعار عذبة.

(٩) كذا في الأصل و(ب)، وهو صواب، ولعلّها: «رَوِيّا».

(١٠) طمت: فاضت.

(١١) الرّكيُّ: البئر.

(١٢) في (ب): «ملكاً».

(١٣) انتضى السيف: استلَّه، والهبوات: الحروب، والمشرفيُّ: السَّيف.

٢٧.لا تصفْ[١٤] «عمرَو بنَ مَعْدَ يكربِ» واطْــرحْ «عنــترةً» أو «قَطَريــا»[١٥]

٢٨.ســلْ ســيوفَ الهنــدِ عــن إقدامــهِ ورمــاحَ الخَــطِّ و القِـرْنَ الكَميَّــا

٢٩.وإذا مـــا مـــرَّ في أُكرومَـــةِ ســبقَ الوســميَّ أو فــاتَ الوليَّــا

٣٠.لا وآدابٍ لـــهُ سِـــحريَّةِ فــاقَ ريَّاهــا النَّســيمَ السَّــحَريَّا

٣١.ومعـــانٍ منـــه «منصوريَّـــةِ» أشــبهتْ ألفاظُهــا الزَّهْــرَ الجنيَّــا

٣٢.لا أرانـــي اللَّـــهُ عـــنْ طاعتـــهِ ثانيــاً عِطْــفَ ثَنــائي أو عَصِيَّــا

٣٣.ومتَّى غـــيَّرتُ إخلاصـــي لـــهُ كنــتُ في مــا ادَّعــي منــه دَعيَّــا

٣٤.حَــدُّ ثــاني عنــه مــا يُطربُنـــي وصِفَــا لــي ذلــكَ الوجــهَ الوضيَّــا

٣٥.وامزُجــا لـــي بِصَفــا أخلاقــهِ وسَـــجاياهُ المُـــدامَ البابليّـــا

٣٦.يــا بنــي الحمــدِ اقصــدوهُ تجِــدوا مَلِكــاً بــالحمدِ مــا زالَ حفيّــا[١٦]

٣٧.واســتبيحُوا منــه جُــوداً سَــرِفاً واســتميحُوا منــه حُــرّاً أريحيّــا

٣٨.صــانَ وجهــي عــن سُــؤالي بــاخِلاً ووفَــى لــي حيــثُ لــم ألــقَ وفيَّــا

٣٩.ولقـــد هـــذَّبَ دهـــري فغـــدا مُحْسِــناً مِــنْ بعــدِ مــا كــانَ مُسِــيّا

٤٠.وحبَـــى مدحـــي ســـناءً ذكـــرُه ولَكَــمْ أعطَــى علــى المــدحِ سَــنيَّا

٤١.إن أكــنْ أبصــرتُ منــه «جعفــراً» فلقــد أبصــرَ منِّــي «البُحتريّــا»[١٧]

٤٢.يـــا بنـــي «أيُّـــوبَ» انتُـــمْ أُسْـــرةٌ جزتُــمُ للمجــدِ مِقــداراً عَليَّــا

---

(١٤) في (ب): «لا تضفْ».

(١٥) يذكر فرسان العرب المعدودين: عنترة العبسيَّ وعمرَو بنَ معدي كربِ الزَّبيديَّ وقطريَّ بنَ الفُجاءة أحد فرسان الخوارج وشعرائهم.

(١٦) في (ب): «خفيّا» تصحيف.

(١٧) جعفر هو الخليفة العباسيّ المتوكّل بن المعتصم، والبحتريُّ أبو عبادة الشاعر المشهور، وله في المتوكّل مدائحُ شهيرة.

٤٣. شــــكرَ اللّـــهُ لكـــمْ عارفـــةً ... وصلـــتْ منّـــا فقـــيراً وغنيًّـــا

٤٤. إنْ تُجـــازُوني علـــى حبِّكـــمُ ... فلقـــدْ جـــازيتُمُ عبـــداً وليًّـــا

٤٥. كيفَ لا يدعو لكم مَـنْ عـاشَ في ... ظِـلِّ إحسـانِكمُ عيشـاً هنيّـا؟

٤٦. كنـتُ في «مصـرٍ» و«مِصـرٌ» جنَّـةٌ ... غـيرَ أنِّـي بعدكُـمْ كنـتُ شـقيّا

٤٧. فاسـلموا للمجـدِ وابْقَـوا للعُـلا ... ثُـمَّ دومـوا لـي دوامـاً سـرمديّا

٤٨. يـا غيـاثَ المسـتغيثينَ بـهِ ... بلِّـغِ «المنصـورَ» عُمْـراً أبديًّـا

٤٩. وارْعَ «محمـوداً» وسـلِّمْ «عُمَـراً» ... واحفـظَ اللّهُـمَّ مَولانـا «عَليّـا»

٥٠. آلُ بيـتٍ وملـوكٍ شـرُفوا ... بـالنَّدا المُلْـكَ كمـا زانُـوا النَّديّـا

(١٥)

وقال، يمدحُه، ويذكرُ وقعةَ التَّترِ وكسرَهم على حمصَ، ويصفُ ثباتَه وصبرَه[1]: [الخفيف]

١. بيَّضَ اللَّـهُ وجهَـكَ الوضَّاحـا	يومَ لاقى بصَفحتيهِ الصفاحـا
٢. وجزاكَ الإحسانَ عن نُصرةِ الإسـ	ـلامِ والخيلُ لا تملُّ الكفاحـا
٣. بـأبي وجهُـكَ المبـارَكُ لمَّـا	لاحَ في ظُلْمـةِ العَجاجِ صباحـا
٤. يومَ حكَّمتَ في الطلى المشرفيَّا	تِ وحطَّمتَ في الصُّدورِ الرِّماحا
٥. برجالٍ مـن آلِ بيتِـكَ لا تخـ	ـشَى المنايا ولا تَهابُ الجِراحا
٦. يترامَونَ للوغـى بِقلـوبٍ	لبِسُوها فـوقَ السِّلاحِ سِلاحا
٧. بـأبي أنـتَ يـومَ حمـصٍ وقـدْ وا	جَهْتَ وجهاً مِنَ العدوِّ وَقاحـا
٨. في مكَـرٍّ عشيَّـةَ تهَـبُ الأسـ	ـلابَ[2] فيـهِ وتنهـبُ الأرواحـا

---

(١) جرت الواقعة التي يُشير إليها العزازي يوم الجمعة في الخامس من محرَّم سنة ٦٥٩هـ وأحرز المنصور والأشرف صاحب حمص النَّصر على التَّتار، ولكنهم عاودوا جمع فلولهم، ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور وأخوه الملك الأفضل فأقاموا بحماة يوماً واحداً، ثمّ رحلوا عنها إلى أفامية. وقد سافر الملك المنصور وأخوه الأفضل إلى دمشق، وبقي الطواشي مرشد بحماة. وفي هذه السنة أقيمت الخطبة بدمشق وغيرها للظاهر بيبرس، وعاد المنصور إلى حماة واستقر بها.

وكان الملك المنصور وأخوه الملك الأفضل قد قاتلا في عين جالوت تحت قيادة الملك المظفر قطز سنة ٦٥٨هـ، وأقر قطز الملك المنصور على حماة. انظر المختصر؛ ٣/ ٢٠٥ و٢٠٩.

(٢) الأسلابُ: الغنائم، والبيت في غاية المدح، وهو يحاكي بيت أبي تمام في المعتصم:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همَّتُها يومَ الكريهة في المسلوب لا السَّلَب

٩. ولئِــنْ عــارضُوا ســيوفَكَ جهــلاً فلقــدْ عــارضُوا القضــاءَ المُتاحــا

١٠. أســكرتْهُمْ كـأسُ المنـونِ وغنَّـى الـ ـسَـيفُ لكـنْ كـانَ الغنـاءُ نُواحـا

١١. والعوالــي دارتْ عليهــم سُــقاةً والمواضــي تمثَّلــتْ أقداحــا

١٢. يـا لهـا وقعــةً غـدوتَ بهـا «المنـ ـصورَ» إذ كانَ سيفُكَ «السَّفَّاحا»[٣]

١٣. فـابقَ للمُسـلِمينَ نـاصرَ هـذا الـدّ ـينِ مـا عـاقبَ المساءُ الصبَّاحـا[٤]

١٤. فتُّــم[٥] العــالَمين يــا آلَ «أيُّــو بَ» إبــاءً وسُــؤْدَداً وسَــماحا

١٥. وشــأوتُمْ أهــلَ النَّــدى بصفــاتٍ تُعجِــزُ الواصفــينَ والمُدَّاحــا

١٦. كـم سـدَدتُمْ ثَغـراً وشِـدتُمْ فخـاراً وجبرتُمْ كَسْـراً ورِشْـتُمْ[٦] جَناحـا

١٧. قــد رأيْنــا بقــاءَكم آلَ «أيُّــو بَ» سَــداداً لدهرِنــا وصَلاحــا

١٨. فاســلموا للعُلــى فـلا أطفـأَ اللّـ ـهُ لآيــاتِ فضلكــمْ مِصباحــا

* * *

---

(٣) المنصور والسَّفاح: توريتان، يُشير بهما إلى الخلفيتين العباسيين: أبــي العبَّــاس السَّفَّاح وأبي جعفر المنصور.

(٤) في (ب): «صباحا».

(٥) في (ب): «فقتُمُ». وفُتُّمْ: تجاوزتم وسبقتم.

(٦) راشَ الجناح: ركَّب له الرّيش ليطير، استعارة لإعانة الضَّعيف ونصرته.

(١٦)

وقال يودِّعهُ، وقد رحلَ من حماةَ طالباً ديارَ مصرَ المحروسةِ: [الخفيف]

١. رحلَ العبدُ شاكراً مِنْ نَداكمْ   وعُلاكم يَثني بكلِّ لسانِ

٢. فَجُزيتُمْ يا آل «أيُّوبَ» خَيراً   وبَقيتُمْ لنا بَقاءَ الزَّمانِ

٣. فلأنتُمْ طِرازُ ثَوبِ المعالي   ولأنتُمْ عِصابةُ الإحسانِ[١]

* * *

---

(١) الطِّرازُ والعصابة استعارتان، فالطرازُ وشي الثوب، والعصابة ما يعصبُ به الإنسانُ هامه.

(١٧)

وأنشدَه بديهاً بعضَ اللَّيالي، وقد طَلَبَهُ فوقَ القُبَّةِ المشرفةِ على العاصي:

[الكامل]

١. لمْ أنسَ إحسانَ ابنِ «محمودٍ» وقدْ ... وافيتُـه تحـتَ الظَّـلامِ الدَّاجـي

٢. فرايتُـه مِـنْ فـوقِ قبَّـةِ مُلكِـهِ ... وكأنَّـه للفرقديـنِ مُنـاجي

٣. في ليلـةٍ غَـرَّاءَ بـتُّ منادمـاً ... ربَّ السَّـريرِ بهـا وربَّ التَّـاجِ

٤. فكأنَّما صعـدَ السَّماءَ «محمَّدٌ» ... وكأنَّمـا هـيَ ليلـةُ المِعـراجِ[1]

★ ★ ★

---

(١) الصُّورة في غاية لاحسن حيث شبَّه القُبَّة بالسَّماء والممدوح بالرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام واللَّيلة بجمالها وجلالها بليلة معراج الرسول (ص) لملاقاة ربّه في السماء.

(١٨)

وقالَ، يرثيه[1]، ويُعزِّي ولَدَه السُّلطانَ الملك المظَّفر، ويُهنِّئُهُ بالسَّلطنةِ بعد أبيهِ، وأنشدَها عند قاضي القُضاةِ ابنِ واصلٍ بجامعِ حماةَ: [الطويل]

١. تُرى عَلِمَ النَّاعي جَلالةَ مَنْ نعَى؟ وهلْ عَرفَ الدَّاعي إلى الموتِ مَنْ دعا؟

٢. نعَى المجدَ والعَلياءَ والبأسَ والنَّدى وبِيضَ العطايا والمكارمَ أجمعا

٣. لقدْ عرَضتْ[2] لابنِ «المظَّفرِ» عَثْرةٌ منَ الموتِ لو أجدى لقُلْنا لها: لعَا[3]

---

(١) توفي الملك المنصور صاحب حماة في شوال سنة ٦٨٣هـ، والبلاد الإسلامية تحت إمرة السلطان المملوكي المنصور قلاوون، وقد راسل المنصور الملك قلاوون لإقرار ولده المظفر على حماة. وتوفّي قبل عودة الجواب، وقد أقرَّ قلاوون المظفر ملكاً بعد أبيه، والملك المظفر هو السلطان المظفَّر تقي الدين محمود بن السلطان الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. ولد عام ٦٥٧هـ، وقد عاش إحدى وأربعين سنة، ولي الحكم فيها خمسة عشر عاماً ونيّف، وتوفّي سنة ٦٩٨هـ. وبوفاته خرجت حماة عن البيت التَّقوي الأيوبي. انظر المختصر؛ ٤/ ١٨ و٤١. وتذكرة النبيه؛ ١/ ٨٨. وابن واصل الشيخ العلاَّمة جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضي القضاة الشافعي. ولد سنة ٦٠٤هـ، كان فاضلاً إماماً مبرِّزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والهيئة والتّاريخ، وله مصنَّفات حسنة، منها: مفرِّج الكروب في أخبار بني أيوب، وتجريد الأغاني، وكان أستاذ أبي الفداء ملك حماة. توفي سنة ٦٩٧هـ. انظر المختصر؛ ٤/ ٣٨.

(٢) في (ب): «ضربت».

(٣) لعا: اسم فعل بمعنى: دع. وذلك إذا دعي للعاثر أن ينتعشَ والدعاء عليه: لالعاً لفلانٍ، أي: لا أقاله اللَّه. انظر اللسان (لعا).

٤. هوَى جبلُ الحلمِ الذي كانَ شاهقاً وشعبُ العُلى والمكرماتِ تَصدَّعا

٥. ليَبْكِ ملوكُ الخافِقَينِ مُصابَهُ فقد كان أرواهُمْ غَماماً وأمرعا

٦. ويَذْرِ[٤] عليهِ الوافدونَ دموعَهمْ إذا استبطؤوا ذاكَ النَّدى المُتسَرِّعا

٧. أتاهُ الرَّدى فانقادَ مستسلماً لهُ وقدْ كانَ يقتادُ الكميَّ المُدرَّعا

٨. ولو كانَ غيرَ الموتِ خصمُ «محمَّد» لزُلزِلتِ الأقدامُ واشتدَّتِ الوغَى[٥]

٩. وجالتْ عتاقُ الخيلِ واضطربتْ لهُ حدادُ المواضي والوشيجُ[٦] تَزعزعا

١٠. ولكنْ هوَ الموتُ الذي طالما لوى مِنَ المَلِكِ الجبَّارِ لِيْتَاً[٧] وأخدعا

١١. إذا ما دعا أوفى البريَّةِ «ناصراً» أجابَ ولبَّى ناكسَ الرأسِ مُهْطِعا[٨]

١٢. فلمْ يرَ فيهِ أحزمُ النَّاسِ حيْلةً ولمْ يرَ عنه أشجعُ النَّاسِ مَدْفعا

١٣. أضاعَ بني الآمالِ موتُ «محمَّد» على أنَّ دهراً غالَه كانَ أضيْعا

١٤. فقدْ حُقَّ للأجفانِ أن تُكثرَ البُكا عليهِ وللأكبادِ أنْ تتقطَّعا

١٥. فمنْ للجيادِ الأعوجيَّاتِ بعدَهُ إذا خبَّ في الحربِ العَوانِ وأوضعا[٩]؟

١٦. بكتْهُ السُّيوفُ المَشرَفيَّاتُ قُطَّعاً وناحتْ عليهِ السَّمْهريَّاتُ شُرَّعا

١٧. أيا موتُ أيتمتَ العُفاةَ بفقدهِ وغادرتَ ربعَ الأريحيَّةِ بَلْقعا[١٠]؟

---

(٤) يذري: يسكب.

(٥) الوعى والوغى بمعنى، وهما الحرب.

(٦) الوشيج: الشجر الذي تُتَّخذ منه الرِّماح، ويُقال للرِّماح نفسها.

(٧) اللِّيتُ: صفحة العنق.

(٨) مهطع: خاضع.

(٩) خبّ وأوضعَ: فعلان لخبب وإيضاع، وهما نوعان منَ السَّير والرَّكض. والجياد الأعوجيَّات أو بنات أعوج نسبةً لفحل عريق.

(١٠) بلقع: قفر.

١٨ .وأبقيتَ وجهَ العزِّ أسودَ أسفعا[١١] وغادرتَ عِرْنينَ[١٢] المكارمِ أجدعا

١٩ .ألا قُلْ لراجي الجُودِ بعدَ «مُحَمَّدٍ»: تعزَّ فإنَّ الجودَ قد غاضَ مَشْرَعا[١٣]

٢٠ .ولا تنتجعْ صوبَ الحيا بعدَ كفِّهِ فصوبُ الحيا بعدَ ابنِ «أيُّوبَ» أقلَعا[١٤]

٢١ .بروحيَ مَنْ هالوا على وجههِ الثَّرى فطابَ الثَّرى مِنْ نَشرِهِ وتضوَّعا

٢٢ .وحُزني على مَنْ أضجعوهُ بلحْدِه وما كانَ يرضى دارَةَ الشَّمسِ مَضْجَعا

٢٣ .تصامَمَ عنهُ رَهطُهُ وحُماتُهُ وكانَ مُجاباً في الخُطوبِ إذا دَعا

٢٤ .نشا[١٥] والنَّدى تِربَيْ هوًى ومودَّةٍ فلَّما قضى نحْباً قضى والنَّدى معا

٢٥ .ألا مَتَّعا سَمْعي بطِيْبِ حديثهِ فقد كانَ مَقبولَ الأحاديثِ مُمتِعا

٢٦ .لهُ نشوةٌ عندَ السُّؤالِ كأنَّما سقاهُ السُّؤالُ البابليَّ المشعْشعا

٢٧ .وما كانَ إلاَّ شاعرَ الجودِ والنَّدى روَى الدَّهرُ عن نُعمَى يديهِ فأسمعا

٢٨ .أجادَ معاني المكرماتِ ولفظَها وأغربَ في صُنعِ الجميلِ وأبدعا

٢٩ .وأسنَى أساليبَ العطايا وطالما تفنَّنَ في إسْدائِها وتنوَّعا

٣٠ .بكيتُ ولو وفَّيتُهُ بعضَ حقِّهِ علَيَّ لأجريتُ السَّحائبَ أدمُعا

٣١ .ونُحتُ ولو أنِّي نهضتُ بشُكرِهِ لهيَّجتُ في النَّوحِ الحمامَ المُرَجِّعا[١٦]

٣٢ .وقُلتُ وقد أكبرتُ رُزءاً أصابَهُ: عدمْتُكَ رُزْءاً ما أمضَّ وأوجعا

٣٣ .مضى في سَبيلِ الأريحيَّةِ والنَّدى ولم يبقَ في قوسِ المحامدِ مَنْزِعا

---

(١١) أسفع: أسود.

(١٢) عرنين: أنف.

(١٣) مشرع الماء: مسيله وموردُه.

(١٤) أقلع: حبس الماء، وانقطع.

(١٥) نشا: أصلها: نشأ، وقصر الهمزة ضرورةً.

(١٦) في (ب): «المُسجِّعا». وترجيعُ الصَّوت: تكراره.

٣٤.وما كـانَ إلاَّ كـالنَّعيمِ فـأقفرتْ ... معالمُـه أو كالشَّـبابِ فودَّعـا

٣٥.فلم تـرَ عينـي قُـرَّةً بعـدْ وجهـهِ ... ولا أمَلي في الجاهِ والمالِ مَطْمَعا

٣٦.وإنْ كنـتُ قـد أُخِّـرتُ بعـد رحيلـهِ ... فإنّي على التَّرحالِ ما زلتُ مُزْمِعا

٣٧.وما فُلَّ ذاكَ النَّصلُ أو فَلَّلَ العِدا ... ولا أجتُثَّ ذاكَ الأصلُ حتَّى تفرَّعا

٣٨.تجلَّتْ لنا شَمسُ المسرَّاتِ بابنهِ ... عِياناً وغيمُ الحزنِ عنَّا تقشَّعا

٣٩.فنحنُ بـهِ في دولـةِ «تقَويَّـةٍ» ... نَرى نهجَها بالعدلِ والأمنِ مَهْيَعا[17]

٤٠.حَمِدْنا «بمحمودٍ» ذَميمَ زَمانِنا ... وعاودَ مَشْتانا بنُعماهُ مَرْبَعا

٤١.شَبابٌ كساهُ الحلمُ ديباجةَ النُّهى ... وحزمٌ تَردَّى بالسَّطا وتلفَّعا

٤٢.وبدرٌ ذَمَمْنا سُنَّةَ البدرِ عندما ... رأينا لـه مِنْ شدَّةِ المُلْكِ مَطْلِعا

٤٣.وسُلطانُ عدلٍ يملأُ العينَ هيبةً ... إذا ما حِجابُ المُلْكِ عنه ترفَّعا

٤٤.ملوكَ بني «أيُّوبَ» طُولُوا الورى عُلاً ... كما طُلْتُمُ فيهمْ سُيوفاً وأذرُعا

٤٥.ودوموا فإنَّ المُلْكَ فيكمْ مخلَّدٌ ... تقسَّمَ في أبنائِكمْ وتوزَّعا

٤٦.إذا غرَبَتْ منكمْ بُدورُ سماحةٍ ... أطلَّتْ بُدورٌ بالمكارمِ طُلَّعا

* * *

---

(١٧) الطريقُ المَهْيَعُ: الواضحُ الواسعُ البيِّنُ، والاستعارة واضحةٌ هنا. انظر اللسان (هيع).

(١٩)

وقالَ، يمدحُ ولَدَه السُّلطانَ الملكَ المظفَّرَ أبا الفتحِ تقيَّ الدِّينِ محمودَ، ويُهنِّئُه بالسَّلطنَةِ بعدَ أبيه: [الوافر]

١. أمَا واللَّهِ لو حسرَ اللِّثاما ... شفيتُ القلبَ منْ فمِه التثاما

٢. فبي ظَمأٌ إلى تقبيلِ فيهِ ... ولو قبَّلتُه لشفَى الأُواما[1]

٣. كلِفتُ بحبِّه بَدويَّ حُسْنٍ ... وهمتُ ولو رآهُ الظَّبيُ هاما

٤. غُلامٌ لا أرى للسِّحْرِ معنًى ... إذا استنطقتُ ذيَّاكَ الغُلاما

٥. تقلَّدَ سيفَ مقلتهِ حُساماً ... ولمْ يتقلَّدِ السَّيفَ الحُساما

٦. وما أدري وقدْ هزَمَ اصطباري ... أهزَّ الرُّمحَ أمْ هزَّ القَواما؟

٧. يُغيرُ على القُلوبِ بلا سِلاحٍ ... فيوثِقُ كلَّ جارحَةٍ كِلاما[2]

٨. «بهاروتيَّةٍ»[3] تُعطيكَ سِحْراً ... حلالاً كمْ أراقَ دماً حراما

٩. إذا مالتْ معاطفُه حسِبْنا ... بهِ سُكْراً وما شرِبَ المُداما

١٠. خُذوا لي منْ لواحظِه أماناً ... ومِنْ أعطافِ قامتِه ذِماما[4]

١١. وإيَّاكمْ كِنانةَ ناظرَيْهِ ... فكمْ نثلَتْ[5] إلى قلبٍ سِهاما

---

(١) الأُوامُ: العطش.

(٢) الكلامُ: الجراح.

(٣) هاروتيَّة: نسبةٌ إلى هاروت: وهو أحدُ ملكَين يُنسَبُ إليهما السِّحر. قال تعالى: ﴿وما أنزلَ على الملكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ [البقرة: ١٠٢]﴾.

(٤) في (ب): «ذواما» تحريف.

(٥) نثلَ الكنانةَ: استخرجَ ما فيها منَ النَّبل.

١٢. أميلُ إلى الغوايةِ في هَواهُ
وأستحلي الصَّبابةَ والغَراما

١٣. وأعشقُ ما يُناسبُه إلى أنْ
عشقتُ لأجلِ عينيهِ السَّقاما

١٤. أَلِكْني[٦] والمطيَّةَ والفيافي
ودَعْني والظَّهيرةَ والظَّلاما

١٥. أَبَتْ لي همَّتي إلاَّ ارتحالاً
وأيَّةُ همَّةٍ تَرضَى المُقاما؟

١٦. حَلَفْتُ بواخداتِ[٧] العيسِ صَبّاً
وبالبِيدِ المَهامِهِ مُسْتَهاما

١٧. إذا لم أرمِ بالفلَواتِ نِضْوي
وأقتحمِ المُلِمَّاتِ اقتحاما

١٨. فلا خطَبَ الملوكُ بناتِ فكري
ولا هزَّتْ مدائحيَ الكِراما

★ ★ ★

١٩. أقولُ لفتيةٍ شُعْثِ النَّواصي
غَدَتْ شُعَبُ الرِّكابِ بهمْ ترامَى:

٢٠. إلى ابنِ «مُحمَّدٍ» زُمُّوا المطايا
وأُمُّوا ذلكَ الملكَ الهُماما

٢١. ونُصُّوا[٨] اليَعْمَلاتِ[٩] إلى «حَماةٍ»
فإنَّ «حَماةَ» شرَّفتِ الشَّآما

٢٢. ولُوذوا بالمظفَّرِ واستَميحُوا
كريماً في المكارمِ لا يُسامَى

٢٣. كريمٍ يهتدي السَّارونَ منهُ
بأبلجَ يُخجلُ البدرَ التَّماما

٢٤. أسَدُّ بني «شَهِنْشاهٍ» مقالاً
وأشرفُ آلِ «أيُّوبٍ» مَقاما

٢٥. وأعلَى النَّاسِ مَنقبَةً وفخراً
وأوفى النَّاسِ عفواً وانتقاما

٢٦. ألا للَّهِ كَمْ عَثَراتِ حُرٍّ
أقالَ وزَيغَ مُجترمٍ أقاما

٢٧. بعدلٍ لا تَخافُ لهُ انفصالاً
ولا تخشَى لعروتهِ انفصاما

---

(٦) ألكني: هنا بمعنى دعني أو أرسلني.

(٧) الوخد: ضربٌ من سير الإبل، والعيس: النُّوق.

(٨) النَّصُّ: السَّيرُ السَّريع الحثيث.

(٩) اليَعملاتُ: النُّوقُ السَّريعة، مفردُها: يَعملةٌ.

٢٨.وإنباهِ[١٠] بجيدِ المجدِ عِقْداً ... فلا حلَّ الزَّمانُ له نِظاما

٢٩.لهُ خُلُقٌ حكَى الماءَ اطِّراداً ... وفكرٌ شابهَ النَّارَ اضطراما

٣٠.وكفٌّ لو أشارَ إلى الغوادي ... بها لاستمطَرَ الغيمَ الجَهاما[١١]

٣١.صنائِعُهُ مُقلقِلَةٌ ركابي ... وجاذبةٌ لآمالي زِماما

٣٢.عجبتُ لمن يَرى[١٢] كفيَّه تَهْمي[١٣] ... صنائعُها وينتجعُ الغماما

٣٣.وكم قلَّدتُه دُرَرَ القوافي ... فقلَّد جيديَ المِنَنَ الجِساما

٣٤.أودُّ حياةَ حُسَّدِهِ لأنِّي ... رأيتُ حياةَ حُسَّدِهِ حِماما

٣٥.شكرتُ نَدى «أبي الفتحِ» المُرجَّى ... ونُعماهُ الفُرادَى والتُّؤاما

٣٦.شكرتُ ندىً شديدَ البطشِ سَهْلاً ... أنامَ بحُسنِ سيرتِهِ الأناما

٣٧.وجرَّدَ بالعواصمِ مُرهفاتِ الـ ... ـعزائمِ والظُّبا بالشَّامِ شاما[١٤]

٣٨.وأخمدَ جمرةَ الأعداءِ حتَّى ... أعادَ زئيرَ أُسْدِهِمُ بُغاما[١٥]

٣٩.شُجاعٌ كلَّما اشتجرَ العوالي ... أدارَ على العِدى الموتَ الزُّؤاما

٤٠.يردُّ الخيلَ داميةَ الهوادي[١٦] ... وقد عقدتْ سنابكُها[١٧] القَتاما

---

(١٠) على هامش (ب): «لعلَّه رأيناهُ». ولها وجهٌ.

(١١) الجهامُ: السَّحابُ الذي لا ماءَ فيه.

(١٢) في (ب): «رأى».

(١٣) تهمي: تنهمرُ، والصَّنائع: العطايا.

(١٤) شام المرهفات: استلَّها، والمرهفات: السَّيوف.

(١٥) البُغامُ: صوتُ الظبي.

(١٦) الهوادي: الأعناقُ: مفردها: الهادي.

(١٧) السَّنابك: الأقدام.

٤١. بضربٍ يفلِقُ[١٨] الهاماتِ هَبْرٍ[١٩] وطعنٍ يهزُمُ الجيشَ اللُّهاما

٤٢. «أمحمودُ» الذي بلغَ المعالي وأحرزَها وما بلغَ الفِطاما

٤٣. مُسامي مجدِكَ العالي المَباني كمنْ عالي النُّهى والنَّجمِ سامَى

٤٤. ومنتصرٌ بغيرِكَ[٢٠] في الرَّزايا كمنْ يستنصِرُ السَّيفَ الكهاما[٢١]

٤٥. لقدْ طُلْتَ الملوكَ أباً وجَداً وأعماماً و أخوالاً كِراما

٤٦. وقدْ فَغَمَ[٢٢] الثَّناءُ عليكَ عَرْفاً فكانَ لكلِّ طيِّبةٍ خِتاما

٤٧. وأفضلُ ما اعتنيتَ بهِ أديبٌ يُخلِّدُ في محاسنِكَ الكَلاما

٤٨. وليٌّ إنْ تدانى أو تناءَى وداعٍ إنْ ترحَّلَ أو أقاما

٤٩. ألستَ ابنَ الأُلى كَرُموا وطابوا وحلُّوا مِنْ ذُرى المجدِ السَّناما؟

٥٠. تَراهُمْ في أسِرَّتِهِمْ جُلوساً وأملاكَ الزَّمانِ لهمْ قياما

٥١. بنو «أيُّوبَ» ما برِحوا افتتاحاً لمجموعِ المكارمِ واختتاما

٥٢. إذا كرَّرْتُ ذِكرَهُمُ كأنِّي فضضْتُ عنِ المعتَّقةِ الفَداما[٢٣]

٥٣. رحلتُ إليكَ مِنْ «فُسطاطِ»[٢٤] مصرٍ وقدَّمتُ الضَّراعَةَ والسَّلاما

---

(١٨) في (ب): «يفرقُ».

(١٩) في (ب): «هتراً» تحريف.

(٢٠) في (ب): «لغيركَ».

(٢١) في (ب): «الهكاما» تحريف. والكهامُ: الكليل الذي لا يقطع.

(٢٢) فغمَ: نشر.

(٢٣) الفدامُ: الغطاء.

(٢٤) الفُسطاطُ: مدينةُ مصر، وفيها لغاتٌ. انظر اللسان (فسط). وقد بناها عمرو بن العاص، وبقيت العاصمة حتَّى بنى جوهر الصّقليّ القاهرة ودخلها المعزّ. انظر معجم البلدان (الفسطاط). ومن شهير مدح المتنبي لكافور قولُه:

ولكنَّ بالفُسطاط بحراً أزرتُه حياتي ونُصحي والهوى والقوافيا

٥٤. أُمَنِّي باسمِكَ الإبِلَ الأبايا فتخترقُ الأباطحَ والأكاما

٥٥. وأحدُوها بذكرِكَ وهي تَخْدي فتنشقُ منه أنفاسَ الخُزامى

٥٦. سريتُ بها أذودُ النَّومَ عنِّي ومَنْ وَصَلَ السُّرى هجرَ المناما

٥٧. ولو أنِّي ملكتُ قِيادَ أمري ركبتُ إليكَ أعناقَ النُّعامى[٢٥]

٥٨. وقالوا: لِمْ هجرتَ الكأسَ حِيْناً وكنتُ بها الكئيبَ المُستهاما؟

٥٩. وماطرَبي إلى شمسِ الحُميَّا إذا لمْ أجتلِ قمرَ النَّدامى

٦٠. أَتيتُ مهنِّئاً بعقيمِ مُلْكٍ شفتْ أيَّامُه الدَّاءَ العُقاما[٢٦]

٦١. فعِشتَ مهنَّئاً عُمْراً فعُمْراً ودُمتُ مملأً عاماً فَعاما

٦٢. فلَو سألَ العبادُ اللّهَ أمراً سألتُ لعُمْرِ دولتكَ الدَّواما

★ ★ ★

---

(٢٥) النُّعامى: أحد منازل القمر. ولعلَّه قصد ريحَ النُّعامى، وهي ريحٌ تهبُّ من جهةِ الجنوب. أي لركبتُ الرِّيح رغبةً في سرعة الوصولِ إليك.

(٢٦) الداء العُقامُ: الذي لا يُرتجى البرءُ منه.

(٢٠)

قالَ المولى شهابُ الدِّين: استدعاني السُّلطانُ الملكُ المظَّفرُ خلَّد اللَّهُ مُلكَه بعضَ الأيَّامِ إلى دار عليِ العاصي، تَعرفُ بدارِ ابنِ قرناصٍ، فجئتُه، فوجدتُه قد اصطنعَ دعوةً حافلةً للأميرِ سليمانَ بنِ أحمدَ بن حِجِّيٍّ، فوافى إلى دعوته في طائفة منَ العَرب، فخلعَ السُّلطانُ على الجميعِ، وأحضرَ ذلكَ اليومَ عمَّه الملكَ الأفضلَ وابنَ عمِّه الأميرَ أسدَ الدِّين[1] وجماعةً من مماليكه وأكابرِ دولته، فأُمرتُ بإنشاد هذه القصيدة الميميَّة التي تقدَّم ذكرُها، فأُنشدتْ عنِّي، فكانَ لها موقعٌ حسنٌ منَ القُلوبِ والأسماعِ، ثُمَّ أُمرتُ بأن أمدحَ الأميرَ سليمانَ بنَ حجِّي، فقلتُ هذه الأبياتَ، وهي هذه: [الوافر]

١. سُليمانُ بنُ أحمدِ بنِ حجِّي ... رفيعُ البيتِ موطودُ العِمادِ

٢. منَ العَرَبِ الذينَ لهم خيامٌ ... مُطنَّبةٌ على السَّبعِ الشِّدادِ

٣. منَ العربِ الذينَ لهمْ جِفانٌ[2] ... تعمُّ الحيَّ في السَّنةِ الجَمادِ[3]

٤. لآلِ «مِرا» على العَرَبِ افتخارٌ ... كما افتخَرَتْ على الوشَلِ[4] الغوادي

٥. وما «سيفُ بن ذي يزنٍ» و«عَمْرٌو»[5] ... بأكرمَ منْ «سليمانَ الجوادِ»

٦. أميرٌ في الوغى أسَدٌ لسَرْجٍ ... وفي يومِ النَّدى قمرٌ لنادِ

---

(١) أسدُ الدِّين بنُ الملك الأفضل نور الدين علي.

(٢) الجفانُ: مفردها جفنةٌ، وهي قصعةُ الطعام.

(٣) السنة الجماد: الشديدةُ المحل.

(٤) الوشَلُ: الماء القليل. والغوادي: السُّحب.

(٥) سيفُ بنُ ذي يزن من ملوك اليمن، وعمروٌ، لعلَّه يقصد الشاعر والفارس عمرو بن معدي كرب.

٧. فيُنْطي[٦] النَّاقةَ الكَوماءَ[٧] عفواً ... ويَسْـمحُ بـالوليدةِ والجـوادِ

٨. ويُنعِـمُ وهْـوَ سـكرانٌ وصـاحٍ ... ويسخو بـالطَّريفِ وبـالتِّلادِ[٨]

٩. لهُ سـيفٌ إلـى اللَّبَّـاتِ ظـامٍ ... وخَطِّـيٌّ إلـى الهامـاتِ صـادِ

١٠. إذا مـا شـدَّ شـادَ لـهُ فَخـاراً ... وردَّ الخيـلَ داميـةَ الهـوادي

١١. وإمَّـا ضـاقَ مُشْـتَبَكُ العوالـي ... وأخفى النَّقْعُ[٩] معتركَ الجيادِ

١٢. ودبَّ المـوتُ في البِيْـضِ المواضـي ... ولاحَ الـرَّوعُ في السُّمْرِ الصِّعادِ[١٠]

١٣. فنـادِ لهـا سُـليمانَ بـنَ حجِّـي ... فـذاكَ مُفـرِّجُ الكُـرَبِ الشِّـدادِ

١٤. فنـادِ السَّـيِّدَ الطَّلْـقَ المُحيَّـا ... ونـادِ الفـارسَ العـالي النِّجـادِ

١٥. يُجيبُكَ بمُرهَـفِ الحدَّيـنِ مـاضٍ ... وسـابحةٍ[١١] مُعـوَّدةِ الطِّـرادِ

١٦. يرَى ظهـرَ الحِصـانِ إذا عـلاهُ ... أحـبَّ إليـهِ مِـنْ ظهـرِ الوِسـادِ

١٧. أبـا «جمَّـازَ»[١٢] يـا بحـرَ العطايـا ... ويـا كهـفَ الحواضـرِ والبـوادي

١٨. ويـا أسـداً لـه ظُفُـرٌ ونـابٌ ... مِـنَ القُضُـبِ المهنَّـدةِ الحِـدادِ

١٩. ويـا عَلَمـاً إذا مـا ضـلَّ ركْـبٌ ... فنُـورُ جبينـهِ للـرَّكْبِ هـادِ

---

(٦) يُنطي: يُعطي، وهو لغةُ بعض القبائل، واستخدم اللَّهجة هذه كون الممدوح من الأعراب.

(٧) الكوماءُ: الناقةُ العظيمةُ السَّنام.

(٨) الطريف: المال المستحدث، والتلاد: المال الموروث.

(٩) النقع: الغبار.

(١٠) الصِّعاد: مفرده صعدة: قناة الرُّمح.

(١١) السَّابحة: الفرس السَّريعة.

(١٢) في (ب): «أبا جمَّارَ».

٢٠. ألستَ أجلَّ مِنْ «عَمْرو بن معدي» وأشرفَ مِنْ «ربيع بني زيادِ»[١٣]؟

٢١. سأرحلُ عنْ جَنابِكَ يا ابنَ حجِّي وانشرُ طِيْبَ ذكركَ في البلادِ

٢٢. وأنظمُ فيكَ أبكارَ القوافي فَأُغني النَّاسَ عَنْ شادٍ وحادِ[١٤]

٢٣. وسوفَ تُبلِّغُ الرُّكْبانَ حمْدي وينقُلُ رائحٌ شكري وغادِ

٢٤. وكيفَ أخافُ مِنْ طُرُقي عَناءً «ومِنْ جَدواكَ راحلتي وزادي»[١٥]؟

---

(١٣) عمرو بن معدي كرب والرَّبيع بن زياد العبسيّ: شاعران وفارسان مشهوران.

(١٤) الشادي والحادي: المغنّي.

(١٥) هذا عجز بيت لأبي تمّام في ديوانه؛ ١/ ٣٧٤، وصدرُه:

وما سافرتُ في الآفاقِ إلاَّ ....

(٢١)

وقالَ يمدَحه، خلَّد اللَّهُ مُلْكَهُ: [مجزوء الكامل]

١. خَطَرَ النَّسيمُ وقد تعطَّرْ وجرى فحينَ جَرى تقطَّرْ
٢. والطَّلُّ يُنْظَمُ في نُحورِ الزَّهْرِ أحياناً ويُنْثَرْ
٣. والرَّوضُ مِنْ نسجِ الحيا[1] يختالُ في بُرْدٍ مُحبَّرْ
٤. والأرضُ قدْ لبِستْ رِدا ءً مِنْ أزاهِرِها مُشَهَّرْ
٥. فكأنَّما عُنِي الرَّبيـ ـعُ بها فدرْهَمَها ودنَّر[2]
٦. ويَدُ الصَّبا حلَّت لنَـ ـوَّارِ الرُّبى جيْباً مُزرَّرْ
٧. فأجبْ نَديمُ إلى الصَّبُو حِ وقُمْ فإنَّ الصُّبْحَ أسفَرْ
٨. وافْضُضْ فِدامَ الدَّنِّ عن رُوميَّةٍ مِنْ عهدِ قيصَرْ
٩. تُجْلَى على خُطَّابِها وتُزَفُّ في لاذٍ[3] مُعَصْفَرْ
١٠. يسعَى بها ثَمِلُ المعا طفِ ساحرُ اللَّحظاتِ أحوَرْ
١١. جمعَتْ محاسنُ وجهِهِ بينَ المؤنَّثِ والمُذَكَّرْ
١٢. فضحَ الغزالةَ بالمُقلَّـ ـدِ والأراكةَ بالمُؤَزَّرْ[4]
١٣. حُوريُّ حُسْنٍ وجْهُهُ لي جنَّةٌ ولَماهُ كوثَرْ
١٤. ما زالَ بالصدُّغِ المُعقْـ ـرَبِ حارسَ الخَدِّ المعبقَرْ

---

(١) الحيا: المطر.

(٢) أي جعلها كالدَّراهمِ والدَّنانير.

(٣) اللاَّذُ: ثياب حرير، تُنسجُ بالصِّين، مفردها: لاذةٌ.

(٤) المقلَّد: العُنق، والمؤزَّرُ: الخصر.

١٥. يـــا بــــدرَ تِـــمٍّ إنْ بــــدا		وقضيـــبَ بـــانٍ إنْ تخطَّـــرْ
١٦. لا تَسْـــقنِي خمــــرَ الدِّنـــا		نِ فخمــرُ ريقِـكَ منــه أسـكَرْ
١٧. ودعِ الزُّجـــاجَ وطُـــفْ علـــيَّ		بكـــأسِ مبســـمِكَ المُجوهَـــرْ
١٨. مِنْ قهـــــوةٍ سَـــــبَئيَّةٍ		راحـــتْ مِـــنَ الرَّيحـــانِ أعطَـــرْ

★ ★ ★

١٩. فكأنَّهـــا ممزوجـــــةٌ		بخلائـــقِ الملِـــكِ «المظَفَّـــرْ»
٢٠. مَلِـــكٌ سَـــعيدُ الجَـــدِّ مَنْـــ		ـصـــورُ اللِّـــواءِ أغـــرُّ أزهَـــرْ
٢١. طَلْـــقُ الأســـرَّةِ مـــا تنكَّــ[5]		ـــبَ للعفُـــاةِ ولا تنكَّـــرْ
٢٢. لـــو رامَ شـــأْوَ فخـــارِه		نجـمُ السَّـماءِ ونَـى[6] وقصَّـرْ
٢٣. سَـــبَقَ الملـــوكَ إلـــى المكـــا		رمِ فـــانثنى بـــالمجدِ أجـــدرْ
٢٤. وسَـــما بـــأكرمِ أُسْـــرةٍ		مِـــنْ قومِـــه وأجـــلَّ معشـــرْ
٢٥. إنْ صـــاحَ والأبطـــالُ وا		جمـــةٌ حسِـــبْتَ اللَّيـــثَ يـــزأرْ
٢٦. أو صـــالَ بـــالهِنديِّ لا		تُغنـــي الـــدُّروعُ ولا السَّـــنَوَّرْ[7]
٢٧. في معـــركٍ أبطالُـــهُ		بذيُـــولِ عِثْـــيَرِه[8] تَعـــثَّرْ
٢٨. وإذا القنـــا ظَمِئَـــتْ إلـــى اللَّـــ[9]		ـبَّـــاتِ أوردَهـــا وأصـــدرْ
٢٩. وإذا تبسَّـــمَ فاستمحْـــ		ـــهُ وخَـــفْ سَـــطاهُ إذا تنمَّـــرْ
٣٠. قُـــلْ للمُحـــاولِ حربَـــهُ:		إيَّـــاكَ والأســـدَ الغضنْفَـــرْ

---

(٥) تنكَّب للعُفاة: صدَّهم.
(٦) ونى: فتر وتعبَ.
(٧) السَّنَوَّرُ: الدُّروع.
(٨) العِثْيَرُ: الغبارُ.
(٩) اللَّبَّاتُ: الأعناق.

٣١.واستســـقِ يـــا راجـــي نـــدا ـهُ سَـــحابَ راحتـــهِ الكَنَهْـــوَرْ[١٠]

٣٢.دُمْ يـــا «تقـــيَّ الدِّيـــنِ» طَـــلاً عـــاً لكـــلِّ عُـــلاً ومَفخَـــرْ

٣٣.والبَـــسْ مِـــنَ المَـــدْحِ المُفَـــوَّ فِ مـــا حكـــى الزَّهـــرَ المُنَـــوَّرْ

٣٤.فبقيتَ «يـــا ابـــنَ محمَّـــدٍ» تُرجَـــى لبـــذلِ نـــدىً وتُذْخَـــرْ

٣٥.في دولـــــةِ «تَقَويَّـــــةٍ» تُحمَـــى بســـيفِكَ ثُـــمَّ تُنْصَـــرْ

* * *

---

(١٠) الكنهور: الغزير.

(٢٢)

وقال، وقد أرسلَها تشريفاً في شهرِ رمضانَ: [المنسرح]

١. يـــا مَلِكـــاً جُـــودهُ لســـائلهِ قـــامَ مقـــامَ الغَمامـــةِ الغَدِقَـــهْ

٢. أمتعَكَ اللّـــهُ بالبقـــاءِ كمـــا جمعْـتَ بـينَ الصِّيـامِ والصَّدَقَـهْ

* * *

(٢٣)

وقال فيه: [السَّريع]

١. إنْ أظلمتْ فينا سماءُ العُلَى ... فآلُ «أيُّوبٍ» مَصابيحُها

٢. أو أُرتِجَتْ أبوابُ أرزاقِنا ... فكفُّ «محمودٍ» مفاتيحُها

(٢٤)

وقال فيه، وقد عادَ من سفرٍ: [المتقارب]

١. «أبا الفتح» عُدْتَ فعادَ الهناءُ ... وطابتْ «حَماةُ» وسُكَّانُها

٢. وأضْحَتْ بمالِكِها جنَّةً ... ومالكُها فهْوَ رِضوانُها[1]

٣. وقدْ باركَ اللَّهُ في بلدةٍ ... وفي أمَّةٍ أنتَ سُلطانُها

٤. ولمَّا نهضْتَ بها دولةً ... سَما قَدْرُها وعلا شانُها[2]

٥. وإنَّ العُلا أصبحتْ مُقلةً ... وأنتَ «ابنَ أيُّوبَ» إنسانُها

٦. وذكرُكَ فهْوَ غِذاءُ القلُوبِ ... وراحُ النَّدامَى ورَيحانُها

٧. ويومَ الفخارِ تخِرُّ الملوكُ ... لديكَ وتخضَعُ تيجانُها

٨. وكمْ مِنْ يدٍ لكَ مشكورةٍ ... عليَّ تَضاعفَ إحسانُها

---

(١) في البيت توريتان جميلتان، فقد قال: مالكُها بمعنى ملكها، ثمَّ ورَّى باسم «مالك» الذي هو خازن النار، ولكنَّ المالك هنا خازن الجنة التي هي حماة، وخازن الجنة هو رُضوان، فتكون الفذلكة الشعرية الجميلة بجنة مالكُها هو رضوانها.

(٢) شانُها: أصلُها: شأنُها، وخفَّف الهمزة للضرورة.

(٢٥)

وكتبَ إليه منْ مصرَ كتاباً، يدعو له فيه، ويمدحُه، ويصفُ فيه حماةَ:

[الطويل]

١. ضراعةُ عبدٍ لم يَحُلْ عن وفائهِ ... مُقيمٌ على إخلاصهِ وولائهِ

٢. يُواصلُ بالحمدِ الذي طابَ نَشْرُهُ ... ويُهدي إليكم صالحاً منْ دعائهِ

٣. كئيبٌ إذا هبَّتْ منَ الشَّام نفحةٌ ... قريبةُ عهدٍ آذَنتْ بشِفائهِ

٤. لهُ «بحماةٍ» صَبوةٌ وصَبابةٌ ... تُضافُ إلى المعهودِ منْ بُرَحائهِ

٥. يحنُّ إلى «النَّاعورتَيْنِ» لِغُلَّةٍ ... تَشُبُّ فيُطفيها بماءِ بكائهِ

٦. ويصبُو إلى «العاصي» لجوهرهِ الذي ... يلوحُ الصَّفا[1] منْ تحتهِ لصفائهِ

٧. و«بالجوسَقِ»[2] العالي المنيفِ له هوًى ... ومَيْلٌ إلى أوضاعهِ وبنائهِ

٨. ويشتاقُ منْ «تَلِّ البواشقِ» جَوَّهُ ... ويظما «لمرجِ الدِّيدبانِ» ومائهِ

٩. ويذكرُ «بالزَّاروبِ» عيشاً تصرَّمتْ ... لياليهِ في أرجائهِ وفِنائهِ

١٠. وما برحَ «السَّلسالُ» يهفو بلبِّهِ ... إذا ما تبدَّتْ أرضُه كسمائهِ

١١. وتُصبيهِ «بالميدانِ» أزهارُهُ التي ... نَوافحُها مفْضوضةٌ[3] في فضائهِ

١٢. ويا حبَّذا منْ «تَلِّ صَفْرونَ» مَنْزَلٌ ... ويا حُسْنَ مرآهُ وطيبِ هوائهِ

١٣. منازلُ إنْ تختَرْ لنفسِكَ مَنْزَهاً ... بهنَّ تُشاهِدْ مثْلَهُ بإزائهِ

---

(١) الصَّفا: هنا الحصى.

(٢) الناعورتان والعاصي والجوسق وتلُّ البواشق ومرج الدّيدبان والزَّاروب والسَّلسال والميدان وتل صفرون: أماكن في حماة كانت متنزّهات ومعالم بارزة في عصره.

(٣) مفضوضةٌ: منتشرة الرَّائحة. والنَّوافح: الرَّوائح.

١٤ .نعمتُ بها في نعمةِ «ابنِ محمَّدٍ» وأحببْتُها موصولةً بِحِبائهِ[٤]

١٥ .ومَنْ لي بأنْ ألقاهُ قبلَ مَنيَّتي وألاَّ يحولَ الدَّهرُ دونَ لقائهِ

١٦ .وأُبصِرَ منه طلْعةَ «تَقَويَّةً» تقومُ مقامَ البدرِ عندَ ضيائهِ

١٧ .أيا ربِّ زِدْ في عمرِ «مَحمودَ» بَسْطةً أيا ربِّ واجعلْ عُمْرَهُ في ابتدائهِ

---

(٤) الحباء: العطاء والرّعاية.

(٢٦)

وقال، وقد أنشدَه يومَ قدومه ديارَ مصرَ بعد العيدِ[1]: [الخفيف]

١. طالِــعٌ مُقْبِــلٌ ووقــتٌ ســعيدُ ... بِـتُّ أُبـدي فيـهِ الهَنـا وأُعيـدُ

٢. مَــرَّ عيــدٌ في أوَّلِ الشَّــهرِ للنَّــا ... سِ ووافَى في أوسَطِ الشَّهرِ عيدُ

٣. وبوجـهِ «المظَفَّـرِ» ابتهجـتْ «مصـ ... ـرُ» وتمَّـت لأهـلِ «مِصـرَ» السُّعودُ

٤. أيُّ وجــهِ للعـــالَمينَ برُؤيــا ... هُ هنـاءٌ بــاقٍ وعُمــرٌ جديــدُ

٥. إنَّ أسْــخَى الملــوكِ أبنــاءُ «أيُّــو ... بَ» وأسـخى ملوكِهِـمْ «محمـودُ»

٦. مَلِــكٌ تُذعِــنُ الكــرامُ لنُعمــا ... هُ وتعنــو لــه المُلــوكُ الصِّيْــدُ

٧. آلَ «أيُّــوبَ» أنتــمْ أَنْعُــمُ اللَّــ ... ـهِ التــي ظِلُّهـا علينـا مديـدُ

٨. فاسْـلَموا في سـعادةٍ ليـسَ تفنَـى ... ثُـمَّ دومـوا في نعمـةٍ لا تَبيـدُ

---

(١) انظر تعليقنا لاحقاً على القصيدة (١٦٢).

(٢٧)

وقال، يمدحُه، وأنشدَها بالقاهرةِ في الكَبشِ[1]: [المتقارب]

١. شَجاهُ الحَمامُ وتَغريدُهُ ... وقدْ طَعنتْ «بِاللِّوى» غِيدُهُ

٢. وحدَّثَهُ البرقُ ما هاجَهُ ... فزادَ بُكاهُ وتسْهيدُهُ

٣. فتىً واكفُ الدَّمعِ مُهراقُهُ ... ومُخْتَبَلُ القلبِ معمودُهُ

٤. وأهيفَ ما للقنا قَدُّهُ ... ولا لمهاةِ[2] النَّقا جيدُهُ

٥. تهزُّ المُدامةُ أعطافَهُ ... كما اهتزَّ للبانِ أُمْلُودُهُ

٦. بطرفٍ يشوقُكَ تفتيرُهُ ... وخَدٍّ يروقُكَ توريدُهُ

٧. غزالٌ مُبيدٌ لعُشّاقهِ ... وبينَ قُلوبِهِمُ بِيْدُهُ

٨. شكوتُ فما رقَّ لي قلبُهُ ... ولا لانَ في الحُبِّ جُلمودُهُ[3]

٩. ولو عادَ بالوصلِ بعدَ الصُّدودِ ... لعادَ لعاشقهِ[4] عيدَهُ

١٠. وكيفَ النَّجاةُ لعُشّاقهِ ... إذا جَرَّدتْ[5] بِيْضَها سُودُهُ؟

* * *

---

(١) الكبش: قلعة على النيل بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب، ووسَّعها الملك الناصر قلاوون.

(٢) المهاة: الظَّبية، وتُشبَّه بها المرأة الجميلة العنق والواسعة العينين، والنَّقا: كثيب الرَّمل.

(٣) الجلمود: الصَّخر، يُشير إلى قسوة قلب الحبيب.

(٤) في (ب): «لعُشّاقه»، والصَّواب ما في الأصل.

(٥) في (ب): «حرمتَ» تحريف.

١١.تفَـــردَ بالحُسْـــنِ فينـــا كمـــا	تفـــرَّدَ بـــالجُودِ «مَحمـــودُهُ»
١٢.مَليـــكٌ عـــلا مجـــدُهُ وارتقَـــى	بِنـــاءُ عُـــلاهُ وتَشـــييدُهُ
١٣.أنـــافَ علـــى «مـــالكٍ» بأسُـــه	وأربـــى علـــى «حـــاتمٍ» جُـــودُهُ[٦]
١٤.إذا راحَ بـــابُ الغِنَـــى مُغْلقـــاً	ففـــي راحتيـــهِ مقـــاليدُهُ[٧]
١٥.ولـــو مـــسَّ مِـــنْ جَـــدِّهِ[٨] ذاويـــاً[٩]	لأورقَ في كفِّـــهِ عُـــودُهُ
١٦.بسـيفِ «المُظَفَّـرِ» عـزَّ الهُـدى	ولاحَ علـــى الدِّيـــنِ تـــأييدُهُ
١٧.شُـــجاعُ الحـــروبِ ومِقدامُهـــا	وليـــثُ اللِّقـــاءِ وصِنديـــدُهُ
١٨.يكُـــرُّ إذا ازدحـــمَ الدَّارِعُـــونَ	وقـــد فـــرَّ للخـــوفِ رِعْديـــدُهُ[١٠]
١٩.بسـيفٍ يُفصِّـلُ سَـرْدَ الحديـدِ	وإنْ أحكَـــمَ السَّـــرْدَ داوودُهُ[١١]
٢٠.بأبنـــاءِ «أيُّـــوبَ» طـــابَ الثَّنـــاءُ	وفـــاحَ بذكرِهُـــمُ عُـــودُهُ
٢١.مُلوكٌ هُـــمُ كرمـــاءُ الزَّمـــانِ	وفرســـانُه وصنـــاديدُهُ

---

(٦) مالك هو ملاعبُ الأسنَّة، وحاتم: هو حاتم الطَّائيُّ.

(٧) المقاليد: المفاتيح.

(٨) الجَدُّ: الحظُّ واليُمْنُ.

(٩) الذَّاوي: الذَّابل واليابس.

(١٠) الرِّعديد: الجبان.

(١١) السَّرْدُ: الثَّقبُ، وقيل: السَّردُ: السَّمْرُ، وقيل: الحَلَقُ، والسَّردُ هنا بمعنى المسرودة، وهي الدِّرعُ المثقوبة، ونسبها لداود النَّبيّ عليه السَّلام لأنَّ اللَّه تعالى ألانَ له الحديدَ. قال تعالى: ﴿ولقد آتينا داودَ منَّا فضلاً يا جبالُ أوِّبي معَه والطَّيرَ وألنَّا له الحديد، أن اعمَل سابغات وقدِّر في السَّرد [سبأ؛ ١٠ و١١]﴾. والسَّابغات: الدُّروعُ، وقوله تعالى وقدّر في السَّرد: لا تدقّق المسامير وتوسّع الحلقة فتقسى، ولا تغلظ المسامير وتضيق الحلق فينقصم. انظر اللسان (سرد). والعزازي يكّرر الصُّورة. انظر ما سبق.

٢٢.أيـــا ملِكـــاً شُــكْرُهُ واجــبٌ | علـــى العـــالمينَ وتمجيـــدُهُ
٢٣.بقيــــتَ لمَـــنْ زادَ توفيقُـــهُ | بمـــدحِ عُـــلاكَ وتسْـــديدُهُ
٢٤.ولــــيٌّ بَقـــاؤُكَ مأمولُـــه | وعبـــدٌ حيـــاتُكَ مَقصـــودُهُ

(٢٨)

وقالَ يمدحُه، وأنشدَها بمدينةِ حماةَ المحروسة: [المنسرح]

١. لَحظُ الـذي في حُشاشـتي فَتَكـا ... للَّـهِ كـم سِـتْرِ عاشـقٍ هتَكـا

٢. أمـيرُ حُسْـنٍ لـم يُـدرِ نـاظرُهُ ... أيَّ دمٍ في هـواهُ قـدْ سـفَكا

٣. فحاجبـاهُ علـى دمـي اتَّفقـا ... وعارضـاه[1] في قتْلـيَ اشـتركا

٤. قدْ نصبَـتْ هُدْبَهـا لواحظُـهُ ... حِبالـةً للقلـوبِ أو شَـركا

٥. يَقْتلُ عُشـاقَه بـلا سَـببٍ ... ولـمْ يخَـفْ في دِمـائِهمْ دركـا

٦. يـا مَـنْ لصَـبٌ تـرِقُّ عُـوَّدُهُ ... لـهُ إذا أنَّ في الدُّجـى وشَـكا

٧. قـد تـركَ السُّقْمُ منـهُ مهْجتَـهُ ... ثُـمَّ انثنـى آخـذاً لمـا تركـا

٨. وأقسـمَ الطَّيـفُ لا يُلِـمُّ بـهِ ... ولـو رأى الطَّيـفُ حالَـه لبَكـى

٩. صـاحِ أدِرْهـا علـيَّ صافيـةً ... كأنَّهـا عسـجدٌ إذا سُـبكا

١٠. مُدامـةٌ صَيدُهـا العقـولُ إذا ... مـدَّ عليهـا حَبابُهـا شَـبَكا

١١. أمـا تـرى مدمـعَ الغمـامِ قـدِ ارْ ... فضَّ[2] وثغرَ الرَّبيعِ قد ضَحِكا؟

* * *

١٢. فـانْتهزِ العيـشَ في حمـى مَلِـكٍ ... كـم وهـبَ السَّائلينَ مـا مَلَكـا

١٣. للَّـهِ «محمـودُ» مـا أتمَّ نـدىً ... مَحْضـاً وأوفـى فضيلـةً وذَكـا[3]

١٤. جوهـرةٌ رقَّ ماؤُهـا وصفـا ... ودوحـةٌ طـابَ أصلُهـا وزكـا

---

(١) العارضان: صفحتا الخدّين.

(٢) ارفضَّ: سال وانسكب.

(٣) أصلُها: وذكاء، وقصر المدّ للضرورة.

١٥. سَلْ عنهُ بِيْضَ الظُّبا إذا اصطدَمتْ فُرسانُها والقنا إذا اشتبَكا

١٦. قدْ أدركَ الحلْمَ يافعاً وشَأى[٤] أهلَ النُّهى يافِعاً ومُحْتَنِكا[٥]

١٧. ما زالَ في المكْرماتِ مُهتدياً أيَّ طريقٍ إلى العُلا سَلَكا

١٨. فريضةُ الجودِ ما أخلَّ بِها وحرمةُ الوُدِّ قطُّ ما انتَهكَا[٦]

١٩. مِنْ أُسرةٍ شَرُفتْ أَسِرَّتُهمْ في الخَطْبِ حتَّى أضاءتِ الحلَكا[٧]

٢٠. شُموسُ دِينٍ أقمارُ مملكةٍ أضحتْ سَماءُ العُلَى لهمْ فلَكا

---

(٤) شأى: سبق.

(٥) المحتنك: المجرَّب صاحب الخبرة.

(٦) في (ب): «ما انهتكا».

(٧) الحلك: السَّواد.

(٢٩)

وحضرَ في مجلسهِ الأميرُ فضلُ بنُ عيسَى[1]، وكانَ امتنعَ منَ الشَّرابِ، فقال: [المجتث]

١. حاشاكَ تسلو الكُؤوسَا	أو تهجرَ الخَندريسا
٢. وأنتَ زَيْنُ النَّدامى	يا «فضلُ» يا نجلَ «عيسَى»

---

(١) الأمير فضلُ بن عيسى شقيق الأمير حسام الدين مهنًّا بن عيسى بن مانع بن حديثة أمير العرب. وهما ابنا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من ربيعة كان أميراً على العرب خيّراً ديّناً، صلحت العرب في أيّامه وقلّ فسادهم مع لينه وحسن سياسته، وقد توفي هذا الأمير في جمادى الأولى سنة ٦٨٣، فأقر المنصور ابنه حسام الدين في مكانه. وقد قبض السلطان على الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وولده موسى وأخويه محمد و فضل واعتقلهم بقلعة الجبل سنة ٦٩٢، وولّى الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة إمرة العرب عوضاً عنه، انظر تذكرة النبيه؛ ١/ ٩٠ و١٦٠، وانظر في آل فضل: المنهل الصَّافي؛ ٢/ ٢٢٥.

(٣٠)

وأرسلَ إليهِ منَ القاهرةِ هذهِ الأبياتَ في صدرِ كتابٍ: [مجزوء الرَّمل]

١. هاجَــــهُ الشَّـــوقُ فــــأظهَرْ	في الهَـوى مــا كــانَ أضمَــرْ
٢. مُســـتهامٌ ترقُـــدُ العُـــذّا	لُ في الحُـــبِّ ويَسْـــهَرْ
٣. ذكَـــرَ الــدّارَ وقَــدْ حُــقَّ	لــــهُ أنْ يتذكَّـــرْ
٤. ولكـــمْ قَـــدْ ســـفَحَ الدَّمْــ	ــعَ علــى سَــفْحِ «مُحَجَّــرْ»[1]
٥. خُــذْ حديــثَ الحُسْــنِ عــنْ صــا	حِبــةِ الثَّغْـــرِ المُؤَشَّـــرْ[2]
٦. وارْوِ عنِّـــي الوجـــدَ إنِّـــي	بحديـــثِ الوجـــدِ أخْـــبَرْ

* * *

٧. وانقــلِ الجَــودَ عــنِ السَّيِّــ	ــلِ عــنِ الغيــثِ الكَنَهْــوَرْ
٨. عــنْ «تقــيِّ الدِّيــنِ» «محمــو	دٍ» «أبــي الفتــحِ» «المُظَفَّـــرْ»

---

(١) محجَّر: مواضع عدَّة، منها في أقبال الحجاز، وجبل في ديار طيّء ذكره طفيل الغنوي في شعره، وجبل في ديار يربوع، وقرنٌ في أسفله جَرعةٌ بيضاء في ديار أبي بكر بن كلاب، وجُبيل في ديار نمير، وجبل لبني وَبْر ذكره بشر بن أبي خازم وزيد الخيل الطائي في شعرهما. وقال الحفصيُّ: محجَّرٌ قريةٌ في وادي اليمامة، قال يحي بن أبي حفصة:

حيِّ المحجَّـر ذاتَ الحـاضرِ البـادي وانعمْ صباحاً سُقيتَ الغيثَ من وادِ

واستخدمها الأعزازي مجازاً. انظر معجم البلدان (محجر). وسفحَ الدَّمعَ: سكبه.

(٢) الثَّغر المؤشَّرُ: الذي تكون الأسنان فيه محزَّزةً حديدة الأطراف، وهو يُستملحُ، وقد يكون خلقةً ومستعملاً، وفي الحديث نهيٌ عن التأشير الاصطناعي. اللسان (أشر).

(٣١)

وقال، يمدحُ الملكَ الأفضلَ نورَ الدّينِ عليّ ويُهنّئُه بالعامِ الجديدِ: [الطويل]

١. هُو الرَّبْـعُ مِنْ «عَلَوى»[1] فهلْ أنتَ نازِلُهْ ... لتُروى بسُقيا الدمْعِ منكَ منازِلُهْ؟

٢. مَحَلٌّ عفـتْ آياتُـهُ ورسُـومُهُ ... وقدْ صوَّحتْ باناتُـهُ وخمائِلُـهْ

٣. وقفْنا نبُثُّ الشَّوقَ عندَ دُخولِـهِ ... ولا قلْبَ إلاَّ حُبُّ «علوةَ» داخلُـهْ

٤. نُسائِلُه عَـنْ ساكنيهِ تَعلُّـلاً ... وأنَّى يجيبُ الرَّبْعُ عمَّنْ نسائِلُهْ؟

٥. يحقٌّ لأهلِ الحبِّ يَستكثروا البُكا ... غداةَ استقلَّتْ للرَّحيلِ محامِلُـهْ

٦. أفي كُلِّ يومٍ تَبْتَليها يدُ النَّوى ... بفقدِ خليلٍ أو خليطٍ تُزايِلُـهْ[2]؟

٧. كأنَّ لها عندَ المُحبيِّـنَ في الهوى ... دُيوناً تقاضاها وثأراً تُحاولُـهْ

٨. ودونَ «الكثيبِ»[3] الفردِ جُؤْذَرُ رملةٍ ... مليحُ التَّثنّي مائِدٌ[4] القدُّ مائلُهْ

٩. هِلالُ سماءٍ راقَ في الطَّرْفِ حسنُهُ ... وفي القلبِ تمَّتْ واستهلَّتْ منازِلُهْ[5]

١٠. يُكلِّفُـهُ عنـدَ التَّثنّـي وشاحُهُ ... وتُثْقِلُه عندَ النُّهوضِ غلائِلُـهْ[6]

---

(١) علوى وعلوة اسمٌ من الأسماء التي يستخدمها المتصوفون والعُشَّاق كمي ولمياء وليلى وسُلمى، وكلٌّ يُغنّي على ليلاه.

(٢) الخليط: القوم المجاورون، وتُزايلُه: تفارقه وترحل عنه.

(٣) الكثيب: اسمٌ لأماكن كثيرة. انظر معجم البلدان (الكثيب).

(٤) المائد والمائل بمعنى، وهو المتثنّي لطوله ورقَّته ولينه.

(٥) منازل الهلال ثمانيةٌ وعشرون من بينها الطَّرف والقلب، فيكون قد ورَّى في البيت في مكانين.

(٦) ورد هذا البيت والبيت الذي قبله في أعلى الصفحة (٤٨)، وباقي الصفحة بياض يبدو أنَّ أمراً ما أذهبَ الحبر، فسقطت بقية أبيات القصيدة، وكتب تحت هذا البيت في (ب): «بياضٌ في الأصل». وقد سقط قسم المدح من القصيدة للأسف.

(٣٢)

[وقالَ يمدحُ الملك الأفضل][(١)]: الكامل]......................[(٢)]:

---

(١) زيادة من عندي، والأبيات كما هو واضح من قصيدة في مدح الملك الأفضل، ذهب أوّلها، كما ذهب آخر التي قبلها.

(٢) في أعلى الصفحة كتابات شعرية بخطّ مغاير، وهي غير مفهومة، ولا أظنّ أنها للعزازيّ، ويبدو أن أحد القُرّاء تصفّح المخطوطة بعد طمس الورقة. فكتب ما عنّ له من أبيات لم أهتد لقائلها. وبقي ثلاثة أبيات في أسفل الصفحة هي الأبيات الثلاثة الأولى المثبتة هنا من الأبيات الثمانية الباقية من هذه القصيدة. وأمّا الكتابات التي بخطٍّ آخر، فقد بذلنا جهداً كبيراً في قراءتها، ولم نوفّ تماماً إلى ذلك، وها نحن نثبتها في الحاشية كما وردت: قوله:

إلى اللّه أشكو ما يُقاسي فُؤاديا ... فقدتُ عزاءً مذ فقدتُ نهاريا

فأنشدتُ كي تدري بلطف مراديا: ... أراميتي رُدّي إليَّ رقاديا

فنومي لقد شرَّدته عن وساديا

فإنّي وأيمِ اللّه أصدقَ وامق ... بحبِّك منصور وخير موافق

وإنّي بحبلِ الوصلِ أكبرُ واثق ... أما تتّقينَ اللّهَ في بعدِ عاشق

أماتَ الكرى منه وأحيا اللّياليا؟

أيا جنّةَ المشتاق هل لي بدخلة ... أداوي بها من عِرْقِ قلبي المفتّت؟

وأطفي بها ناراً تلظّتْ وشبّت ... رعاك إلهي إن رعيت مشتّتي

وصوني معنّى للجفون السّواهيا

غيرُه:

كتمتُ الهوى والنّارُ حشو ألضالعي ... فصمّتْ عن العُذّال فيك مسامعي

وصبري عصاني والبكاء مطاوعي ... وقد أصبحتْ رُسْلي إليكِ مدامعي

وألسنةُ الشَّكوى إليك سكوتُ .

وحقِّك لم يخطرْ سواك بخاطري ولو قُطِّعتْ بالهجرِ فيك مرائري

أساءَك مني حاكمٌ بسرائري فباللَّه قولي لي : متى أنتَ زائري

أراكَ بعيني برهةً وأموتُ؟

عسى لحظةٌ بالوصلِ منك تكرُّما لتحيي زماناً بالصَّبابة مغرما

فكم يا مناي أمزجُ الدَّمعَ بالدِّما وقد صرتُ ظمآنَ الفُؤادِ متيَّما

إلى قلعة الآمال فيك رُقيتُ

الجواب :

لَمَّا رأتْ وصلَ الحبيبِ تصرَّما وفؤادها من أجلِ ذاكَ تألَّما

ناحت وأجرتْ من دموعٍ عَندما خلعت هياكلَها بجرعاءِ الحمى

وصَبتْ لمغناهُ القديمِ تَشوُّقا

نظرتْ إلى الأحباب تشكو فراقَها وتبثُّ مشتاقَ الجوى أشواقَها

والرَّكبُ قد جدَّ المسيرَ فعاقها فتلفَّتت نحوَ الدِّيار فشاقها

حبٌّ عفتْ آثارُه فتفرَّقا

زادتْ بها الأشجان ممَّا أصابها وتذكَّرت جمعاً حوى أحبابَها

وترنَّمتْ شغفاً وكان خطابَها وقفتْ مسائلةً فردَّ جوابَها

رجْعُ الصَّدى أن لا سبيلَ إلى اللُّقا

من سمعها ذاك الجوابَ وسلبها ضاقت عليها الأرض أو قطعت بها

حارت وقد صارت فقيدةَ لبِّها فبكتْ لما بالحال ما في قلبها

أسفاً على زمنٍ مضى وتفرَّقا

أضغاثُ أحلامٍ مضتْ ولطالما ذكرتْ زماناً بالدِّيار تصرما

أضحتْ تودُّ رجوعَه كي تغنما فكأنَّه برقٌ تبرَّق بالحمى

ثمَّ انطوى فكأنَّه ما أبرقا

١. بـأبي «علـيٌّ» والرِّمـاحُ شَـواجِرٌ والبِيْضُ تَمضي والمذاكي[1] تَصهَلُ

٢. والضَّربُ في الهاماتِ ضربٌ أهرتٌ[2] والطَّعنُ في اللَّبَّاتِ طعنٌ أنجلُ[3]

٣. «لابنِ المظَفَّرِ» أَنْعُمٌ بثنائِها ويشُكرِها ظَهرُ القَواِ في مُثْقَلُ

٤. وخلائِقٌ معسولةٌ فكأنَّها لصفاءِ جوهرِها الرَّحيقُ السَّلْسَلُ

٥. ما عنْ مواهبِهِ حجابٌ قاطعٌ أملَ العُفاةِ ولا رِتاجٌ[4] مُقْفَلُ

٦. أبني «تقيِّ الدِّينِ» نِلتُمْ رُتبةً مِنْ دونِ غايتِها السِّماكُ الأعزلُ[5]

٧. فإليكمُ يُعزَى الفخارُ وعنكمُ تُروى أحاديثُ السَّماحِ وتُنقَلُ

٨. طابَ الثَّناءُ بذكرِكُمْ فكأنَّما فُتِقَ الكَباءُ بهِ وفاحَ المَندلُ[6]

قولُه:

أترضى أن تبيتَ وجفنُ عيني سقيمٌ بالسُّهادِ إلى الصَّباحِ؟

وفجري ضاعَ ما بينَ اللَّيالي وهجرُكَ طالَ من غيرِ ارتياحِ؟

لعمرُكَ كلُّ ذا من سوءِ حظِّي وإلاَّ ذاكَ عاداتُ المِلاحِ

فمهما شئتَ لي يا نورَ عيني فإنِّي من غرامِكَ غيرُ صاحِ

أرى حالي فقدتُ وجودَ صبري مدى الأزمانِ خالي عن براحِ

وقلبٌ من صدودِكَ غيرُ باقٍ على حالٍ يُؤدِّي للصَّلاحِ

(١) المذاكي: الخيلُ التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، وواحدها: المُذكِّي. وتمضي: تقطع. ومضاء السَّيف: شدَّة قطعه.

(٢) الضَّربُ الأهرتُ: الواسع، وهرتَ الثوبَ شقَّه.

(٣) الطَّعنُ الأنجلُ: الواسع البيِّن كالأهرت، والضَّرب بالسَّيف والطَّعن بالرمح.

(٤) الرِّتاج: الباب العظيم، أو الباب المغلق.

(٥) السِّماك الأعزلُ: أحد نجمين ثانيهما السِّماكُ الرَّامح.

(٦) الكباء والمندل من أشجار الطِّيب.

(٣٣)

وقال، يمدحُه بمدينةِ حماةَ: [المتدارك]

١. قدْ طـــالَ وقُوفُـــكَ في الطَّلَـــلِ ... مِـــنْ بعـــدِ مفارقَـــةِ الكِلَـــلِ

٢. ســـاروا ســـحَراً وسُـــتورُهُمُ ... تُحمَـــى بـــالبِيْضِ وبالأسَـــلِ[1]

٣. مـــا ضـــرَّ حُـــداةَ ركـــائبِهِمْ ... لـــو ســـاقُوا الظُّعْـــنَ علـــى مَهَـــلِ

٤. فـــابكِ «الأَثَـــلاتِ» بِمُنْهَمِـــرٍ ... كـــدِرِ العَـــبَراتِ ومُنْهَمِـــلِ

٥. وافكُـــكْ كبِـــداً لـــكَ مُوْثقَـــةً ... في أسْـــرِ هـــوى الحـــدَقِ النُّجُـــلِ

٦. يـــا مَـــنْ عَذلُـــوا في حبِّهِـــمُ ... كُفُّـــوا فَنَـــدي[2] ودَعُـــوا عَذَلـــي

٧. عـــن عذلِكُـــمُ وملامِكُـــمُ ... أَنـــا في شُـــغُلٍ أنـــا في شُـــغُلِ

٨. أحبـــابي مـــا لعُهودِكُـــمُ ... حـــالتْ وعُهـــودي لـــم تَحُـــلِ؟

٩. أحبـــابي جُـــرحُ صُدودِكـــمُ ... في قلبـــي ليـــسَ بِمُنْدَمِـــلِ[3]

١٠. مُنُّـــوا بـــالعَطفِ علـــى كَلِـــفٍ ... لـــم يَثْـــنِ هـــواهُ إلـــى بَـــدَلِ

١١. حتَّـــامَ تُكـــابدُ ضائقـــةً ... للفقـــرِ وتقنَـــعُ بالوشَـــلِ[4]؟

١٢. والغُـــدْرُ[5] حِيـــالَكَ مُترعَـــةٌ ... والأرضُ فواســـعةُ السُّـــبُلِ[6]؟

---

(١) الأسل: الرماح.

(٢) الفند: العذلُ واللَّوم.

(٣) اندملَ الجرحُ: شُفي.

(٤) عجزه في (ب): «للفقر تقنع والوشل»، وليس بشيء. والوشَلُ: القليل.

(٥) الغُدُرُ بتحريك الدَّال جمع غدير، وسكَّنها للضرورة.

(٦) في (ب): «السّهل» تحريف.

١٣. فاقطعْ أكَماتِ البيْدِ سُرَى ... بالوخْدِ على شُعَبِ الإبِلِ

* * *

١٤. وأنِخْ إنْ شئتَ حمىً وذَرا[٧] ... بـ«لأفضلِ نُورِ الدِّينِ علي»

١٥. مَلِكٌ كمْ أدركَ مِنْ أمدٍ ... للمجدِ وحقَّقَ مِنْ أملِ

١٦. مَلِكٌ كم طوَّقَ نائِلُه ... جِيْداً قدْ مَلَّ منَ العَطَلِ[٨]

١٧. أمُحارِبَهُ واللَّهِ لقَدْ ... عَرَّضتَ بنفسِكَ للأجَلِ

١٨. ومُسالِمَهُ نَمْ في دَعةٍ ... مِنْ نائبةٍ أو مِنْ وَجَلِ

١٩. طابتْ في الجُودِ مَوارِدُهُ ... وصفَتْ للعَلِّ وللنَّهَلِ

٢٠. وحلتْ في السَّمعِ مدائحُه ... فحكتْ ما رقَّ مِنَ الغزَلِ

٢١. وطوَتْهُ يدُ الإحسانِ على ... خُلُقٍ سهْلٍ وعلى نُبُلِ

٢٢. شادَ «ابنُ تَقيِّ الدِّينِ» عُلاً ... يَنحطُّ لها شرَفُ الحَمَلِ[٩]

٢٣. يهتزُّ لنغمةِ سائلهِ ... ولمادحِهِ هزَّ الثَّمِلِ

٢٤. وتَضوعُ خلائقُه كصَباً ... حملَتْ أرَجَ الزَّهْرِ الخضِلِ

٢٥. أبني «أيُّوبَ» لدولتِكمْ ... فَضْلٌ قد زادَ على الدُّوَلِ

٢٦. ولِعِطْفِ المُلْكِ بعدلكِمُ ... طرَبُ المُرتاحِ منَ الجذَلِ

٢٧. وأرى الدُّنيا بمحاسِنكمْ ... تَختالُ وترفُلُ في حُلَلِ

٢٨. فاللَّهُ يُخلِّدُ مُلْكَكُمُ ... ويُبلِّغُكم فوقَ الأمَلِ

---

(٧) الذَّرى بفتح الذَّال: الكنف والملجأ.

(٨) العطَلُ: خلوُّه من الحليِّ.

(٩) الحملُ: البرجُ الأوَّلُ منَ البروج الاثني عشر.

(٣٤)

وقالَ، يمدحُه يومَ قدومه إلى القاهرةِ: [الخفيف]

١. مَرحبـاً منـكَ بالجَنـابِ الرَّحيـبِ	مرحبـاً منـكَ بالمُطـاعِ المَهيـبِ
٢. مرحبـاً منـكَ بـالعزيزِ المُفـدَّى	مرحبـاً منـكَ بـالكريمِ الطَّـروبِ
٣. زرتَ «مصراً» فأشرقتْ بكَ «مِصْرٌ»	واكتستْ رونقَ الزَّمانِ الخصيبِ
٤. زَورةٌ جـدَّدتْ سـروراً لقلبـي	وأجـدَّتْ مَسـرَّةً للقُلـوبِ
٥. واجتلَى النَّاسُ منكَ وجهاً جميلاً	كـاجتلاءِ المُحـبِّ وجـهَ الحبيـبِ
٦. أنتَ غَيـثٌ لكـلِّ أرضٍ جمـادٍ	وربيـعٌ فِي كـلِّ عـامٍ جديـبِ
٧. إنْ يَغِـبْ وجهُـكَ المُبـارَكُ عنَّـا	فأيـاديكَ مـا لهـا مِـنْ مغيـبِ
٨. يـا أجـلَّ الملـوكِ مِـنْ آلِ «شـاذي»	والصَّنـاديدِ مِـنْ بنـي «أيُّـوبِ»
٩. إنَّ بـي مِـنْ فِـراقِ وجهـكَ تبريـ	ـحَ المُعنَّـى وأنَّـةَ المكـروبِ
١٠. وأرى الشَّـوقَ نـالَ منِّـيَ حتَّـى	شابَ فَوْدي[1] ولاتَ حينَ مَشيبِ
١١. طِبْتُـمُ يـا «بنـي المُظفَّـرِ» ذكـراً	فغنيتُـمْ بـالذِّكْرِ عـنْ كـلِّ طِيـبِ
١٢. ولبِسـتُمْ مِـنَ المحاسِـنِ درْعـاً	فَوَقَتْكُـمْ سِـهامَ كُـلِّ العيـوبِ[2]
١٣. كـمْ لكـمْ فِي الـورى صنـائعَ بِـرٍّ	أعجـزتْ كُـلَّ شـاعرٍ وخطيـبِ
١٤. فاسلَموا مِنْ نوائبِ الدَّهرِ وابْقَوا	فِي أَمـانٍ مِـنْ حادثـاتِ الخُطـوبِ

---

(١) الفَودُ: جانبُ الرَّأس، وهما فودان.

(٢) ورد البيت مختلا في الأصل:

ولبسـتم مـن المحاسـنِ أدرا عـا فوقتكـم سـهامَ العيـوبِ

والصواب من (ب).

(٣٥)

وقال يمدحُه، وأنشدَها بحماةَ المحروسة، حرسَها اللَّهُ: [المنسرح]

١. لو قيلَ: مَنْ أكرمُ الورى شِيَماً ... قُلتُ: «عليٌّ» سليلُ «محمودِ»

٢. المَلِكُ «الأفضلُ» الذي يدُهُ ... مخلوقةٌ للسَّماحِ والجُودِ

٣. وابنُ الملوكِ الذينَ ذكْرُهمُ ... أذْكى مِنَ المندليِّ والعُودِ[1]

٤. ساداتِ «أيُّوبَ» والغطارفِ مِنْ ... آلِ «شَهنشاهَ» والصَّناديدِ

٥. كمْ بَيَّضُوا وجهَ كلِّ مكرمةٍ ... لا سِيَّما في النَّوائبِ السُّودِ

٦. خُصُّوا مِنَ اللَّهِ في حروبِهِمُ ... بِحُسْنِ صبرٍ وحُسْنِ تأييدِ

٧. بنى «عليٌّ» لقومِهِ رُتَباً ... ذاتَ عُلُوٍّ وذاتَ تَشْييدِ

٨. يَغشَى الوغَى والرِّماحُ شاجرةٌ ... والضَّربُ في الهامِ كالأخاديدِ

٩. في مأزقٍ يثبُتُ الكميُّ بهِ ... وينَثني عنهُ كلُّ رِعديدِ

١٠. لا يمنعُ الفارسَ المدجَّجَ مِنْ ... سَيفِ «عليٍّ» دروعُ «داوودِ»

١١. لولاكُمُ يا «بني المظفَّرِ» ما ... جمعْتُ بينَ المطيِّ والبِيْدِ

١٢. ولا شقَقْتُ الدُّجى على مَتْنِ هَوْ ... جاءَ مِنَ الأرحبيَّةِ القُودِ[2]

١٣. يا ديَمَ المكرماتِ بل يا جبا ... لَ الحلْمِ بل يا معادنَ الجُودِ

١٤. أكرمُ ـ واللَّهِ ـ مِنْ «عَليكُمُ» ... ما حملَتْ حُرَّةٌ بمولودِ

١٥. فابْقَوا ودُوموا في نعمةٍ حَسُنَتْ ... بكمْ وظِلٌّ للَّهِ ممدودِ

١٦. لا قلَّصَ اللَّهُ ظِلَّ مُلْكِكُمُ[3] ... ولا رمَى شملَكُمْ بتبديدِ

---

(١) المندليُّ والعودُ: من أشجار الطّيب والرّائحة الذّكيَّة.

(٢) الهوجاءُ من النُّوق: التي كأنَّ بها هوجاً لسرعتها. والقَوداءُ: الطويلة العنق والظهر والأرحبيَّة: نوعٌ من النُّوق يُقال: إنها تُنسبُ لبطنٍ من همدان اسمهم بنو أرحب.

(٣) كتبها «نعمتكمْ» ثم كتبَ فوقها «ملككم» فأثبتناها كذا، وهي في (ب) كما أثبتنا.

(٣٦)

وبعثَ إليه يوماً، وهو بحماةَ باميةً طبخَ يدِهِ، فكتبَ إليه هذهِ الأبياتَ:

[مجزوء الرَّجز]

١. أرسلْتَها سِرّاً فكا	نَ شُكرُها علانيَهْ
٢. زِبديَّةٌ[1] واحدةٌ	قدْ أشبعتْ ثمانِيَهْ
٣. باميَةٌ صُنْعُ يدٍ	للمكرماتِ بانيَهْ
٤. لها شذى رائحةٍ	فائحةٍ في الآنيَهْ
٥. جاءتْ وعندي عُصْبَةٌ	كأنَّها زبانيَهْ
٦. يقولُ كلٌّ ولَهُ	عينٌ إليها رانيَهْ:
٧. يا ليلةَ الوصلِ بها	هَلاَّ رَجعتِ ثانيَهْ

---

(١) زبديَّةٌ: جمعها زبادي، وهي صفحةٌ من خزف.

(٣٧)

وقال يمدحُه، ويذكرُ قدومَه إلى القاهرةِ، وركوبَ السُّلطانِ الملكِ المنصورِ[1] إلى لقائه في عسكرِه، وما أفاضَ عليهِ من الخِلَعِ وغيرِها: [الكامل]

١. أقبِلْ فجدُّكَ صاعدٌ إقبالُه ... واسألْ فمثلُكَ لا يُرَدُّ سُؤالُهُ

٢. مَنْ لم يُخَيِّبْ في الحوائجِ آملاً ... أتَخيبُ في حاجاتهِ آمالُهُ؟

٣. أنتَ الذي لو أمَّ باباً مُرْتجاً ... لتفتَّحتْ مِنْ يُمنهِ أقفالُهُ

٤. يا قادماً قدْ عَمَّ «مِصراً» «نيلُها» ... بقدومهِ والعالمينَ نوالُهُ

٥. ومُواصِلاً في يقظةٍ وبُودِّنا ... لو زارَ في الأحلامِ منهُ خيالُهُ

٦. للَّهِ عصرٌ أنتَ فيهِ فقدْ حكتْ ... أسحارَهُ في طِيبِها آصالُهُ

٧. فكأنَّ يوماً عُدتَ فيهِ سالماً ... عِيدٌ ووجهُكَ للعيُونِ هلالُهُ

٨. وبلغتَ مِنْ مُلْكِ البسيطةِ منزلاً ... ما نالَهُ أحدٌ وليسَ ينالُهُ

٩. وافيتَهُ[2] مِنْ فوقِ أجردَ سابحٍ[3] ... ما ضاقَ في يومِ الطِّرادِ مجالُهُ

---

(١) الملك المنصور. هو السُّلطان سيف الدّين مظفَّر قلاوون الصَّالحي ولي أمر الملك بالدِّيار المصرية والبلاد الشَّامية وما مع ذلكَ من النواحي الإسلامية في رجب سنة ٦٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٨٩هـ. فخلفه ابنه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل. وقد أسس الملك المنصور بيت أسرة قلاوون التي استمر في الحكم أكثر من مائة عام. انظر: تذكرة النبيه؛ ١/ ٤٨ و١٣٥، السلوك؛ ١/ ٦٥٦، النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٨٨، فوات الوفيات؛ ٣/ ٢٠٣، وشذرات الذهب؛ ٦/ ٧٤، والعبر؛ ٥/ ٣٦٣، وكنز الدرر؛ ٨/ ٣٠١.

(٢) في (ب): «ووافيته»، وزيادة الواو تخلّ بالوزن.

(٣) الأجردُ السَّابح: الجوادُ السَّريع.

١٠ .فحبــاكَ تكرمــةً وزادك رفعــةً حتَّــى تــلا إكرامَــه إجلالُــهُ
١١ .ودنـوتَ منـه فصـافحتْكَ يمينُـه شـوقاً إليـكَ وعـانقتْكَ شـمالُه
١٢ .شـافهتَهُ سِـرّاً فـأقبلَ مُصْغيـاً يَثْنـي عليـكَ فسـرَّنا إقبالُـهُ
١٣ .والجيـشُ ممتـدٌّ إليـكَ عيونُـهُ والنَّجْـحُ ممـدودٌ عليـكَ ظلالُـهُ
١٤ .ورجعـتَ عنـه وقـدْ غـدا مُتَتابِعـاً إنعامُـه مُترادِفـاً إفضالُـهُ
١٥ .خِلَعٌ تعاظَمُ[٤] في النُّفوسِ جليلةٌ ونَفيـسُ مـالٍ قَـلَّ منـهُ مالُـهُ
١٦ .يـا غائبـاً عـنْ وَفـدِهِ وعُفاتِـهِ المـاءُ بعـدَكَ لا يَطيـبُ زُلالُـهُ
١٧ .أبني «تقـيِّ الديـنِ» أنتُمْ في الـورى أعلامُـه وعُداتُكُـمْ أغفالُـهُ
١٨ .إنْ سادَ «أفضلُكُمْ» وشادَ مَفاخراً[٥] فلأنتُـمُ بيـتُ الفَخـارِ وآلُـهُ
١٩ .يـا «مصرُ» وافاكِ المبارُكُ طَلعةً حتَّـى ازدهـاكِ جميلُـه وجَمالُـهُ
٢٠ .وافـى الـذي شـغَفَ القُلـوبَ بحُبِّـهِ جُـوداً وقـدْ مـلأ العُيـونَ جلالُـهُ
٢١ .وافـى الـذي لمْ يبـقَ طـالبُ حاجـةٍ إلاَّ وقـدْ شُـدَّتْ إليـه رحالُـهُ
٢٢ .رقَّـتْ كمـا رقَّ النَّسـيمُ طِباعُـهُ وصفَتْ كما صفتِ المُدامُ خِلالُـهُ
٢٣ .مـا أخفقـتْ في قَصْـدِهِ مُدَّاحُـهُ بـلْ أخفقـتْ في لَومِـهِ عُذَّالُـهُ
٢٤ .كمْ حَـلَّ عنـدَ قدومِـهِ مِـنْ مَهْمَـهٍ فتشـرَّفتْ مِـنْ أخمصيـهِ رِمالُـهُ
٢٥ .فكأنَّـهُ وبنـوهُ قـدْ حفَّـتْ بِـهِ ليثُ الشَّرى[٦] حفَّتْ بهِ أشبالُهُ
٢٦ .فمَـنِ المُطاولُـهُ إلـى نيـلِ العُلَـى وعلـى السُّـها مجـرورةٌ أذيالُـهُ؟
٢٧ .قـالوا: المقـرُّ «الأفضلـيُّ» كثـيرةٌ إعطـاؤه وقليلـةٌ أموالُـه
٢٨ .مَنْ فاتَ شَأْوَ المكثرينَ مِنَ الغنَى مـا ضـرَّهُ في مالِـهِ إقلالُـهُ

---

(٤) في (ب): «تُعظَّمُ».

(٥) في (ب): «فاخراً» خطأ يؤدي إلى خلل بالوزن.

(٦) الشَّرى مأسدةٌ كثيرة الذكر في أشعار العرب. انظر معجم البلدان (الشَّرى).

(٣٨)

وأنشدَه في بعضِ الأعياد : [الدوبيت]

١. قُلْ للملِكِ «الأفضلِ» بحرِ الجُودِ	والأفضلِ منْ بني الملوكِ الصيِّدْ

٢. مولايَ ومَنْ إحسانُه في عُنُقي	العبدُ يُهنِّيكَ بهذا العيدِ

وكتبَ إليهِ هذهِ الأبياتَ في صدرِ كتاب، يدعو له، ويتشوَّقُ إليه: [الخفيف]

١. أيُّها الغائبُ الذي كَثُرَ الشَّو قُ إليهِ وغالبَ التَّبريحُ
٢. بي إلى وَجْهِكَ الكريمِ اشتياقٌ وغَرامٌ يبدو ووجْدٌ يَروحُ
٣. وفُؤادٌ مِنَ الفراقِ عليلٌ حلَّ سَوْداءَهُ ودادٌ صحيحُ
٤. لا سقَى بعدَكَ الحيا عذَبَ[1] البا نِ ولا هزَّهُ الحَمامُ الصَّدوحُ
٥. وإذا غِبْتَ لا صفتْ لذَّةُ العيـ شِ ولا طابَ للنَّدامى صَبوحُ
٦. أتُرَى نلتقي ويجتمعُ الشَّمـ لُ وتدنو «بالشَّامِ» دارٌ نَزوحُ[2]؟
٧. كيفَ تدنو داري وبينَ أحبَّا ئي وبيني طالتْ مهامهُ فِيْحُ[3]؟
٨. يا رسُولي بلِّغْ إلى الملكِ «الأفْـ ضلِ» شوقي وصِفْ فأنتَ فصيحُ
٩. قُلْ: تفدَّاكَ أيُّها الوادعُ القلـ بِ مُحِبٌّ خلَّفتَ وهْو طليحُ
١٠. ثُمَّ قَبِّلْ تلكَ اليمينَ التي كُلُّ نوالٍ بجُودِها مفضوحُ
١١. واستمحْهُ ففي يدِ «ابنِ تقيِّ الـ دِّينِ» كنزٌ يغنَى بهِ المُستميحُ[4]
١٢. مَلِكٌ إنْ سألتَ فهْوَ كريمٌ وإذا ما جنيتَ فهْوَ صَفوحُ
١٣. «تقَويٌّ» تبدو شمائلُ منهُ بالمعالي والمكْرماتُ تلوحُ
١٤. وكريمٌ تلَذُّ فيهِ القوافي وجوادٌ يطيبُ فيهِ المديحُ

---

(١) العَذَبُ، مفردُهُ عَذَبَةٌ، وهو غصنُ الشَّجر.

(٢) في (ب): «تروحُ» تصحيف.

(٣) المهامهُ: القفارُ، والفيحُ: الواسعة.

(٤) المستميحُ: طالبُ العطاء.

(٤٠)

وكتبَ إليه، يصفُ شوقَه[1]........: [المنسرح]

١. قلــبٌ بنــارِ الفــراقِ مشــبوبُ ودمــعُ عــينٍ للصَّــبِّ مصبــوبُ

٢. ومُهجــةٌ قــدْ أذابَهــا قلَــقٌ إلــى أحبَّائِهــا وتعذيــبُ

٣. للَّــهِ صــبٌّ إلــى أحبَّتِــهِ يُغــالبُ الشَّــوقَ وهْــوَ مغلــوبُ

٤. ويرتجي الطَّيــفَ أن يُعــاوِدَهُ وهْنــاً وللطَّيــفِ عنــهُ تَنكيــبُ

٥. يــا جِــيرةً كلَّمــا ذكرتُهُــمُ سَــرَى لذكــري حديثَهُــمْ طِيْــبُ

٦. هــلْ نسْــمةٌ منكــمُ تهــبُّ عســى يُشــفَى بــذاكَ الهُبــوبِ مكــروبُ؟

٧. أو بــارقٌ مــنْ حمــاكمُ وبــهِ سَــطْرٌ بوشْــكِ اللِّقــاءِ مكتــوبُ؟

٨. إنْ خُنْتُــمُ عــنْ مواثــقٍ سلفتْ فمــا عليكــمْ في الحــبِّ تــثريبُ

٩. وإنْ مزجتُــمْ كــأسَ القطيعــةِ بالــ وصــلِ فكــلٌّ إلــيَّ محبــوبُ

١٠. يــا هــاتفَ[2] البــانِ إنْ بكيــتَ بــلا دمــعٍ فدمعــي في الخَــدِّ مســكوبُ

١١. وإنْ غــدا فَنُّــكَ النُّــواحُ فلــي فيــهِ فنــونٌ ولــي أســاليبُ

١٢. كــمْ قلــتُ للمُدْلِــجِ[3] المُغِــذِّ[4] وقــدْ أعيــاهُ رِفْــدٌ وعــزٌّ مطلــوبُ

* * *

---

(١) بعدها عبارة مؤلفة من أربع كلمات غير واضحة البتَّة.

(٢) هاتف البان: الطائر المغرِّد على أغصان هذا الشجر.

(٣) في (ب): «للمديح» تحريف يخلُّ بالمعنى والوزن. والمُدلج: السَّائر في اللَّيل.

(٤) في (ب): «المجدّ». والمغذُّ: المسرع في سيره.

١٣. نُصَّ[٥] المطايا إلى «حماةَ» فقدْ أنضَى المطايا وَخْدٌ وتأويبُ[٦]

١٤. واستمطرِ الغيثَ مِنْ يدِ المَلِكِ «الـ أفضلِ» إنْ ضنَّتِ الشآبيبُ[٧]

١٥. مَنْ ذا يُباريهِ بالعُلى ولهُ ذيلٌ على الفرقدينِ مسحوبُ؟

١٦. تؤمُّ نيرانَهُ الضُّيوفُ إذا ما طارَ منها في الجوِّ أُلْهوبُ

١٧. نَدْبٌ إذا استنصرَ الضَّعيفُ بهِ فهْوَ لنصرِ الضَّعيفِ مندوبُ

١٨. يهزُّ أعطافَهُ المديحُ كما تهزُّ أعطافَهُ الأكاويبُ[٨]

١٩. لم يبقَ لي منْ رَغائبِ «ابنِ تقيِّ الـ دِّينِ» في العالمينَ مرغوبُ

٢٠. وكلُّ ما في يديَّ منْ نَشَبٍ فإنَّهُ منْ يديهِ موهوبُ

٢١. ليهْنِكمْ يا بني «المظفَّرِ» فالـ مجدُ لكمْ والسَّماحُ منسوبُ

٢٢. ما منكمُ سيِّدٌ ولا مَلِكٌ إلاَّ بتاجِ الفَخارِ معصوبُ

٢٣. مناقبٌ شادها «أبو الفتحِ محـ ـمودُ» ومجدٌ بناهُ «أيُّوبُ»

٢٤. لا غروَ يا أبحُراً تفيضُ ندىً إنْ حُدِّثتْ عنكمُ الأعاجيبُ

٢٥. فأبقَوا فللَّهِ في «عَليِّكمُ» سرٌّ عنِ العالمينَ محجوبُ

---

(٥) النَّصُّ: سيرُ المطايا السَّريع.

(٦) الوخدُ والتأويبُ: نوعان من السَّير السَّريع.

(٧) الشآبيب: دفعات المطر.

(٨) الكوبُ: الكوز الذي لا عروة له. وجمعه أكوابٌ، وجمع الجمعِ أكاويبُ، ولم أجدها عند غيره من قبل.

(٤١)

وقالَ يمدحُه، وأنشدَها بحماةَ المحروسة: [الطويل]

١. لِصَدْرِ بني «أيُّوبُ» تُعزَى الفضائِلُ وتُثني عليه في البلادِ الأفاضلُ

٢. كريمٌ يَكادُ المِسْكُ يكتُمُ عَرْفَهُ إذا ذُكِرتْ أخلاقُه والشَّمائلُ

٣. علا «ابنُ تقيِّ الدِّينِ» أشرفَ رتبةٍ تقاصرَ عنها في العُلا المُتطاولُ

٤. ألا فانقلُوا عنِّي حديثَ سماحهِ فإنِّيَ راوٍ عنْ نَداهُ وناقلُ

٥. وذمُّوا السَّحابَ الجَونَ[1] في غَدَواتهِ إذا أمطرتْ راحاتُه والأناملُ

٦. وصِيْدوا بأشراكِ القوافي نوالَهُ فهنَّ لأموالِ الكرامِ حبائلُ

٧. ولوذوا بظلِّ «ابنِ المظَفَّرِ» والثُمُوا يميناً بها للنَّاسِ حتْفٌ ونائلُ

٨. فتقبيلُها للآملينَ فرائضٌ عليها وتقبيلُ الأكفِّ نوافِلُ

٩. فكمْ بيَّضَ الآمالَ وهْي حوالِكٌ وكمْ طوَّقَ الأجيادَ وهْي عواطلُ

١٠. أبى جودُهُ أنْ يمنعَ الدَّهرَ سائلاً إذا قعدتْ بالسَّائلينَ الوسائلُ

١١. حننتُ إلى تلكَ المخايلِ والحلَى وَيا حبَّذا تلكَ الحُلَى والمخايلُ

١٢. وكنتُ سألتُ الدَّهرَ رؤيةَ وجههِ فجادَ برؤياهُ الزَّمانُ المُماطِلُ

١٣. فنزَّهتُ عيني في محاسنهِ التي على صَفحتَيْها للسَّماحِ دلائلُ

١٤. فلا أُعتِبُ الأيَّامَ بعدَ لقائهِ فحاكمُها «بابنِ المظَفَّرِ» عادلُ

١٥. ولا أُوثِرُ الدُّنيا بغيرِ وُجودهِ ولمْ تَحْلُ لي أسحارُها والأصائلُ

١٦. قصدتُكَ مِنْ «مصرٍ» وجئتُكَ زائراً على أنَّني راجٍ نَداكَ وآملُ

---

(١) الجونَ: الأسود لكثرة ما به من المطر.

١٧ .تخُبُّ إليكَ العيسُ بالحمدِ والثَّنا وتَخْدي[٢] إلى نُعَمى يديكَ الرَّواحلُ

١٨ .إباؤُكَ أعطاكَ الجلالةَ في الورَى وآباؤُكَ الصِّيْدُ الملوكُ الأوائلُ

١٩ .فلا مجدَ إلاَّ تحتَ ما أنتَ بالغٌ ولا جُودَ إلاَّ دونَ ما أنتَ فاعلُ

٢٠ دعوتُ بأنْ تبقَى مَدى الدَّهرِ خالِداً وهـذا دُعاءٌ للبريَّةِ شاملُ

٢١ .فَدُمْ في أمانِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حادثٍ لكَ اللَّهُ كافٍ «يا عليُّ» وكافلُ

---

(٢) تخبُّ من الخَبب، وهو السير السَّريع، وتَخدي من الوَخْد، وفعلُها: خدا، وهو السَّير السَّريع أيضاً.

(٤٢)

وقال هذه الأبياتَ، وأرسلَها مِنْ ديار مصرَ إلى حماةِ، يُهنِّئُه بالعيدِ والصَّومِ: [الطويل]

١. يُواصِلُ بالحمدِ الذي طابَ نَشْرُهُ — وليٌّ لكمْ والأرضَ طوعاً يُقَبِّلُ
٢. ويُثني عليكم في البلادِ بصالحٍ — ويَروي حديثَ الجودِ عنكم وينْقُلُ
٣. ألستُمْ منَ القومِ الأُلَى عمَّ جُودُهمْ — فلم يبقَ جيدٌ مِنْ نداهُمْ مُعطَّلُ؟
٤. يُفضِّلُ قومٌ «حاتماً»[1] لسماحِه — و«أفضلُكُمْ» يا آلَ «أيُّوبَ» أفضلُ
٥. مليكٌ له سيفٌ منَ البأسِ مُصْلَتٌ — وطَوراً له سِترٌ مِنَ العفوِ مُسْبَلُ
٦. وكمْ للبرايا روضةٌ في جنابِهِ — ترفُّ وفي يُمناهُ للنَّاسِ منهلُ
٧. أقولُ لسَفْرٍ[2] ظلَّ يخترقُ الدُّجى — لمَنْ يُرتَجى منهُ النَّدى ويُؤمَّلُ:
٨. إلى «ابنِ تقيِّ الدِّينِ» نُصُّوا[3] رِحالَكُمْ — وأُمُّوهُ فهْوَ المُنعِمُ المتفضِّلُ
٩. أيا ملِكاً يُعطي الجزيلَ عفاتَه — وماءُ النَّدى في وجهِهِ مُتهلِّلُ
١٠. تهنَّ بصومٍ قمتَ فيهِ بحقِّهِ — وعيدٍ لهُ وجهٌ كوجهِكَ مُقْبِلُ
١١. شكرتُ يداً كمْ قلَّدتْني أياديا — فقصَّرتُ عنها وهْي بالفَضْلِ أطولُ
١٢. وأودعتُ شِعري مِنْ حُلاكَ محاسِناً — غَنيتُ بها عنْ أنَّني أتغزَّلُ
١٣. حُلَىً علَّمتني كيفَ تُنسَجُ حُلَّةُ الـ — ـثَّناءِ ودرُّ المدحِ كيفَ يُفَصَّلُ[4]؟
١٤. وإنِّي على قُربِ الزَّمانِ وبُعدِهِ — لآخِرُ صَبٌّ في هواكُمْ وأوَّلُ

---

(١) أي: حاتمَ الطَّائيَّ.

(٢) السَّفْرُ: المسافرون.

(٣) نُصُّوا رحالَكم: أسرعوا.

(٤) تفصيلَ الدُّرِّ: تنضيدُه ونظمه في عقد.

(٤٣)

وقال يمدحُ ولدَه أسدَ الدِّين عُمر، أسبغَ اللَّهُ ظلَّهُ[1]: [مجزوء الرَّجز]

١. أطلعَ في ليـــلِ الشَّـــعَرْ — مِـــنْ فَلَـكِ الحُسْـنِ قَمَـرْ
٢. واهـــتزَّ عـــنْ غُصْـنِ نقـــاً — وافـــترَّ عـــنْ سِـــلْكِ دُرَرْ
٣. بـــدرُ تَمـــامٍ إنْ بـــدا — وغُصْـــنُ بـــانٍ إنْ خَطَـــرْ
٤. قـــد عَـــمَّ جســـمي بالضَّنـــا — وخـــصَّ جفنـــي بالسَّـــهَرْ
٥. ذُو مقلـــةٍ شـــاهرةٍ — ســـيفَ الفُتـــورِ والحَـــوَرْ
٦. ووجنـــةٍ لابســـةٍ — ثـــوبَ الحيـــاءِ والخفَـــرْ
٧. عُشَّـــاقُه مِـــنْ خطَـــرا — تِ قَـــدِّهِ علـــى خَطَـــرْ

* * *

٨. يـــا شـــائماً[2] بَـــرْقَ الغِنَـــى — «الشَّـــامُ» للجُـــودِ مَقَـــرْ
٩. فـــانزلْ «حمـــاةَ» لائـــذاً — بـــآلِ «أيُّـــوبَ» الغُـــرَرْ
١٠. وانْقُـــلْ أحـــاديثَ النَّـــدى — عـــنْ «أســـدِ الدِّيـــنِ عُمَـــر»
١١. غيـــثٌ إذا الغيـــثُ همَـــى — ليـــثٌ إذا اللَّيـــثُ زأرْ
١٢. بـــدرٌ إذا البـــدرُ بـــدا — بحـــرٌ إذا البحـــرُ زخَـــرْ
١٣. أخلاقُـــه مخلوقـــةٌ — مِـــنَ النَّســـيمِ والزَّهَـــرْ
١٤. آراؤهُ منســـــوبةٌ — إلـــى النَّجـــاحِ والظَّفَـــرْ
١٥. أســـيافُه مطبوعـــةٌ — مـــنَ القضـــاءِ والقـــدَرْ

---

(١) العبارة ليست واضحة، ولعلِّي اهتديت إلى قراءَتها.

(٢) شامَ البرقَ: راقبه ليتسقَّطَ مواقع المطر.

١٦. قد فضلَ النَّاسَ بجَدٌّ وابٍ وقد فخَرْ

١٧. لا ملجأٌ لناكثٍ[3] منْ سيفهِ ولا وزَرْ[4]

١٨. كلُّ دمٍ يسفكهُ فهْوَ جُبارٌ وهَدَرْ[5]

* * *

١٩. يا عُمَرَ الخيرِ الذي رَبْعَ الفخارِ قدْ عَمَرْ

٢٠. ويا أميراً دهرُنا مُمْتَثِلٌ لما أمَرْ

٢١. إبقَ ودُمْ في نعمةٍ صافيةٍ منَ الكدَرْ

٢٢. بني «شَهِنْشاهَ» اسْلَمُوا مِنَ الخُطوبِ والغِيَرْ

٢٣. مَنْ كَفَرَ النُّعْمَى التي أوليتمُوهُ قدْ كفَرْ

٢٤. شكرتُ إحسانَكُمُ شُكرَ الرِّياضِ للمطَرْ

٢٥. وطالما أوليتُمُ حُرّاً جَميلاً فشَكَرْ

٢٦. فاستمعُوا مدائحاً أحسنَ مِنْ نظْمِ الدُّرَرْ

٢٧. سحْريَّةً أطربَ منْ سَجْعِ الحَمامِ في السَّحَرْ

٢٨. يقولُ مَنْ يسمعُها: ما كلُّ مَنْ قالَ شَعَرْ

٢٩. شاعرُها داعٍ لكمْ إنْ غابَ عنكمْ أوْ حضَرْ

---

(٣) النَّاكثُ: الذي ينقضُ العهد، وفي حديث عليٍّ كرّم الله وجَهه: أمرتُ بقتال النَّاكثينَ والقاسطينَ والمارقينَ. انظر اللسان (نكث).

(٤) الوَزَرُ: الملجأ. وقد أخذ العبارة من القرآن الكريم ﴿كلاَّ لا وزَر﴾ [القيامة؛ ١١].

(٥) جبارٌ وهدَرٌ: اي: لا ديةَ فيه ولا قصاص، وفي الحديث «المعدنُ جُبارٌ والبئرُ جُبارٌ والعجماءُ جُبارٌ والسَّائمةُ جُبارٌ»، وانظر تفسير ذلك في اللسان (جبر).

(٤٤)

وقال فيه، أعزَّ اللّهُ أنصارَهُ، وأدامَ أيَّامَهُ: [مجزوء الرَّجز]

١. يــــا قـــاتلي ولـــم يَـــدِ	ملكْتَنـــــي فـــــاتِّئِدِ
٢. واعطــــفْ علـــى ذي جسَـــدِ	واهٍ ضعيـــفِ الجلَـــدِ
٣. وَعُـــدْ مُحِبّـــاً في الهـــوَى	امرضْتَـــهُ أو فَعِـــدِ
٤. ورَدْتَ[1] دمـــعَ مُقلتـــي	بخـــدِّكَ المُـــوَرَّدِ
٥. ثـــمَّ اعتمـــدتَ قَتْلَتـــي	بـــلاذِكَ[2] المُعَمَّـــدِ
٦. وقـــد تجَـــرَّدتَ لتَعْـــ	ـذِيبـــيَ بـــالمُجَرَّدِ
٧. وكـــم تقلَّـــدتَ دمـــي	بذلـــكَ المُقَلَّـــدِ[3]
٨. ويـــلاهُ مـــن شُـــوَيْدنٍ[4]	بـــتُّ بـــهِ ذا كمَـــدِ
٩. مكـــابداً ذُؤابـــةً	لـــه أذابـــتْ كمـــدي
١٠. أحـــمُّ[5] ذو ســـالفةٍ	حاليـــةٍ بـــالجيدِ
١١. وريقـــةٍ مـــن قهـــوةٍ	إناؤُهـــا مـــنْ بَـــرَدِ

---

(١) أي صار يبكي دماً شغفاً بخدِّ حبيبه.

(٢) اللاّذُ: نوعق من الثياب الفاخرة.

(٣) المقلَّد: العُنق، والمقلَّد: اللابس القلادة أي الطَّوق.

(٤) الشُّويدن: تصغير شادن للتحبُّب. والشادن ولد الظبي.

(٥) أحمُّ: أسود.

١٢. يرنــــو «بِهاروتيَّـــةٍ»[٦] نفَّاثـــةٍ فِي العُقَـــدِ

١٣. يـــا مَـــنْ لعـــينٍ لـــم تَقُـــمْ بِغُلَّـــةِ القلـــبِ الصَّـــدِ

١٤. مطروقـــةٍ بدمعِهـــا مطروفـــةٍ بالسَّـــهَدِ

١٥. أنـــا الـــذي لا أرعـــوي فِي حبِّـــهِ للفنَـــدِ

١٦. فـــانْقُلْ عـــنِ الوالـــهِ أخـــبـــارَ الهـــوى وأَسْـــنِدِ

★ ★ ★

١٧. وارو أحـــاديثَ النَّـــدى عـــنِ المقَـــرِّ «الأســـدِي»

١٨. عـــنِ الكريـــمِ الأريحـــيِّ والأمـــيرِ الأمجـــدِ

١٩. «لابـــنِ علـــيٍّ» هِمَّـــةٌ حلَّـــتْ محـــلَّ الفرقـــدِ

٢٠. وعَزْمَـــةٌ لا تنتهـــي لغايـــةٍ أو أمَـــدِ

٢١. يهتزُّ للمـــدحِ اهـــتزا زَ الصَّـــارمِ المُهنَّـــدِ

٢٢. كأنَّمـــا أخلاقُـــهُ مخلوقـــةٌ مِـــنْ شُـــهُدِ

٢٣. أو نَفحـــةٌ فجريَّـــةٌ مـــرَّتْ علـــى الـــرَّوضِ النَّـــدي

٢٤. فـــرعٌ زكـــا ونِسْـــبَةٌ[٧] طـــابتْ لطيْـــبِ المَحْتِـــدِ

٢٥. نوالُـــهُ والفقـــرُ لـــم يجتمعـــا فِي بلَـــدِ

٢٦. لـــولا الأمـــيرُ «عُمَـــرُ» الـــصـــافِي ميـــاهِ المـــوردِ

٢٧. مـــا ســـرتُ أطـــوي الفلَـــوا تِ فَدْفَـــداً فِي فَدْفَـــدِ

(٦) الهاروتيَّةُ نسبةٌ لهاروت. و«نفَّاثة في العقد» استفاد العبارة من القرآن الكريم ﴿ومن شرّ النَّفاثات في العقد [الفلق: ٤]﴾.

(٧) في الأصل: «وشيهةٌ»، وأخذنا بما في (ب).

٢٨.ولا تسنَّمتُ ذُرى	كُلٍّ أَمونٍ أُجُدِ[٨]
٢٩.يا عَضُدَ المُلْكِ الذي	أكرمْ بهِ منْ عَضُدِ
٣٠.وابنَ الملوكِ السَّابقـ	ـينَ للعُلَى والسُّؤْدَدِ
٣١.وكعبةَ القاصدِ والـ	وافدِ والمسترفِدِ
٣٢.عِشْ في نعيمٍ وارفٍ	وظِلٍّ عيشٍ رَغِدِ
٣٣.وسُدَّ كلَّ خَلَّةٍ	مِنَ القوافي وسُدِ
٣٤.متَّعَكَ اللَّهُ تعا	لَى بالبقاءِ السَّرْمدِ

---

(٨) الأُجُدُ: الناقة التي فَقارُ ظهرها متَّصِلٌ، فتكون بذلك قويَّةً موثقَةَ الخلق، والنَّاقة الأمونُ مثلُها، وهي الأمينةُ الوثيقةُ الخلْق قد أمنتْ أن تكون ضعيفةً، وهي التي أمنت العثارَ والإعياءَ. انظر اللسان (أجد) و(أمن).

(٤٥)

وحضرَ يوماً في مجلسِ أُنْسهِ في مكانٍ يُعْرَفُ بالفِرْدَوسِ حَسَنِ البناءِ، فقالَ فيه: [الوافر]

١. بِفِرْدَوسِ الأميرِ حَمِدْتُ يوماً — أَجَدَّ ليَ اغتباقاً واصطباحا

٢. حللْتُ بهِ فألبسَني نعيماً — وقلَّدَني السَّعادةَ والنَّجاحا

٣. يَسُرُّ النَّاظرينَ فكم هُمومٍ — أزاحَ لهم وكمْ قلبٍ أراحا

٤. تعشَّقَهُ العُيونُ إذا رأتْهُ — كما تتعشَّقُ الخَودَ الرَّداحا[1]

٥. عَلاَ فغدا الهلالُ له سِواراً — ونُظِّمَتِ النُّجومُ له وِشاحا

٦. إذا خَفَقتْ رِياحُ الجَوِّ فيهِ — تَرَقْرَقَ ماءُ بِرْكَتِهِ وساحا

٧. وإنْ رُفِعتْ رَواشِنُه[2] رأيْنا — بهِ مِنْ كلِّ شارفةٍ صباحا

٨. كأنَّ الرَّوضَ دبَّجَهُ وأهدتْ — إليهِ كلُّ طاووسٍ جناحا

---

(١) الخَودُ: الفتاةُ الشَّابَّة، وقيل الجارية النَّاعمة، وجمعها خُودٌ بضمِّ الخاء، وامرأةٌ رداحٌ وردوحٌ: العجزاءُ الثقيلةُ الأوراك التَّامَّةُ الخَلْقِ، وقيل: الضخمة العجيزة والمآكم. انظر اللسان (خود) و(ردح).

(٢) الرَّواشنُ: مفردها: الرَّوشنُ، وهو الرَّفُّ أو الكُوَّة.

(٤٦)

وقال يمدحُه، وقد بلغَه أنه استبطأ مدحَه، فأكثر عَتَبَه، ويُهنِّئُه بالصَّوم والعيدِ: [المنسرح]

١. ثَنــاءُ عبــدٍ طــابتْ مدائحُــهُ — فــراحَ يَهــدي لبحــرِكَ الــدُّرَرا

٢. يشــوقُه وجهُــكَ الكريــمُ ولا — غَروَ إذا اشــتاقَ «أحمـدُ» «عُمَـرا»

٣. يــا ابــنَ الملــوكِ الذيــنَ ذِكْرُهــمُ — كالرَّوضِ نمَّتْ بهِ الصَّبا سحَرا

٤. قومٌ إذا اظلمــتْ ســماءُ عُــلاً — كــانوا بآفــاقِ مجدِهِــمْ غُــرَرا

٥. «لابــنِ علــيٍّ» يــدٌ مواهبُهــا — طــابتْ غِراســاً واينعــتْ ثَمَــرا

٦. أبلجُ للبِشْـــرِ في أسِــرَّتِهِ — مــا كــادَ يُخفــي ضيــاؤُهُ القمَـرا

٧. إذا تــأمَّلتَ نُــورَ طلعتــهِ — لـم تسـتطعْ مِـنْ شُـعاعِها نظَـرا

٨. آراؤُهُ لا تــزالُ بالغـــةً — مِــنَ العُلــوِّ النَّجـاحَ والظَّفَــرا

٩. وعزمُــه كــمْ ثنَــى وفــلَّ بــهِ — نابــاً مــنَ الحادثــاتِ أو ظُفُــرا

١٠. إنْ صــاحَ والدَّارعــونَ واجمــةٌ — حســِبْتَ ليثــاً بغيْلِــهِ زأَرا

١١. أو جــالَ في مــأزِقٍ رأيــتَ لــهُ — طَعْنــاً يفـوتُ القضـاءَ والقـدَرا

١٢. يــا «أسـدَ الدِّيـنِ» انـتَ أكـرمُ مَـنْ — ســامحَ مملوكَــه ومَــنْ عَــذَرا

١٣. إنِّــي بذنــبِ العقُــوقِ معــترفٌ — فاســتُرْ فـإنَّ الكريـمَ مَـنْ سـتَرا

١٤. إنْ لـمْ يكـنْ حـاكَ فيـكَ قافيـةً — فِكْري فكمْ قـدْ دعـا وكـمْ شـكَرا

١٥. وكيــفَ يَثنــي عليــكَ ذو أدبٍ — قدْ ألزمتْـهُ صفـاتُكَ الحصَـرا[1]؟

١٦. فاهنَـأْ بشـهرِ الصِّيـامِ واسـعَدْ بـهِ — عيـداً لـواءَ الهنـاءِ قـدْ نشَـرا

١٧. وعِشْ رحيبَ الجَنـابِ ممتَثِـلِ الـ — طَّاعــةِ بالمكْرُمــاتِ مُشْــتَهِرا

---

(١) الحَصَرُ: ضربٌ من العيِّ، وحَصِرَ الرَّجلُ: عييَ في منطقه، ولم يقدْر على الكلام.

(٤٧)

وقال يُهنِّئُه، وقد أعرسَ، واصطنعَ فرحاً عظيماً: [البسيط]

١. رَوضُ المسرَّاتِ في أيَّامكمْ نَضِرُ — والعيشُ في ظِلِّكمْ مُستعذَبٌ خضِرُ

٢. وأنتمُ نعمةٌ للَّهِ سابغةٌ — على العبادِ وصفوٌ ما بهِ كدرُ

٣. ليهْنِكمْ فرَحٌ عمَّتْ مسرَّتُه الـ — عُظمَى وخُصَّ به مِنْ دونِكمْ «عُمَرُ»

٤. بحرٌ سيخرجُ منه لُؤلؤٌ نَسَقٌ — بدرٌ ستطلعُ منهُ أنجُمٌ زُهُرُ

٥. منْ كلِّ أغلبَ مرهوبِ السَّطا ذكَرٍ — كأنَّه في الوغى الصَّمْصامةُ الذَّكَرُ

٦. يا آلَ «أيُّوبَ» لا زالتْ محاسِنكُمْ — تُتلَى لها بينَ أبناءِ العُلَى سُوَرُ

٧. فما رأَى النَّاسُ عُرساً قبل عُرسِكمُ — هذا[1] تجمَّعَ فيه الشَّمسُ و القَمرُ

---

(١) زاد بعدها في (ب): «ومن» فأخلَّ بوزن البيت. ولعلَّ النَّاسخ اعتبرها بديلاً عن «هذا»، ونسي أن يشطب «هذا».

(٤٨)

وقال يمدحُه، وأنشدَها بمدينةِ حماةَ المحروسةِ: [مجزوء الرَّجز]

١. شـاهدُ قتلـي إنْ جَحَـدْ	في مُقلـةِ منـهُ وخَـدْ
٢. بـدرُ تَمـامٍ لـو رأى الـ	بـدرُ مُحيَّـاهُ سَـجَدْ
٣. يَسْـقيكَ خمـراً مِـنْ رُضا	بٍ في إنـاءٍ مِـنْ بَـرَدْ
٤. أهيـفُ ذُو معـاطفٍ	تُعَلِّـمُ البـانَ المَيَـدْ
٥. حـلَّ اصطبـاري عندمـا	حـلَّ نِطاقـاً وعُقَـدْ
٦. وابـتزَّ نومـي وبـدا	يمـزَحُ بـالهجرِ فجَـدْ
٧. لـو كـانَ لـي مُسـالِماً	أو واصـلاً مـنْ بعـدِ صدْ
٨. مـا كلَّـفَ القَـدُّ القنـا	وألبـسَ الخَـدُّ الـزَّرَدْ
٩. ذُو مقلـةٍ كـمْ فوَّقَـتْ	سـهماً لقلـبٍ فقصَـدْ
١٠. وقامـةٍ أُعيذُهـا	بـ «قُـلْ هـو اللَّـهُ أحَـدْ»[١]
١١. يـا هـاجري تعمُّـداً	مـالي علـى الهجـرِ جلَـدْ
١٢. لا والـذي فضَّـلَ في الـ	قَـدْرِ علـى الشَّـمسِ الأسَـدْ[٢]
١٣. ليـثُ ردًى لمَـنْ عتـا	بحـرُ نـدىً لمَـنْ وَرَدْ
١٤. قُـلْ لمجاريـهِ إذا	ثـارَ العَجـاجُ و انعقَـدْ:
١٥. تنـحَّ عـنْ مَجالِـه	فخصمُـكَ الخصـمُ الأَلَـدْ[٣]

---

(١) جرى على لسان الشعراء تضمين أشعارهم بعضَ آي القرآن الكريم كتضمينه هنا للآية الأولى من سورة الإخلاص، ووافق التَّعويذ هنا المأثور حيث يُرقى الحسن بالفاتحة والمعوَّذتين وسورة الإخلاص ليقيه ذلك الحسد.

(٢) الأسد أحد منازل القمر الثمانية والعشرين.

(٣) الألدُّ: الشَّديد الخصومة.

١٦ .أيـــنَ الحُسَـــامُ للكهـــا[٤] م؟ والهزيـــرُ للنَّقَـــدْ[٥]؟
١٧ .للَّـــهِ كـــمْ عزيمـــةٍ حـــلَّ عُراهـــا يـــومَ شَـــدْ
١٨ .ســـهلُ الخـــلالِ مـــا طـــوى كَشْـــحاً[٦] لغـــلٍّ أو حقَـــدْ
١٩ .يـــا طـــالبَ الرِّفْـــدِ إذا مـــا الدَّهـــرُ بـــالحُرِّ قَعَـــدْ
٢٠ .زُرْ «أسَـــدَ الدِّيـــن» تَفُـــزْ منـــه بكهـــفٍ وسَـــنَدْ
٢١ .واقصـــدْهُ في عظيمـــةٍ فبابُـــه لمـــنْ قَصَـــدْ
٢٢ .زُرْ تلـــقَ عِـــدّاً[٧] قـــدْ صَفـــا وِرْداً وظِـــلاً قـــدْ بَـــرَدْ
٢٣ .ومـــاءَ جُـــودٍ غَدِقـــاً لا وشَـــلاً ولا ثَمَـــدْ[٨]
٢٤ .يـــا عُمَـــرَ الخـــيرِ ويـــا خـــيرَ أمـــيرٍ يُعْتَمَـــدْ
٢٥ .وآخـــذَ الإحســـانِ عَـــنْ أبٍ وعـــنْ عـــمٍّ وجَـــدْ
٢٦ .وابـــنَ الملـــوكِ السَّابقيـــنَ للطِّعـــانِ والصَّفَـــدْ
٢٧ .أبنـــاءُ «أيُّـــوبَ» الأُلَـــى فـــاتُوا «رُعَينـــاً» و«مَعَـــدْ»[٩]
٢٨ .أمـــدَّكَ اللَّـــه بعُمْـــرٍ مالـــهُ قـــطُّ أمَـــدْ
٢٩ .وعِشْـــتَ في ســـعادةٍ باقيـــةٍ طـــولَ الأمَـــدْ

---

(٤) الحسام الكهام: الكليل الذي لا يقطع.

(٥) النَّقَدُ: النَّاقةُ الهزيلة.

(٦) الكشْح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السُّرّة إلى المتن، وطوى كشحه على الأمر أضمرَه، والغلُّ: الحقد.

(٧) العدُّ: الماءُ الجاري الذي لا ينقطع، وذلك أعذب له.

(٨) الغَدقُ: الكثيرُ، والوشل والثَّمدُ: النَّزرُ القليل.

(٩) عنى برُعين: ذا رُعين. ورعينٌ: اسم جبل باليمن فيه حصنٌ، وذو رعين: ملكٌ ينسبُ إلى ذلك الجبل، قال الجوهريُّ: ذو رُعَيْنٍ: ملكٌ من ملوك حمْير، ورُعَيْنٌ حصنٌ له، وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبأ. وهو من عرب الجنوب. ومعدٌّ هو معدُّ بنُ عدنان جدُّ عربِ الشّمال. يقصد أنَّ قوم الممدوح فاقوا العرب العاربة والمستعربة.

(٤٩)

وقالَ، يُهنّيءُ بشهرِ الصَّومِ أخاهُ الأميرَ بدرَ[1] الدِّينِ حسنَ، دامَ عِزُّهُ:

[الكامل]

١. شَهْرُ الصِّيامِ أَتاكَ في إقْبالِهِ	فاهْنَأْ بهِ واسلَمْ إلى أَمثالِهِ
٢. شَهْرٌ لَكَ الدَّعَواتُ في أسحارِهِ	ومُضاعَفُ الحَسَناتِ في آصالِهِ
٣. شَهْرٌ أُؤَمِّلُ أنْ أعيشَ لِمِثْلِهِ	حتَّى أُهَنِّيءَ «بَدْرَهُ» بِهِلالِهِ

---

(١) الأمير بدر الدين حسن بن الملك الأفضل نور الدين علي بن محمود بن محمد بن عمر، سعى في سلطنة حماة، فأخفق. توفي سنة ٧٢٦هـ. وقد كان أحد أمراء دمشق، وهو شقيق الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢هـ. انظر النجوم الزاهرة؛ ٩/ ٧٦٢.

(٥٠)

وقال، يمدحُه، وأرسلَها إلى حماةٍ، حماها اللّهُ من كلِّ سُوءٍ: [الرَّجز]

١. مَنْ ضَلَّ في طُرُقِ العُلا فليهتدِ	مِنْ آلِ «أيوبٍ» بوجهِ بدرِها
٢. وجهٌ عليه رونقٌ بنَشْرِه[١]	وللوجوهِ رونقٌ بِبِشْرِها[٢]
٣. «لابنِ عليٍّ» «حَسَنٍ» محاسنٌ	لمْ يَقُمِ المدحُ ببعضِ شُكرِها
٤. وكمْ لهُ مِنْ هِمَّةٍ عاليةٍ	قَدْرُ النُّجومِ الزُّهْرِ دونَ قَدْرِها
٥. تناولَ المجدَ الرَّفيعَ وارتقى	إلى العُلا فحازَها بأسْرِها
٦. لوْ أنَّ للشَّمسِ ضياءَ وجهِهِ	لاحتجبتْ مِنْ تيهِها في خِدْرِها
٧. أو أمكنَ الشُّهبَ التثامُ كفِّهِ	طارتْ إليهِ بجَناحِ نَسْرِها[٣]
٨. أو عاينتْ «خنساءُ» عُظْمَ بأسِهِ	لأنكرتْ ما عرفتْ منْ «صَخْرِها»[٤]
٩. قُلْ لبني الشِّعرِ: اشكُروا نعمتَهُ	ثُمَّ استعيذوا وابْرَؤُوا مِنْ كفْرِها
١٠. واستمطِروا مِنْ يدِهِ غمامةً	لمْ يخلُ قُطْرٌ مِنْ وقُوعِ قَطْرِها
١١. أيُّ يدٍ فيَّاضةٍ فاعتبروا	بفضلِها واغترفوا مِنْ بحْرِها

---

(١) في (ب): «ينشرُه» تحريف. ونشرُهُ: ذكرُه الحسن كرائحة المسك.

(٢) في (ب): «ينشرُها» تحريف.

(٣) النَّسر: أحد منازل القمر.

(٤) الخنساء الشَّاعرة المشهورة، واسمُها تماضرُ بنتُ عمرو بن الشَّريد، ووقفت قسماً كبيراً من شعرها لرثاء أخيها صخر.

(٥١)

وقال، يمدحُ الملكَ الظَّاهرَ أبا الفتح[1] بيبرس[2]، رحمه اللَّهُ آمينَ: [البسيط]

١. لمْ نستطعْ شُكرَ ما أوليتَ مِنْ مِنَنٍ ولو شكرناكَ في سِرٍّ وفي علَنِ

---

(١) في الأصل: «أبي الفتح».

(٢) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله الصالحي النَّجمي البندقداري، ولي السلطنة إثر مقتل المظفر قطز، في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ.

وهو قفجاقيُّ الجنس، وقيل من برج أُغلي قبيلة من الترك، حضر هو ومملوك آخر مع تاجر إلى مدينة حماة، فاستحضرهما الملك المنصور صاحب حماة يشتريهما فلم يُعجبه أحد منهما، فاشتراه أيدكين البندقداري مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما كان معتقلاً بقعلة حماة، ثم أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب من أيدكين فانتسب إلى نجم الدين وعرف ببيبرس الصالحي. كان شهماً شجاعاً سخياً عالي الهمة، وكان ملكاً جليلاً شجاعاً مهيباً حسن السياسة كثير التحيل كثير المصادرات للرعية والدواوين خصوصاً لأهل دمشق. تم في أيامه فتوحات كثيرة من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج. وأقام الكثير من الحصون والمعاقل والجسور والقناطر على الأنهار في بلاد الشام ومصر وبنى مدارس ودور علم في دمشق والقاهرة. توفي في المحرَّم سنة ٦٧٦هـ بدمشق، ونقل جثمانه بتكتُّمٍ إلى القاهرة، وبويع ابنه الملك السعيد. انظر عقد الجمان؛ ١/ ٢٦١ و٢/ ١٧٤. النجوم الزاهرة؛ ٧/ ٩٤-٢٦٠، ذيل مرآة الزمان؛ ٣/ ٢٣٩، المختصر؛ ٣/ ٢٠٧، تتمة المختصر لابن الوردي؛ ٢/ ٢٢٣، بدائع الزهور؛ ١/ ٩٨ و١١٢، السلوك؛ ١/ ٤٣٦، فوات الوفيات؛ ١/ ٢٣٥، شذرات الذهب؛ ٦/ ٣، المنهل الصافي؛ ٣/ ٤٤٧ وما بعد.

٢. فاسلمْ أبا الفتحِ للإسلامِ تكلَؤُهُ[٣] بناظرٍ ما لَهُ مَيْلٌ إلى الوسَنِ

٣. وشِدتَ بالسيفِ ركنَ الدِّينِ فانهدمتْ أركانُ دينِ بني النَّاقوسِ والوثَنِ

٤. حميَّةٌ درستْ رسمَ العدَى ومحتْ ذكراهُ حتَّى كأنَّ الشِّركَ لمْ يكُنِ

٥. كانتْ ديارُهُمُ بالأمسِ عامرةً واليومَ مقفرةُ الأطلالِ والدِّمَنِ

٦. كسَوتَ جِدتَّهَا ثوبَ البِلى فغدتْ قبيحةً بعدَ ذاكَ المنظرِ الحسَنِ

٧. فالحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ على تسهيلِ فتْحِ قلاعِ الكُفْرِ والمُدُنِ

٨. غزوتَهمْ بجنودٍ لو غزوتَ بها جِنَّ الفلا رُمِيَتْ بالخوفِ والجُبُنِ

٩. لا يعرفونَ حُصوناً يلجؤونَ[٤] لها في الزَّرعِ غيرَ إناثِ الخيلِ والحُصُنِ

١٠. كأنَّ أسيافَهم والنَّبْلُ مرسَلةٌ لمعُ البروقِ ووقْعُ العارضِ[٥] الهتِنِ

١١. «بالظاهرِ» الملكِ الميمونِ طائرُهُ[٦] لانتْ صروفُ اللَّيالي حيثُ لم تَكُنِ

١٢. مَلْكٌ له عزْمةُ اللَّيثِ الهصورِ إذا ساسَ الأمورَ وحزمُ الحاذقِ الفطِنِ

١٣. كأنَّه «تُبَّعٌ» في كلِّ معركةٍ وسيفُه في الوغَى «سيفُ بنُ ذي يَزَنٍ»[٧]

---

(٣) في الأصل: «يكلؤهُ»، والصَّواب من (ب).

(٤) في (ب): «يلتجون بها».

(٥) العارض الهتِنُ: المطر الغزير أو السَّحاب المليءُ بالمطر.

(٦) في (ب): «ظاهرُه» تحريف.

(٧) سيفُ بن ذي يزن أحد ملوك اليمن الذي اختلطت في شخصيته الحقيقة بالأسطورة، وذو يزن: ملك من ملوك حمْير، تُنسَبُ إليه الرماح اليزنية، ويزن اسم موضع باليمن أضيف إليه ذو. وتُبَّعٌ: واحد التبابعة، وهو اسم ملوك اليمن، سُمّوا بذلك لأنَّه يتبعُ بعضُهم بعضاً، كلَّما هلك واحدٌ قام مقامه آخر تابعاً له في مثيل سيرته. وجاء في التفسير أنَّ تُبَّعاً كان ملكاً من الملوك، وكان مؤمناً وقومه كافرون. وفي الحديث: لا تَسبُّوا تُبَّعاً، فإنَّهُ أول من كسا الكعبة، قيل: هو ملكٌ في الزَّمان الأوَّل

١٤ ذُو دولةٍ أصبحتْ مِنْ عُظْمِ جِدَّتِها[٨] تهتزُّ كالسَّيفِ لا تهتزُّ كالغُصُنِ

١٥ لهُ البسيطانِ بعدَ اللّهِ حاطَهُما بالمشرفيةِ والخَطِّيَّةِ اللُّدُنِ[٩]

١٦ فالبرُّ قدْ ضاقَ منْ خيلٍ ومِنْ خولٍ والبحرُ قد غصَّ منْ سَفْرٍ ومنْ سُفُنِ

١٧ يا يومَ وقعةِ «سيسٍ»[١٠] سارَ ذكْرُكِ في أقصى العراقِ وأقصى الصِّينِ واليَمنِ

١٨ جاءَ الكتابُ بنصرِ المسلمينَ فلا واللّهِ ما جازَ أحلى منهُ في أُذُنِ

١٩ ولَّى الفِرَنْجُ على أعقابِهِمْ هرَباً لا يعطِفونَ على إلْفٍ ولا سكَنِ

٢٠ طافتْ بهمْ مِنْ كُماةِ التُّرْكِ طائفةٌ تهْوى اللِّقاءَ هوى المشتاقِ للوطنِ

٢١ لا يكرهونَ حروباً لا ولا فِتَناً عِلْماً بأنَّ حصادَ الشِّرْكِ في الفِتَنِ

٢٢ أينَ البُزاةُ التي تدْمَى مخالبُها مِنَ البُغاثِ وأينَ الأُسْدُ للأُتُنِ[١١]؟

٢٣ لمْ يتركُوا هامةً مِنْ فوقِ جُثَّتِها حتَّى اشتهيْنا نرى رأساً على بدَنِ

٢٤ كلاً ولا خلَّفوا للثُّكْلِ كافرةً إلاَّ وقدْ لبِستْ ثوباً مِنَ الحَزَنِ

٢٥ قُلْ للبطارقِ: عُقبى البَغْيِ أوقعَكُمْ في مِحْنةٍ أصبحتْ منْ أعظمِ المِحَنِ

اسمه أسعد أبو كرب. وقيل: كان ملك اليمن لا يُسمَّى تُبَّعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير. انظر اللسان (يزن) و(تبع).

(٨) في (ب): «حدَّتها».

(٩) اللُّدنُ: اللَّيِّنة، وهي صفة للخطِّيَّة أي الرِّماح المنسوبة إلى خطّ، والمشرفية: السُّيوف.

(١٠) وقعة سيس وقعةٌ شهيرةٌ، حيث جرَّد الظاهر بيبرس حملةً للإغارة على سيس صحبةَ الملك المنصور ملك حماة، وقدَّم على العسكر الأمير سيف الدِّين قلاوون، وأحرز فيها نصراً عظيماً سنة ٦٦٤هـ. انظر عقد الجمان؛ ١/ ٤٢٢، والمختصر؛ ٤/ ٣.

(١١) الأتنُ: الحمير، والبُغاث: ضعاف الطير.

٢٦.قدْ قلتُ بعد ارتواءٍ[١٢] منْ دمائِكُم: ما شاءَ منْ حادثاتِ الدهرِ فليكُنِ

٢٧.هذي ملُوككُمُ تَنقادُ صاغرةً وذي قرابينُكمْ تَنساقُ في قَرَنِ[١٣]

٢٨.لها التفاتٌ إلى أوطانِها أسَفاً كما تلَفَّتتِ الأنْعامُ للعَطَنِ[١٤]

٢٩.بِيعتْ بَناتُكمُ في كلِّ ناحيةٍ بَيعَ الهوانِ بمنزورٍ[١٥] منَ الثَّمَنِ

٣٠.لم يُنجِكمْ ما ادَّخرتُمْ مِنْ مطهَّمةٍ جُرْدٍ ومِنْ سابريَّاتٍ[١٦] ومِنْ جُنَنٍ[١٧]

٣١.ذُوقُوا العذابَ عذابَ اللَّهِ وامْتُهِنوا ومَنْ يُغالِبْ قضاءَ اللَّهِ يُمتَهَنِ

٣٢.ولو عفوتُمْ عفَوْنا بعدَ مقدرةٍ ولمْ نَخُنْ وكريمُ القومِ لمْ يَخُنِ

٣٣.بدأتُمونا فَجازيناكُمُ عِوَضاً هذا بذاكَ فلا عَتْبٌ على الزَّمَنِ

---

(١٢) في (ب): «ارتوائي».

(١٣) القرَنُ: القيد.

(١٤) العطنُ: مربط الأنعام ومكان مبيتها.

(١٥) في (ب): «لمنزور».

(١٦) في (ب): «ساهريات».

(١٧) السَّابريات: الدروع، والجُنَنُ: التِّرَسةُ.

(٥٢)

وقالَ، يمدحُه، ويذكرُ فتحَ أنطاكيةَ[1] على يدهِ الكريمة: [الخفيف]

١. كلَّ يومٍ فتحٌ ونصرٌ جديدُ ... وكتابٌ مُبَشِّرٌ وبريدُ

٢. واعتزامٌ تَكِلُّ منهُ المَذاكي[2] ... واهتمامٌ يُفَلُّ منهُ الحديدُ

٣. وجيادٌ لها بقاصيةِ الرُّو ... مِ طِرادٌ وبالفراتِ ورودُ

٤. نِعْمَةٌ بعدَ نعمَةٍ تتوالَى ... وسُعودٌ في إثرِهِنَّ سُعودُ

٥. ويدٌ شُكرُها على النَّاسِ فرضٌ ... لِمَلِيْكٍ[3] لهُ الملوكُ عبيدُ

٦. إنَّ مُلْكاً مِنْ دونهِ المَلِكُ «الظَّا ... هرُ» يُرجى لهُ البَقا والخُلُودُ

٧. مُغْرَمٌ بالجهادِ في طاعةِ اللَّـ ... ـهِ وبالحربِ مُستهامٌ عميدُ

٨. وكئيبٌ بالبِيْضِ والسُّمْرِ إذْ تَدْ ... مَى خدودٌ لها وتُثْنَى قدودُ

٩. وطَروبٌ إذا تصاهلتِ الخيْـ ... ـلُ كما يُطربُ الغِنا والنَّشيدُ

١٠. وشُجاعٌ يَذُبُّ عن حَوزةِ[4] الدِّيـ ... ـنِ ويَحمي بسيفهِ ويذودُ

١١. ولهُ حيثُما توجَّهَ في الأر ... ضِ جُنودٌ وفي السَّماءِ جُنودُ

---

(١) كان ذلك في الرابع من شهر رمضان سنة ٦٦٦. قال العيني: «ولما رحل السُّلطان من حمص إلى حماة فرَّق العساكر ثلاث فرق: فرقة صحبته، وفرقة صحبة الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، وفرقة صحبة الأمير عز الدين يوغان الركنيّ...» وأخذ يُصوِّر مجريات الغزوة، إلى أن تمَّ فتح أنطاكية. انظر عقد الجمان؛ ٢/ ٢١، والمنهل الصافي؛ ٣/ ٤٥٤، والمختصر؛ ٤/ ٤.

(٢) المذاكي: الخيول.

(٣) في الأصل: «للملوك»، وفي (ب): «للملك»، والصَّواب ما أثبتنا.

(٤) حوزة الإسلام والدِّين: حدودُه ونواحيه.

١٢ .ليس في عينه الكثير كثيراً لا ولا عنده البعيدُ بعيدُ

١٣ .فهوَ في الحربِ للعُداةِ مُفيتٌ وهوَ في السِّلْمِ للعفاةِ مفيدُ

١٤ .قائدٌ مِنْ طوائفِ التُّركِ للشَّرْ كِ رجالاً تخافُ منها الأُسُودُ

١٥ .جَحْفَلٌ كالغمامِ ضاقتْ بهِ الأرْ ضُ وكادتْ منه الجبالُ تَميدُ

١٦ .فكأنَّ الصِّفاحَ فيه بروقٌ وكأنَّ الصَّباحَ فيهِ رُعودُ

١٧ .كاشِراتٌ بناجذَيْهِ المنايا خافقاتٌ في حافتَيهِ البُنُودُ

١٨ .كُلَّما أمَّ قلعةً أمكنتْ منْ ها صِعادٌ[5] وحانَ منها صُعُودُ

١٩ .حيثُ لم يبقَ في السَّواحلِ حِصْنٌ مُشْمَخِرٌّ ولا بناءٌ مَشيدُ

٢٠ .كانَ يومٌ مباركٌ فتحَ أنطاكيّـ ـةَ للورى ووقتٌ سعيدُ

٢١ .هجَمتْها الإسلامُ والنَّجمُ قدْ غا بَ وقدْ لاحَ للصَّباحِ عمودُ

٢٢ .بسُيوفٍ تَفْري الدُّروعَ فلا يمـ ـنَعُ منها المَوضونُ والمسرودُ[6]

٢٣ .جرَّدُوها منَ الغُمودِ وعادوا وعليها منَ الدِّماءِ غُمودُ

٢٤ .فاستعاذتْ أعلاجُها والبَطاريْـ ـقُ وذلَّتْ فُرسانُها والكُنُودُ[7]

٢٥ .وتَهاوتْ شُهْبُ الأسنَّةِ حتَّى فرَّ منها شَيطانُها المَرِيدُ

٢٦ .وغَزَوهمْ وهمْ نباتٌ وآبُوا وهمُ منْ شَبا[8] السُّيوفِ حصيدُ

٢٧ .فأسيرٌ تُغَلُّ منهُ يمينٌ وعَفِيرٌ يُحَزُّ منهُ وريدُ

٢٨ .واغتدى الحيُّ وهْوَ بالخوفِ مَيْتٌ فتساوى الموجودُ والمفقودُ

---

(٥) الصِّعادُ: القنا المستوية، ومفردها: صعدةٌ.

(٦) الموضون والمسرودُ: صفتان للدُّروع، والموضونة: الدرع المقاربة النَّسْج، ومثلُها المسرودة.

(٧) الكُنودُ بضمّ الميم، ومفرده الكَنودُ بفتحها: الكافر بالنِّعمة.

(٨) شبا السُّيوف: مفردها شباةُ: حدُّ السَّيف.

٢٩.أقبلَ الصبُّحُ وهْيَ شِرْكٌ وما أد ... بـــرٌ إلاَّ وكلُّهــــا توحيـــدُ

٣٠.وأراهــا بــالأمسِ كــانتْ قُصــوراً ... عاليــاتٍ واليــومَ فهْــيَ لُحُــودُ

٣١.قُلْ لحزبِ الصلّيبِ: هذا عذابُ اللّـ ... ـهِ قــدْ حــانَ يومُــه الموعــودُ

٣٢.أسْلِموا تَسْلَموا ولا تُكْثِروا البغْـ ... ـيَ تقلُّــوا وحــاذروا أنْ تَعــودوا

٣٣.ولَئِــنْ عُدتُــمُ فتلــكَ المواضــي ... باقيــاتٌ لكــمْ وتلــكَ القيــودُ

(٥٣)

وقال، يمدحُه، ويذكرُ كَسْرَةَ التَّتارِ على قيساريَّةِ الرُّومِ على يده: [الطويل][(١)]

١. فُتوحٌ يخُصُّ المسلمينَ عُمومُها ... لها بارقاتٌ «بالشَّآمِ» نَسيمُها

٢. وتأييدُ عزمٍ ظاهريٍّ وهمَّةٌ ... تَطولُ مراميها على مَنْ يرومُها

٣. وجيشٌ إذا حلَّ الفضاءُ تضايقتْ ... سُهولُ الفيافي في دونَه وحُزومُها[(٢)]

٤. مُظَفَّرةٌ أعلامُه وبذا قضَتْ ... مَلاحمُ أربابِ النُّهى وعلومُها

٥. لقدْ ظهرتْ «بالظَّاهرِ» الحِكَمُ التي ... أضاءَ بها للحادثاتِ بَهيمُها

٦. شَكَرْنا أبا الفتحِ الجميلِ ثناؤُهُ ... على أَنْعُمٍ في ظلِّه نَستديمُها

٧. تملَّكَ أعناقَ الورى مُتيقِّظاً ... فنامتْ رعاياهُ وحِيطَ حريمُها

٨. وألقتْ إليهِ النَّاسُ فضلَ قيادِها ... ودانَ لهُ مُعوَجُّها وقَويمُها

٩. فداوَى قُلوباً عزَّ منها شِفاؤُها ... بإحسانِه أو صحَّ منها سَقيمُها

١٠. أتَتْهُ أحاديثُ الغُواةِ التي طغَتْ ... وخالفَ باغيها وعقَّ أَثيمُها

١١. فقامَ لدينِ اللَّهِ قومةَ مُغضَبٍ ... يهُزُّ القَنا ما بعدَهُ مَنْ يقومُها

١٢. وأقبلَ مِنْ «فُسطاطِ» مصرَ بجحفلٍ ... عظيمٍ ومنصورُ الجيوشِ عظيمُها

١٣. رجالٌ ترَى أنَّ الحِمامَ[(٣)] حياتُها ... غداةَ جهادٍ والشَّقاءَ نَعيمُها

١٤. سحائبُ سيلٍ والخيولُ بُروقُها ... وأقمارُ ليلٍ والعوالي نُجومُها

---

(١) كان ذلك في جُمادى الأولى سنة ٦٦٣هـ. انظر عقد الجمان؛ ١/ ٣٩٦، والمختصر؛ ٤/ ٢، وفيهما: «قيسارية الشَّام».

(٢) الحزومُ كالحزون مفردها حَزْمٌ وحزْنٌ: ما غَلُظَ من الأرض.

(٣) الحِمامُ: الموت.

١٥ .إذا قيلَ: «يا للظَّاهريَّةِ» بادرتْ | إلى الخيلِ والأبطالُ بادٍ وجومُها
١٦ .إلى أنْ علا أرضَ «البلستينِ» بالقنا | وأوشكَ أنْ تُلقي الخصومَ خصومُها
١٧ .وقد حشدَ الأعداءَ واشتدَّ بأسُها | وسارَ بها جبَّارُها وغشُومُها
١٨ .فجاءتْ بجيشٍ يَحجبُ الأرضَ كثرةً | أُسودُ شَرى[٤] قد ضاقَ عنها صريمُها
١٩ .إذا زمجرتْ بالفارسيَّةِ «مُغْلُها» | تُجاوبُ هاتيكَ الزَّماجرَ «رُومُها»
٢٠ .فشدَّ عليها شَدَّةً «ظاهريَّةً» | فولَّتْ على الأعقابِ تَدمَى كُلومُها[٥]
٢١ .وألقتْ عليها «التُّرك» بأساً وسطوةً | إلى أن هوتْ أقيالُها وقُرومُها[٦]
٢٢ .وسالتْ منَ البيضِ الصِّفاحِ دماؤُها | على الأرضِ حتَّى احمرَّ منها أديمُها
٢٣ .وسِيءَ على فقْدِ الحياةِ قتيلُها | وسُرَّ بإدراكِ النَّجاةِ هزيمُها
٢٤ .فللسَّيفِ والرُّمحِ الأصمِّ نفوسُها | وللطَّيرِ والوحشِ المُثارِ جُسومُها
٢٥ .إذا لامَها مَنْ غابَ يومَ فرارِها | فإنِّي على إدبارِها لا ألومُها
٢٦ .رأتْ صُوَراً للإنسِ في بأسِ جنَّةٍ | فولَّتْ بها أقدامُها وحلومُها
٢٧ .وحاطتْ «بقَيساريَّةِ[٧] الرُّومِ» خيلُه | وقد هانَ منها بالحُسامِ جَسيمُها
٢٨ .وغادرَها بعدَ الإباءِ مُذالةً | وعهدي بها تغلو على مَنْ يسومُها
٢٩ .فيا بَرْدَ أكبادٍ حِرارٍ تروَّحتْ | وقد هبَّ مِنْ أرضِ الشَّمالِ نسيمُها

---

(٤) الشَّرى: مأسدةٌ مشهورةٌ. قيل: جبلٌ بنجدٍ في ديار طيِّء وجبل تهامة موصوف بكثرة السِّباع، وهنالك أقوال أخرى. انظر معجم البلدان (الشرى).

(٥) البيت في غاية الهجاء لتصوير فرار الأعداء، قال الشاعر، وهو يفتخر عكس ما هنا:
فلسنا على الأعقابِ تدمى كلُومنا | ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدَّما

(٦) الأقيال، مفردها: قَيْل: الملوك، والقرومُ: الأبطال المعدودون، مفردها: قرم.

(٧) قَيسارية الرُّوم: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم، هي كرسي بني سلجوق ملوك الرُّوم أولاد قليج أرسلان. انظر معجم البلدان (قَيسارية).

٣٠.ومُذْ قَدِمَتْ خيلُ البريدِ بنصْرِهِ تُبشِّرُهُ سرَّ الأنامَ قدومُها

٣١.وعاد فتوحُ المسلمين كما بدا به وانجلتْ عنْ كلِّ نفسٍ هُمومُها

٣٢.ومدَّتْ له أهلُ العراقِ عِنانَها وودَّ اشتياقاً لو يَطيرُ مُقيمُها

٣٣.ولو أنَّ «بغداداً» تُطيقُ ترحُّلاً لجَدَّ بها إرقالُها ورسيمُها[8]

٣٤.وإنَّ ديارَ المارقينَ وإنْ نأتْ سَتَقْوى[9] مغانيها وتعفو رُسومُها

٣٥.أتاها رسولٌ بالنَّعيِّ فأرسلَتْ منْ القومِ إحدانُ الدُّموعِ وتُومُها[10]

٣٦.وإنَّ حديثَ الوقعتينِ الذي سرى سيُقعدُها منْ هولهِ ويُقيمُها

٣٧.فقلْ لِمُلوكِ «المُغْلِ» أو عُظَمائِها ومَنْ هوَ حادي أمرِها وزَعيمُها:

٣٨.«ستَعْلَمُ ليلى أيَّ دَينٍ تَداينَتْ وأيُّ غريمٍ للتقاضي غريمُها»[11]

---

(٨) الإرقال والرَّسيم: نوعان من سير الإبل والخيل.

(٩) تقوى وتعفو: تقفرُ وتمَّحي، والرُّسوم: أطلال الدِّيار الدَّارسة.

(١٠) الإحدان: الآحاد والتُّوم: التوائم. والتوأم هو الذي يلد مع غيره. اللسان (تأم).

(١١) ضمَّن الشَّاعر هذا البيت، ونقلَه من الغزل والمطل بوعد الحبيب إلى الحرب والحماسة وتسويف العدوّ بالسَّداد، وكان نقلاً موفَّقاً. والبيت من غير نسبة لأحد في شرح أبيات مغني اللبيب: ٦/ ٢٧٠ و٧/ ١١٠، وشرح شواهد المغني؛ ٢/ ٨٣٤ و٨٨٢، ومغني اللبيب؛ ٢/ ٤١٧ و٥١٥. وفي ديوان مجنون ليلى؛ ١٩٥ عدَّة مقطَّعات على هذا البحر والرَّوي، وكلُّها تصلحُ أن يكون هذا البيت واحداً منها.

(٥٤)

قال المولى شِهابُ الدِّين صاحبُ هذا الدِّيوان أطالَ اللَّهُ بقاءَهَ:

«استدعاني في الدَّولةِ الظَّاهريَّةِ جماعةٌ من أمرائِها، واقترحوا عليَّ قصيدةً على وزنِ:

أَلاهُبِّي بِصَحْنِكِ فاصبحينا[1] ... ...

أصفُ فيها وقائعَ التركِ وفتوحاتِهم وغزواتهم وأسماءَ الحصونِ والقلاعِ التي فتحوها، وكَسْرَ العساكرِ التي لَقُوها وأسماءَ مُلوكهمْ ومُلوكِ غيرهم، وأنِّي أكونُ لسانَ حالهم في افتخارهِمْ على غيرِهم منَ الطَّوائفِ ومَدْحِ الملكِ الظاهرِ وولدِهِ الملكِ السَّعيدِ فَصْلاً فَصْلاً، فعملتُ هذهِ القصيدةَ، وهي [هذه كما ترى]: [الوافر][2]

١. بدأنا باسمِ ربِّ العالمينا ... وثنَّينا بخيرِ المُرسلينا

٢. نبيٌّ أشرفِ الثَّقلَينِ قَدْراً ... وأوضحِ هذهِ الأديانِ دينا

٣. حباهُ اللَّهُ تكرمةً ووحياً ... ومُعجزةً وقُرآناً مُبِيْنا

٤. وشرَّفَ «مكَّةً» مُذْ حَلَّ فيها ... وزانَ بهِ «المشاعرَ» و«الحَجونا»[3]

---

(١) عجزُه:

... ... ولا تُبقي خمورَ الأندرينا

وهو مطلع قصيدة عَمْرو بن كلثوم التَّغلبي، وهي إحدى المعلَّقات السَّبع الشهيرة.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) المشاعرُ مكان إقامة شعائر الحجّ في مكَّة وحولها. والحَجونُ: جبلٌ بأعلى مكَّة عنده مدافن أهلها. وقيل: موضعٌ بمكَّة عند المحصَّب، وهو الجبل المشرف بحذاء المسجد الذي يلي شعب الجزّارين.. وقيل: الحجون مقبرة أهل مكة تجاه دار أبي موسى

٥. لقد بلغتْ بهِ العرَبُ افتخاراً | ونالت للعُلى سَبباً مَتينا
٦. ولولاهُ سَبقْناهُمْ جميعاً | إلى أمدِ العُلى سيفاً مُبينا
٧. ونحنُ التُّركُ جندُ اللَّهِ أوفى الـ | ـورى شَدّاً وإقداماً ولِينا
٨. وقالوا: إنَّنا نحنُ المَوالي | ونحنُ سُراتُهمْ[٤] لو أنصفونا
٩. نصرْنا آلَ عبَّاسٍ قديماً | وأيَّدْنا الملوكَ الرَّاشدينا
١٠. وثبَّتْنا الخلافةَ حينَ زلَّتْ | فقرَّتْ بعدما اضطربتْ سنينا
١١. ولولا «الظَّاهرُ» الملكُ المُرجَّى | لما ملَكَ الفخارَ بنو أبينا
١٢. «أبو الفتحِ» الذي في كلِّ يومٍ | يُرينا مِنْ عجائبهِ فُنونا
١٣. شأى «عاداً» و«شدَّاداً» و«كسرى» | و«قيصرَ» و«التبابعَ» و«القُرونا»[٥]
١٤. وفاقَ عُلا ملوكِ العصرِ طُرّاً | وسادَ على الملوكِ السَّالفينا
١٥. فدعْ عَمْرَو بنَ وُدٍّ[٦] وابنَ مَعْدي | وبِسطاماً وعنترةَ الهجينا

الأشعري . انظر معجم البلدان (الحجون)، والروض المعطار، ١٨٨، ومعجم ما استعجم؛ ١/ ٤٢٨ . ومن أعذب ما قيل فيها قول مضّاض بن عمرو الجرهمي يتشوّق إلى مكة من أبيات أوّلُها:

كأن لم يكن بينَ الحَجون إلى الصَّفا | أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكّة سامرُ

(٤) سُراة القوم: أشرافهم وسادتُهم.

(٥) عاد بن شدّاد ملوكٌ من العرب البائدة، أبادهم اللَّه لعتوهم وطغيانهم وكسرى اسم لكلّ ملوك الفرس وقيصر اسم لكل ملوك الروم والتبابع ومفردها تُبَّع ملوك اليمن والقرون الملوك القدماء بعامة.

(٦) عمرو بن عبد وُدٍّ بن أبي قيس أخو بني عامر بن لُؤي، أحد فرسان قريش المعدودين، قتله علي بن أبي طالب عليه السَّلام مبارزةً في غزوة الخندق في شوال في السنة الخامسة للهجرة. انظر سيرة ابن هشام؛ ٣/ ١٩٥ . وابن معدي هو عمرو بن معدي كرب الشاعر والفارس المشهور، مرَّ ذكره سابقاً. وبسطام: هو بسطام بن

١٦. ولا تطلبْ «لبِيْبَرْسٍ» نظيراً — فذلكُمْ بعيدٌ أنْ يكونا

١٧. تظلَّلْناهُ للأيَّامِ رُكْناً — فكانَ لسعدِنا حِصْناً حصينا

١٨. فلو لاقى بنا جِنٌّ الفيافي — بهمَّتِهِ وعَزْمَتِهِ لقينا

١٩. ونحنُ «الصَّالحيَّةُ» خيرُ حزبٍ — كرام مِنْ تُراثِ الأكرمينا

٢٠. أقمْنا مجدَ «أيُّوبٍ» وقُمنا — بنصرةِ ملْكِهِ حيناً فحينا

٢١. ولو أنَّا شَهِدْنا «آلَ حربٍ» — لخالفْنا «أميَّةَ» أجمعينا(٧)

٢٢. وتابعْنا وبايعْنا «عليّاً» — أبا حسنٍ أميرَ المؤمنينا

٢٣. ولو كُنَّا تداركْنا «حُسَيْناً» — ولم يُسْقَ الزُّلالَ فلا سُقِيْنا(٨)

٢٤. خُلِقْنا ننصرُ المظلومَ طوراً — وآونةً نُبيدَ الظَّالمينا

٢٥. فسلْ عنَّا المواضي والعوالي — وجُرْدَ الخيلِ والحربَ الزَّبُونا(٩)

٢٦. أَلَنَّا قَسْوةَ الأيَّامِ قسراً — وقُدْنا بعدها الدَّهرَ الحَرونا(١٠)

قيس بن مسعود الشيباني، سيّد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية يضرب المثل بفروسيَّته، وكان يُقال: «أغلى فداءً من بسطام بن قيس»، حيث أسره عيينة بن الحارث فافتدي بأربع مئة ناقة وثلاثين فرساً. أدرك الإسلام ولم يسلم. انظر الأعلام؛ ٢/ ٥١. وعنترة: الشّاعر والفارس المشهور، وقال: الهجين؛ لأنه كان ابنَ أمة سوداء.

(٧) آل حرب هم قوم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وقوله: لخالفناهم: لأنهم ناصبوا الإسلام عداءً شديداً.

(٨) يُشير إلى مقتل الحسين عليه السَّلام بكر بلاء ظامئاً في الوقعة المشهورة، والقصة أشهر من أن تذكر.

(٩) المواضي: السُّيوف، والعوالي: الرماح، وجردُ الخيل: عتاقُها وخيارُها، والحربُ الزَّبون: الشديدة.

(١٠) الحرون: المتمنِّع المعاند.

٢٧.ومـــا زلْنـــا نعُـفُ عـــنِ الدَّنايـــا ونملُـــكُ ثـــمَّ نعفـــو قادرينـــا

٢٨.ومـــا زالـــتْ قديمـــاً أو حديثـــاً تُســـالِمُنا الملـــوكُ وتتَّقينـــا

٢٩.إذا «البحريَّـةُ» اقتحمـتْ عَجاجـاً وقـــارعتِ الكُمـــاةَ الدَّارعينـــا[11]

٣٠.فمـــا للجاهليَّـــةِ مـــنْ حســـابٍ هنـــاكَ ولا «لعـــادَ» الأوَّلينـــا[12]

٣١.فلا تســـمعْ لغـــيرِهمُ حديثـــاً وخـــلِّ الشَّـــكَّ واتَّبِـــعِ اليقينـــا

٣٢.لنـــا الدُّنيـــا وســـاكنُها جميعـــاً ونحـــنُ ملوكُهـــا والمُلْـــكُ فينـــا

٣٣.ونحـــنُ السَّـــابقونَ إلـــى المعـــالي ونحـــنُ الحـــاكمونَ الآمرونـــا

٣٤.ونحـــنُ الغـــالبونَ إذا غَزَوْنـــا ونحـــنُ الصَّـــابرونَ إذا غُزِيْنـــا

٣٥.ونحـــنُ الرَّاحمـــونَ إذا انتقمْنـــا ونحـــنُ العـــادلونَ إذا وَلينـــا

٣٦.ونحـــنُ المـــانعونَ إذا غضبْنـــا ونحـــنُ المـــانحونَ إذا رضينْـــا

٣٧.وقـد عَلِمـتْ ملـوكُ البحـرِ لمَّـا أتَـــوا فتَكاتِنـــا عِلْمـــاً يقينـــا

٣٨.أتونـــا كـــالأتيِّ[13] إذا توالـــى وقـد مَـلأوا السَّـواحلَ والسَّـفينا

٣٩.وظنُّـــوا قهْرَنـــا والظَّـــنُّ شَـــكٌّ فحقَّقْنـــا بقهرِهـــمُ الظُّنونـــا

٤٠.و«ريـدا فرنـس» يقدُمُهـمْ بصـدْرٍ ضغـينٍ يـا لـهُ صـدراً ضغينـا

٤١.وأقســمَ لــمْ يــدعْ شــيخاً كبــيراً مِـنَ الإسـلامِ أو طفـلاً جنينـا

٤٢.يمينـــاً احنثتْـــهُ[14] وأحوجتْـــهُ سُيوفُ «الصَّالحيَّـةِ» أنْ يمينـا[15]

---

(١١) الكماة الدارعون: الفرسان الأشداء اللاَّبسو الدّروع. والبحريَّة: أي المماليك البحرية نسبة لسكناهم.

(١٢) استفاد عبارة عاد الأوّلين من القرآن الكريم حيث سمَّاها عاد الأولى، قال تعالى: ﴿وأنَّه أهلك عادَ الأولى [النجم: ٥٠]﴾.

(١٣) الأتيُّ: السَّيل.

(١٤) حَنث باليمين: كذبَ ولم يبرَّ بها.

(١٥) أنْ يمِينَ: أن يكذب. والمين: الكذب. والصَّالحية: المماليك نسبةً لمولاهم نجم الدين الصالح أيوب.

٤٣. و«بالمنصورةِ» انتصرتْ وطالتْ ... يدُ التَّوحيدِ فوقَ المُشركينا
٤٤. لَقِينا زُرْقَهمْ منَّا بِسُمْرٍ ... أبتْ يومَ الكريهةِ أنْ تلينا
٤٥. وبِيْضٍ كالمنايا أو كأنَّ الـ ... ـمنايا الحمْرَ كنَّ لها قُيُونا[16]
٤٦. سُيوفٌ كلَّما ظَمِئَتْ لِوِرْدٍ ... تُفجِّرُ في نُحورِهِمُ عُيونا
٤٧. وبادرْنا البطارقَ شاهرينَ الـ ... ـصَّفائحَ والكنودَ مدَرَّعينا
٤٨. فهزُّوا عند حَمْلَتِنا سُيوفاً ... فخلْنا أنَّهمُ هزُّوا غُصونا
٤٩. وما نَدري وقدْ صُلْنا عليهمْ ... صِفاحاً جرَّدوها أم جُفونا[17]؟
٥٠. كسَوْناهمْ ثيابَ الموتِ حُمْراً ... فخرُّوا بالدِّماءِ مُضرَّجينا
٥١. ولمْ نتركْ بعونِ اللّهِ إلاَّ ... قتيلاً أو طريحاً أو طعينا
٥٢. ولمْ تسمعْ بأرضِ القومِ إلاَّ ... بُكاءً أو نُواحاً أو حَنينا
٥٣. وعُدْنا بالغنائمِ والسَّبايا ... «وأُبْنا بالملوكِ مصفَّدينا»[18]
٥٤. وملَّكْنا «المعزَّ» فنالَ عِزّاً ... وخَفْضاً في الحياةِ بنا ولينا
٥٥. وجاءتْنا ملوكُ «الشّام» بَغْياً ... وقدْ عزَّتْهمُ الأطماعُ فينا
٥٦. بجيشٍ سَدَّ أقطارَ الفيافي ... وقدْ ملأ السُّهولةَ والحُزونا[19]

---

(١٦) القُيون: مفردة قَيْن: الحداد.

(١٧) الجُفون: هي أغطية السُّيوف، يصف سيوفهم بالكهامة وعدم القطع.

(١٨) هذا عجز بيت من معلَّقة الشاعر عمرو بن مكثوم، وصدره:
فآبوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا ....
ويكون العزازي قد أخذ البيت بكامله لا صدره فقط. انظر شرح المعلقات السَّبع للزوزني؛ ٢٥٤.

(١٩) الحُزون، مفرده: الحزن، وهو الأرض المرتفعة.

٥٧.ورامُـــوا مُلْكَنـــا مِنَّـــا فلاقُـــوا وراءَ المُلْــكِ أُسْــداً خادريـنــا[٢٠]

٥٨.حَمَيْنـا بالقنـا «فُسـطاطَ مصـرٍ» كمـا تَحمـي الضَّراغمـةُ العَرينـا

٥٩.صدَمْنـــاهُمْ بفُرســانٍ كُمـــاةٍ مشـــاهيرِ الوقـــائع مُعْلِمينـــا

٦٠.ففرَّقْنـــا جموعَهـــمُ وسُـــقْنا ملوكَهـمُ الأكـابرَ صاغرينـا[٢١]

٦١.وجاهدْنـــا العـــدوَّ كمـــا أُمِرْنـــا وجانبْنـا الخِـلافَ كمـا نُهينـا

٦٢.وحُزْنـا المجـدَ والقِـدْحَ المُعلَّـى ونِلْنـا النَّصْـرَ والفتـحَ المُبينـا

٦٣.ولـم نـترُكْ «بأرسـوفٍ»[٢٢] و«يافـا» و«قيســاريةٍ»[٢٣] منهـمْ قَطينـا

٦٤.وعاجلْنا «الشَّقيفَ»[٢٤] وقد أبحْنا حمَى «صفَدٍ»[٢٥] وكانَ حِمًى مَصُونا

٦٥.فسلْ عن حربِنا أعلاج «سِيسٍ»[٢٦] و«أنطاكيَّـــةً»[٢٧] لَمَّـــا لَقُونـــا

٦٦.لَقُـوا أُسْـداً أظافِرُهـا سُـيوفٌ صَياقلُهـا الرِّقـابُ إذا صَدينـا

٦٧.فأعطُونـــا ظُهورَهُـــمُ وولَّـــوا وقـد أدمَـى الحُسامُ لهـم بُطُونـا

٦٨.وضنُّـوا بـالنُّفوسِ حـذارَ مـوتٍ وجـادوا بالبنـاتِ و بالبنينـا

٦٩.فمـا زلنـا نُريـقُ لهـم دِمـاءً بـأطرافِ القنـا حتَّـى رَوينـا

٧٠.وخَلَّفْنـا ديـارَهُمُ خرابـاً كـأطلالٍ دوارسَ قـدْ بَلِينـا

---

(٢٠) الأسد الخادر والمخدر: الرَّابض دون عرينته كناية عن المنعة والقُوَّة.

(٢١) صاغرون: أذلَّة.

(٢٢) تم الاستيلاء عليها وفتحها في جمادى الآخرة سنة ٦٦٣هـ. عقد الجمان؛ ١/ ٣٩٧.

(٢٣) تم فتحها في جمادى الأولى سنة ٦٦٣. م. ن.

(٢٤) تم فتحها في رجب سنة ٦٦٦هـ.

(٢٥) تم فتحها في رمضان سنة ٦٦٤هـ.

(٢٦) تم فتحها سنة ٦٦٤هـ.

(٢٧) تم فتحها في رمضان سنة ٦٦٦هـ.

٧١.وكــلُّ حليلــةٍ تنعــي حليــلاً وكــلُّ قرينــةٍ تبكــي قَرينــا

٧٢.ونازلْنــا القريــنَ بــلا اكــتراثٍ وقــدْ أعيــا القُــرونَ الأوَّلينــا

٧٣.وأرهبْنــا ملــوكَ البحــرِ طُــرّاً وسُــكَّانَ الجزائــرِ أجمعينــا

٧٤.وكــمْ في الأرضِ جبَّــارٍ عنيــدٍ أعدْنــاهُ ذليــلاً مُسْــتكينا

٧٥.ولــو شُــرحتْ وقائعُنــا لطــالتْ ولكنَّــا اختصرْنــا مــا لَقينــا

٧٦.وظفَّرْنــا «المظفَّــرَ» بالأعــادي فــأوقعَ بالعُصــاةِ المارقينــا

٧٧.وقاتلْنــا جيــوشَ المَغْــلِ حتَّــى شَــفَينا منهــمُ الــدَّاءَ الدَّفينــا

٧٨.برمْــيٍ مــنْ ســهامٍ خارقــاتٍ نشــقُّ بهــا مــنَ الحَــدقِ الجفُونــا

٧٩.وطَعْــنٍ مــنْ أسِــنَّتِنا دراكــاً نفــلُّ بهــا الجواشــنَ والغُضونــا[٢٨]

٨٠.وضــربٍ مــنْ سُــيوفٍ قاطعــاتٍ نَقُــدُّ بهــا الأيــاطلَ والمُتونــا[٢٩]

٨١.وأبطــالٍ مــنَ الأتــراكِ شُــوسٍ كُمــاةٍ في الحــروبِ مُجرَّبينــا

٨٢.تَحفُّ بهــمْ ملائكــةٌ كِــرامٌ كــأنَّ أمامَهــا الــرُّوحَ[٣٠] الأمينــا

٨٣.فولَّــتْ فُرقــةٌ منهــمْ يســاراً وفَــرَّتْ فُرقــةٌ منهــمْ يمينــا

٨٤.وســالتْ بالدِّمــاءِ الأرضُ حتَّــى أفــاضتْ «عــينُ جــالوتِ»[٣١] عُيونــا

٨٥.وسُــقْنا خلفَهــمْ حتَّــى أعدْنــا جيــادَ الخيــلِ واقفــةً صفُونــا

---

(٢٨) الجواشن والغضون: الدُّروع.

(٢٩) الأياطل: الخواصر، مفردها: إطْل وأيطل، والمتون: الظهور.

(٣٠) الروح الأمين: جبريل عليه السّلام.

(٣١) عين جالوت المكان الذي حدثت فيه المعركة الشّهيرة ضدّ التّتار، بقيادة السلطان المظفّر قطز وذلك في رمضان سنة ٦٥٨هـ. وكان ممَّن شارك مع السلطان في هذه المعركة المنصور الثاني صاحب حماة، فأقرّه السلطان على حماة وبارين، وأعاد عليه المعرّة، وكانت في أيدي الحلبيين من سنة ٦٣٥هـ. وأخذ منه السلمية وأعطاها للأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا بن مانع أمير العرب. انظر عقد الجمان؛ ١/ ٢٤٣ وما بعد، والمختصر؛ ٣/ ٢٠٥.

٨٦.أخذْنــا ثــأرَ «بغــدادِ» و عُجْنــا | علــى «حلَــبٍ» و«ميّافارِقينــا»[٣٢]

٨٧.ومــا زِلنــا نُطــالبُهمْ إلــى أنْ | قَضينــا مــنْ ملوكِهِــمْ الدُّيونــا

٨٨.وحاربْنــا ملــوكَ الــرُّومِ حتَّــى | أعدْنــا عزَّهــم بــالحربِ هُوْنــا

٨٩.وخرَّبْنــا قصورَهــمُ العوالــي | وهدَّمنــا المعــاقلَ والحصونــا

٩٠.وعدْنــا بالرِّجــالِ وهــمْ أُســارَى | وبالنُّســوانِ أبكــاراً وعُونــا[٣٣]

٩١.إذا مــا كنــتَ مــنْ نُــوَبِ اللَّيــالي | تُحــاذرُ أنْ تُــذَلَّ وأنْ تدينــا

٩٢.فكَنْ «بالصَّالحيَّــةِ» مســتجيراً | وكُــنْ «بالظَّاهريَّــةِ» مســتعينا

٩٣.تجــدْ قومــاً يفلُّــونَ الرَّزايــا | وقومــاً لا يهــابونَ المَنونــا

٩٤.وبالسُّــلطانِ «ركــنِ الدِّيــنِ» نِلْنــا | مآربَنــا وسُــدْنا العالمينــا

٩٥.وطاولْنــا بِــهِ نجــمَ الثُّريَّــا | وقصَّرنــا بــهِ الغيــثَ الهَتونــا

٩٦.فأمَّــا سَــيفُه فبــهِ انتصرْنــا | وأمَّــا رأيُــه فبــهِ هُدِينــا

٩٧.مَلِيْــكٌ طبَّــقَ الآفــاقَ عــدلاً | ومعروفــاً وأغنَــى القاصدينــا

٩٨.إذا مــا ســارَ يَطــوي الأرضَ طيّــاً | توَهَّمنــاهُ «حيــدرةَ البَطينــا»[٣٤]

٩٩.وإنْ لحــظَ البعيــدَ غــدا قريبــاً | وإنْ ســكنَ المخــوفَ غــدا أمينــا

١٠٠.وإنْ خفقَــتْ لــه أعــلامُ نصــرٍ | غــدتْ حركَــاتُ أعــداهُ[٣٥] سُــكونا

---

(٣٢) ميافارقين: مدينة قديمة شمال شرقي ديار بكر. كانت موطناً للحمدانيين وفيها قبور كثير منهم، وفيها دفنتْ والدة سيف الدَّولة الحمداني، وذكر المتنبي ذلك في شعره حيث قال يصف خيل سيف الدَّولة في قصيدة شهيرة يمدحه بها:

تجــانَفَ عــن ذات اليمــينِ كأنَّهــا | تــرِقُّ لميَّافــارقين وترحــمُ

(٣٣) الأبكار: العذارى اللَّواتي لم يمسسن، والعُون: المتزوّجات.

(٣٤) حيدرة البطين: الإمام عليّ عليه السَّلام.

(٣٥) أعداه: أعداؤه، وقصر الهمز ضرورةً.

١٠١. وإنْ قصدتْ عساكرُه عدوّاً فيوشِكُ كلُّ صعبٍ أن يَهونا

١٠٢. أجلُّ النَّاسِ عارفةً[٣٦] وأعلا هُمُ هِمَماً وأنداهُمْ يمينا

١٠٣. فيا للَّهِ كم أحيا نَصوحاً لدولتِهِ وكم أردى خَؤُونا

١٠٤. شُجاعٌ كلَّما هاجتْ حُروبٌ أدارَ على العِداةِ رحًى طَحونا

١٠٥. جَوادٌ لم يزلْ في يومِ سَبْقٍ يُغبِّرُ في وجوهِ الغابرينا

١٠٦. كريمٌ لم تزلْ غُررُ القوافي تُقلِّدُ جيدَه عِقْداً ثَمينا

١٠٧. لهُ منْ نفسِهِ جيشٌ لُهامٌ غدا «المَلِكُ السَّعيدُ»[٣٧] لهُ كَمينا

١٠٨. بهِ وبنجلِهِ نِلْنا الأماني وحادثةَ اللَّيالي قد كُفينا

١٠٩. فذا للمسلمينَ حُسامُ نصرٍ وذاكَ وليُّ عهدِ المُسلمينا

---

(٣٦) العارفة: المعروف وفعل الخير، والعارفة: العطيَّة أيضاً.

(٣٧) الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس.

(٥٥)

وقال يمدح السُّلطانَ الملكَ المنصورَ سيفَ الدِّينِ قَلاوونَ[1]: [البسيط]

١. أمضيتَ ما خطَّهُ منْ نَصرِكَ القلمُ فيا لها نِعْمةً مِنْ دونِها النِّعَمُ

٢. نهضتَ للَّهِ تَقضي حقَّ طاعتهِ وأنتَ للَّهِ منْ أعداهُ[2] منتقِمُ

٣. فَلَمْ يخِبْ لكَ قصدٌ رحتَ طالبَهُ ولمْ يَضِعْ لكَ أجرٌ راحَ يُغتنَمُ

٤. لولا اهتمامُكَ يا أسخَى الملوكِ يداً كادتْ تزلُّ بهذي الملَّةِ القَدمُ

٥. لولاكَ أصبحَ شملُ الدِّينِ مفترقاً وأوشكتْ عُروةُ الإسلامِ تنفصِمُ

٦. فوجهُ دولتِكَ الغرَّاءِ مُبتهجٌ بما فعلتَ وثغرُ الدِّينِ مبتسمُ

٧. يا كاشِفَ الضُّرِّ عن أهلِ الشَّآمِ وقدْ نادُوكَ واستصرخَ الأطفالُ والحُرَمُ

٨. أجبتَهمْ والمنايا نُصْبُ أعينِهِمْ ولم يكنْ بكَ عن تَثويبِهِمْ[3] صَمَمُ

٩. لمَّا سمعتَ أحاديثَ الذينَ بَغَوا وخالفوا واجْتَرَوا في الدِّينِ واجترَموا

١٠. غضبتَ للدِّينِ ثمَّ استنهضتْكَ لهُ حميَّةٌ نارُها بالحقدِ يَضطرِمُ

١١. فيا لها عزْمةٌ للَّهِ مخلصةٌ وهمَّةٌ صَغُرتْ في جنبِها الهِمَمُ

١٢. وسِرتَ في رجبٍ تبغي مثوبتَهُ وأنتَ باللَّه «منصورٌ» و«معتصمُ»[4]

١٣. فجزتَ «حمصاً» بجيشٍ لو صَدَمْتَ بهِ طَوداً لأوشكَ ذاكَ الطَّودُ ينهدِمُ

---

(١) ترجمنا له عند القصيدة (٣٧).

(٢) من أعداهُ: من أعدائه، وقصر الهمز لضرورة الشعر.

(٣) التَّثويب: النّداء.

(٤) المنصور والمعتصم: خليفتان عباسيَّان مشهوران.

١٤ .جيشٌ منَ التُّركِ في أدراعهِمْ أسَدٌ   لها السُّيوفُ نُيُوبٌ والقَنا أجَمُ[٥]

١٥ .وللصَّواعقِ في أيمانِهم شُعَلٌ   يا مَنْ رأى شُعَلاً تَسطو بها دِيَمُ

١٦ .لا يعرفونَ حُصوناً يلجُؤونَ لها   غيرَ السُّيوفِ التي أغمادُها القِمَمُ[٦]

١٧ .تَجولُ فوقَ جيادٍ إنْ أردتَ بها   غَزْواً فكلُّ بعيدٍ عندها أمَمُ[٧]

١٨ .يحمُلْنَ آجامَ أرماحٍ بها ظَمأٌ   إلى النُّحورِ وآساداً بها قَرَمُ[٨]

١٩ .ما فارقتْ منْ حِمَى «مصرٍ» كواهلُها   شدَّ السُّروجِ ولا أشداقَها اللُّجُمُ

٢٠ .أوردتَها نَهَرَ «العاصي» ومَوْرِدُهُ   صافٍ وعُدتَ بها للوِرْدِ وهْوَ دَمُ

٢١ .فخامرَ الرُّعبُ جيشَ المُغْلِ وأتَمروا   وأظهروا من خفيِّ الخوفِ ما كتَموا

٢٢ .وغرَّهمْ ذلكَ الجمعِ الذي جَمعوا   حتَّى استمرُّوا على العزمِ الذي عَزمُوا

٢٣ .وأقبلُوا في خميسٍ[٩] ما لَه عَدَدٌ   كالسَّيلِ في سِعَةِ البَيداءِ يزدحمُ

٢٤ .خُزْرُ النَّواظرِ أعلاجٌ مَرازِبةٌ   مثلُ البهائمِ إلاَّ أنَّهمْ بُهَمُ[١٠]

٢٥ .فَمُذْ رأوا جيشَكَ المنصورَ زائرةً[١١]   أسودُهُ ندِموا لو ينفعُ النَّدَمُ

٢٦ .وكانَ عندَهُمُ علْمٌ بقسوتهِ   وإنَّما جَهلوا فوقَ الذي عَلموا

٢٧ .فاستقبلتْهُمْ بنو التَّوحيدِ واثقةً   باللَّهِ فاختلطَ الأنوارُ والظُّلَمُ

٢٨ .وضاقتِ الأرضُ حتَّى لا مجالَ بها   وشبَّتِ الحربُ حتَّى شابتِ اللِّمَمُ

---

(٥) الأجَمُ: مفردها: أجمة: غاب الأسد.

(٦) القممُ هنا: رؤوس الرجال المقتولين.

(٧) أممٌ: قريبٌ.

(٨) القرَم: الشهوة للحم.

(٩) الخميس: الجيش الكثيف.

(١٠) البُهَمُ: الأبطالُ. وخزرُ النَّواظر: ضيِّقو العيُون.

(١١) زائرةً: من الزَّئير: صوت الأسد.

٢٩.فالبِيْضُ تَلمعُ والخِرصانُ[١٢] دامِيَةٌ والخيلُ تصهَلُ والفُرسانُ تصطدمُ

٣٠.وللملائِكِ فوقَ الجيشِ رفرفةٌ وفي العَجاجةِ خيلُ اللّهِ تَقتحِمُ

٣١.صدمْتَهمْ بكُماةِ التُّركِ فافترقُوا وهُمْ قتيلٌ ومأسورٌ ومنهزمُ

٣٢.«عليكَ جمعُهمُ في كلِّ معتَرَكٍ وما عليكَ بهم عارٌ إذا انهزموا»[١٣]

٣٣.مالتْ رؤوسُهُم لمَّا سقيتَهُمُ كأسَ المنونِ وغنَّى الصَّارمُ الخَذِمُ[١٤]

٣٤.«شفتْ سُيوفُكَ داءً من عُقوقِهِمُ لها وربَّ شِفاءٍ كلُّه سَقَمُ»[١٥]

٣٥.فرُّوا من الموتِ لكنْ بعدما صَبروا صبرَ الكريمِ إذا ما مسَّهُ أَلَمُ

٣٦.يا يومَ وقعةِ «حمصٍ»[١٦] سارَ ذكْرُك في آفاقِ حتَّى روتْ أخبارَكَ الأُمَمُ

٣٧.أنسَيْتَنا يومَ «ذي قارٍ»[١٧] وقدْ صَلِيَتْ بنارِهِ العَربُ العَرْباءُ والعَجَمُ

٣٨.فقُلْ: لأسرةِ «منكوقان» بغيُكمُ به تخطَّتْ إليكمْ هذهِ النِّقَمُ

٣٩.جُرتُمْ وجُزتُمْ منَ العُدوانِ حَدَّكُمُ حتَّى ابتُليتُمْ بجُرحٍ ليسَ يلتئِمُ

٤٠.والسَّيفُ مُنذُ لججْتُمْ في الخِلافِ قضَى عليكمُ وهْو فيما بيننا حكَمُ

٤١.فلا تَعُودوا إلى عُدوانكِمْ فلئِنْ عُدتُمْ فأسيافُنا ما مسَّها سَأَمُ

٤٢.هذي حُماتُكمُ في البرِّ هاوِيةٌ صَرْعَى تخطَّفَها العِقبانُ والرَّخَمُ

---

(١٢) الخُرصانُ بضمِّ الخاء وكسرها: الدُّروع.

(١٣) على الهامش: «مضمَّن». والبيت للمتنبي من قصيدة شهيرة في مدح سيف الدَّولة.

(١٤) الصارم الخذمُ: السَّيف القاطع.

(١٥) على الهامش: «مضمن». ولم أعرف قائله.

(١٦) كان ذلك سنة ٦٨٠هـ. انظر المختصر؛ ٤/ ١٤، تذكرة النبيه؛ ١/ ٦٢، عقد الجمان؛ ٢/ ٢٧٢.

(١٧) يوم ذي قار اليوم الذي حدثت فيه المعركة الشَّهيرة بين العرب والفرس، وانتصر فيه العرب بقيادة هانيء بن مسعود الشيباني سنة ٦١١م. انظر الأعلام؛ ٨/ ٦٩.

٤٣ .قدْ أثقلَ الأرضَ مِنْ أجسامِها جُثثٌ وأشبعَ الوحشَ مِنْ أشلائِها رِمَمُ

٤٤ .كأنَّها في الفيافي وهْيَ ثاويةٌ على الثَّرى أكَمٌ أو مثلُها الأكَمُ

٤٥ .يا أيُّها النَّاسُ هلْ حُرٌّ يُنَبِّئُني: أيقظةً كانَ هذا الفتحُ أو حُلُمُ؟

٤٦ .فالحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ على فتحٍ بهِ كلُّ قلبٍ باردٌ شَبِمُ[18]

٤٧ .والشُّكرُ للملِكِ «المَنصورِ» مُنقذِنا مِنَ المهالِكِ لمَّا مسَّنا العَدَمُ[19]

---

(١٨) البارد والشَّبم: بمعنى.

(١٩) أشير هنا في نهاية هذه القصيدة إلى أن العزازي نسجها على منوال قصيدة أبي الطيب المتنبي الشَّهيرة في مدح سيف الدَّولة، ومطلعها:

عُقبى اليمين على عُقبى الوغى ندمُ ماذا يزيدكَ في إقدامكَ القسَمُ؟

وأنشدها إيّاه بحلب سنة ٣٤٥هـ، وهي آخر شعر أنشده بحلب. انظر ديوان المتنبي؛ ٤١٦. و ضمَّن العزازي منها بيتاً، وأخذ أغلب معانيها وألفاظها.

(٥٦)

وقال يمدحُه ويذكرُ فتحَ طرابلسَ على يديه[١]، رحمه اللّهُ: [الطويل]

١. فَتحْتَ التي أعيا المُلوكَ افتتاحُها ... ولمْ يُغْنِها عِصيانُها وجِماحُها

٢. ولولاكَ لمْ يجنَحْ إلى الذُّلِّ أهلُها ... ولا هِيْضَ بالخِذلانِ منها جَناحُها[٢]

٣. ولكنَّكَ «المنصورُ» والمَلِكُ الذي ... عزائمُه بالنَّصرِ فازتْ قِداحُها

٤. خصصْتَ بهذا الفتحِ أمَّةَ أحمدٍ ... فلاحَ عليها للهَناءِ فلاحُها

٥. وكانتْ تمنَّى أنْ تفوزَ بفتْحِها ... فصحَّتْ أمانيها وتمَّ اقتراحُها

٦. «طرابُلُسٌ» لولاكَ طالَ امتناعُها ... وأعضلَ[٣] منها حربُها وكِفاحُها

٧. ولو لمْ تُحارِبْها لحاربَها القَضا ... وأخنَى عليها ليلُها وصباحُها

٨. ولمَّا طغتْ أعلاجُها وكُنودُها ... عُتُوّاً وهبَّتْ بالعُقوقِ رياحُها

٩. نهضتَ إليها في جحافِلِكَ التي ... يَحومُ عليها يُمْنُها ونجاحُها

١٠. جحافلُ سَدَّتْ بسطةَ الأرضِ كثرَةً ... وضاقتْ بها آكامُها وبِطاحُها[٤]

١١. إذا وردتْ ماءَ الخليجِ جيادُها ... صدرْنَ ظِماءً للدِّماءِ رِماحُها

١٢. وما طابَ مِنْ تحتِ العَجاجِ اغتباقُها ... بكأسِ الرَّدى إلاَّ ولذَّ اصطباحُها[٥]

---

(١) كان ذلك في ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ. انظر عقد الجمان؛ ٢/ ٣٨٠ والمختصر؛ ٤/ ٢٣، وتذكرة النبيه؛ ١/ ١٢٣.

(٢) هيض الجناح: انكسر.

(٣) أعضل: امتنع وصعب.

(٤) الآكام: الهضاب والبطاح السهول.

(٥) الاغتباق: شرب الخمر مساءً، والاصطباح: شربها صباحاً، والمعنى مجازيّ.

١٣ .وإمَّا دُعُوا والحربُ حُمْرٌ سُيوفُها | يُلَبُّوا وهُمْ بِيْضُ الوجوهِ صِباحُها[٦]
١٤ .فنازلتَها والخيلُ عالٍ صهيلُها | بفُرسانِها والتُّركُ شاكٍ[٧] سِلاحُها
١٥ .وما علموا مُذ سَتَّروها بأنَّه | على يدِكَ الطُّولَى يكونُ افتضاحُها
١٦ .علتْ شُرُفاتٍ فالهلالُ سِوارُها | وطالتْ بُروجاً فالثُّريَّا وِشاحُها
١٧ .وما حدَّثتْ نفسٌ مليكاً بفتْحِها | ولا امتدَّ منْ عينٍ إليها طِماحُها
١٨ .فما زلتَ ترميها إلى أنْ تَساقطتْ | سُقوطَ اللَّآلي حُلَّ منها نِصاحُها[٨]
١٩ .ومانعَ عنها عُصبةٌ عِيسويَّةٌ | على الحربِ مغداها وفيها مَراحُها[٩]
٢٠ .وأرهبَها إقدامُها وصِدامُها | وأرعبَها كَرَّاتُها وصِياحُها
٢١ .وطاحتْ رؤوسُ الشِّركِ والطَّيرُ وقَّعٌ | عليهنَّ أو سدٌّ الفضاءَ مَطاحُها
٢٢ .وحاقَ بها ما لا تُطيقُ[١٠] دفاعَه | فولَّتْ على الأعقابِ تدمَى جِراحُها
٢٣ .فلِلقَتلِ أضحى كهلُها وفَتيُّها | ولِلسَّبْي أمستْ خَودُها ورَداحُها[١١]
٢٤ .وإنْ سرَّها بينَ المعالي غِناؤُها | فقدْ ساءَها بينَ النَّواحي نُواحُها
٢٥ .فوانيلَ آمالٍ تراخَى مَنالُها | ويا ريَّ أكبادٍ تمادَى التياحُها[١٢]
٢٦ .أعِدْ ذكرَ هذا الفتحِ واشرحْ حديثَه | ففي شرحِه يغشَى الصُّدورَ انشراحُها
٢٧ .وهاتِ لسُلطانِ الزَّمانِ «قلاوون» | أحاديثَ تُروى مُسْنداتٍ صِحاحُها

---

(٦) الوجوه الصِّباح: المشرقة.

(٧) شاك سلاحُها: متقلّدة به.

(٨) النِّصاح: السّلك.

(٩) المغدى والمراح: الذهاب والإياب.

(١٠) في (ب): «ما لا يليقُ».

(١١) الخود: الفتاة الشَّابة، والرَّداح التَّامَّة الخلق. والصِّفتان متقاربتان.

(١٢) الالتياح: شدَّة العطش.

٢٨ يَميناً بأيدي العِيسِ تخترقُ الدُّجى
وتأتمُّ أبوابَ الملوكِ طِلاحُها[١٣]

٢٩. لقد نالَ منْ هذي الفُتوحاتِ سيفُها
بعزْمتهِ ما لم يَنلْهُ «صلاحُها»[١٤]

٣٠. ترقَّى إلى شَأوِ المعالي فنالَها
وأعيا ملوكَ الخافقينِ التماحُها

٣١. وقد أطلقتْ نُعماهُ ألسنةَ الورى
فأثْنَتْ عليها عُجْمُها وفِصاحُها

٣٢. شكرْنا أياديهِ التي عَمَّ فضلُها
وحقَّ علينا شُكرُها وامتداحُها

٣٣. سَريُّ السَّجايا والخِلالِ كريمُها
سَنيُّ العطايا واللُّهَا مُستماحُها[١٥]

٣٤. خلائقُه للمَكْرُماتِ انبعاثُها
وهمَّتُه للمعلواتِ[١٦] ارتياحُها

٣٥. وما البدرُ إلاَّ وجهُه وضياؤُهُ
وما البحرُ إلاَّ كفُّه وسَماحُها

٣٦. بقيتَ لنا في دولةٍ أبديَّةٍ
غُدوُّ الأماني دونَها ورَواحُها

٣٧. ولا برحتْ في النَّظْمِ كلُّ قريحةٍ
يُرويِّ رياضَ الحمدِ فيكَ قَراحُها[١٧]

٣٨. فإنَّكَ ممنوعُ الجَنابِ مصونُه
وإنَّكَ ممنوحُ الهِباتِ مُباحُها

٣٩. ووجهُكَ نَوَّارُ العيُونِ ونُورُها
وحبُّكَ رَيحانُ القُلوبِ وراحُها

---

(١٣) الطِّلاح: التَّعبة من الجهد والسَّير.

(١٤) صلاحُها: صلاح الدين الأيوبي البطل المشهور.

(١٥) المستماح: الأريحي الكريم. واللُّها: العطايا.

(١٦) في (ب): «للمعليات».

(١٧) القراح: الماء العذب البارد.

(٥٧)

وقال يمدحُ ولدَه المولى السُّلطانَ[1] الملكَ الأشرفَ صلاح الدّين المجاهد خليل، ويذكر فتحَ عكّا[2] على يديه: [الكامل]

١. سافرتَ «منصوراً» وعدتَ «مُظفَّرا» وبلغتَ حظّاً للجهادِ مُوَفَّرا

٢. أعطيتَ في اللّهِ النَّصحيةَ حقَّها وهززْتَ للدِّينِ الوشيجَ[3] الأسمرا

---

(١) السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي. ولي السلطنة بعد أبيه في ذي القعدة سنة ٦٨٩، عاش نيِّفاً وثلاثين سنة، ومات مقتولاً على يد بيدرا نائب مصر ولاجين نائب دمشق وقراسنقر نائب حلب. كان ملكاً مهيباً عالي الهمة تام الشكل كامل الشجاعة وافر الكرم، مظفّراً في حروبه. دام حكمه ثلاث سنين وشهرين. وكان فتح عكا على يديه في جمادى الآخرة، سنة ٦٩٠هـ. ومن فتوحاته عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبهسنا وجميع الساحل. انظر في ترجمته؛ تذكرة النبيه؛ ١/ ١٣٦ وما بعد و١٦٧. وعقد الجمان؛ ٣/ ٢٣ وما بعد و٢٠٦ وما بعد، والمختصر؛ ٤/ ٢٤، والنجوم الزاهرة؛ ٣٨-٣٧، السلوك؛ ١/ ٧٥٦ وما بعدها. شذرات الذهب؛ ، العبر؛ ٥/ ٣٧٧، فوات الوفيات؛ ١/ ٤٠٦ وما بعد. ومن طريف ما يذكر صاحب عقد الجمان في حوادث سنة ٦٨٩ أنه احترقت دار صاحب حماة [الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد]، وذلك أنه وقعت فيها نار في غيبته، فلم يتجاسر أحد يدخلها، وكان صاحب حماة في الصيد. ويذكر أنه اشتدَّ الحرُّ في حماة في شعبان من هذه السَّنة حتى شُوي اللحم على بلاط الجامع.

(٢) في المخطوط: «عكة».

(٣) الوشيج: الرُّمح أو العود الذي يُصنَعُ منه والأسمر: الرمح.

٣. ورميتَ عُبَّادَ الصَّليبِ بعَزْمَةٍ تُعيي «الهِرَقْلَ» وتُعجِزُ «الاسكندرا»[٤]

٤. وركبتَ في جيشٍ تكادُ جيادُهُ تُخفي المشارقَ والمغاربَ عِثْيَرا[٥]

٥. ملأَ الفَضاءَ كتائباً ومواكباً وسَلاهباً قُبَّ الأياطِلِ ضُمَّرا[٦]

٦. وسريْتَ لا تصِلُ الرُّقادَ مُغلِّساً كلا ولا تضعُ السِّلاحَ مُهجِّرا[٧]

٧. حتَّى أنختَ على الفِرَنْجِ بِكَلْكَلٍ[٨] لو أنَّهُ صَدمَ الزَّمانَ تَقَهْقَرا

٨. وعساكرٍ للتُّرْكِ إسلاميَّةٍ نُصِرَتْ وحُقَّ لمثلِها أنْ يُنْصرا

٩. ركبَتْ بروقاً للخُيولِ وأرسلتْ منها غماماً للقِسيِّ كَنَهْوَرَا[٩]

١٠. وتَسارعتْ نَحْوَ الهِياجِ وأسفرتْ تحتَ العَجاجِ فخلتَ ليلاً مُقْمِرا

١١. نفقتْ كُنوزُهمُ وحانَ بَوارُهُم[١٠] فيها وكانَ التُّركُ أربحَ مَتْجَرا

١٢. قد كُنْتُ أعهدُ كلَّ سيفٍ أبيضاً فرأيتُ فيها كلَّ سيفٍ أحمرا

١٣. ونظرتُ بحراً واحداً وشَهِدْتُ مِنْ دمِهِمْ خُيولَ التُّركِ خاضتْ أبْحُرا

١٤. أعطَوا صُدورَهُمُ الرِّماحَ ونكَّبُوا عنها وأعطَوا للسُّيوفِ الأظْهُرا

١٥. ما زلتَ تَسقي مِنْ دمائِهِمُ القَنا حتَّى تتوَّجَ بالرُّؤوسِ وأثمرا

١٦. كم قَسْوَرٍ فَتكتْ يداهُ بِقَسْوَرٍ وغَضَنْفَرٍ وافَى يَقُودُ غَضَنفرا[١١]

---

(٤) الهرقل والأسكندر من ملوك الرّوم العظام.

(٥) العثير: الغبار.

(٦) السَّلاهب: الخيل الطويلة، وقُبّ الأياطل: ضامرة الخواصر وذلك أشرف لها.

(٧) سقطت الأبيات (٦-٣٢) من (ب). والتَّغليس سير اللَّيل، والتهجير سير النهار.

(٨) الكلكل: الظهر.

(٩) الكنهور: السَّحاب المطر.

(١٠) البوار: الهلاك.

(١١) القسور والغضنفر: من أسماء الأسد.

١٧ .وعقيلةٍ[١٢] عذراءَ تندبُ مَعْقِلاً — وغزالةٍ وَلهاءَ تبكي جُؤْذَرا[١٣]

١٨ .وتحكَّمَ التَّوحيدُ في التَّثليثِ والـ — قولُ الصَّحيحُ علا المَقالَ المُفترَى

١٩ .وهدمتَ كلَّ كنيسةٍ معمورةٍ — ومحوتَ ممَّا يَعبدُونَ مُصوَّرا

٢٠ .وأبَدْتَ فيها المشركينَ وتُربَها — طهَّرتَه مِنْ رِجْسِهِمْ فتطهَّرا

٢١ .وأزلتَ منها مُنْكَراً ولأنتَ بالـ — معروفِ أولى مَنْ أزالَ المُنكرا

٢٢ .ووقيتَ هذا الدِّينَ حتَّى أنَّه — لو كانَ عيناً كنتَ منها مَحْجِرا[١٤]

٢٣ .أفنيتَهُمْ قتلاً فلو قلتَ: اطلبُوا — حيّاً لعزَّ وُجودُهُ وتعذَّرا

٢٤ .وعجبتُ أنْ وصلَ الجزائرَ كلَّها — خَبَرُ الفتوحِ وما تركتَ مُخَبِّرا

٢٥ .وأظنُّهمْ لم يَسمعوا مِنْ مُخْبِرٍ — لكنْ رأوا في البحرِ بحرَ دمٍ جرَى

٢٦ .قدْ كانَ قبلَكَ فتحُها مُسْتَصْعَباً — وعلى يديكَ «أبا الفداءِ»[١٥] تيسَّرا

٢٧ .فافخرْ على كُلِّ الملوكِ بفتْحِها — قَسْراً «فكلُّ الصَّيْدِ في جَوفِ الفرا»[١٦]

---

(١٢) العقيلة العذراء: المرأة المصونة.

(١٣) الجؤذر: ولد الظَّبي.

(١٤) المحجر: الموضع الذي تستقرُّ فيه العين.

(١٥) لا أدري إذا كان يُلَقّب بأبي الفداء أم اجتهادٌ من الشاعر لبطولته في هذه المعركة.

(١٦) المثل في فصل المقال للبكري: ١٠، وذكر أنَّ الرسول صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال لأبي سفيان بن حرب أنت يا أبا سفيان كما قيل: كلُّ الصَّيد في جوف الفرا، أي إنَّك في الرجال كالفرأ في الصَّيد، وهو الحمار الوحشيّ، قال له ذلك يتألَّفه على الإسلام، وذلك أنَّ أبا سفيان استأذن على رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم، فتأخر إذنه، فلمَّا دخل عليه، قال ما كدت تأذن لي حتى أذنت لحجارة الجلهتين، ويروى الجلهمتين، فقال له رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام هذه المقالة استئلافاً له، ويرى أنه قاله لغيره. والمثل يُقال لمنْ يُفضَّلُ على أقرانه.

٢٨. إنْ يفتَخِرْ بفُتوحِ «عمُّوريَّةٍ»[17] مَلِكٌ فحسبُكَ فتحُ «عكَّةَ» مفخرا

٢٩. فُتحتْ واذعنَ بعدها أَخَواتُها ويفتحهنَّ أتى البريدُ مُبَشِّرا

٣٠. فاجأْتَهُنَّ بنابلٍ وبطاعنٍ ووطِئْتَهُنَّ بأدهمٍ وبأشْقرا[18]

٣١. ظنَّ الفِرَنْجُ بأنَّ «صُوْراً»[19] أحرزتْ سُوراً يردُّ الجيشَ أنْ يتسوَّرا

٣٢. وتوهَّموا «صَيدا»[20] تصدُّ فوارساً ركبتْ إلى الموتِ الطَّريقَ الأخطرا

٣٣. هيهاتَ تمتنعُ الحُصونُ وغيرُها مِنْ عسكرٍ تَخِذَ الملائكَ عسكرا

٣٤. ووصلتَ أهلَ «الشَّامِ» فاتَّصلتْ بهمْ مِنْ فضلِكَ النِّعَمُ التي لن تُحصَرا

٣٥. وتأمَّلُوكَ وقدْ طلعتَ عليهمُ فتأمَّلُوا قَمَرَ السَّماءِ النَّيِّرا

٣٦. وقَفوا فلم يبقَ امْرُؤٌ حتَّى دعا لكَ حينَ جُزتَ بهِ وحتَّى كبَّرا

٣٧. نظَروا إليكَ فأطرقُوا مِنْ هيبةٍ مَلأتْ قُلوبَهُمُ وجلَّتْ مَنْظَرا

٣٨. ورأَوكَ فاجتهدُوا وقالوا: ما رُؤِي «كالأشرفِ» الملكِ الهُمامِ ولا يُرَى

٣٩. فليشكُرِ الإسلامُ منكَ عزائماً هزأتْ «بكسْرى» واستقلَّتْ «قيصرا»

٤٠. عزَماتُ «منصورٍ» اللِّواءِ مُسَدَّدِ الـ آراءِ أوردَ في الفخارِ وأصدرا

٤١. أمَّا الملوكُ فأنتَ أشجعُهُمْ حمًى وأعزُّهم جاراً وأبذلُهُمْ قِرَى[21]

---

(١٧) عمّورية: المكان الذي حدثت فيه المعركة العظيمة أيّام المعتصم العبَّاسي، والتي خلَّدها أبو تمَّام بقصيدته الشهيرة يمدح المعتصم، ويصور المعركة، ومطلَعها:
السَّيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ

(١٨) فاجأتهنَّ ووطئتهنَّ: للمدن. والنَّابل الرَّامي بالنبل والطَّاعن الطاعن بالرَّمح، والأدهم والأشقر صفتان للخيول.

(١٩) مدينة صور السَّاحلية، وتسوَّرها أحاط بها.

(٢٠) صيدا: مدينة ساحلية أيضاً.

(٢١) القرى: الكرم والعطاء.

٤٢.ولأنتَ اشجعُ مَنْ علا يومَ الوغَى   سَرْجاً وأشرفَ مَنْ ترقَّى مِنْبَرا

٤٣.ما ضرَّ مَنْ كنتَ المُخلَّدَ ذكرَهُ   في فتح «عكَّةَ» أنْ يغيبَ وتحضُرا

٤٤.يا يومَ «عكَّةَ» لا برحتَ مؤرَّخاً   وبقيتَ ما بقيَ الزَّمانُ مُسَطَّرا

٤٥.قد كنتُ أسمعُ بالفُتوحِ ولم أزلْ   حتَّى رأيتُ بكَ الفُتوحَ الأكبرا

٤٦.فتْحٌ «صَلاحيٌّ» تأرَّجَ عَرْفُهُ   فسَرى كفجريٍّ النَّسيمِ إذا سرَى

٤٧.فُزْنا بهِ في يقْظةٍ وكأنَّنا   فُزْنا به ممَّا ازْدهانا في الكَرَى

٤٨.وترنَّحتْ أعطافُنا حتَّى لقدْ   خِلْنا بأنَّا قدْ شرِبْنا المُسكِرا

٤٩.وردَ البريدُ بهِ فقلتُ لصاحبي: إنِّي لأنشَقُ منه مِسْكاً أذْفرا

٥٠.ولئِنْ عجَزْتُ عنِ النُّضارِ ونَثْرِهِ   فلقدْ نثرتُ عليهِ هذا الجوهرا

٥١.ما أطيبَ الدُّنيا بمُلْكِ «خليلِها»   وأرقَّ حاشيةَ الزَّمانِ وأنضرا

٥٢.مُلْكٌ زها زهْوَ النُّجومِ ودولةٌ   وافتْ كما وافى الرَّبيعُ مُنَوَّرا

٥٣.فإذا رأيْناها رأيْنا جَنَّةً   وإذا وردْناها وردْنا كوْثرا[٢٢]

---

(٢٢) أشير هنا أيضاً إلى أنَّ العزازي حاكى قصيدة المتنبي الشَّهيرة في مدح أبي الفضل بن العميد وزير عضد الدَّولة البويهي، ومطلعها:

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا   وبُكاكَ إن لم يجرِ دمعُكَ أو جرى

(٥٨)

وقال فيه أيضاً: [الطويل]

١. على هـذهِ الدُّنيـا بمُلْكِـكَ رونَـقٌ فلا برحتْ تحمـي حِمـاهُ الملائِـكُ
٢. ودُمْـتَ لنـا في دولـةِ «اشْـرَفيَّةٍ» بها مَبْسِمُ المُلْكِ الصَّلاحيِّ ضاحِكُ
٣. فكفُّـكَ بالإنعـامِ كـفٌّ سـخيَّةٌ ووجهُـكَ للإسـلامِ وجـهٌ مُبـارَكُ
٤. وأنـتَ حُصـونَ المُشـركينَ ففـاتحٌ وأنـتَ رقـابَ العـالمينَ فمـالكُ
٥. ألا إنَّ سُـلطانَ البسـيطةِ كلِّهـا «خليلٌ» ومَنْ عادى خليلاً فهالكُ
٦. كريـمٌ نـداهُ مـا اهتـدى لطريقـهِ كريمٌ ولم تبلُغْ مداهُ «البَرامِكُ»[1]
٧. شُجاعٌ يَخوضُ الحربَ والنَّقعُ ثائرٌ وقَدْ وطِئَتْ هامَ الكُماةِ السَّنابِكُ[2]
٨. ويثبُتُ والهيجاءُ حامٍ وطيسُها[3] وما للقَنا غيرَ النُّحورِ مسالِكُ
٩. تخِرُّ مُلوكُ العصرِ ما لاحَ سُجَّداً وتخطبُـهُ في الخافقينِ الممالكُ
١٠. ولمَّا استَوى في سُدَّةِ المُلْكِ أصحبتْ نُفوسٌ أبيَّاتٌ ولانتْ عرائِكُ[4]
١١. بسيفِ «صلاحِ الدِّينِ» قرَّتْ عيونُنا وأنعشَـنا إحسـانُه المُتـدارِكُ
١٢. فثبَّـتَ ربُّ العـرشِ أركـانَ مُلْكِـهِ وبـارَكَ فيـهِ اللّـهُ حيـثُ يُبـارِكُ

---

(١) البرامك: البرامكة: الأسرة الشَّهيرة التي ذاع صيتُها في الكرم والسِّياسة أيام الرَّشيد، ثم نكبهم وقتلهم.

(٢) السَّنابك: حوافر الخيل.

(٣) الوطيس: المعركة لأنَّ الخيلَ تَطسُها بحوافرها، والوطيس التَّنُّور. وحمي وطيسُها اشتدَّ، وأوَّل من استخدم العبارة الرَّسول صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، حيث قال في غزوة حنين: الآنَ حَمي الوطيسُ. والوطيس الضّراب في الحرب، ومنه قول عليٍّ عليه السَّلام: الآن حين حمي الوطيس. انظر اللسان (وطس).

(٤) العرائك: الطبائع. وأصحبت النُّفوس والعرائك: لانت.

الفصل الثاني



(٥٩)

قال يمدحُ الصَّاحبَ شمسَ الدِّينِ محمَّد بنَ فخرِ الدِّين عثمان، وأنشدها بالقاهرة يومَ قدومهِ من ثغرِ الإسكندريَّة[1]: [الكامل]

١. هيَ فرحةٌ ما مثلُها معهودُ ... مُذْ سَرَّ يومُ قدومِكَ المشهودُ

٢. يومٌ سرتْ فيهِ الصَّبا مِسْكيَّةً ... بكَ ثمَّ شُقَّتْ للرِّياضِ بُرودُ

٣. واهتزَّ منَّا كُلُّ عِطْفٍ مثلَما ... هزَّ النَّديمَ بمائهِ العُنقودُ

٤. ولئِنْ تجنَّبْنا النِّثارَ بهِ فقدْ ... نُثرتْ عليكَ منَ المديحِ عُقودُ

٥. غابتْ لغيبتِكَ المسرَّةُ كلُّها ... مَعْ أنَّها ستَعودُ حينَ تَعودُ

٦. وشَكا فراقَكَ كلُّ قلبٍ شَيِّقٍ ... شكوى يرقُّ لبعضِها الجُلْمودُ[2]

٧. هيَ سَفْرَةٌ سَفَرَ المُنى عنْ وجهِهِ ... فيها وتمَّتْ للهناءِ سُعودُ

٨. سافرتَ تقدُمُكَ السَّلامةُ و ادعاً ... ورجعتَ يخدِمُ جَدَّكَ[3] التَّأييدُ

---

(١) الصاحب شمس الدين ابن السلعوس: محمد بن عثمان بن أبي الرجاء الوزير الصاحب شمس الدين التنوخي الدمشقي التاجر وزير السلطان الملك الأشرف. كان في شبيبته يسافر للتجارة. وكان فصيح العبارة حلو المنطق وافر الهيبة. كان كثير التيه. كان جاراً للصاحب تقي الدين بن البيِّع فصاحبه ورأى منه الكفاءة فأخذ له حسبة دمشق، ثم ذهب إلى مصر وتوكل للملك الأشرف خليل بن قلاوون في دولة أبيه، ثم وزر له. مات من شدة التعذيب بعد مقتل الأشرف في صفر سنة ٦٩٣هـ. انظر في ترجمته الوافي؛ ٤/ ٨٦-٨٩، المنهل الصَّافي؛ ١٠/ ١٨١، النجوم الزاهرة؛ ٨/ ٥٣، حسن المحاضرة؛ ٢/ ٢٢٢.

(٢) الجلمود: الصَّخر.

(٣) الجَدُّ: الحظّ.

٩. فالبحرُ بحرُ النِّيلِ مذْ رافقتَه علَّمْتَهُ بنَداكَ كيفَ يجودُ

١٠. والبرُّ لَمَّا أنْ وطِئْتَ رمالَهُ اثنتْ عليكَ تهائمٌ ونُجودُ[4]

١١. وتبسَّمَ الثغرُ الذي يمَّمتَهُ فَرَضابُهُ عَذْبُ المَذاقِ بَرودُ

١٢. لا أُعتِبُ الأيَّامَ في تَصريفِها إذ أنتَ مِنْ حسَناتِها معدودُ

١٣. لو قيلَ: مَنْ أسخَى الأنامِ بأسرِهِمْ؟ قالَ الأنامُ: «محمَّدُ المحمودُ»

١٤. الصَّاحبُ الحُرُّ الخِلالِ ومَنْ لهُ بِيْضُ المواهبِ والنَّوائبُ سودُ

١٥. بحرٌ بهِ وهوَ الفُراتُ جواهرٌ للطَّالبينَ وللظِّماءِ وُرودُ

١٦. وغمامةٌ للرَّائدينَ ودوحةٌ عمَّ الرَّعيَّةَ ظِلُّها الممدودُ

١٧. سنَّتْ عليهِ المادحونَ مُفاضةً ما حاكَ مُحكمَ نسجِها «داوودُ»[5]

١٨. وإذا تشرَّفتِ المدائحُ باسمِهِ عبِقَ الكِباءُ[6] بها وفاحَ العُودُ

١٩. أبداً يلوحُ البِشْرُ فوقَ جبينِهِ ويفيضُ مِنْ كلتا يديهِ الجُودُ

٢٠. كم قلَّدتْ دُرَرُ القوافي جيدَهُ ولكَمْ تقلَّدَ مِنْ نَداهُ جِيدُ

٢١. ساسَ الأُمورَ الجامحاتِ فأَصْحَبَتْ والآنَ بطشَ الدَّهرِ وهْوَ شديدُ

٢٢. وتبسَّمتْ أيَّامُهُ فكأنَّما خَلعتْ محاسنَها عليهِ الغِيْدُ

٢٣. أيَّامُ عدلٍ إنْ ثَنَتْ أعطافَها اثنتْ عليها البانةُ الأُملودُ

---

(٤) التَّهائم: ومفرده: التِّهَمَةُ، وهي الأرض المُتصوِّبة إلى البحر، والنُّجود ومفردها نجد: الأرض المرتفعة. ونجد كمكان: ما بين العُذَيب إلى ذات عرق إلى اليمامة إلى جبلي طيِّء إلى وجرة إلى اليمن. وتهامة ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكَّة. انظر اللسان (تهم).

(٥) داوود النَّبي عليه السَّلام، وينسب إليه نسج الدُّروع، والمُفاضة: الدرع الواسعة.

(٦) في (ب): «الكبابُ». والكِباءُ: شجرٌ طيِّب الرَّائحة.

٢٤ـ تبـدو كمـا يبـدو الرَّبيـعُ وتـارةً تُجلَى كما تُجلَى الفتاةُ الرُّودُ(٧)

٢٥ـ أعطى الوزارةَ حقَّها حتَّى اغتدتْ تهـتزُّ مِـنْ فـرحٍ بـهِ وتَميـدُ

٢٦ـ والمُلْـكُ شـادَ بنـاءَهُ حتَّـى عـلا فـوقَ المَجَـرَّةِ رُكنُـهُ الموطـودُ

٢٧ـ شِيَمٌ كمجريِّ النَّسيمِ سرى على الـ ـرَّوضِ الـذي هـوَ بالغمـامِ مَجُودُ

٢٨ـ وأسِـرَّةٌ مـا اشـرقتْ قَسِـماتُها إلاَّ وأشـرقَ للصبَّـاحِ عَمـودُ

٢٩ـ يغشـى(٨) بنـو الحاجاتِ طُرّاً بابَـهُ وتؤمُّـهُ بعـدَ الوفـودِ وُفُـودُ

٣٠ـ وإذا المواهـبُ أرتجـتْ أبوابُهـا فبَنانُـهُ لرتاجِهـا إقليـدُ(٩)

٣١ـ يـا سـيِّدَ الـوزراءِ دعـوةُ مُخلِـصٍ داعٍ وأنـتَ بمـا ادَّعـاهُ شـهيدُ

٣٢ـ أصبحتُ عن إدراكِ وَصفِكَ عاجزاً مـعْ أنَّنـي مَـدْحَ المُلـوكِ أُجيـدُ

٣٣ـ لِـمَ لا آتيـهُ إذا أتيتُـكَ مادحـاً واليـكَ مرمـى مـا أقـولُ سـديدُ؟

٣٤ـ والـدُّرُّ قولـي فيـكَ غيـرَ مُدافَـعٍ وكِلاكمـا في العَـالمينَ فريـدُ

٣٥ـ وثَنـاءُ مثلـي مـا عليـهِ زيـادةٌ وعطـاءُ مِثلِكَ مـا عليـهِ مزيـدُ

٣٦ـ بِكَ أينعـتْ زهَـراتُ كـلِّ فضيلـةٍ واخضـرَّ لـلأدبِ المعطَّـلِ(١٠) عُـودُ

٣٧ـ وتنـافسَ الشُّـعراءُ فيـكَ فكلُّهـمْ بجميـلِ ذكـركَ مُحسِـنٌ ومُجيـدُ

٣٨ـ لـولاكَ مـا وخَـدتْ بكـلِّ مُؤمِّـلٍ خُوصُ الرَّكائبِ والمهاري القُودُ(١١)

---

(٧) الرُّودُ: النَّاعمة الحالية الشَّباب.

(٨) في (ب): «تخشى»، وكتب على الهامش: «لعلها تغشى».

(٩) الرِّتاج: القفل، والإقليد: المفتاح.

(١٠) المعطَّل: الخالي من الحَلْيِ.

(١١) وخدت: سارت، والوَخْدُ ضربٌ من السَّير السَّريع، وخوص الرَّكائب: النَّوق السَّريعة، ومثلُها المهاري القُودَ، ومفردها: أقود وقوداء الطويـل الظهـر والعُنُق مـن الخيل والدَّوابِّ.

٣٩.كلاَّ ولا سَهُلَتْ عليه ثلاثةٌ — وهيَ: الدُّجنَّةُ والسُّرى والبِيْدُ

٤٠.غَضُّوا مِنَ المتأخرينَ وغرَّهُمْ — صِيْتٌ مِنَ المتقدِّمينَ بعيدُ

٤١.وتوَهَّموا عدَمَ الكرام وما دَرَوا — أنَّ الليَّالي للكرامِ وَلُودُ

٤٢.لا تَمدحُوا المفقودَ في أُكرومةٍ — إلاَّ إذا ما أعْوزَ الموجودُ

٤٣.هذا الوزيرُ «محمَّدٌ» سادَ الأُلَى — سَلَفوا ومَنْ غيرَ الوزيرِ يَسودُ؟

٤٤.والشَّمسُ ليسَ على وُضوحِ بَيانِها — للنَّاظرينَ أدلَّةٌ وشُهودُ

٤٥.وُصِفَ «ابنُ عبَّادٍ» فقلتُ لواصِفي: — عُلياهُ والقولُ المُصيبُ مُفيدُ

٤٦.ما «ابنُ العميدِ» وما «ابنُ عبَّادٍ» معاً — إلاَّ لسيِّدنا الوزيرِ عبيدُ[١٢]

٤٧.أسنَى صنائعَه فأذعنَ حاسدٌ — واقرَّ معترفاً بهنَّ جَحودُ[١٣]

٤٨.وتناولَ الشَّرفَ الذي عن شَأوِهِ — أعيا وقصَّرَ سيِّدٌ ومَسودُ

٤٩.وغدا بأعباءِ المكارمِ ناهضاً — إنَّ المكارمَ حَمْلُهنَّ يَؤُودُ[١٤]

٥٠.فَمَنِ المماثِلُه فَخاراً بعدما — خطبَتْهُ للدَّستِ المُلوكُ الصِّيْدُ؟

٥١.قالوا: تتبَّعكَ الوزيرُ بنظرةٍ — وعليكَ نرجو نفعَها سيعودُ

٥٢.فأجَبتُ إنِّي غَرْسُ نعمتهِ التي — ما زلتُ أُبدي شُكرَها وأُعيدُ

٥٣.وإذا خطرتُ مِنَ الوزيرِ ببالهِ — وببابهِ إنِّي إذاً لسعيدُ

٥٤.أوَ كيفَ لا أُثني على إحسانهِ — وأنا على إحسانهِ مَحسودُ؟

٥٥.يا مَن تيمَّنتِ الملوكُ بوجههِ — لا فاتكَ التَّوفيقُ والتَّسديدُ

---

(١٢) أبو الفضل بن العميد والصَّاحب بن عباد الوزيران البويهيَّان الشَّهيران.

(١٣) عجزُه في (ب): «وأقرَّ معترفاً به وجحودُ» تحريف.

(١٤) يَؤودُ: ثقيل.

٥٦.وضَفا[١٥] عليكَ مِنَ السَّعادةِ ظِلُّها وهفا عليكَ لواؤُها المعقودُ

٥٧.وثنَى الزَّمانُ إليكَ فضلَ عِنانِهِ وأرادَ ما تختارُهُ وتُريدُ

٥٨.للَّهِ كمْ مِنْ عِمَّةٍ البسْتَني فلبستُ ثوبَ الحمدِ وهْو جديدُ

٥٩.لكَ يا «ابنَ فخرِ الدِّين» في طلبِ العُلى هِمَمٌ لها فوقَ النُّجومِ صُعُودُ

٦٠.فاشرُفْ بمنزلةٍ سهرتَ لمُرتَقَى درجاتِها والحاسدُوكَ هُجودُ

٦١.وعَدَ الزَّمانُ بأنْ تَسوسَ امورَنا فوفَى وصحَّتْ للزَّمانِ وُعودُ

٦٢.فاسلمْ سلمتَ لدولةٍ ووزارةٍ نهضتْ بها للعاثرينَ جُدودُ[١٦]

٦٣.واهنأْ بعامٍ قد اتاكَ مُبارَكاً تزدادُ فيهِ أنعُماً وتَزيدُ

٦٤.ولئِنْ مضى عيدٌ ولستَ بحاضرٍ فلَنا بوجهِكَ كلَّ يومٍ عيدُ

---

(١٥) ضفا: امتدَّ، والظلّ الضَّافي: الواسع.

(١٦) جدودٌ: حظوظ.

(٦٠)

وقال يمدحُه، ويعاتبه على تأخير تشريف مطلبه ويهنِّئه بالعيد: [الكامل]

١. أتُرى لُيَيْلاتِ «الكثيبِ»[١] تُعادُ؟ وعَليلُ ساكنةِ الخيامِ يُعادُ؟

٢. ما كانَ أولى المُستهامِ ببُرْئهِ لو ساعدتْهُ بالوصالِ «سُعادُ»

٣. أوَ كيفَ يَظفَرُ بالوصالِ ودونَها قُضُبٌ تُهَزُّ لِقَوْمِها وصِعادُ[٢]؟

٤. بَيضاءُ مَلَّكها قِيادي حُسْنُها والحُسْنُ لا يُعصَى عليهِ قِيادُ

٥. ومُعَشَّقِ الحركاتِ في رشفاته للصَّبِّ رِيٌّ وهْوَ عنهُ يُذادُ[٣]

٦. ظَبيٌ تَصيَّدني بسحرِ جفونهِ قَسْراً وعهدي بالظِّباءِ تُصادُ

٧. كَلِفٌ بِمَطْلِ العاشقينَ ولمْ تزلْ مِنْ مَطْلِهِ تتفتَّتُ الأكبادُ

٨. يَلْوي بدَيْني في هواهُ ورُبَّما أقضي ولا يُقضَى لهُ ميعادُ

٩. يا مَنْ قسا قلباً ورقَّ محاسناً رقَّ الأسَى لي فيكَ والعُوَّادُ

١٠. أَنسيتَ مُغْتبطاً بذكرِكَ والهاً لَهِجاً ونمتَ وطالَ فيهِ سُهادُ؟

١١. فإنِ استحلْتَ فما تغيَّرَ بي هوىً عمَّا عهِدتَ ولا استحالَ وِدادُ

١٢. فاشفَعْ جَمالَكَ بالجميلِ فإنْ أبتْ لكَ شِيمةٌ للجودِ لا تُعتادُ

* * *

١٣. فخُذِ السَّماحَ عنِ الوزيرِ محمَّدٍ إنَّ الوزيرَ بمالهِ لجَوادُ

---

(١) الكثيب من الرَّمل ما اجتمع واحدودبَ، وهو هنا مكانٌ بعينه.

(٢) القُضُب: السُّيوف، والصِّعادُ: الرِّماح.

(٣) يُذادُ: يُمنَعُ.

١٤ .بحرٌ تدفَّقَ بالعطايا فانبرتْ	منهُ بحارُ الأرضِ وهي ثِمادُ[٤]

١٥ .وجَوادُ سبقٍ أدركَ المجدَ الذي	لا تَهتدي لطريقهِ الأمجادُ

١٦ .كثُرتْ مَواهبُهُ وخفَّ حجابُهُ	فتكاثَرتْ في بابهِ القُصَّادُ

١٧ .زانَ الوزارةَ فانثنتْ تُزهَى كما	تُزهَى بحُسنِ حُليِّها الأجيادُ[٥]

١٨ .وتَطاولتْ أقلامُه حتَّى انثنَى	مُتقاصِراً عنها القَنا الميَّادُ

١٩ .والمُلْكُ سَدَّدهُ برأيٍ ثاقبٍ	فعُراهُ مِنْ ذاكَ السَّدادِ شِدادُ

٢٠ .للصَّاحبِ ابنِ أبي الرَّجاءِ فَضائلٌ	وفَواضِلٌ شَهِدتْ بها الحُسَّادُ

٢١ .مِنْ أُسرةٍ شادوا على نُظرائِهِمْ	وعلى المجرَّةِ أثَّلوا[٦] ما شادوا

٢٢ .يا مَنْ نظمتْ الحمدَ فيهِ قلائداً	وعليهِ مِنْ حَبَراتهِ[٧] أبرادُ

٢٣ .أيليقُ أنْ أظما[٨] وبحرُكَ زاخرٌ	ويكفُّكَ الإصدارُ والإيرادُ؟

٢٤ .فعلى القوافي والمعالي وَصْمةٌ	إنْ خابَ لي أملٌ وفاتَ مُرادُ

٢٥ .يا صدرَ أهلِ الشَّامِ قاطبةً ومَنْ	لِوَقارِهِ تتزعزعُ الأطوادُ

٢٦ .بكَ في المكارمِ تقتدي بل تهتَدي	في سَيرِها الكُرماءُ والأجوادُ

٢٧ .فاسلَمْ لنا طُولَ الزَّمانِ فإنَّما	أيَّامُنَا بِكَ كلُّها أعيادُ

---

(٤) ثمادُ: قليلة.

(٥) الأجيادُ: مفرده جيد، و هو العنق.

(٦) أثَّلوا: بنوا وأعلوا البناء، والأثيل: الأصيل.

(٧) الحبرات: ضربٌ من برود اليمن موشَّى، ويصحُّ في الحاء الفتحُ والكسر.

(٨) أظما: أظمأ، وخفَّف الهمز ضرورةً.

(٦١)

وقالَ يصفُ التّقاضي، وقد وعده بخلعة جرتْ عنهُ رحمه اللهُ: [المديد]

١. لِمواعيدِ الوزيــــرِ غـــدتْ — مُقلتـــي ممتـــدّةَ الأمـــلِ

٢. وليُمنـــى راحتيـــهِ فمـــي — يقتضيــي دينــاً مــنَ القُبَــلِ

٣. وأرى جيـــدي لأنعُمـــهِ — يشـــتكي مِـــنْ كـــثرةِ العَطَـــلِ

٤. يا وزيـــراً في الزّمـــانِ[1] بـــهِ — حَسُـــنَتْ أُحدوثـــةُ الـــدُّوَلِ

٥. لا تَلُمْنـــي إنْ عجلْـــتُ فقـــدْ — خُلِـــقَ الإنســـانُ مِـــنْ عَجَـــلِ[2]

---

(١) في (ب): «فالزّمان».

(٢) ضمّن الآية الكريمةَ، وجاء بها تامّةً، وهي الآية (٣٧) من سورة الأنبياء. وانظر تفسيرها في لسان العرب (عجل).

وقال يمدحُ الأميرَ الكبيرَ شِهابَ الدِّينِ أحمدَ بنَ الأميرِ جمالِ الدِّينِ[1]:

[الكامل]

١. مـا بِـتُّ أمـزحُ لومَـهُ بِعتابِـهِ ... إلاَّ لِطيْـبِ حديثِـهِ وخِطابِـهِ

٢. قمـرٌ منـيرٌ في ابتـداءِ كمالِـهِ ... وقضيـبُ بـانٍ في اقتبـالِ شبابِهِ

٣. ثَمِـلُ[2] القـوامِ كـأنَّ في أحداقِـهِ ... مـا في مراشِـفِهِ وفي أكوابِـهِ

٤. وكـأنَّ في التُّفّـاحِ حُمـرةَ خَـدِّهِ ... وكأنَّ في الصَّهباءِ طعمَ رُضابِهِ[3]

٥. يفترُّ عـن بَـرَدٍ وعـن شَـهَدٍ حيـا ... ةُ النَّفْـسِ بـينَ جمـادِهِ ومُذابِـهِ

٦. ويُريكَ سِحْراً مِنْ صِناعةِ طرْفِهِ ... لا تسـكنُ الحركـاتُ مِـنْ أبوابِـهِ

---

(١) هو أحمد بن موسى بن يغمور الأمير شهاب الدين بن الأمير جمال الدين أبي الفتح، كان أميراً فاضلاً جليلاً، وله معرفة بالأدب، وولي الأعمال الغربية فهذَّبها. وقال الصَّفدي: ابن يغمور بن جلدك تولَّى المحلَّة نائباً عن السلطان الملك الظاهر بيبرس، وكان يوصف بالكرم، وكان الأدباء يقصدونه ويمدحونه فيثيبهم، وكان له أدب، وحدَّث بشيء من نظمه. توفي في جمادى الأولى سنة ٦٧٣هـ، بالمحلّة من الأعمال الغربية أثناء ولايته عليها، وحمل إلى القرافة ودفن بتربته. انظر في ترجمته: المنهل الصافي؛ ٢/ ٢٢٩، الوافي بالوفيات؛ ٨/ ٢٠٣، عقد الجمان؛ ٢/ ١٣٧، النجوم الزاهرة؛ ٧/ ٢٤٥، الطالع السعيد؛ ١٤٩، تاريخ ابن الفرات؛ ٧/ ٣٧.

(٢) الثَّمِلُ: السكران، والقوام ثملٌ؛ شبَّهه بمشية السكران لتمايله واضطرابه لرقَّته ولينه. وأحداقه وشفاهه مسكرةٌ بجمالها كالخمر الذي في أكوابه. وجمع الأحداق والشفاه، وهما حدقتان وشفتان ويأتي به الشعراء كثيراً.

(٣) الرُّضابُ: الرِّيق.

٧. ويَكادُ مِنْ تَرَفِ النَّعيمِ إذا مشَى ... يُوهيـهِ[٤] حَمْـلُ وشاحه
٨. وكأنَّما أصداغُـهُ وخُـدودُهُ ... صُبِغتْ كصِبْغةِ نقْشِهِ وخُضابِهِ[٥]
٩. يـا عـاذليَّ دعـا ملامـةَ عاشـقٍ ... أودى بـه في الحُـبِّ مـا أودَى بـهِ
١٠. غـزلٌ تُهيِّجُـهُ حَمامـاتُ «الحمَـى» ... وتَزيـدُهُ طرَبـاً علـى أطرابـهِ[٦]
١١. عَنِّفْتُمـاهُ فـزادَ في بُرَحائـهِ ... وزجرتُمـاهُ فلَـجَّ في أوصابـهِ
١٢. أَفَكـانَ أوّلَ مَـنْ شَـكا الـمَ الهـوَى ... يـومَ النَّـوى وبكـى علـى أحبابـهِ؟
١٣. يا سَعْدُ قِفْ بلوَى «الكثيب» مُسائِلاً ... فلعلَّـهُ يَسـخو بـردِّ جوابـهِ
١٤. وَحَذارِ حَيّاً دونَ «رامةَ»[٧] لـم تـزلْ ... تَتواتـرُ الغـاراتُ مِـنْ أعرابـهِ
١٥. كشـفتْ براقعَهـا بـدورُ خيامـهِ ... وثنـتْ مطارفَهـا شُـموسُ قِبابـهِ

* * *

١٦. فكأنَّمـا برقـتْ أسِـرَّةُ «أحمـدٍ» ... بَحبائـهِ[٨] وتهلَّلـتْ بثوابـهِ
١٧. قل للذي قدْ ضلَّ عنْ طُرُقِ الهُدى ... في قَصْـدِهِ: فليهتـدِ «بِشِـهابِه»
١٨. والٍ يَطِـبُّ المشـكلاتِ بحِكْمـةٍ ... وهدايـةٍ مِـنْ رأيِـهِ وصَوابـهِ
١٩. ويَمُـدُّ دونَ المُلْـكِ بـاعَ سياسـةٍ ... تتقـاصَرُ الأسـبابُ عـنْ أسـبابهِ
٢٠. يَعفُو عنِ الجاني فإنْ هوَ لم يَتُبْ ... مِـنْ ذنبِـهِ فلـهُ أليـمُ عَذابـهِ
٢١. قُـلْ للمعـاندِ: لا تَغـرَّكَ رحمـةٌ ... منـه وخَـفْ مِـنْ مُعقِباتِ عِقابـهِ

---

(٤) يوهيه: يُضعفه.

(٥) السِّخاب: العقد.

(٦) الأطراب: الأشواق.

(٧) رامة اسم أمكنة عدَّة. انظر معجم البلدان: «رامة».

(٨) الحَباء والحَبوة: العطاء بلا مقابل.

٢٢. وإذا وصلتَ إلى حلاوةِ شُهْدهِ فاحذَرْ وقوعَكَ في مَرارةِ صابِهِ[٩]

٢٣. مُستنصرٌ باللّهِ في أحكامِهِ مسترشِدٌ برَسولهِ وكتابِهِ

٢٤. مُتهلِّلٌ قبلَ الطَّعامِ لضيفِهِ ونزيلِهِ والبرقُ قبلَ سَحابِه

٢٥. تأبى خلائقُهُ الكريمةُ أنْ يُرى مُتسَتِّراً عنْ قاصدٍ بحِجابِهِ

٢٦. ويَرى الحياةَ ذميمةً إنْ لم يَفُزْ راجي نَداهُ بقَصْدِهِ وطِلابِهِ

٢٧. وكأنَّهُ لمؤمِّليهِ مؤمِّلٌ مِنْ بِشْرِهِ بهِمُ ومِنْ تَرحابِهِ

٢٨. وَرِثَ الإمارةَ عنْ أبيهِ وجَدِّهِ بعُلُوِّ منصبِهِ وطِيبِ نِصابِهِ[١٠]

٢٩. لَبِسَ الأبُوَّةَ حُلَّةً فَضفاضةً وغدا التَّواضعُ وهْوَ مِنْ جلبابِهِ

٣٠. لا تحصُرُ المُدَّاحُ كُنْهَ صِفاتِهِ كلاً ولا تُحْصِي حُلا ألقابِهِ

٣١. قُلْ للمُحاوِلِ مجدَهُ وفخارَهُ: خَلِّ الفَخارَ فلستَ مِنْ أربابِهِ

٣٢. برزتْ مواهبُ راحتيهِ فانثنى الـ إعدامُ منهزماً على أعقابِهِ

٣٣. ونضتْ عزائمُهُ على أعدائِهِ سيفاً يَذُبُّ عنِ الهُدى بذُبابِهِ[١١]

٣٤. بطلٌ إذا حفَّتْ بهِ سُمْرُ القَنا فكأنَّما هوَ ضيغمٌ في غابِهِ

٣٥. وكأنَّهُ بحُسامِهِ وسِنانِهِ أسدٌ يَصُولُ بظُفْرِهِ ونِيابِهِ

٣٦. ذُو عَزْمةٍ كالسَّيفِ عندَ مضائِهِ وأناملٍ كالبحرِ عندَ عُبابِهِ

٣٧. يتوجَّهُ الإقبالُ عندَ مسيرِهِ متوجِّهاً ويَؤوبُ عندَ إيابِهِ

٣٨. فكأنَّما التَّأييدُ فوقَ لوائِهِ متطلِّعٌ والنَّصرُ حولَ رِكابِهِ

---

(٩) الصَّابُ: شجرٌ مُرٌّ إذا اعتُصِر خرج منه كهيئة اللَّبن، ويُطلقُ الصَّاب على عُصارة ذلك الشجر.

(١٠) النِّصاب: الأصل.

(١١) ذبابُ السَّيف: حدُّه. ونضَت: سلَّتْ وشهرتْ.

٣٩. حلوُ الفكاهةِ إنْ خَلا بِكَ رُحْتَ مَفْـ ... ـتُوناً بسحْرِ حديثهِ وخِلابِهِ[١٢]

٤٠. يحلُو عليكَ الدرُّ مِنْ ألفاظهِ ... ويُريكَ حالي الرَّوضِ مِنْ آدابِهِ

٤١. ولطالما بهرَ العُيونَ بواضحٍ ... مِنْ خَطِّه المُتناسبِ المُتشابهِ[١٣]

٤٢. يا خيرَ مَنْ نقلَ الرُّواةُ مديحَه ... وأجلَّ مَن وقفَ العُفاةُ ببابِهِ

٤٣. قدْ كنتُ مِنْ قبلِ امتداحِكَ خاملاً ... واليومَ لي ذِكْرُ البليغِ النَّابهِ[١٤]

٤٤. فاجْرُرْ ذُيولَ الحمدِ والبَسْ وشْيَهُ ... وارسلْ «شهابَ الدِّين»[١٥] في أثوابِهِ

٤٥. واسلمْ لطُلاَّب المنائحِ[١٦] واكتسِبْ ... حسنَ الثَّناءِ فأنتَ مِنْ طُلاَّبِهِ

---

(١٢) الخِلابُ: الخداعُ بلطف العرض، وهو هنا القدرة على الإقناع والجذب.

(١٣) الهاءُ في المتشابه أصلية، والقصيدة بائية، فيكون قد وقع في عيب في القافية، وفي الشعر القديم أمثالُ هذا.

(١٤) في البيت عيب كما في البيت (٤١)، فالهاء في «النَّابه» أصلية أيضاً.

(١٥) يعني نَفْسَه.

(١٦) المنائح: العطايا.

وقال أيضاً يمدحُه، وأنشدَها بالمحلَّة[١]، وهو يومئذٍ واليها: [مخلّع البسيط]

١. حيِّي النَّدامَى بها كُؤوسا … وزُفَّها في الدُّجى عَروسا

٢. صَفْراءَ صِرْفاً بها يُداوَى … ومِنْ كُلُومِ الهُمومِ يُوسَى[٢]

٣. كأنَّها عَسْجَدٌ مُذابٌ … قدْ تُوِّجتْ لُؤلُؤاً نَفيسا

٤. ما التهبتْ في الكؤوسِ إلاَّ … عَذَرْتُ في أُختِها المَجُوسا[٣]

٥. كَمْ رُحْتُ أستنهضُ النَّدامَى … لها وأستحضرُ الجليسا

٦. مُجرِّراً للصِّبا ذُيولاً … ومُخْلِقاً[٤] للهَوى لَبُوسا

٧. ذكرتُ عَيْشاً مضَى قديماً … بينَ «قُوَيقٍ»[٥] و«بانَقُوسا»[٦]

---

(١) المحلَّة بالفتح؛ مدينة مشهورة بالديار المصرية، والمقصودة هنا بين القاهرة ودمياط، كان الأمير والياً عليها، وفيها توفي كما ذكرنا في ترجمته.

(٢) يوسى: يُداوى أيضاً، والكلوم: الجراح.

(٣) أختُها: النَّار، وعذر المجوس في عبادتهم للنَّار.

(٤) أخلق الثوب: أبلاه.

(٥) قويق: نهر مدينة حلب، مخرجه من قرية تدعى سبتات، وقيل غير ذلك. ماؤُه أعذبُ ماء وأصحُّه، ينشف ماؤه في الصَّيف، وهو في الشتاء حلو المنظر، قال ابن خلكان: «وقدْ وصفه شعراء حلب بما ألحقوه بنهر الكوثر». انظر معجم البلدان (قويق).

(٦) بانقوسا بالباء والنون والقاف. جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. قال البحتريُّ:

أقامَ كلُّ مُلِثٍّ القطرِ رجَّاسِ … على ديارٍ بعُلْوِ الشَّامِ أدراسِ

فيها لعلوةَ مصطافٌ ومرتبعٌ … من بانقوسا وبابلَّي وبطياسِ

انظر معجم البلدان (بانقوسا). وكلها أماكن من أعمال حلبَ. والبيتان للبحتري مطلع قصيدة في مدح محمد بن العباس الكلابي. انظر ديوانه؛ ٢/ ١١٤٧.

٨. فهاجَ لي ذكرُه غراماً ... حرّكَ في صَبْوتي رَسيسا[٧]

٩. أيّامَ لم أسْتَمِحْ «سُعاداً» ... طيفَ خيالٍ ولا «لميسا»[٨]

١٠. ولَمْ أبِتْ مِنْ رِضا حبيبٍ ... ولا رَجا موعدٍ يَؤوسا

١١. يا «دَيرَ سِمعانَ» لا تعدَّى ... صوبُ الحيا ربعَكَ الأنيسا[٩]

١٢. فكمْ لبستُ الصِّبا جديداً ... فيكَ وعاودتُه لَبيسا[١٠]

١٣. دَيرٌ عَرفتُ الحبيسَ فيه ... وكنتُ لا أعرِفُ الحبيسا[١١]

١٤. يَميلُ عِطفي إذا أجابتْ ... فيه نواقيسُه القُسُوسا

١٥. تُذكي مصابيحُه ولكنْ ... تَخفَى إذا شعشعوا الكؤوسا

١٦. للّهِ كم بِتُّ في حِماهُ ... اشربُ صَهباءَ خَنْدريسا[١٢]

١٧. سَعَتْ بكاساتِها وطافتْ ... شمامِس[١٣] تُشْبهُ الشُّموسا

١٨. مِنْ كلِّ غَضِّ الشّبابِ غِرٍّ ... عيناهُ تَستهلِكُ النُّفوسا

---

(٧) الرسيس : بقية الحب .

(٨) لميس : اسمٌ عربيٌّ قديم ، قال عمرو بن معدي كرب :

وبدتْ لميسُ كأنّها ... قمرُ السَّماء إذا ابتدَّى

(٩) على الهامش الأيسر : «حاشية : ودير سمعان بالكسر موجود بحلب وموجود بحمص ، به دفن عمر بن عبد العزيز ومحمد بن . . بن سمعان . السَّمعاني أبو منصور محدِّث قاموس» .

(١٠) اللَّبيس : البالي لكثرة اللُّبس

(١١) الحبيسُ : المنقطع عن النَّاس زهداً في الدُّنيا ورغبةً في محبَّة اللَّه .

(١٢) الخندريس : الخمرة القديمة .

(١٣) شمامسُ وشمامسةٌ : لقبٌ دينيّ لبعض رجال الدين المسيحي ، مفرده شمَّاسٌ ، وهي كلمة سريانية معناها الخادم .

١٩. يُعَلِّمُ الغُصْنَ آنَ تَثَنَّى ... انْ يتثنَّى وانْ يَميسا

٢٠. يَمنعُني وصلَه كأنِّي ... شككتُ في مُعجزاتِ «عيسى»

* * *

٢١. لا والذي سَهّلَ العطايا ... على يدَي «أحمدِ بنِ موسى»

٢٢. مَنْ قاصدوهُ وحاسدوهُ ... بينَ نعيمٍ وبينَ بُوسَى

٢٣. والِ سَؤوسٍ وما رأينا ... كمثلِهِ والياً سَؤُوسا

٢٤. الانَ خُلْقَ الزَّمانِ حتَّى ... أضحكَ مِنْ خَطْبِهِ العَبُوسا

٢٥. وردٌ مِنْ عيشِنا رخيّاً ... وراضَ مِنْ دهرِنا شَموسا

٢٦. تُجري يداهُ الجَمادَ مَسّاً ... وتُورِقُ الذَّاويَ اليبيسا

٢٧. ما يأتَلي خائضاً عَجاجاً ... للحربِ أو هازماً خميساً[14]

٢٨. بذابلٍ يخرقُ الهوادي[15] ... وصارمٍ يفلِقُ الرُّؤوسا

٢٩. إذا أحاطتْ بهِ العَوالي ... رأيتَ ليثاً وخِلْتَ خِيسا[16]

٣٠. ما في البرايا لهُ نَظيرٌ ... وقِسْ متَى شئتَ أن تقيسا

٣١. مِنْ أسرةٍ قد زَكَوا أُصولاً ... وعِترةٍ قدْ نَمَوا غُروسا

٣٢. أندَى الورى كلُّهم أكُفّاً ... بيْضاً وأسخاهُمُ نُفوسا

٣٣. تُمسي سُراةُ الورى قياماً ... لهم إذا أصبحوا جُلوسا

٣٤. قادوا الخيولَ العِرابَ قُبّاً ... شَوازِباً والكُماةَ شُوساً[17]

---

(١٤) الخميس : الجيش .

(١٥) الهوادي : الأعناق .

(١٦) الخِيسُ : خدرُ الأسد .

(١٧) القُبُّ الشَّوازب : الخيول الضَّامرة . والكماة الشُّوس : الأبطالُ الأشدَّاء .

٣٥.واوضحـــوا للعُـــلا ســـبيلاً   واوقـــدوا للوغَـــى وطيســـا

٣٦.يـــا دوحـــةً للعُـــلا ســـقتّها   يـدُ النَّـدَى ماءَهـا المَسوسـا[١٨]

٣٧.ويـــا ابـــنَ مَـــنْ أحـــرزَ المعـــالي   وانجـــزوا النَّـــائِلَ النَّفيســـا

٣٨.دونَـــكَ مِـــنْ فكرتـــي عَروســـاً   تَفـــوقُ في حُســـنِها العروســـا

٣٩.لـــو طـــاوَعَتْني بهـــا القـــوافي   مـــلأتُ مِـــنْ مَدْحِـــكَ الطُّروســـا

(١٨) الماء المسوس: العذبُ الصَّافي.

(٦٤)

وقال فيه، وقد أرسلَ إليهِ جائزةً، فأبى أن يأخذَها واستعفى من قَبولها:

[الوافر]

١. لقدْ بَكرتْ عَطيَّاتُ «ابنِ مُوسَى» كما بَكرتْ على الرَّوضِ القِطارُ[1]

٢. فقالَ النَّاسُ عند قَبولِ بِرٍّ أتى سِرّاً فنمَّ بهِ اشتهارُ:

٣. متى كانتْ تُخادِعُكَ العطايا ويُصْبيكَ اللُّجَيْنُ أوِ النُّضارُ؟

٤. وعِطْفُكَ فيهِ عنْ هذا شِماسٌ وطَرْفُكَ فيهِ عنْ ذاكَ ازورارُ

٥. أترضَى أنْ تُشابَ على القَوافِ وبيعُ الشِّعرِ مَلأَمَةٌ وعارُ؟

٦. فقلتُ: لكلِّ قائلةٍ جوابٌ أجلْ ولكلِّ سائلةٍ قَرارُ

٧. إذا جادَ الكريمُ على أديبٍ فذاكَ الجُودُ جُودٌ وافتخارُ

٨. أرى صِلةَ الأميرِ هيَ المعالي ومعروفُ الأميرِ هُوَ الفَخارُ

٩. حَبَتْني مِنْ «شِهابِ الدِّين» عفواً يَمينٌ لا يقِرُّ بها يسارُ

١٠. ومَا كنتُ السَّؤولَ لهُ ولكنْ تَمادتْ في سَجيَّتِها البحارُ

---

(١) القطارُ والقطْر: المطر.

(٦٥)

وقال أيضاً، يمدحُه ويُهنِّئُه بالعامِ الجديد، رحمَه اللّهُ: [المنسرح]

١. دارٌ «لأسماءَ» كنتُ أعهدُها يجمعُ شملَ السُّرورِ مَعهدُها[1]

٢. أَقْوَتْ فلا رِيمُها ورَبْرَبُها فيها ولا عِينُها وخُرَّدُها

٣. لا تَلْحُنِي إنْ وقفتُ أُنْشِدُها: «أهلاً بدارٍ سَباكَ أغيدُها»[2]

٤. وكُفَّ عن عَبرةٍ أُحَدِّرُها فيها وعن زَفرةٍ أُصعِّدُها

٥. هلْ هيَ إلاَّ بلوَى أُخفِّفُها ونارُ وجدٍ بالدَّمعِ أُخْمِدُها؟

٦. ما لبَناتِ الهديلِ[3] تُطرِبُني ألحانُها عندما تُردِّدُها؟

٧. حَمائمٌ كُلَّما هتفْنَ ضُحًى يُشَبُّ مِنْ لوعتي توقُّدُها

٨. أبكي فتبكي معي فنحنُ كذا تُسعِدُني تارةً وأُسعِدُها

٩. يا مَنْ لنفسٍ عنْ بُرئِها عجَزَتْ أُساتُها واستعاذَ عُوَّدُها[4]

١٠. ومهجةٍ قدْ وفتْ صبابتُها لها وقدْ خانَها تجلُّدُها

١١. ساروا بريًّا الشَّبابِ ناعمةٍ يَزينُ أعطافَها تأوُّدُها

---

(١) كتب على الهامش: «مضمن». ولم أعرف قائله، ولعلَّه يُشير إلى عجز البيت الثالث.

(٢) عجز البيت صدر بيت مطلع قصيدة للمتنبي: وعجزُه: «أبعدُ ما بانَ عنكَ خُرَّدُها». وهو مطلع قصيدة، قالها في صباه، يمدحُ بها أبا الحسن محمد بن عبيد اللّه العلويَّ. انظر ديوان المتنبي؛ ٢.

(٣) بنات الهَديل: الحمائم.

(٤) الأساةُ: الأطبّاءُ، والعُوَّد: زوَّار المريض.

١٢. ما لغصونِ النَّقا مُوَشَّحُها ... ولا لسِربِ المَها مُقلَّدُها

١٣. سارتْ ولي في حُمولِها كَبِدٌ ... تائهةٌ لا أكادُ أَرشُدُها

١٤. باللَّهِ يا حاديَيْ ركائبِها ... قِفا لعليٌّ في الرَّكبِ أَنشُدُها[٥]

١٥. في كلِّ يومٍ دارٌ أُفارِقُها ... وأهلُ دارٍ بالرَّغمِ افقِدُها

١٦. ترمي النَّوى بي وناقتي سِعةٌ ... للبيدِ يُنْضي المطيَّ فَدفَدُها[٦]

١٧. قاتلَها اللَّهُ كمْ تُفَوِّقُ لي ... أسهُمَ بَيْنٍ وكم تُسدِّدُها

* * *

١٨. وقائلٍ والعُيونُ هاجعةٌ ... ومُقلتي في السُّرى أُسَهِّدُها:

١٩. أرِحْ بِمثْواكَ هِمَّةً تَعِبَتْ ... وعَزْمةً لا تزالُ تُجهِدُها

٢٠. كمْ رحلةٍ في اكتسابِ عارفةٍ ... تُحرِزُها أو عُلاً تُشيِّدُها

٢١. قلتُ: ألا خَلِّني وقاصيةَ الـ ... ارضِ فأذكى الرِّياضِ ابعدُها

٢٢. أُثني على مُنْعِمٍ وأُكسِبُهُ ... محامداً بعدَهُ يُخلِّدُها

٢٣. ستنظرُ النَّاسُ بعد ذا وتَرى ... أطواقَ مدْحي لِمَنْ اقلِّدُها

٢٤. ورايةَ الحمدِ وهْي خافقةٌ ... مِنَ القوافي لِمَنْ سأعقِدُها

٢٥. قال: فأيُّ الكرامِ تطلبُ أو ... تقصدُ بالحمدِ؟ قلتُ: «أَحمَدُها»

٢٦. شِهابُها الثَّاقبُ المُنيرُ وها ... ديها إذا ما غَوتْ ومُرشِدُها

٢٧. وبحرُها الزَّاخرُ العُبابِ ومو ... لاها بإقرارِها وسَيِّدُها

٢٨. مِنْ أُسرةٍ أصبحتْ صنائعُها ... تُقيمُ حُسَّادَها وتُقعِدُها

٢٩. عِصابةٌ تاجُها الأميرُ الذي ... زادَ بهِ فخرُها وسُؤدَدُها

---

(٥) أنشدُها : أطلبُها وأهتدي إليها .

(٦) الفدفدُ : الفلاةُ الواسعةُ ، وينضي المطيَّ : يُضعفُها .

٣٠.فتىً بحزمِ الأمورِ أقوَمُها — وباصطناعِ الجميلِ أقعدُها[٧]

٣١.تروي أحاديثَ جُودِهِ قَالَةُ الـ — شّعرِ وعنهُ العُفاةُ تُسْنِدُها

٣٢.لولا «ابنُ موسى» تفرْعنتْ[٨] فِئةٌ — وزادَ مِنْ جُرأةٍ تَمرُّدُها

٣٣.والٍ لهُ نهضةٌ ومَعْدَلةٌ — يَشُدُّ أسبابَها ويعقدُها

٣٤.ساسَ الرَّعايا فلانَ جامحُها — وانقادَ نحوَ الصَّلاحِ مُفسِدُها

٣٥.وسارَ في النَّاسِ سِيرةً حسُنتْ — فالنَّاسُ في الخافقينِ تَحمَدُها

٣٦.ما زال للدَّولةِ السَّعيدةِ صمـ — صامةَ حربٍ تسطُو بها يدُها

٣٧.يغشَى الوغى والسُّيوفُ حاكمةٌ — حُكْمَ المنايا والحربُ يُشْهِدُها

٣٨.ويجمعُ الخيلَ بالقنا وإذا — شاءَ بأطرافِها يُبدِّدُها

٣٩.كمْ مِنَّةٍ للأميرِ في عُنُقي — أشْكرُ آلاءَها وأحمَدُها

٤٠.ونِعمَةٍ ما برحتُ أعرِفُها — ولستُ حتَّى المماتِ أجحَدُها

٤١.فعِشْ لأُكرومةٍ تؤثِّلُها — ورُتبةٍ مِنْ عُلاً تُوطِّدُها

٤٢.ودُمْ لمِلْكٍ ما زلتَ تنصُرُه — ودولةٍ لم تزلْ تُؤيِّدُها

٤٣.واهنَ بعامٍ قدْ أوجهَتْكَ بهِ — أيمَنُ أيامِهِ وأسعَدُها

---

(٧) طابق بين أقومها وأقعدها، ولكنَّ أقعدَها في البيت ليست من القعود، وإنَّما من التَّقعيد والضَّبط؛ بمعنى أكثر الناس معرفةً بقواعد الأمرِ ومناهجه.

(٨) استفاد من اسم الممدوح، فجاء بهذه التورية اللَّطيفة بين اسم الممدوح ابن موسى والنَّبي موسى عليه السَّلام، وزاد التورية جمالاً بكلمة «تفرعنت»، حيث اشتقَّ من اسم فرعون فعلاً، فقال: تفرعنت: أي: صارت في الظُّلم والطُّغيان كفرعون، الذي قاده طغيانه إلى الغرق، وأنجا اللّه موسى ومن معه.

(٦٦)

وقال، يرثي ولداً له صغيراً، اسمُه يغمورُ، وأرسلَها إليه إلى المَحِلَّة:
[المتقارب]

١. ألا عظَّمَ اللّهُ أجرَ الأميرِ ... وأحسنَ منه عزاءً وصَبْرا

٢. فقدْ جَلَّ خطبٌ تخطَّى إليهِ ... بِسُوءٍ وانشبَ ناباً وظُفْرا

٣. ورُزْءٌ هفا بحُلُومِ الرِّجالِ ... جميعاً وقدْ أحزنَ النَّاسَ طُرّا

٤. بَرزْنَ العذارى[1] لهُ حاسراتٍ ... وهتَّكْنَ منهنَّ صَوناً وستْرا

٥. أرَى الموتَ كأساً علينا يَدورُ ... فلم يَعْدُ زيداً ولم يَعْدُ عَمْرا

٦. وكلُّ امريءٍ شاءَ أو لا يَشاءُ ... سيطفحُ منْ ذلك الكأسِ سُكْرا

٧. أيا عينُ لا تَطْمَعي بالكَرى ... فإنَّ الكرى طعمُه صارَ مُرّا

٨. ويا قلبُ ذُبْ أسَفاً والتهبْ ... كما التهبتْ كبِدٌ منكَ حَرَّى

٩. ويا موتُ أجريتَ منَّا العيُونَ ... عُيوناً وأوطأْتَنا منكَ جمرا

١٠. ويا دهرُ مالكَ بعدَ الوفاءِ ... أظهرتَ جَوْراً وأحدثتَ غدْرا

١١. فُجِعْنا بمَنْ لو تناسيْتُه ... تناسيتُ كهفاً وأبقيتُ ذُخرا

١٢. سأبكي على فقْدهِ ما حييتُ ... وأُذري المدامعَ بِيْضاً وحُمرا

١٣. وأحجبُ عنِّيَ شخصَ السُّرورِ ... وأستصحبُ الحُزنَ سِرّاً وجَهرا

١٤. أمِنْ بعدِ يغمورَ ألقى السُّرورَ؟ ... ألا إنَّني أضْيَقُ النَّاسِ عُذرا

١٥. تناقصَ عُمْراً وكانَ الجوادَ ... فما كانَ ظنُّكَ لو طالَ عُمْرا؟

١٦. وكنَّا نُؤمِّلُ ذاكَ الهلا ... لَ يطلُعُ في فلَكِ المجدِ بَدْرا

---

(١) أتى بفاعلينِ لفعل واحدٍ، وقد ألجأتْهُ إلى ذلك ضرورة الشعر.

١٧. فَقَدْنـاهُ شِبْـلاً ولـولا الـردَّى غـدا ذلـكَ الشِّبْـلُ ليثـاً هِزَبْـرا

١٨. فواحسْـرتا بعـدَ ذاكَ القضيـب كيفَ ذَوى يانعَ الزَّهرِ نَضْرا؟

١٩. فمـا كـان أعذبَـه جَـدْولاً ولـو عـاشَ مـا كـانَ أحـلاهُ بَحْـرا

٢٠. فجـادتْ دمـوعُ الفـؤادي ثَـراهُ ويـاكَرْنَ منـه ضريحـاً وقـبْرا

٢١. وأهدَى إليـهِ نَسـيمُ الصَّبـا كأنفاسـهِ مَندليّـاً وعِطْـرا

٢٢. فإنْ غابَ شَخصاً فما غابَ حِسّاً وإنْ مـاتَ نفْسـاً فمـا مـاتَ ذِكْـرا

(٦٧)

وقال يمدحُ الأميرَ علَمَ الدِّينِ المسروري[1] والي القاهرة: [المنسرح]

١. لو حفظَتْ يومَ «رامةٍ»[2] ذِمَمُهْ   ما طُلَّ بينَ الطُّلولِ منهُ دَمُهْ

٢. ولو وفتْ عهدَها جآذرُها   ما اصبحتْ بالسُّلوِّ تتَّهِمُهْ

٣. وكيفَ يستنصرُ السُّلوَّ فتًى   مُثْقَلُ جيشِ العزاءِ منهزِمُهْ؟

٤. عنَّ له السِّربُ «بالكَثيبِ» ضُحًى   فهاجَ مِنْ فرطِ وجدِهِ قِدَمُهْ

٥. وأومضَ البرقُ دونَ «كاظمةٍ»[3]   وهْناً فسحَّتْ مِنْ دمعهِ دِيَمُهْ

---

(١) هو الأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط. متوليّ القاهرة، المتوفّى سنة ٦٩٨هـ. وقد كلَّفه السلطان بغزوةٍ إلى النُّوبة سنة ٦٨٦هـ. فعاد غانماً. ولعلَّه مدحه في ذلك التاريخ. انظر تذكرة النبيه؛ ١/ ١٠٨، السلوك؛ ١/ ٧٣٦ و٨٨٢، تاريخ ابن الفرات؛ ٥/ ٨٢، وعقد الجمان؛ ٢/ ٣٦١، ولم أجد له ترجمةً في أمهات الكتب التي ترجمت لهذا العصر كالمنهل الصافي والوافي بالوافيات وشذرات الذهب وغيرها.

(٢) اسم لعدة أمكنة. انظر معجم البلدان (رامة).

(٣) كاظمةٌ كما ذكر ياقوتُ: على سِيْف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، وماؤها شروب، واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، ولعلَّ أشهر من ذكرها البوصيري في بردته المشهورة، وقال غيرُه:

يا حبَّذا البرق من أكناف كاظمةٍ   يسعى على قصَراتِ المرخِ والعُشَرِ

انظر معجم البلدان (كاظمة). وقال البكري: تخرج من البصرة فتسير إلى كاظمة ثلاثاً، وهي طريق المنكدر لمن أراد مكَّة ثم تسيرُ إلى الدَّوِّ ثلاثاً، ثم تسير إلى الصَّمَّان ثلاثاً... معجم ما استعجم؛ ٣/ ١١٠٩.

٦. صَبٌّ لـه «بـاللِّوى» وسـاكنه لاعجُ شوقٍ يَشُبُّ مضطرِمُـهْ

٧. لا عُمْرُهُ راجعٌ ولا طيفُ «أسـ ـماءَ»[4] لـهُ عَـودةٌ ولا حُلُمُـهْ

٨. يـا دارَ «ماويـةٍ»[5] سَـقَاكِ مِـنَ الـ ـوسْـمي[6] مُنهلُّـهُ ومُنْسَـجِمُهْ

٩. وجـادَ مغنـاكِ بـل مَحِلتَّـكِ الـ فيحاءَ مِنْ سيلِ أدمعي عَرِمُهْ[7]

١٠. لولاكِ مـا هـاجَ صَبوتـي وشـجا قلبـيَ ضـالُ «الحمى» ولا سَلَمُهْ[8]

١١. كلاّ ولا شـاقَني مِنَ «الجِـزْعِ»[9] وا ديـهِ ولا سَـفْحُهُ ولا عَلَمُـهْ

١٢. منـازلٌ كنـتُ في ملاعبِهـا أنهَـبُ عُمْـرَ الصِّبـا وأغتنِمُـهْ

١٣. وفي الحُمولِ التـي سَرَتْ سَحَراً طاوي الحَشا باردُ اللَّمى شَبِمُهْ[10]

١٤. تُناسِـبُ الجُلَّنـارَ وجنَتُـهُ ويُشْـبِهُ الأُقْحـوانَ مُبْتَسَـمُهْ

١٥. مَنْ لكئيـبٍ في حُبِّـهِ دَنِـفٍ ذي جسَـدٍ قـد أذابَـهُ سَـقَمُهْ؟

١٦. لا قلبُـهُ بـاردُ الغليـلِ ولا خُفوقُـهُ سـاكنٌ ولا ألَمُـهْ

١٧. خـانَ مواثيـقَ عهـدِهِ رشـأٌ مُنْبَـتٌ حبلُ الوفـاءِ مُنصرِمُـهْ

---

(٤) أسماء من الأسماء العربية القديمة اللَّواتي تغنَّى بها الشُّعراء، وقد ذكرها الحارث بن حلِّزة في مطلع معلقته الشهيرة:

آذنتنـا ببينهـا أسـماءُ رُبَّ ثـاوٍ يُمَـلُّ منـه الثَّـواءُ

(٥) ماويّة في الأصل المرآة، وقد وردت اسم علمٍ في أشعارهم كثيراً، ومنهم حاتم الطَّائي.

(٦) الوسميُّ: أوَّل المطر.

(٧) العرِمُ: الغزير.

(٨) الضَّال والسَّلم نوعان من الشجر.

(٩) الجِزْعُ بالأصل: جانب الوادي. وهو اسم لعدَّة أمكنة في جزيرة العرب منها في نجد ومنها في اليمامة، ومنها بأرض طيّء. انظر معجم البلدان (جزع).

(١٠) الشَّبِم: البارد العذب.

١٨. لا تعذِلُوا مَنْ هواهُ غالبُه ... ولا تَلوموا مَنْ خصمُه حكَمُهْ

١٩. ثُمَّ استعينوا مِنْ جاهليٍّ هوًى ... أضلَّهُ بعدَ رُشْدِهِ صَنَمُهْ

٢٠. هيهاتَ يُصغي إلى الملامِ فتًى ... وُجودُهُ في حبيبِه عَدَمُهْ

٢١. أقسمتُ «بالمَشْعَرِ الحرامِ»[11] وما ... تلثُمُ أفواهُها وتستلِمُهْ[12]

٢٢. وبالمطايا التي مناسِمُها ... تعتسِفُ البَرَّ ثُمَّ[13] تقتحمُهْ

٢٣. حِلْفَةَ بَرِّ اليمينِ زاكيةِ ... منه أَليَّاه[14] صادقاً قَسَمُهْ

* * *

٢٤. إنَّ الذي همْتُ في محبَّتِه ... وافرةٌ مِنْ جَمالِه قِسَمُهْ

٢٥. وإنَّ ثوبَ المديحِ طَرَّزَهُ ... وزانَهُ بارتدائِهِ عَلَمُهْ

٢٦. والِ جميعُ الوُلاةِ قاطبةً ... تهابُهُ والملوكُ تَحترمُهْ

٢٧. يَتْبَعُ الحقَّ في القضاءِ إذا ... ما مالَ في الحُكْمِ عنهُ مُتَّهِمُهْ

٢٨. ويوسِعُ الجُرمَ صدرُ رحمتِه ... عفواً إذا ضاقَ عنه مُجترِمُهُ[15]

٢٩. وربَّما سامحَ المُسيءَ فإنْ ... عادَ تولَّتْ عذابَهُ نقَمُهْ

٣٠. ويُصلِحُ الدِّينَ حكمُه وإذا اعْـ ... ـتَلَّتْ أُمورٌ تُطِبُّها حِكَمُهْ

---

(١١) المشعرُ الحرامُ: مُزدَلِفَةٌ، وسُمِّي المَشْعَرُ الحرامُ؛ لأنَّه مَعْلَمٌ للعبادة وموضعٌ. قال اللّهُ تعالى: ﴿فاذكروا اللَّهَ عند المشعر الحرام[البقرة: ١٩٨]﴾، وهو بعد الإفاضة من عرفات، حيث يزدلفون في منًى. وهو مكانٌ بين بطن محسر والمأزمين. انظر لسان العرب (شعر)؛ ومعجم البلدان (المزدلفة).

(١٢) اللَّثْمُ والاستلامُ: التقبيل.

(١٣) في (ب): «منْ» تحريف.

(١٤) الأليُّ: الأيمان.

(١٥) المجترم: مرتكب الجرم.

٣١.أروعُ لا جــــارُه ذليـــلٌ ولا — مَذمومــةٌ مِــنْ نزيلــهِ ذِمَمُــهْ

٣٢.يَمضــي مضــاءَ القَضــاءِ صارمُــه — والــرِّزقُ يجــري إذا جَــرى قَلَمُــهْ

٣٣.أربــتْ علــى «مــالكٍ» شــجاعتُه — وفــاتَ «كعبــاً» و«حاتَمــاً» كرَمُــهْ[16]

٣٤.طــابتْ مَذاقــاً لنــا مَــوارِدُهُ — فمــا شَــكَكْنا بأنَّهــا شِــيَمُهْ

٣٥.وعمَّنــا والعُفــاةَ نائِلُــهُ — حتَّــى ظَنَنَّــا بأنَّــهُ «هَرِمُــهْ»[17]

٣٦.نَقــيٌّ ثَــوبِ الفخــارِ مِــنْ دنَــسٍ — يَشــينُهُ في العُيــونِ أو يَصِمُــهْ

٣٧.للَّــهِ كَــمْ قَــدْ تطوَّلَــتْ يَــدُهُ — جُوداً وطالَتْ على السُّها قَدَمُهْ

٣٨.وطوَّقَــتْ مادحيــهِ بيــضُ عطــا — يــاهُ وحلَّــتْ[18] أجيادَهــا نعَمُــهْ

٣٩.وكــم علــى هامــةِ المجــرَّةِ قــد — جــرَّتْ ذُيــولاً مِــنْ رفعــةٍ هِمَمُــهْ

٤٠.لــو صــدَمَ الدَّهــرَ في حَداثَتِــهِ — يومــاً لشــابتْ مِنْ باسِــهِ لِمَمُــهْ[19]

٤١.أو قــابلَ اللَّيــلَ وهْــو معتكِــرٌ — لانصدَعــتْ مِــنْ جبينِــهِ ظُلَمُــهْ

٤٢.زانَ مُحيَّــاهُ مــاءُ رونقِــهِ — وزادَ حُسْــناً عِرنينَــهُ شَــمَمُهْ[20]

---

(١٦) في العرب فرسان كثيرون وقادة وسادة سُمّوا باسم مالك، ولا أدري أيُّهم عنى، انظر الأعلام؛ ٥/ ٢٥٧ وما بعد. وأمَّا كعب الذي عناه بالكرم فهو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، يُضرب به المثل في حسن الجوار فيقال: أجودُ من كعب بن مامة، قال أبو عبيدة: أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة وحاتم طيّء وهرم بن سنان. انظر الأعلام؛ ٥/ ٢٢٩، وأمَّا حاتم الطَّائي فشهرته بالكرم معروفة.

(١٧) هرمُه، يعني هرم بن سنان الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة، وهو من تحمل الديّات في حرب داحس والغبراء، وسعى بالصلح بين عبس وذبيان، وقد خصَّه الشَّاعر زهير بن أبي سُلمى بمدائح كثيرة أشهرها ما في معلقته.

(١٨) حلَّت أجيادها: طوَّقت أعناقها بالنِّعم، وكأنها الحُليُّ التي تُطوِّق أعناق الحسان.

(١٩) اللِّممُ: مفردها: لمَّةٌ: الشَّعر الذي يتجاوز شحمة الأذن.

(٢٠) العرنين: الأنف والشَّممُ: الإباء والاعتزاز والكبرياء.

٤٣. ليثُ وغى ظُفرُهُ ومِخْلَبُه حُسامُه العَضْبُ والقنا أَجَمُهْ

٤٤. مَخُوفَةٌ مِنْ سَطاهُ غابتُهُ ومُقْفِرٌ مِنْ زئيرِهِ لَقَمُهْ[٢١]

٤٥. يُقدِمُ يومَ الوغى إذا حَجَمتْ[٢٢] فُرسانُه عنه وانثنتْ بَهَمُهْ[٢٣]

٤٦. ويُفرِجُ الضَّنْكَ في المجالِ إذا ما ضاقَ بالدَّارِعينَ مُزْدَحَمُهْ

---

(٢١) اللَّقَمُ: الطَّريق.

(٢٢) حجم وجحم وأحجم وأجحم عن الأمر: انثنى.

(٢٣) البَهمُ: الأبطال.

(٦٨)

وقال يرثي لهُ ولداً تُوفِّيَ صغيراً، اسمُه ناصرُ الدِّينِ محمَّدٌ: [الخفيف]

١. أعْذُراني إذا لبِسْتُ الحِدادا ... وأطلْتُ البُكاءَ والتَّعْدادا
٢. أعْذُراني فما خُلِقْتُ حديداً ... لا ولا كنتُ حيثُ كنتُ جَمادا
٣. لِيَ عينٌ لولا مُلازمَةُ الحُزْ ... نِ تَجافَى منها البَياضُ السَّوادا
٤. ودُموعٌ سَوابِقٌ تَتَجارَى ... في مَيادينِ وجنتي وُرَّادا
٥. وفُؤادٌ أودَى بهِ الرُّزْءُ حتَّى ... ذابَ مِنْ كثرةِ الأسى أو كادا
٦. إنَّ حُزني على «محمَّدَ» أقصَى الـ ... ـنَّومَ عنْ مُقلتي وأدنَى السُّهادا
٧. كوكبٌ خَرَّ مِنْ سماءِ المعالي ... فثوَى في الثَّرى وحلَّ الوِهادا[1]
٨. وهِلالٌ لولا المَحاقُ لأوفَى ... بَهَجاتٍ على البدورِ وزادا
٩. وحُسامٌ ثنتْهُ أيدي اللَّيالي ... عندما همَّ أنْ يطولَ نَجادا
١٠. سُحَّ يا مَدْمعي عليه تُؤاماً ... كلَّما سحَّتِ الدُّموعُ فُرادى
١١. وإذا كانَ مَنْ بكيتُ جواداً ... فمنَ العدلِ أنْ تكونَ جوادا
١٢. يا بني الشِّعرِ أينَ أينَ المراثي الـ ... ـمبكياتُ التي تُذيبُ الجمادا؟
١٣. فأطيلُوا التَّأبينَ في «ناصرِ الدِّيـ ... ـنِ» وحُوكوا فيه القوافيَ الجِيادا
١٤. لو دعاهُ غيرُ الحِمامِ اجبْنا ... هُ ببِيضٍ لا تألَفُ الأغمادا
١٥. وكُماةٍ لا يرْهَبونَ المنايا ... وحُماةٍ لا يسأمونَ الجِلادا!
١٦. إنَّما خصمُه الذي قهرَ الخَلْـ ... ـقَ فأعطَوهُ صاغرينَ القِيادا

---

(١) الوهادَ: المنخفضات، يقصد القبر هنا.

١٧.فسـأُجري عليـهِ بحـرَ دُموعـي   وسـأبكيهِ أو يعـودَ ثِمـادا[٢]

١٨.وسأسْـتَنْجِدُ الغمـامَ إذا الـ   ـغيثُ مِـنْ دمعَـي الغزيـرِ نَفـادا

١٩.يـا بنـاتِ الهديـلِ سـاعِدْنَ بـالنَّو   حِ شَـجِيّاً يُحـاولُ الإسـعادا

٢٠.وأَعِـدْنَ البُكـاءَ في عَـذْبِ الـدَّو   حِ فمـا أطيـبَ البُكـاءَ مُعـادا

٢١.أسـكَنوهُ الـثَّرى ولـو انصفـوهُ   أَسـكنوهُ القُلـوبَ والأكبـادا

٢٢.ولَعهـدي بـهِ يجـودُ بنفْـسٍ   بَـرَّةٍ كـمْ ببِرِّهـا قـدْ جـادا

٢٣.وأراهُ إلـى مُصافَحـةِ الولـ   ـدانِ يُدعـى وللجنـانِ يُنـادَى

٢٤.وهْوَ مَعْ ذاكَ أحسنُ النَّاسِ وجهاً   واسـألُوا إنْ شـكَكْتُمُ العُـوَّادا

٢٥.أيقِظـاهُ مِـنْ رَقْـدَةٍ غَشـيَتْهُ   فلقـدْ كـانَ لا يُطيـلُ الرُّقـادا

٢٦.وابعثُـوا طيفَـه إلـيَّ فمـا أعـ   ـهَدُ منـه هـذا الجَفـا والبِعـادا

٢٧.واسـقيا قـبرَهُ الدُّمـوعَ فـإنْ خـا   نَكُمـا الدَّمـعُ فاسـقياهُ العِهـادا[٣]

٢٨.أيُّهـا المـوتُ كـمْ ثللْـتَ عروشـاً   باذخـاتٍ وكـم أملْـتَ عِمـادا

٢٩.فعلى العبـدِ قـدْ غُلظْـتَ طباعـاً   وعلـى الحُـرِّ قـد قَسـوتَ فُـؤادا

٣٠.وإذا كنـتَ لا تـرَى رحمـةَ الآ   بـاءِ يـا مـوتُ فـارحمِ الأولادا

٣١.كـلُّ حـيٍّ يمـوتُ يـا «علـمَ الدِّيـ   ـنِ» وإنْ طـالَ عُمـرُهُ أو تمـادَى

٣٢.فالسَّعيدُ السَّعيدُ مَنْ تَخِذَ الخيـ   ـرَ إلـى الحشـرِ عُـدَّةً وعَتـادا

٣٣.والشَّقيُّ الشَّقيُّ مَـنْ سـارَ طُرْقـاً   بَعُـدتْ شُـقَّةً وقـدْ قـلَّ زادا

٣٤.فاحتسِبْ ما رُزئتَ أجـراً على اللَّـ   ـهِ تجِـدْ ذاكَ يـومَ تلقَـى المَعـادا

٣٥.والبَسِ الصَّبرَ جُنَّـةً فلِبـاسُ الـ   ـصَّبرِ يستوقفُ الخُطوبَ الشِّدادا

---

(٢) صار الدمع ثماداً : قلَّ.

(٣) العهادُ : المطر.

٣٦.أنتَ طَودٌ على احتمالِ الرَّزيَّا ت ومَنْ ذا يُزعزِعُ الأطوادا؟

٣٧.فالمُصابُ الذي رماكَ بسهم طالَ واللَّه ما أصابَ العبادا

٣٨.نالَ مِنْ «حِمْيَرٍ» وأخنَى على الـ أقيالِ مِنْ «تُبَّعٍ» وأهلكَ «عادا»[4]

٣٩.كم مُلوكٍ أردى وكم أُمَمٍ افـ نَى قديماً وكم قُرونٍ أبادا

٤٠.والمنايا حتْمٌ على سائرِ العا لَمِ واللَّهُ فاعلٌ ما أرادا

---

(٤) حمْيَرُ: أبو قبيلة، ذكر ابن الكلبيّ أنه كان يلبسُ حُلَلاً حُمراً، وليس ذلك بقويٍّ، وقال الجوهريُّ: حمير أبو قبيلة من اليمن، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم كانت الملوكُ في الدَّهر الأوَّل، واسم حمير: العرنججُ، وقال الأزهري: حمير: اسمٌ، وهو قَيْلٌ أبو ملوك اليمن، وإليه تنتمي القبيلة، ومدينة ظفار كانت لحمير، ولذلك قالوا: من دخلَ ظفارِ حمَّر، أي تكلَّم بلغة حمير.

وأشرنا إلى «تُبَّع» سابقاً، والأقيالُ: مفردُها: قَيل: والأقيال: ملوك حمير أو غيرهم من ملوك اليمن أو سواه.

وقد كان الشَّاعر دقيقاً في استخدام الأفعال، فقال: نال من حمير، أي أزال ملكهم، وقال: أخنى على الملوك: أهلكهم وأتى عليهم، ولكنَّه قال: أهلك عاد. لأنَّ عاد وثمود من الأمم التي بادت تماماً.

(٦٩)

وقال يمدحُه ويذكر فتحَ دُنقُلة[1] على يديه، وكان السُّلطانُ الملكُ المنصورُ قلاوونَ قدَّمه على جيشٍ كثيفٍ وجَّهَهُ إلى بلادِ دنقلة: [المنسرح]

١. يــا قادمـــاً قــرَّتِ العيــونُ بـــهِ	وكــلُّ قلــبٍ خُفوقُــه[2] سَــكنا
٢. غِبْــتَ فغــابَ السُّــرورُ أجمعُــه	عنَّـا وقـدْ عـاد حـينَ عُـدتَ لنـا
٣. فنحــــنُ في نِعْمَـــةٍ مُجـــدَّدةٍ	نَســحبُ ذيلَــي مَســرَّةٍ وَهَنــا
٤. أيا رَســولَ الأمــيرِ قُــصَّ علـــى	سَـمعي فُـرادى مِـنْ ذكـرهِ وثَنـى
٥. نُـصَّ حديثـاً يُسـتَقْبحُ اللُّؤلُـؤ الـ	ـمكنــونُ مِــنْ أجلــهِ وإنْ حَسُــنا
٦. زِدْنِــيَ منـــهُ بــرِدَّتَ لـــي كَبِــداً	وهــاتِ عنــهُ شــنَّفْتَ لــي أُذُنــا
٧. ويـــا بشـــيري بالصَّـــالحيِّ ألا	هــاكَ حيــاتي وإنْ غلــتْ ثَمَنــا
٨. إيــهِ أَعِـدْ مـا جـرَى هنـاكَ لِكـي	يُسَــرَّ كــلُّ امــريءٍ بــذاكَ هُنــا

---

(١) نصَّ ياقوت على أنَّ دنقلة هي دُمْقُلَةُ، وقال: «دُمقلة بضمٍّ أوله وسكون ثانيه وضمّ قافه، ويروى بفتح أوَّل وثالثة: مدينةٌ كبيرةٌ في بلاد النُّوبة. غزاها عبد الله بن سعد بن أَبي سرح سنة ٣١هـ في خلافة عثمان». انظر معجم البلدان (دمقلة). وانظر تذكرة النَّبيه؛ ١/ ١٠٨، والسلوك؛ ١/ ٧٣٦ و٨٢٢، وتاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ٥٢، وعقد الجمان؛ ٢/ ٣٦١. وذكر أنَّ السلطان بعث جيشاً من الأمراء والأجناد وعربان البلاد وغيرهم صحبة الأمير علم الدين سنجر المسروري متولي القاهرة، المعروف بالخياط، والأمير عز الدين آيدمر السيفي أستاذ الدار والأمير أيتمش السَّعدي مُتولِّي الأعمال القوصيَّة لغزو النوبة، فتوجهوا إلى دوقلة، وأحرزوا النصر سنة ٦٨٦هـ.

(٢) في (ب): «خفوق» تحريف.

٩. قـال: سَـرَى يقـدمُ الجيُـوشَ وقـدْ حفَّـتْ بـهِ مَشْـرَفيَّةٌ وقَنـا

١٠. تَهفـو علـى رأسـهِ البُنـودُ إذا أقـامَ في منـزلٍ وإنْ ظَعَنـا

١١. والجيشُ قـدْ أشـرعتْ كتائبُـهُ مِـنْ حولـهِ السَّـمهريَّةَ اللُّدُنـا

١٢. في مَسْلَكٍ لـو سَـرى «السُّلَيْكُ» بـهِ لَضَـلَّ فيـهِ أو «عنـترٌ» جَبُنـا[٣]

١٣. حتَّـى إذا جـاسَ أرضَ «دنقلـةِ» غـادرَ منهـا ربُوعَهـا دِمَنـا

١٤. وهـدَّ منهـا حُصونَهـا المُشـمخِرَّ اتِ وأوهـى القِـلاعَ والمُدنـا

١٥. ثُـمَّ أقـامَ الأذانَ في بِيَـعٍ دُقَّـتْ نَواقيسُـهم بهـا زَمَنـا

١٦. ولـمْ يَـدعْ قَـطُّ في كنائِسِـها لا حجَـراً قائمـاً ولا وثَنـا

١٧. وفَـرَّ جَمْـعُ العبيـدِ مُـذْ ركِبـوا مِنْ صَولـةِ التُّرك مركَباً خشِنا

١٨. وهـانَ منهـمْ ومِـنْ مُلوكِهِـمُ أصعبُهُـمْ في مَقـادةٍ رسَـنا

١٩. ولـو أراد الأمـيرُ لافتتـحَ الـ هِنـدَ ولـو شـاءَ دوَّخَ اليَمَنـا

٢٠. فيـا لهـا غـزوةٌ مُباركـةٌ قضَـى بهـا الواجبـاتِ و السُّنَنا

٢١. وعـادَ بالسَّبْي في الحِبـالِ وقـدْ قـامَ لسُـلطانهِ بمـا ضَمِنـا

٢٢. حتَّـى لقـد أثقلُوا الرَّكـائبَ في الـ ـبَرِّ وفي البحـرِ ضيَّقُوا السُّفُنا

٢٣. فخصَّـهُ بالنَّفـائسِ المِلـكُ «الـ مَنْصـورُ» سـرّاً وعَمَّـهُ علَنـا

٢٤. وسـنَّ نَعمـاءَهُ عليـهِ وأدْ نـاهُ إليـهِ كَرامـةً فدَنـا

٢٥. وحـلَّ منـهُ مَحَـلَّ نـاظرِهِ حتَّـى لقـد كـادَ يخلُـفُ الوسَـنا

٢٦. فقمـتُ شُـكراً لهـذهِ المِنَـنِ الـ لأتـي أراهـا تَسـتصغرُ المِنَنـا

٢٧. يـا قادمـاً بِـتُّ مِـنْ سَـلامتهِ أمـزُجُ سُـؤْلاً بُلِّغتُـه بِمُنـى

٢٨. سَـلامةً أوجبـتْ علـيَّ بـأ نّـي بَعدَهـا لا أُعـاتبُ الزَّمنـا

---

(٣) السُّليك بن السُّلكة أحدُ شعراء الجاهلية وصعاليك العرب وعدَّائيهم.

(٧٠)

وأنشدَهُ هذهِ القصيدةَ قبل يومٍ بالقاهرة، وكانَ مسعوداً فيه: [المنسرح]

١. دامـتْ عليـكَ السُّعودُ والنِّعَـمُ ... مـا دامـتِ النَّيِّراتُ والظُّلَـمُ

٢. وواجهَتْـكَ الأيَّـامُ مُقبلـةً ... وشَـملُها بـالقَبولِ ملتئِـمُ

٣. ما عَلِقـتْ بالسَّخاءِ[1] منـكَ يـدٌ ... ومـا ارتقَـتْ منـكَ للعُلـى قَـدَمُ

٤. وَلِيـتَ أمـرَ العبـادِ عـن أَمَـمٍ[2] ... فاستبشـرتْ بالولايـةِ الأُمَـمُ

٥. فهـا وجـوهُ الأنـامِ سـافرةٌ ... وهـا ثغـورُ البـلادِ تبتسـمُ

٦. فـالحمدُ للَّـه مـا مضَـتْ نِعَـمٌ ... إلاَّ وجـاءتْ مِـنْ بعدِهـا نِعَـمُ[3]

٧. يـا دوحـةً كلَّمـا سـقَى [غُصُنـاً][4] ... مـاءُ النَّـدَى هـزَّ فرعَهـا الكَـرمُ

٨. ويـا جَـواداً عمَّـتْ فواضلُـهُ الـ ... نَّـاسَ كمـا عمَّـتِ الرُّبـى الدِّيَـمُ

٩. أمتعَـكَ اللَّـهُ بالحيـاةِ التـي ... أسـبابُها عليـكَ ليـسَ تنفصِـمُ

١٠. وزادكَ اللَّـهُ رِفعـةً وعُـلاً ... ينحَطُّ عنهـا «رَضْوى»[5] وينهـدِمُ

١١. يـا بِـأبي منـكَ هـذهِ الشِّـيَمُ الـ ... غُـرُّ اللَّواتـي مِـنْ دونِهـا الشِّـيَمُ

---

(١) في (ب): «بالأسخا» تحريف.

(٢) عن أَمَمٍ، عن قرب، أي عن جدارة.

(٣) كتب «أمم» ثم صوبها على الهامش: «نِعَمُ: بيان». وهي في (ب) صوابٌ كما أثبتناها في المتن.

(٤) زيادة من عندي، تناسب المعنى ويستقيم بها الوزن.

(٥) رَضوى: جبلٌ بالمدينة، يبعد عنها سبع مراحل، وعن ينبع مسيرة يوم، ميامنه طريق مكَّة ومياسره طريق البربراء لمن كان مصعداً من مكة، وهو جبل ضيقٌ ذو شعاب وأودية، وفي شعابه مياهٌ كثيرة وأشجار. انظر معجم البلدان (رَضوى).

١٢ .وهذهِ الهمَّةُ التي بلغَتْ ما عجَزتْ عن منالِهِ الهِمَمُ

١٣ .«يا سنجرَ» الصَّالحيَّ أنتَ بما يُرضي إلهَ السَّماءِ مُلْتَهَم[٦]

١٤ .وأنتَ عندَ الولاةِ ممتثَلُ الـ أمرِ وعندَ المُلوكِ مُحتَرمُ

١٥ .لقد علَتْ دولةٌ وطالتْ يدا مُلْكٍ تولَّى أُمورَها العَلَمُ

١٦ .الألمعيُّ الذي عزيمتُهُ يُفَلُّ منها المهنَّدُ الخَذِمُ[٧]

١٧ .طَبٌّ إذا اعتلَّتِ الأمورُ تلقَّا ها برأيٍ جميعُهُ حِكَمُ

١٨ .مُنخرِقُ السَّمعِ للعُفاةِ فإنْ لامَ عَذولٌ فعندَهُ صَمَمُ

١٩ .في عِطفِهِ هِزَّةُ السَّماحِ وفي عِرنينِهِ مِنْ إبائِهِ شَمَمُ

٢٠ .إذا دعا المُرهَفَينِ في الحربِ والـ سِلْمِ أجابَ الحُسامُ والقَلَمُ

٢١ .كلاهما يقطُرانِ في البؤسِ و[في][٨] الـ نُّعْمى فهذا نَدًى وذاكَ دَمُ

---

(٦) ملتهم وملهم: أي: مهتدٍ للرَّشاد.

(٧) المهنَّد الخذمُ: السَّيفُ القاطع.

(٨) زيادة من عندي، يستقيمُ بها الوزنَ. وقد سقطت من الأصل و(ب).

(٧١)

وقال يمدحُ تقيَّ الدِّينِ[1] تَوْبةَ، وكان قدْ وردَ بدمشقَ ثمَّ سُجِنَ: [الخفيف]

١. كلَّ يــومٍ آيــاتُ عَليــاكَ[2] تُتلَــى — وأحاديثُهــا علــى النَّــاسِ تُملَــى

٢. لمْ تنــلْ رُتبــةً ولــمْ تــرقَ مجــداً — وفَخــاراً إلاَّ وقــدرُكَ أعلَــى

٣. وإذا مــا وليــتَ للنَّــاسِ أمــراً — وَلــيَ اللَّــهُ حِفْـظَ مــا تتولَّــى

٤. قــدْ قتلــتَ الأمــورَ نقضــاً وإبــرا — مــاً وأحيَيْتَهُــنَّ عَقْــداً وحَــلاً

٥. وأرى المُلْــكَ ذا افتقــارٍ إلــى رأ — يٍ سـديدٍ قـدْ دقَّ منـكَ وجَـلاً

٦. واستمدَّتْ مِنْ عزمِكَ الدَّولةُ الغَرّ — اءُ نصــراً وجــرَّدتْ منــه نَصْــلا

٧. أتعبــتْ هــذهِ الــوِزارةُ قومــاً — فتحمَّلْــتَ عِبْئَهــا مُســتَقِلاً

٨. وأبــتْ أنْ ينالَهــا أكــثرُ النَّــا — سِ إلــى أنْ راتْــكَ كُفْــأً وأهــلا

٩. خيَّروهــا فلــمْ تجــدْ منــكَ بُــدَّاً — وأراهــا لــمْ تــرضَ غــيرَكَ بَعْــلا

---

(١) هو الصاحب تقي الدين أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بـن توبـة الربعي التكريتي المعروف بالبيِّع. كان أول أمره تـاجراً، واتَّصـل بـالملك المنصـور قـلاوون، فولاَّه عندما تسلطن وزارة الشام بعـد مـدَّة، ثـم عزلـه، ثـم ولِّـي وصـودر غيـر مـرَّة لظلمه وعسفه واحتياطه على الأموال مع أنه كان ذا مروءة محبّاً لأهـل الخير. ولـد سنة ٦٢٠هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٩٨هـ، وكان قد وزر لخمسة سلاطين: المنصـور والأشرف والعادل كَتْبُغا والمنصور لاجين والنـاصر محمـد. انظر ترجمتـه في المنهـل الصافي؛ ٤/ ١٧٩، عقد الجمان؛ ٣/ ٤٧٥، الوافي؛ ١٠/ ٤٣٨، النجـوم الزاهـرة؛ ٨/ ١٨٥، فوات الوفيات؛ ١/ ٢٦١، السلوك؛ ١/ ٨٨١، العبر؛ ٥/ ٣٨٧، تذكرة النَّبيه؛ ١/ ٢١٧.

(٢) علياك: أصلها: عليائكَ، وقصر الهمزة للضَّرورة.

١٠ .أصبحَ النَّاسُ مُـذْ وزرتَ عليهمْ   في نعيمٍ جديدُهُ ليس يبلَى

١١ .فمُواليكَ زادَه الأمنُ عِـزّاً   ومُعاديكَ زاده الخوفُ ذُلاً

١٢ .وإذا ما الكِرامُ حَلُّوا حِبا(٣) الجُو   دِ سماحاً للوافدينَ وبَذْلا

١٣ .كنتَ أصفاهُمُ مياهاً وأحلى   ثمراً يانعاً وأبردَ ظِلاً

١٤ .أوضحَ اللَّهُ بالوزيرِ «تقيِّ» الـ   ـدِّينِ» طُرْقاً للمُهتدينَ وسُبْلا

١٥ .أريحيٌّ لا يُلحِقُ المَنَّ بالمنِّ   ولا يُعقِبُ المواعيدَ مَطْلا(٤)

١٦ .اِبْتنَى المجدَ واقتنَى جوهرَ الحمْـ   ـدِ فأعلى هذا وذاك فأعلَى

١٧ .ولكَمْ سابقَ السُّراةَ إلى الفضـ   ـلِ فَجلَّى(٥) والمُشكلاتِ فحلاً

١٨ .ورعَى حُرمةَ الوفاءِ فما عا   هدَ خِلاً إلاَّ وراقبَ إلاّ(٦)

١٩ .وأرى التِّيهَ كانَ مِلءَ رؤوسٍ   مِنْ أُناسٍ فمُذْ تولَّى تولَّى(٧)

٢٠ .يا وزيراً أنافَ قدراً على النَّجْـ   ـمِ وأضحَى على السِّماكِ مُطِلاً

٢١ .لا أهنِّيكَ بالوزارةِ لكنِّـ   ـي أُهنِّي بكَ الوزارةَ قَبْلا(٨)

---

(٣) الحِبَى الثِّيابُ التي يُحتبَى بها، ومفردُها حِبْوَةٌ وحُبْوَةٌ، وحَلُّوا حبا الجود: استعارة، أي تأهَّبوا للعطاء. والحباءُ بالمدّ العطاء.

(٤) المطل: التَّسويف والتأجيل، وهو بابٌ من أبواب الكذب.

(٥) جلَّى: سبق.

(٦) الإلُّ: العهد والذِّمَّة.

(٧) هذا جناسٌ لطيفٌ، تولَّى الأولى: تقلَّد الولاية، وتولَّى الثانية: ذهب ورحل، يقصد التِّيه في صدر البيت.

(٨) في الأصل:

لا أهنـي بـك الـوزارة لكنـي   أهنـي بـك الـوزارةَ قبـلا

والصَّواب ما أثبتنا.

٢٢. كانتِ النَّاسُ تَرتجي منكَ طيْفاً أو مَزاراً فأدركتْ منكَ وَصْلا

٢٣. نِعمةٌ أوجبتْ على الخلقِ شُكراً وافاضتْ على الرَّعيَّةِ فضْلا

٢٤. ولكمْ واصلُوا الدُّعاءَ إلى أنْ جَمعَ اللَّهُ منهمُ بكَ شَمْلا

٢٥. ولئِنْ كُنتَ قد حُجبتَ عنِ النَّا سِ فقد يُغْمَدُ الحُسامُ المُحلَّى

٢٦. فابقَ مِنْ سُورةِ الحوادثِ باللَّـ ـهِ مُوقّىً وبالحياةِ مُمَلَّى[9]

٢٧. «فإذا ما اشتهَى خُلُودَكَ داعٍ قالَ: لا زِلتَ أو ترى لكَ مِثْلا»[10]

---

(٩) مُمَلَّى: ممتَّع.

(١٠) على الهامش: «مُضمَّن»، والبيت للمتنبي من قصيدة يُعزِّي بها سيف الدَّولة لوفاة أخته الصُّغرى، ويسليه ببقاء أخته الكبرى، ومطلُعها:

إنْ يكنْ صبرُ ذي الرَّزيَّةِ فضْلا تكنِ الأفضلَ الأعزَّ الأجلاَّ

وقالها في رمضان سنة ٣٤٤هـ. وقد حاكاه العزازي في أغلب أبياتها.

(٧٢)

وقال يمدحُ سيفَ الدِّين أبا بكر بن أسبا سلاَّر والي مصر[1]: [المنسرح]

١. عُوجُوا علـــى «رامـــة» نُحيِّيهـــا	جـادَ الحيـا سـفحَها وواديهـا
٢. وباكرتْهـــا الـــبُرُوقُ نـــاثرةً	علــــى ثَنيَّاتِهـــا لآليهـــا
٣. ملاعـــبُ مـــا برحْــتُ مُقتنصــاً	عـــاطلَ غِزلانِهـــا وحاليهـــا[2]
٤. وأربُعٌ قـــدْ غـــدوتُ مُبتكِـــراً	أسْحبُ أذيـالَ صَبوتـي فيهـا
٥. أينَ لَذاذاتُهـــا التـــي سَـــلَفتْ	رقيقـــةً بالصَّبـــا حواشـــيها؟
٦. كـــأنَّ أشـــجارَها أصائلُهـــا	طيِّبـــاً وأيَّامَهـــا لياليهـــا
٧. أيَّـــامَ لا أتَّقـــي مُراقِبَهـــا	إنْ جَـــدَّ سَـــعياً ونمَّ واشـــيها
٨. ولــم أُطِــعْ في المُجــونِ عاذلــةً	ولــم أُجِــبْ للسُّــلُوِّ دَاعيهـــا
٩. ومـا علـى العـاذلاتِ مِـنْ غَـزِلٍ	ينشُـــرُ لذَّاتـــهِ ويَطويهـــا؟
١٠. حَيـثُ ريـاضُ الشَّـبابِ يانعـةٌ	يحجُـــبُ رَيحانُهـــا أقاحيهـــا
١١. وحيـثُ أيـدي الزَّمـانِ باسـطةٌ	تَسـمحُ لـي بـالمُنى وتُعطيهـا

---

(١) الأمير سيف الدين سلاَّر بن عبد اللَّه المنصوريّ، ولاَّه الملك النَّاصر محمد قلاوون نيابة السلطنة بالديار المصرية عوضاً عن الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي في جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ، صودر سنة ٧١٠هـ، واعتقل بالقلعة إلى أن ماتَ جوعاً. انظر تذكرة النَّبيه؛ ٢/ ٢٩. السلوك؛ ١/ ٨٧٣، المنهل الصافي؛ ٦/ ٥، النجوم الزاهرة؛ ٩/ ١٦-٢٠ و٢١٧، الوافي؛ ١٦/ ٥٥، فوات الوفيات؛ ٢/ ٨٦، البدر الطالع؛ ١/ ٢٦٨، وذكر أنَّ وفاته سنة ٧١٥.

(٢) العاطل الذي لا طوق في عنقه والحالي المطَّوق بالحلي خلقةً هنا.

١٢ .والكأسُ لم أُطفِ نارَ سَورتِها بالماءِ لكنْ بريقِ ساقيها[٣]

١٣ .ولِلغواني إلـيَّ مَيلُ هوىً يَعطِفُ أعطافَها ويَثنيها

١٤ .تلكَ ليالٍ بالشّامِ كنتُ بها اختالُ عُجْباً وأنثني تيها

١٥ .ولّتْ فلا يُستَردُّ ذاهبُها كلاًّ ولا يُستعادُ ماضيها

١٦ .إنّي على ما استحالَ مِنْ شَعَري واشْتَبَهتْ حِلْيتي لرائيها

١٧ .لا أمنعُ العينَ مِنْ تعشُّقِها كلاًّ ولا النَّفسَ مِنْ تَصابيها

١٨ .يا مَنْ لنفسٍ طالتْ شِكايتُها وحارَ في بُرْئِها مُداويها؟

١٩ .تَشتاقُ ماءَ «العُذَيبِ» مِنْ ظمأٍ وغيرُ ماءِ «العُذيبِ»[٤] يَرويها؟!

٢٠ .وتستلِذُّ الصَّبا إذا خطرتْ مِنْ دارِ «لمياءِ»[٥] أو نواحيها

٢١ .لا تَلْحُها في هوَى أحبتِّها ولا تَلُمْها فاللَّومُ يُغريها

٢٢ .وخَلِّ منها ومِنْ ضَلالتِها فلستَ ممَّنْ يُطيقُ يَهديها

٢٣ .إمَّا تُلاقي بها منيَّتَها أو أنَّها تلتقي أمانيها

---

(٣) سَورةُ الخمرة: حدّتُها، وإطفاء نار سورتها: بمزجها بالماء، وقال: لا يُطفئُها بالماء، بل بريق السَّاقي المحبوب الذي يطوفُ بها.

(٤) العُذيب: تصغير العذب، وهو الماء الطّيّب، وهو ماءٌ بين القادسية والمغيثة، وقيل: هو واد لبني تميم، وقيل هو حدُّ السَّواد، وهو من منازل حاجِّ الكوفة وقد ذكره المتنبيّ في مطلع إحدى قصائده الشَّهيرة في مدح سيف الدَّولَة.

تذكَّرتُ ما بينَ العُذَيبِ وبارقِ مَجَرَّ عوالينا ومجرى السَّوابقِ

والعُذَيب أيضاً: ماءٌ قرب الفرما من أرض مصر في وسط الرَّمل. والعُذَيب موضعٌ بالبصرة. انظر معجم البلدان (العذيب). وأتى به العزازيُّ هنا مجازاً.

(٥) لمياء: اسم امرأة يتغزَّل بها، مجازاً لا حقيقة واسمٌ مُسمَّاهُ من خيال الشاعر.

٢٤. يا «أثلاتِ الكثيبِ» مِنْ «إضم»[٦] سقتْكِ مِنْ أدمعي غواديها

٢٥. وراحتِ السُّحْبُ في مَحِلَّتِكِ الـ ـفَيحاءِ محلولةً عَزاليها[٧]

٢٦. كيفَ سرَى بالحُمولِ سائقُها؟ وأينَ حثَّ الرِّكابَ حاديها؟

٢٧. ساروا فشيَّعتُ ركبَهُمْ ويدي مِنْ كَبِدي للفراقِ أُدنيها

٢٨. واستوطنُوا «بالعقيقِ»[٨] منزلةً يُميلُ عِطفي ذكرى مغانيها

★ ★ ★

٢٩. طابتْ رُباها بأُنسِ ساكنِها طيْبةَ «مصرِ» بعدلِ واليها

٣٠. ساسَ الرَّعايا فعزَّ طائعُها وذلَّ في الخافقَينِ عاصيها

٣١. وانقادَ نحوَ الصَّلاحِ مُفسِدُها ولانَ بعدَ الجِماحِ باغيها

٣٢. يعفُو متَى ما أنابَ مُذنبُها أو تابَ ممَّا جناهُ جانيها

---

(٦) إضمٌ الذي يعنيه هنا: واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، كما ذكر ياقوت، قال سلاَّمة بن جَندل:

يا دار أسماءَ بالعلياءِ من إضَمِ بين الدَّكادك من قُوٍّ فمغضُوبِ

وقيل واد لأشجع وجهينة، وقيل: جبلٌ بين اليمامة وضريَّة. انظر معجم البلدان (إضم). وصار علَماً للبرق الصُّوفي عند الشعراء كما ورد في بردة البوصيري وغيره.

(٧) العَزالي والعزالَى ومفردها: العزلاء: مصبُّ الماء من القربة.

(٨) العقيقُ: كلُّ مسيل ماء شقَّه السَّيل في الأرض فأنهره ووسَّعه، وفي بلاد العرب أعقَّة كثيرة، منها عقيق عارِض اليمامة، وعقيقٌ بناحية المدينة. وقد أكثر الشُّعراء من ذَكر العقيق. وزوِّجت أعرابية ممَّن يسكن عقيق المدينة، ورحلت إلى نجد، فقالت:

إذا الرِّيحُ من نحو العقيق تنسَّمتْ تجدَّدَ لي شوقٌ يُضاعفُ من وجدي

إذا رحلوا بي نحو نجدٍ وأهلِه فحسبي من الدُّنيا رجوعي إلى نَجْدِ

انظر معجم البلدان (العقيق).

٣٣.ذُو رحمــــةِ أُنزلــــتْ لراشــــدِها ونِقْمــــةٍ عُجِّلــــتْ لغاويهــــا

٣٤.سيفُ وغًى تكهَمُ[٩] السُّيوفُ إذا اهــ ـــتَزَّ وتنبُــو منهــا مواضيهــا

٣٥.وليــثُ حــربٍ إذا اللُّيــوثُ رأتْ إقدامَــه أحجمــتْ ضَواريهــا

٣٦.مــا يــأتلي غَمْــرةً يُفرِّجُهــا بالسَّــيفِ أو كَرْبــةً يُجلِّيهــا

٣٧.ونــارُ حــربٍ إنْ شــاءَ يُسْــعِرُها أو شــاءَ يــومَ الهِيــاجِ يُطفيهــا

٣٨.في ســاعةٍ كــادتِ الكُمــاةُ بهــا تَشــيبُ مِــنْ هولِهــا نَواصيهــا

٣٩.يُقيــمُ سُــوقَ الوغَــى علــى قَــدَمٍ إذا المنايــا نــادى مُناديهــا

٤٠.وتلتقــي الخيــلُ وهْــيَ مُقبلــةٌ تَــردي[١٠] بأبطالِهــا مَذاكيهــا

٤١.فتنثَنــي مِــنْ قَنــاهُ مُدبــرةً تحسُــدُ أكفالَهــا هواديهــا

٤٢.قــائدُ أهــلِ النَّــدى ومُرشِــدُها إلــى طريــقِ العُلــى وهاديهــا

٤٣.تنقُــلُ أَخبــارَ جُــودِهِ قالــةُ الــ ـشِّــعرِ وعنــهُ العُفــاةُ تَرويهــا

٤٤.أصبــحَ للنَّــاسِ كــنزَ مُعدمِهــا وكهــفَ مِســكينِها ولاجيهــا

٤٥.وعَــونَ مَظلومِهــا ونــاصرَهُ علــى اللَّيــالي وفــكَّ عانيهــا

٤٦.لــهُ يــدٌ بــالنَّوالِ فائضــةٌ لــمْ تُحْــصَ مِــنْ كــثرةٍ أياديهــا

٤٧.عمَّــتْ بنَيْــلِ العطــاءِ آملَهــا وأخْجَلــتْ بالسَّــماحِ راجيهــا

٤٨.مــا أطيــبَ النَّــاسَ في ولايتــهِ فزِدْهُــمُ اللَّــهُ مِــنْ تواليهــا

٤٩.ولايــةُ أكــثرَ الأمــيرُ أبــو بَكــرٍ بإحســانهِ مواليهــا

٥٠.قلَّدَهــا فــارتقتْ قوادمُهــا بــهِ وطــالتْ منهــا خَوافيهــا

٥١.وكــانَ أوفَــى الــورى بظاهرِهــا عِلْمــاً وأدراهــمُ بخافيهــا

---

(٩) تكهمُ: تكلُّ عن القطع، والسَّيف الكهامُ: الذي لا يقطع.

(١٠) تردي: تسيرُ، والرَّدَيانُ: ضربٌ من السَّير. والمذاكي: الخيل العتاق.

٥٢.كـــالثَّوبِ ســـلَّمتَهُ لتـــاجرهِ — والقـــوس أعطيتَهـــا لباريهـــا

٥٣.تنـــدُبُ منـــه الملـــوكُ ذا همـــمٍ — مـا أقربَ النُّجْحَ مِنْ مساعيها

٥٤.وتكتفـي منـه في حوائجِهـا الـ — عُظمـى بأشـغالِها بكافيهـا

٥٥.يـا ابـنَ الـذي لـمْ تـزلْ مناقبُـهُ — يُقَصِّرُ النَّجمُ عـنْ مسـاعيها

٥٦.اسْـلَمْ لنُعمَـى ودُمْ لعارفـةٍ — تُؤْثِـرُ هـذي وتِلْـكَ تُوليهـا

٥٧.وعِشْ لِديـنٍ مـا زلـتَ تنصُـرُهُ — ودولـةٍ مـا برحْـتَ تَحميهـا

٥٨.واسـمعْ مِـنَ المدحِ كـلَّ قافيـةٍ — تُفحِـمُ حُسَّـادَها معانيهـا

٥٩.لا يَستطيعُ «الكُميتُ»[١١] يَلحقُها — في يـومِ سَـبْقٍ ولا يُجاريهـا

٦٠.تهـتزُّ منهـا أعطـافُ سـامعِها — إذا تلاهـا عليـهِ راويهـا

٦١.كمْ قـدْ تردَّيـتَ مِـنْ وشـائعِها[١٢] — وكـم تقلَّـدتَ مِـنْ لآليهـا

٦٢.أمـرتُ شَـيطانَ نظمِهـا فمضَـى — مِنْ خلفِ «قافٍ»[١٣] يُزجي قوافيها

٦٣.شـاعرُها لـم يـزلْ لأنْعُمِكُـمْ — شـاكرَ آلائِهـا وداعيهـا

---

(١١) الكُميت المقصود هنا هو الكميت بن زيد الأسديّ الشَّاعر الشَّهير، واشتُهرَ بقصائده المعروفة باسم الهاشميَّات، وهو من فحول الشعراء في العصر الأموي. وقوله: في يوم سبق، يجعلُ في البيت توريَّة أيضاً فالكميتُ: هو الجوادُ المختلط الحمرة بالسَّواد.

(١٢) الوشائع: الثِّياب المزركشة. وتردَّاها: لبسها.

(١٣) قاف: قيل جبلٌ محيطٌ بالأرض، وهو من زبرجدة خضراء، وإنَّ خضرةَ السَّماء من خضرته، وأصولُ الجبال كلّها من عرق جبل قافٍ. ذكروا أنَّ الشمس تغربُ فيه وتطلعُ منه. انظر معجم البلدان (قاف). ولسان العرب (قوف).

(٧٣)

وقال أيضاً يمدحُه، وأنشدها بمصر في دار الولاية: [السَّريع]

١. لو زَارني مَنْ بتُّ أرجو وفاهْ | قبَّلْتُ خدَّيهِ مراراً وفاهْ[١]
٢. ولستُ مَنْ يطمعُ في وصلهِ | إلاَّ إذا واصلَ جفني كَراهْ
٣. بدرٌ بدا في أُفْقِ أزرارِهِ | فحلَّ مِنْ عِقدِ اصطباري عُراهْ
٤. ماذا عليه لو شَفَى غُلَّتي | مِنْ ريقهِ أو ظَمَأي مِنْ لَماهْ؟
٥. عُلِّقْتُه طاوي الحشا أهيفَ الـ | ـقامةِ ساجي الطَّرفِ ألمى الشِّفاهْ
٦. ذا وَجنةٍ تقطُرُ ماءَ الحيا | وريْقةٍ تعدلُ ماءَ الحياهْ
٧. ما شَهَرتْ عيناهُ صمصامةً | إلاَّ وهَزَّتْ معطفاهُ قَناهْ
٨. يا قمراً أصبحَ قلبي لهُ | منزلةً والطَّرفُ[٢] منِّي سَماهْ
٩. رِفْقاً على ذي جسَدٍ ناحلٍ | قدْ بلغَ الشَّوقُ بهِ مُنتهاهْ
١٠. السُّقْمُ لا يُنكِرُهُ جِسْمُهُ | والنَّومُ لا تعرفُهُ مُقلتاهْ
١١. قد أخذتْ منهُ كؤوسُ الهوَى | فكيفَ يَصحُو والعيونُ السُّقاهْ؟
١٢. يَبيتُ راعي النَّجمِ في أُفْقهِ | ووِدُّهُ لو باتَ يرعَى أخاهْ
١٣. ما زالَ ذا طَرْفٍ طَموحٍ إلى | قَدٍّ غُلامٍ أو مُحيًّا فَتاهْ
١٤. أيُّ صَباً «بالجزعِ» ما هاجَهُ؟ | وأيُّ برقٍ «بالحمى» ما شجاهْ؟
١٥. يَشتاقُ مِنْ «كاظمةٍ» ملعباً | سقاهُ مِنْ أدمعهِ ما سَقاهْ

---

(١) وفاه الأولى: وفاءَه، وقصر المدّ للضرورة. والثانية: فَمه.

(٢) القلب والطرف هما العضوان المعروفان من الجسم، وهما أيضاً منزلتان من منازل القمر، ولذلك قال: «منزلةً». وقال: سماه، والأصل: سماؤه، وحذف الهمزة للضرورة.

١٦. سَلْ عنه إرزامَ المطايا إذا		جادَ بها أو نَغَماتِ الحُداهْ
١٧. سارتْ أحاديثُ تباريحِهِ		وكيفَ تَخفَى والدُّموعُ الوُشاهْ؟

* * *

١٨. كمثلِ ما سارتْ بمدْحِ النَّدى «الـ		سَّيفيِّ» بينَ الخافقَينِ الرُّواهْ
١٩. كهفُ المساكينِ إذا صوَّحتْ		مَنابتُ الجودِ وكنزُ العُفاهْ
٢٠. والٍ يرَى الحقَّ بعينِ الهُدى		فيُسخِطُ النَّفسَ ويُرضي الإلَهْ
٢١. لم يَعْصِ في أحكامِهِ ربَّهُ		ولم يُطِعْ يومَ قضاءٍ هواهْ
٢٢. لو قابلَ الغيثُ ندَى كفِّهِ		يوماً لولَّى مِنْ حَياءٍ حياهْ[٣]
٢٣. أو واجهَ اللَّيلُ سنا وجهِهِ		لانصدعَ اللَّيلُ وضاءتْ دُجاهْ
٢٤. رئاسةٌ ساوَى بها جَدَّهُ		وسُؤدَدٌ أشبهَ فيهِ أباهْ
٢٥. سيفُ انتقامٍ حَدُّهُ للعِدَى		وصَفحُهُ مُدَّخَرٌ للجُناهْ
٢٦. ما زالَ ينفي الجَوْرَ عن جارِهِ		حتَّى تناءى وتحامَى حِماهْ
٢٧. أيُّ وغًى لم يحمِهِ سيفُهُ؟		وأيُّ حربٍ لم تُدِرْها رحاهْ؟
٢٨. اطلُبْ نجاةً منهُ في سُخْطِهِ		واسألْهُ ما أمَّلْتَهُ في رِضاهْ
٢٩. قدْ عزَّ مَنْ والاهُ أو طاعَهُ[٤]		وذلَّ مَنْ خالفَهُ أو عصاهْ
٣٠. وخابَ مَنْ ناواهُ أو كادَهُ		وفازَ مَنْ أمَّلَهُ وارتجاهْ
٣١. كأنَّما أخلاقُهُ روضةٌ		أجرتْ عليها راحتاهُ أضاهْ[٥]
٣٢. تقصُرُ ألحاظُ العِدى عنْ مدًى		أُكرومةٍ طالتْ إليها خُطاهْ

---

(٣) حياهُ: مطرُه.

(٤) طاعه وأطاعه: انقاد له، كلاهما صواب.

(٥) الأضاةُ: الغدير.

٣٣. لـــهُ مَســاعٍ بَلغَــتْ غايــةً ... مِـنَ العُلَـى مـا بلغَتْهـا السُّعاهْ

٣٤. وهِمَّـــةٌ مـــا جعلــتْ هَمَّهــا ... إلاَّ بلــوغَ النَّجـمِ أو مُرتقــاهْ

٣٥. لا تحصُــرُ المُــدَّاحُ القابَــهُ ... كـلاًّ ولا تُحصـي القَـوافي حُـلاهْ

٣٦. قُـلْ للـذي أنضـاهُ جُهْـدُ السُّرى ... يؤمِّـلُ الرَّاحـةَ عنـدَ السُّـراهْ

٣٧. يَمِّـمْ أبـا بكـرٍ تجـدْ مُنعِمـاً ... فيَّاضَـةً يـومَ النَّـدى راحتـاهْ

٣٨. خاليــةً مِــنْ كِــبْرهِ نفسَــهُ ... مملــوءةً مــنْ نُبْلــهِ بُردتــاهْ

٣٩. فكــلُّ مَــنْ يُحــرَمُ معروفَــهُ ... خــابتْ مســاعيهِ وتبَّــتْ يــداهْ[٦]

٤٠. يـا ابـنَ الألـى شـادُوا بِنـاءَ العُلَـى ... وأحـرزوا السَّبْقَ وحـازوا مَـداهْ

٤١. ويــا أمــيراً قــد عــلا رُتبــةً ... لا يرتقيهـا يـومَ فخـرٍ سِـواهْ

٤٢. خُذهـا «أبـا بكـرٍ» شـآميَّةً[٧] ... حمَّلهـا عَـرفُ الخُزامَـى شـذاهْ

٤٣. تُزهـي علـى الـرَّوضِ افتخـاراً إذا ... رفَّـتْ أقاحيـهِ ورقَّـتْ صَبـاهْ

٤٤. شـــاعرُها داعٍ لإحســانِكمْ ... تقبَّـلَ اللَّـهُ تعـالى دُعـاهْ

٤٥. وكيـفَ لا يدعـو لهـا وهْـوَ مِـنْ ... أفيائِهـا مـا بـينَ ظِـلٍّ وجـاهْ؟

٤٦. مَتَّعكَ اللَّـهُ بطُـولِ البَقـا ... ومَـدَّكَ[٨] اللَّـهُ بطُـولِ الحيـاهْ

---

(٦) تبَّت يداه: هلكتا، وأخذ العبارة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿تبَّت يدا أبي لهب [المسد: ١]﴾.

(٧) شآميَّة: يُشير إلى القصيدة نسبةً لناظمها، والشّآمية: الرِّيح التي تهبُّ من جهة الشَّام، ولذلك قال: حمَّلها عرفُ الخزامى رائحتُه الذكيَّة.

(٨) مَدَّ وأمدَّ: أطال، كلاهما صواب.

(٧٤)

وقال يمدحُ الأميرَ بدر الدِّين بَيْلِيْكَ الخازندارَ[1]: [البسيط]

١. إنْ لم أَقُمْ بِصَبابـاتِ الهـوى فيكـا ... فلا ارتشفتُ كؤوسَ الرَّاحِ مِنْ فِيكا

٢. يـا مُطمِعـي بوعـودٍ لا يقـومُ بهـا ... أفنيتُ عُمرَ اصطباري في تَقاضيكا

٣. ويا مُريقَ دمـي مِنْ غيرِ مـا سبَبٍ ... هـا قد رضيتُ بـه إنْ كانَ يُرضيكا

٤. لم يُبقِ صَدُّكَ لي صبراً ولا جلَداً ... ولـمْ يَـدعْ في كِتمانـاً تجنِّيكـا

٥. مـاذا افتقـارُكَ للهنـديِّ تحمِلُـهُ ... وسيفُ مقلتِكَ النَّجلاءِ يُغنيكا؟

٦. بدرٌ يُضِلُّـكَ منـه ليـلُ طُرَّتـهِ ... وصُبحُ مَبسِمِهِ الوضَّاحِ يَهديكـا

٧. يُريكَ غُصْنَ النَّقا إنْ ماسَ منعطِفاً ... وإنْ رنـا لفَتـاتِ الظَّبـيِ يُعطيكـا

---

(١) الأمير بدر الدين بَيْليكُ بن عبد اللّه الظاهري الخازندار، نائب السلطنة بالديار المصرية ومقدَّم الجيوش فيها. كان أميراً جليل المقدار عالي الهمة واسع الصدر كثير البر والمعروف والصَّدَّقة، لين الكلمة حسن المعاملة. ديِّناً ورعاً، ذكيّاً فطناً، ذا ثقافة عالية وخُلق حسن. ابتاعه الملك الظاهر بيبرس من تاجر. كانت له إقطاعات عظيمة بمصر والشام. لما مات الملك الظاهر أخفى أمره وساس الأمور أحسن سياسة، ولكنه مرض عقب وصوله إلى القاهرة، فتوفي في السادس عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٦، بقلعة الجبل، فدفن بتربته التي أنشأها بالقرافة الصُّغرى. وكانت له جنازة مشهودة يوم موته وظهر الحزن على البلاد. واضطربت أحوال الملك السعيد من بعده. وقد مات في شبابه بحدود الخامسة والأربعين من العمر. وقيل: إنَّه مات مسموماً. انظر في ترجمته: المنهل الصافي؛ ٣/ ٩٢ وما بعد. النجوم الزاهرة؛ ٧/ ٢٧٦، عقد الجمان؛ ٢/ ١٩٧، الوافي؛ ١٠/ ٣٦٥ وما بعد، ذيل مرآة الزمان؛ ٣/ ٢٦٢، السلوك؛ ١/ ٦٤٣ و٦٤٨.

٨. يا ثغرَهُ كانَ دمعي أبيضاً يقَقاً وقدْ ثنتْهُ يواقيتاً لآليكا[٢]

٩. وأنتَ يا خصرَهُ أغريتَ سُقْمَكَ بي حتَّى لقد صرتُ بالي الجسمِ مَنهوكا

١٠. وبتَّ تلدَغُ يا ثُعبانَ طُرَّتِهِ قلبي فيا ليتَ أنِّي بِتُّ حاويكا[٣]

١١. يا فتنةً لو وَقاني الحبُّ ضَلَّتَها ما كان سِرِّيَ بعدَ الصَّونِ مهتوكا

١٢. لا تسألَنِّيَ عن وجدي وعن وَلَهي وسائلِ الدَّمْعِ إنَّ الدَّمعَ يُنبيكا

١٣. هذي دموعِيَ عنْ حالي مُترجِمةٌ وهذهِ أَلسُنُ الشَّكْوى تُناجيكا

١٤. ما زلتُ أُكبِرُ غُصْنَ البانِ منعطِفاً حتَّى رأيتُ فُنوناً مِنْ تَثَنِّيكا

* * *

١٥. وكنتُ أحسِبُ أنَّ الشَّمسَ نيِّرةٌ حتَّى تأمَّلتُ «بدرَ الدِّينِ بَيْلِيْكا»

١٦. رأيتُ وجهاً يردُّ الشَّمسَ كاسفةً وأينَ مِنْ نُورِ هذا نورُ هاتيكا؟

١٧. فتًى له راحةٌ كمْ حقَّقتْ أملاً واستنقذتْ منْ يدِ الإملاقِ صُعلوكا

١٨. ما زالَ يَسلُكُ نهجاً للعُلا خَطِراً حتَّى أعادَ طريقَ المجدِ مسلُوكا

١٩. للَّهِ كائنُ أحرارٍ أصارَهُمُ بأنعُمٍ مِنْ جواريهِ مَماليكا

٢٠. قُلْ للمؤمِّلِ «بدرَ الدِّينِ» فُزْتَ بما تَرجو وناهيكَ «بدرُ الدِّينِ» ناهيكا

٢١. فنادِ إحسانَ «بيليكٍ» ونائلَهُ فإنَّ إحسانَ «بيليكٍ» يلبِّيكا

---

(٢) يريد أنَّ دمعه كان أبيضَ كاللُّؤلؤ، واليَقَقُ البياضُ، ثمَّ استمرَّ في البكاء حسرةً وشوقاً حتَّى صار يبكي دماً، فشبه الدَّمع الأبيض باللُّؤلؤ والدَّمع الأحمر بالياقوت، ولعلَّه أخذ المعنى من الشاعر العرفاني المنتجب العاني:

ما زلتُ أنثرُ عِقْدَ الدَّمع من أسفٍ حتَّى رَجعْنَ يواقيتاً لآليه

والمعنى عند المنتجب أجلى؛ كونَه سمَّى تناثر الدَّمع انفراطَ العقد، فأخذت الدُّموع تتدحرج كالأحجار الكريمة وهي سلكُها.

(٣) الحاوي: الذي يرقي الحيَّة، أو صائدها.

٢٢. ويا مُعاديَه إنْ لم تجدْ سبَباً ... للعفوِ كانَ القَضا الجاري مُعاديكا

٢٣. فكيفَ تُفلِتُ أو تنجو وصارمُه ... كالموتِ والموتُ لا ينفكُّ لاقيكا؟

٢٤. للّهِ أنتَ ونارُ الحربِ مُسْعَرَةٌ ... وللمَنايا دبيبٌ في مواضيكا

٢٥. والخيلُ تقتحمُ الهيجاءَ عابسةً ... وتَنثني وهْي صرعَى مِنْ عواليكا

٢٦. أفحمتَ مادحَكَ المُثني عليكَ كما ... أخجلتَ بالجُودِ والإحسانِ راجيكا

٢٧. إذا سعيتَ إلى أُكرومةٍ وعُلاً ... كنتَ المُجلِّي وكانَ النَّجمُ تاليكا

٢٨. فارْقَ السَّماءَ وطُلْ فوقَ السِّماكِ فقدْ ... قصَّرتَ باعَ الثُّريَّا عنْ مساعيكا

٢٩. واعذُرْ حسودَكَ أنْ تقذَى نواظِرُهُ ... فإنَّ شأنَكَ يُقذي عينَ شانيكا[٤]

٣٠. لولا احتفالُكَ بالمُدَّاحِ يومئذٍ ... يا سيِّدَ التُّركِ كان الشِّعرُ متروكا

٣١. لِمْ لا أُخلِّدُ مدْحي في عُلاكَ وقد ... أضحتْ تُزيِّنُ ألفاظي معانيكا؟

٣٢. وسوفَ أُثني على فضلٍ وعارفةٍ ... وسابقاتِ صنيعٍ مِنْ أياديكا

٣٣. وكيف أثني[٥] وقد قَصَّرتَ مِنْ كَلِمي ... فها أنا بلسانِ العَجْزِ أُطريكا؟

٣٤. فعِشْ لشاعرِكَ الرَّاوي مناقبَكَ الـ ... ـحُسْنَى وشاعرِكَ المُثْني وداعيكا

(٤) الشَّانيءُ: المبغض، وخفَّف الهمز ضرورةً.

(٥) زاد في الأصل و(ب): «عليك» فاختلّ البيت عروضيّاً، والصَّواب ما أثبتنا.

(٧٥)

وكتبَ إلى الأميرِ شمسِ الدِّين خضـرَ[1] والـي القـاهرة، وقـدْ أبـلَّ مـن مرضه: [الخفيف]

١. يا لهـا فرحـةٌ تعُـمُّ وبُشـرَى — وَسَمتْ[2] في الوجوهِ نُوراً وبِشْرا

٢. كَمُلَتْ صِحَّـةُ الأميرِ فأمسى الـ — ـخوفُ أمْناً وأصبحَ العُسْرُ يُسْرا

٣. صِحَّـةٌ مُـذْ أتـى البشـيرُ ووافَـى — بهـا نحْوي سجدْتُ للَّـهِ شُكْرا

٤. والـتزمتُ الصِّيـامَ مُـدَّةَ أيَّـا — مٍ لأنِّـي جعلـتُ ذلـكَ نَـذْرا

٥. لطَّـفَ اللَّـهُ بعـد مـا جـرتِ الأدْ — مُعُ خوفاً عليكَ بِيْضاً وحُمْرا

٦. واعـترَى أوليـاءَكَ الجَـزَعُ المفْـ — ـرِطُ حتَّى لمْ يَملِكوا فيكَ صبرا

٧. ولئِـنْ زالَ عنـكَ مـا تتشـكَّا — هُ فقـد نلِـتَ باحتمـالِكَ أجـرا

٨. ولقـدْ ضُوعِـفَ الهَنـاءُ لدينـا — حيثُ جاءتْ لكَ السَّلامةُ تترَى

٩. رَبِّ إنَّ الأمـيرَ خضـراً رؤوفٌ — بالرَّعايا فاحفظْ على النَّاسِ «خِضْرا»

١٠. ربِّ زِدْهُ ممَّـا وهبـتَ حيـاةً — فحيـاةً تبقَـى وعُمْـراً فعُمْـرا

---

(١) هو الأمير شمس الدين الخضر بن إبراهيم الحلبيُّ المعروف بشلَّحونة، كان في أيام الظاهر والي القاهرة، واستمر في الولاية أيام الظاهر والمنصور، ولمَّا تولَّى الأشرف عزله وجعله شاد الدَّواوين لأنه كان ناهضاً أميناً في جميع ما تولاَّه. وعنده معرفة ومروءة وديانة. ولقِّب شلَّحونة زمن الولاية، لأنه كان إذا أراد أن يضرب أحداً يقولُ: شلَّحونة، فبقيت عليه لقباً، وكان والده أمير جاندار الملك الظاهر صاحب حلب. توفي سنة ٧٠٧هـ. انظر ترجمتَه في عقد الجمان؛ ٤/ ٤٨١، كنز الدرر؛ ٩/ ١٥٤، وفيه «شلَّجونة» بالجيم المعجمة، السلوك؛ ٢/ ٤١.

(٢) وسمتْ: تركتْ وسْماً أي علامةً.

(٧٦)

وقالَ فيهِ أيضاً: [الخفيف]

١. إنْ تشكَّى الأميرُ ضَعفاً فما أَوْ ـلَى المعالي بأنْ تكونَ ضِعافا

٢. وإذا عُوفيَ الأميرُ فما في النَّـ ـاسِ إلاَّ مُستبشِراً أو مُعافَى

(٧٧)

وأنشدَهُ يوماً: [المنسرح]

١. كَـمْ مِنَّـةٍ للأمـيرِ في عُنُقـي   وكَـمْ أيـادٍ إلـيَّ أسـداها

٢. لا هُـوَ طُـولَ الزَّمـان يذكُرُهـا   ولا أنـا مـا حَيِيْـتُ أَنسـاها

(٧٨)

وقال يمدحُ الأمير شمس الدِّين محمَّدَ بنَ باخل[1] والي الإسكندريَّة:

[الكامل]

١. فضَحَ الغزالةَ مُقْلةً ومُقلَّدا ... والخَيزُرانةَ قامةً وتأوُّدا

٢. رشَأٌ وغُصْنٌ نقاً وبدرُ دُجُنَّةٍ ... إمَّا رنا وإذا انثنَى وإذا بَدا

٣. شاكي السِّلاحِ متَى ثنتْ أعطافُه ... رُمحاً تُجرِّدُ مُقلتاهُ مُهنَّدا

٤. ذُو وجنةٍ كالوَردِ فتَّحتِ الصَّبا ... أوراقَهُ سَحَراً وكلَّلَهُ النَّدى

٥. أضحَى بها ماءُ الصِّبا مُترقرِقاً ... وغدا بها جَمرُ الحيا مُتوقِّدا

٦. عُلِّقتُهُ حلوَ المراشفِ و اللَّمَى ... سَكرانَ مِنْ خمرِ الشَّبابِ مُعرِبدا

٧. كالغُصْنِ مَجدولَ المعاطفِ أهيفاً ... والظَّبْي مصقولَ السَّوالفِ أغْيدا

٨. يا ليلَ طُرَّتهِ وصُبحَ جبينهِ ... أنا منكما بينَ الضَّلالةِ والهُدى

٩. مالي وللأيَّامِ تثني مِنْ يدي ... وتمدُّ نحوي مِنْ حوادثِها يدا؟

١٠. فكأنَّني عرَّجتُ عنْ طُرقِ الوفا ... ومنعتُ وَفْري السَّائلَ المُسترفِدا

١١. لا والمطايا المُوقَراتِ مِنَ الثَّنا ... والخابطينَ بها الدُّجى والفَدْفدا

---

(١) هو الأمير شمس الدِّين محمد بن باخل الهُكَّاريُّ، متولِّي الإسكندرية. كان أميراً فاضلاً عادلاً صارماً كريماً، له ترسُّلٌ وميلٌ إلى الأدب: وله شعرٌ متوسِّط ذكر الصَّفَدي بعضه في الوافي. وكان له ثروة وفضل ومشاركة حسنة، توفِّي بالإسكندرية سنة ٦٨٣هـ، ورثاه السِّراج الورَّاق بقصيدة. انظر في ترجمته، الوافي؛ ٢/ ٢٤٢، الدليل الشَّافي؛ ٢/ ٦٠٧، المنهل الصَّافي؛ ٩/ ٣٣٠، تاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ١٤، نهاية الأدب؛ ٣١/ ١٢٤.

١٢ .فلأُثْبُتَنَّ ثباتَ حُرٍّ ماجدٍ ... ما زالَ للأمرِ المَهولِ مُعَوَّدا

* * *

١٣ .ولأرفُضَنَّ مِنَ الزَّمانِ مُذمَّماً ... ولأقصُدَنَّ مِنَ الولاةِ «محمَّدا»

١٤ .فإذا قصدتُ «محمَّداً» نِلْتُ المُنى ... ورميتُ عن قوسِ الرَّجا قلبَ الرَّدى

١٥ .والٍ أنافَ على الكواكبِ رفعةً ... ونقيبةً[٢] وعلى البريَّةِ سُؤددا

١٦ .أوفى الورى كرماً وأغزرُ نائلاً ... وأجلُّ عارفةً وأطيَبُ محتِدا

١٧ .يهتزُّ مِنْ نغَمِ السُّؤالِ وينثني ... فكأنَّما سمعَ «الغريضَ» و«معبَدا»[٣]

١٨ .ضَنَّ الغَمامُ على العُفاةِ بمائهِ ... فاستمطرتْ مِنْ راحتيهِ العسْجدا

١٩ .فَجَنانُه للألمعيَّةِ والنُّهى ... وبَنانُه للأريحيَّةِ والنَّدَى[٤]

٢٠ .ما زالَ يعتلِجُ الذَّكاءُ بذهنهِ ... حتَّى لقد أشفقتُ أنْ يتوقَّدا

٢١ .شحَذَتْ يدُ الأقدارِ حدَّ حُسامهِ ... رَهَفاً إلى أنْ كادَ يقطعُ مُغمدا

٢٢ .يستلُّه مِثلَ الثُّغورِ مُفضَّضاً ... ويُعيدُه مثلَ الخُدودِ مُورَّدا[٥]

---

(٢) النَّقيبة : الطبيعة أو العقل أو النفس ، وفلان ميمون النقيبة : محمود المختبر .

(٣) الغريض : عبد الملك مولى العبلات من مولّدي البربر ، من أشهر المغنين في صدر الإسلام ، ومن أحذقهم في صناعة الغناء ، سكن مكّة وغَنّى سكينة بنت الحسين ، لُقّب الغريض لنضارة وجهه . الأعلام ؛ ٤/ ١٥٦ . ومَعْبَدُ : بن وهب أبو عباد المدني ، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي كان مولى لبني مخزوم . رحل إلى مصر واتّصل بأمرائها ، وارتفع شأنه ، كان أديباً فصيحاً . مات في عسكر الوليد بن يزيد . الأعلام ؛ ٧/ ٢٦٤ .

(٤) الجنان : القلب ، والبنان : الأصابع .

(٥) الثُّغور : الأفواه ، ومفضَّضاً بلون الفضة ، والإشارة للأسنان التي يُشبهها السَّيفُ في بياضه ورونقه ، قبل الحراب ، ثم يُعيدهُ حمراء كالخدود المورّدة بعدما يرتوي بالدماء .

٢٣.أمسى لـه شـرَفُ الثُّريَّـا مـنزلاً وغـدا لـهُ نهـرُ المجـرَّةِ مـوردا

٢٤.لم يخلُ مِنْ مدَحاتـهِ حادٍ سرَى يُلهي الرِّكابَ بهنَّ أو سارٍ حـدا

٢٥.أَنْشـا نـداهُ دوحـةً لفخـارهِ فشـدا بهـا طـيرُ الثَّنـاءِ وغـرَّدا

٢٦.ما أصبحتْ منهُ الصَّوارمُ رُكَّعـا[٦] إلاَّ رأيتَ لهـا الجمـاجمَ سُـجَّدا

٢٧.كـم ذا أقـولُ لحاسـديهِ: قعدتُـمُ عنه وأحـرزَ دُونكمْ قصَبَ المَدَى

٢٨.فدعُوا المعـالي للأمـيرِ «محمَّـدٍ» «فمحمَّدٌ» مـا سادَ بينكُمُ سُدَى

٢٩.والٍ تملَّـكَ جُـودُهُ وصَنيعُـهُ أحـرارَ أهـلِ زمانـهِ واسـتعْبدا

٣٠.يقضي بما جاءَ الكتـابُ فحكمُـه بـينَ الأحبَّـةِ حكْمُه بـينَ العِـدى

٣١.سـدَّ الملـوكُ بـهِ الثُّغـورَ وفوَّقـوا[٧] مِـنْ سـهمهِ رأيـاً فكـانَ مُسَـدَّدا

٣٢.طَـبٌّ بـأدواءِ الولايـةِ عـالمٌ بعِلاجهـا إنْ راحَ فيهـا أو غـدا

٣٣.ذُو يقْظَـةٍ وكفايـةٍ قـدْ وطَّـدتْ عنـدَ الملـوكِ مَحَلَّـهُ فتوطَّـدا

٣٤.مـزَجَ النَّزاهـةَ بالعَفـافِ وفرَّقـتْ أحكامُـه بـينَ الضَّلالـةِ والهُـدى

٣٥.ولـهُ المهابـةُ شـاهداً أو غائبـاً كالسَّيفِ يُرهَبُ مُغْمـداً ومُجَـرَّدا

٣٦.والٍ رأى مَلِـكُ البسـيطةِ بطشَـهُ فرمَـى بهـا مَـنْ قـد عتـا وتمـرَّدا

٣٧.سـاسَ الرَّعيَّـةَ فاسـتتابَ مُريبَهـا عفـواً وثقَّـفَ[٨] زيغَهـا المتـأوِّدا

٣٨.وأعـزَّ منهـا طائعـاً أو مُصلِحـاً وأذلَّ منهـا عاصيـاً أو مُفسِـدا

٣٩.وأعـادَ فينـا سـيرةً «عُمَريَّـةً» حتَّـى رأينـا الحـقَّ عـادَ كما بـدا

---

(٦) في الأصل و(ب): «ركَّما»، وما أثبتنا هو الصَّواب.

(٧) فوَّق السَّهم: سدَّده للرَّمي.

(٨) ثقَّف الرُّمح: قوَّمه وأصلح اعوجاجه. فاستعار ذلك لإصلاح الأمـور وإزالة الزَّيغ والضّلال.

٤٠. هـو مُنْيَـةٌ مشـكورةٌ لمـنِ ارعـوَى   ومَنِيَّـةٌ مَحـذورةٌ لمـنِ اعتـدَى

٤١. سـبّاقُ غايـاتِ المكـارمِ والعُلَـى   هتّـاكُ أسـتارِ السَّـماحةِ والجَـدَا

٤٢. يا ابن الذي جارَى[٩] الكرامَ ففاتَها   سَـبْقاً وأصـدرَ في الفَخـارِ وأوردا

٤٣. اسْلَمْ سلمتَ منَ الخُطوبِ ورَيْبِها   وبقيتَ ما بقيَ الزَّمانُ مُخلَّدا

---

(٩) في الأصل و(ب): «جارَ».

(٧٩)

وقال يمدحُ القاضي[1] مجد الدين المعالي بن قرطائي، وأنشدها بمصر: [الرَّجز]

١. طافتْ بكأسٍ مثْلِ لونِ خَدِّها ... وطعْمِ فيها وصَفاءِ وُدِّها

٢. فاستلَبتْ البابَنا بفَترةٍ ... مِنْ جَفنِها وخطرةٍ مِنْ قَدِّها

٣. جاريةٌ قدْ خضَبتْ راحتَها الـ ... ـرَّاحُ بصبْغٍ مِنْ لهيبِ زَنْدِها

٤. كأنَّما تبسُمُ عنْ فرائدٍ ... مِنْ اللَّواتي نُظمتْ في عِقْدِها

---

(١) لم أهتدِ إلى اسم هذا الممدوح، ولكنْ يبدو أنَّه ينتمي إلى أسرةٍ كريمةٍ، أنجبت أعلاماً مشهورين، وقد امتدحهم العزازي بقوله في هذه القصيدة:

أبناءُ قرطاي الأُلى شادوا العُلا ... وأوقفوا الأيَّام عندَ حدِّها

وأشير هنا إلى واحد من هذه الأسرة، لعلَّه كان معاصراً للعزازي، وهو الأمير سيف الدّين أو شهاب الدين قرطاي بن عبد الله الأشرفي المنصوري الناصري الجوكندار. كان من مماليك الملك المنصور قلاوون، وتنقَّل في أيام ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون، إلى أن صار أمير مائة ومقدَّم ألف، ولي نيابة طرابلس، فتوجه إليها وباشرها سنة ٧١١هـ، ثم عزل عنها سنة ٧٢٦، وأقام مدَّة عزله في دمشق على إقطاع الأمير بدر الدين بكتوت القَرَماني، ولم يزل مقيماً بدمشق على إقطاعه هذا إلى أن أعيد إلى نيابة طرابلس سنة ٧٣٣، وبقي نائباً عليها إلى أن توفّي فيها سنة ٧٣٤هـ، ودفن في المدرسة القرطائية التي أشادها نسبةً إليه بطرابلس. كان معظّماً في الدولة الناصرية، ومن أعيان الأمراء وأكابرهم، عُمِّر ستين سنةً ونيّفاً. انظر في ترجمته تذكرة النبيه؛ ٢/ ١٠٦ و١٦١ و٢٣٥ و٢٥٢، والنجوم الزاهرة؛ ٩/ ٣٠٤، وأعيان العصر؛ ٤/ ١٠١، والمنهل الصافي؛ ٩/ ٥٢، والوافي بالوفيات؛ ٢٤/ ٢٢٦.

٥. كأنَّما تَلحظُ عنْ صِمصامةٍ — هنديَّةٍ قدْ شُهِرتْ مِنْ غِمْدِها
٦. كأنَّما تَثني قضيبَ بانةٍ — أشفقتُ عند مَيْلِها مِنْ قصْدِها
٧. تَكسِرُ أجفاناً سَقيماتٍ متَى — ترنُ[٢] صحيحاتُ القلوبِ تُعْدِها
٨. فالعيشُ في إلمامِها ووصلِها — والموتُ في إعراضِها وصَدِّها
٩. يا مَنْ لِعينٍ لم تزَلْ مطروفةً — بدمعِها مطروقةً بِسُهْدِها
١٠. ومُهجةٍ قدْ أعجزَتْ أُساتَها — عن بُرئِها مِنْ وَقْدِها ووقْدِها
١١. تملَّكتْها في الهوى غانيةٌ — سيَّانِ صبري وضعيفُ عهْدِها
١٢. وما نَسيمُ روضةٍ تعبَقُ مِنْ — نَشْرِ خُزاماها وعَرْفِ رَنْدِها
١٣. طافتْ عليها في الأصيلِ والضُّحَى — سَحابةٌ تَسحبُ ذيلَ بُرْدِها
١٤. يوماً بأذكى مِنْ ثناياها ولا — أعذبَ مِنْ شِفاهِها[٣] وبَرْدِها
١٥. ومُدْلِجينَ في نواحي قَفْرةٍ — تَخبِطُ بينَ هَضْبِها ووهْدِها
١٦. توسَّدتْ ذِراعَ كُلِّ جسرةٍ — وَجْناءَ مِنْ كَلالِها وجُهْدِها[٤]
١٧. تخُبُّ في رسيمِها وتارةً — تُعْنِقُ في ذَميلِها ووخْدِها[٥]

* * *

١٨. فمُذْ أناختْ بالخليجِ[٦] أيقنتْ — عنْ كَثَبٍ بِيُمْنِها وسَعْدِها

---

(٢) في الأصل و(ب): «ترنو».

(٣) ← في الأصل و(ب): «شفافها»، والصَّواب ما أثبتنا.

(٤) الجسرة الوجناء: النَّاقة الصُّلْبة القويَّة.

(٥) الخَبَبُ والرَّسيم والعنق والذَّميل والوخد أنواع من السَّير.

(٦) الخليج المقصود هنا: خليج أمير المؤمنين بمصر، وذلك نسبة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أمر عمرو بن العاص بحفره في حاشية الفسطاط عام الرَّمادة: سنة ٢٣هـ من النيل إلى بحر القلزم، وفرغ منه في ستة أشهر. انظر معجم البلدان (الخليج). وفيه يقول ابن السَّاعاتي:

قِفْ بالخليجِ فإنَّه — أشهى بقاعِ الأرضِ ربْعا

من أبيات رائعة، وله أيضاً فيه:

١٩. طـارات زَرافـات إلـى مَعاشـر	عـلا على النَّجم مَنـارُ مَجْدِها
٢٠. أكرمهـا أضرمهـا أقدمهـا	أشـهمها أخصمهـا الدُّهـا
٢١. أشـرفها أعرفها أعطفهـا	ألطفهـا أرأفهـا أوَدُّهـا
٢٢. أبلـج نَسـْجُ عَرْضِها مُضـاعَفٌ	مثلُ الدِّلاص[٧] أُحكمتْ في سَرْدِها
٢٣. أزهـرَ مطـروقِ العشـيَّاتِ متـى	تَقْصِدْهُ أبنـاءُ سَبيلٍ يُجْدِها[٨]
٢٤. لـو صـافحتْ راحتُـهُ صُـمَّ الصَّفا	لفجَّـرتْ منهـا مُتـونَ صَلْدِها
٢٥. حياضُـه بسـيْبِه مُترعَـةٌ	فمـا يُـذادُ حـائمٌ عـن وِرْدِها[٩]
٢٦. قُـلْ للغمـام: لا تُبـارِ كفَّـهُ	فلستَ في يومِ النَّدى مِنْ نِدِّها
٢٧. كـفٌّ إذا سـالتْ شـآبيبُكَ لا	تَلْحَـقُ بعـضَ نَيْلِها ورِفْدِها
٢٨. ذُو سَـطوةٍ ورأفـةٍ المـوتُ والـ	ـحياةُ بـينَ صابِهـا[١٠] وشُهْدِها
٢٩. فأيُّمـا نفيسـةٍ لـم يُعطِهـا؟	وأيُّمـا صنيعـةٍ لـم يُسْدِها؟
٣٠. أقلامُـه المِـدادُ في طُروسِـه	تقصُـرُ سُمْرُ الخَطِّ عندَ مَدِّها
٣١. هِمَّتُه الطُّولَى على رغْمِ العِدَى	لا تبلـغُ الأنجـمُ شـأوَ بُعْدِها
٣٢. يلقَـى الجُنـاةَ بالأنـاةِ صافحـاً	عـنْ جُرمِهـا وفـاعلاً بضِدِّها
٣٣. نفـسُ كريـمٍ مُلِئـتْ مِـنْ حِلمِها	وقـدْ خلَـتْ مِـنْ غِلِّها وحِقْدِها

نزلنا بمصرٍ وهـي أحسـن كـاعبٍ	فقيـدة مثـلٍ زانَهـا كَـرَمُ البَعْـلِ
فلـم أرَ أمضـى من حسامٍ خليجها	يموجُ علـى إفرندها صـدأُ الطَّـلِّ

من أبيات أخرى.

(٧) الدلاص: الدِّرع.

(٨) يُجدها، يُعطيها من الجدوى، وهي العطاء.

(٩) السَّيْبُ: العطاء، لا يُذادُ: لا يُمنَعُ.

(١٠) الصَّاب: المُرُّ.

٣٤.سَليلُ ساداتٍ إذا شاهدتَهمْ شاهدتَ منْ «خَفَّانَ» غابَ أُسْدِها[11]

٣٥.أعراضُهمْ مَصقولةٌ كأنَّها صَفائحٌ تلمعُ في فِرِنْدِها

٣٦.أبناءُ قرطَايِ الأُلى شادوا العُلا وأوقَفوا الأيَّامَ عندَ حَدِّها

٣٧.أفاضلٌ تَروي أحاديثَ النَّدى مُسْنَدَةً عنْ شِيبِها ومُرْدِها

٣٨.وأسرةٌ كمْ سمحتْ وكمْ سَخَتْ أنفُسُها بوَفْرِها لوفدِها

٣٩.كمْ «لمعالي» منْ يدٍ[12] مشكورةٍ الْسُنُنا قاصرةٌ عنْ عَدِّها

٤٠.وكمْ لهُ منْ أنْعُمٍ سابغةٍ عِدُّ البحارِ قطرةٌ في عِدِّها[13]

٤١.مُحترَمٌ عندَ الملوكِ لمْ تزلْ تذخَرُهُ لِحَلِّها وعَقْدِها

٤٢.ولمْ تزلْ محتاجةً لرأيِهِ وعزْمِهِ في لِينِها وشَدِّها

٤٣.مولايَ «مجدَ الدِّينِ» خُذْها مدحةً مُكثِرةً منْ شُكرِها وحمْدِها

٤٤.تُظهِرُ للنَّاقدِ حُسْناً كلَّما عادَ إلى تكرارِها ونَقْدِها

٤٥.تَوَدُّ أجيادُ الغواني أنَّها تَنْثُرُ عاليها لآلي عِقْدِها

٤٦.فَصاحةٌ[14] مُذْ أشأمتْ مالتْ إلى شآمِها ونكَّبتْ عنْ نجْدِها

٤٧.وابقَ ابنَ «قرطايٍ» بقاءَ عُمْرِها فالدَّهرُ غيرُ حاكمٍ بفقْدِها

٤٨.واهنَ بعيدٍ أقبلتْ أيامُهُ مُجدِّدَةً مُسْعِفَةً بِجَدِّها[15]

٤٩.في بلدةٍ أنتَ جمالُ أهلِها ودولةٍ أنتَ كمالُ سعدِها

---

(١١) خفَّان: مأسدةٌ مشهورة، موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً. وهو مأسدةٌ، قيل هو فوق القادسية. انظر معجم البلدان (خَفّان).

(١٢) في (ب): «يدي».

(١٣) العِدُّ: القديمُ من الرَّكايا، والماء الجاري الذي لا ينقطع.

(١٤) في (ب): «فضاحةٌ».

(١٥) الجَدُّ: الحظّ.

(٨٠)

وقال أيضاً يمدحُه، ويذكرُ قُدومَه مِن سَفَرٍ، ويُهنِّئُه بولدٍ اسمُه محمَّداً:
[الوافر]

١. خُذوا بدَمي مِنَ الطَّرْفِ الكحيلِ ... متَى عزمَ الخَليطُ على الرَّحيلِ

٢. فما أنا بالحَمولِ إذا استقلَّتْ ... حُداتُهُمُ بهاتيكَ الحُمولِ

٣. أعاذِلَتيَّ ما لُجفونِ عيني ... يُؤرِّقُها سَنا برقٍ كَليلِ؟

٤. طَرِبتُ إلى «الكثيبِ» و هيَّجَتْني ... على «ذاتِ الأضا»[1] ذاتُ الهديلِ

٥. وقفتُ أُسائلُ الأطلالَ عنهمْ ... وما تُجدي مسائلةُ الطُّلُولِ

٦. توخَّتْ في الهوى ظُلمي «ظَلومٌ» ... وفي قتلي سعتْ عينا «قَتُولِ»[2]

٧. وما رفقَتْ بذي جَفنٍ قصيرٍ ... ولا رقَّتْ لذي ليلٍ طويلِ

٨. ألا يا خصْرَها رفْقاً بجسمي ... فبينَكُما مُناسبةُ النُّحولِ

٩. إذا أنا لم أُسِلْ في الخَدِّ دمعي ... فما عُذري إلى الخَدِّ الأسيلِ[3]؟

١٠. أصاحبةَ اللَّمَى والخالِ هلْ لي ... إلى رشَفَاتِ ريقكِ مِنْ سبيلِ؟

١١. أأسلُو عنْ هواكِ وأنتِ منِّي ... بمنزلةِ الخليلِ مِنَ الخليلِ؟

---

(١) الأضاءُ بالفتح والمدّ واد، ولم يحدّد له ياقوت مكاناً، انظر (الأضاء) في معجم البلدان، ولم أجد مكاناً يحمل اسم (ذات الأضا).

(٢) قتولُ وظلوم اسمان لامرأتين متخيّلتين، واختار ظلوماً لتجانسَ الظلم وقتول لتجانسَ القتل.

(٣) الخدّ الأسيل: الناعم الأملس.

١٢ .وما أنا مِنْ هواكِ بمُستفيقٍ ولا كَمدي عليكِ بمُستحيلِ[٤]

١٣ .وحقِّكِ لو رأى السُّلوانَ قلبي لجانبَهُ مُجانبةَ العَذُولِ

١٤ .وليلةَ أقبلتْ تَثْني قَواماً كغُصْنٍ مالَ في حِقْفٍ[٥] مَهيلِ

١٥ .فتاةٌ لو رآها البدرُ وَهْناً لكادَ البدرُ يَجنَحُ للأُفولِ

١٦ .أزائرةَ المحبِّ بغيرِ وعدٍ شَفعتِ جمالَ وجهِكِ بالجميلِ

١٧ .وجُدْتِ بزَوْرةٍ ثَلَجتْ[٦] فُؤادي وبلَّتْ لوعتي وشفَتْ غليلي

١٨ .وهَبْتُ مُبَشّري بلُقاكِ روحي وبعضُ النَّاسِ يقنعُ بالقليلِ

١٩ .وبِعتُكِ مُهجتي برضاكِ عنِّي وما أنا إنْ رضيتِ بُمستقيلِ

٢٠ .سَقا اللَّهُ «الجزيرةَ»[٧] صَوبَ مُزْنٍ مُلِثٌّ في الحُزونِ وفي السُّهولِ

٢١ .ولا برحَ النَّسيمُ بها عليلاً بطيءَ الخَطْوِ مجرورَ الذُّيولِ[٨]

٢٢ .أحِنُّ إلى «الحمى» و«المَرْجِ» منها وسَفْحِ «الجُرفِ» والظِّلِّ الظَّليلِ[٩]

٢٣ .وأهوَى «الرَّوضةَ» الغنَّاءَ لمَّا تُقابلني بأنفاسِ القَبولِ

---

(٤) بمستحيلٍ: بمتبدِّل.

(٥) الحقفُ: كثيب الرَّمل، ومهيلٌ: متحرِّك، وتُشبَّه به الأرداف.

(٦) ثلجت وأثلجت بمعنى.

(٧) الجزيرة اسمٌ لأماكن كثيرة، وعنى هنا جزيرة مصر، وهي مَحلَّةٌ من محالِّ الفُسطاط، وإنَّما سُمِّيت جزيرةً لأنَّ النِّيل إذا فاض أحاط بها الماءُ، وحال بينها وبين عُظْم الفسطاط واستقلَّت بنفسها، وبها أسواق وجامع ومنبر، وهي من متنزهات مصر. وأكثر الشعراء في وصفها. انظر معجم البلدان (جزيرة مصر).

(٨) كتب في الأصل: «بطيء الخطو مبلولَ الذيول»، ثم كتب فوقها: «مجرور»، ورواها في (ب) صواباً.

(٩) المرج والجرف والرَّوضة والقصر والقناطر والوادي متنزَّهات بالقاهرة.

٢٤. فكم «بالقصر» لي خُلَس وكم لي — بأفياءِ «القناطرِ» مِنْ مَقيلِ

٢٥. وكائنْ في الغُدوِّ ولي ارتياحٌ — إلى سُفُنِ الغُروبِ وفي الأصيلِ

٢٦. و«بالوادي» ودِدْتُ لو انَّ عُمري — تقضَّى بين لَعْبٍ أو مَسيلِ

٢٧. منازِهُ دوحُها كجنانِ عَدْنٍ — وأرضٌ ماؤُها كالسَّلسبيلِ

٢٨. فما «ذاتُ الغياضِ» و«نَيْرَباها»[١٠] — تُعادلُها ولا «ذاتُ النَّخيلِ»

٢٩. ديارٌ أطلعتْ شمسَ المعالي — «معالي» لا تُقاسُ إلى عديلِ

٣٠. جَوادٌ جدَّدَ المعروفَ فينا — وكانَ كدارسِ الطَّلَلِ المَحيلِ

٣١. وقاضٍ ليس في تَقواهُ ريبٌ — ولا يُحتاجُ فيه إلى دليلِ

٣٢. إذا ما خطَّ طِرْساً خِلْتَ دُرَّاً — يُفصِّلُ بينَ هاتيكَ الفُصولِ

٣٣. أنارَ أَسِرَّةً وأنالَ رِفْداً — فأكرمْ بالمُنيرِ وبالمُنيلِ

٣٤. وأحيا الشِّعرَ بَعْدَ دُثُورِ ذكْرٍ — ونَوَّهَ باسمِه بعدَ الخُمولِ

٣٥. وأدنَتْهُ الملوكُ فحلَّ منها — محلَّ البُرءِ مِنْ نَفْسِ العليلِ

٣٦. ولمْ تستغنِ منهُ عنْ أناةٍ — وعنْ نُصْحٍ وعنْ رأيٍ أصيلِ

٣٧. لهُ شِيَمٌ أرفُّ مِنَ الخُزامى — وأخلاقٌ أرقُّ مِنَ الشَّمولِ

٣٨. ووجهٌ رَقَّ ماءُ البِشْرِ فيه — فأشبهَ رونقَ السَّيفِ الصَّقيلِ

٣٩. بَنو «قَرَطايٍ» أوضاحُ المعالي — وما الأوْضاحُ منها كالحُجولِ

٤٠. إذا نُودوا لسَيفٍ أو لضيفٍ — تَجارَوا للنِّزالِ وللنَّزيلِ

٤١. وقفتُ على النَّدى «المجديِّ» شُكري — وما أَولاهُ مِنْ كَرمٍ جزيلِ

٤٢. قَدِمْتَ فمرحباً بكَ مِنْ كريمٍ — تفدَّتْ نفسَهُ نفسُ البخيلِ

٤٣. وأهلاً منكَ بالنَّدْبِ المُرجَّى — وسَهْلاً بالقَؤُولِ وبالفَعُولِ

---

(١٠) ذات الغياض: غوطة دمشق والنَّيربان فيها. ولم أهتد لموقع ذات النخيل.

٤٤. إذا ما غِبتَ مَنْ لِبَني القوافي | سِواكَ؟ ومَنْ لأبناءِ السَّبيلِ؟
٤٥. وقدْ أصبحتَ للكُرماءِ مولَى | وقدْ أمسيتَ للإحسانِ مُولي[11]
٤٦. رأيتُكَ مُنقذي مِنْ أسْرِ دهري | ومِنْ عثراتِ أيَّامي مُقيلي[12]
٤٧. فصُغْتُ مِنَ المديحِ عُقودَ دُرٍّ | بجيدِكَ فاستخفَّتْ بالعُقولِ
٤٨. وما أبطأتُ عنْ نُعماكَ إلاَّ | مِنِ استصغارِ نفْسي في المُثولِ
٤٩. وكيفَ أغيبُ عنكَ أبا المعالي | وقد بَلَّغْتَني أمَلي وسُولي[13]؟
٥٠. أأصدِفُ عنْ حمَى طَلْقٍ بَشُوشٍ؟ | وأقعُدُ عنْ ندَى بَرٍّ وَصُولِ؟
٥١. ولو أنِّي بأقصى الأرضِ داراً | وصلتُ الوَخْدَ نحوكَ بالذَّميلِ
٥٢. لكَ البُشرَى بمولودٍ سعيدٍ | جليلٍ مُنتماهُ إلى جليلِ
٥٣. تَلوحُ على شمائلهِ وتبدو | أماراتُ النَّجابةِ والقَبُولِ
٥٤. وأنَّى لا يكونُ أثيلَ مجدٍ | ونسْبتُه إلى المجدِ الأثيلِ
٥٥. وإنَّ محمَّداً لصَغيرُ سِنٍّ | ولكنْ حلْمُه حِلْمُ الكُهولِ
٥٦. فسوفَ يَنالُ قاصيةَ الأماني | ويبلُغُ غايةَ العمْرِ الطَّويلِ
٥٧. إذا زكَتِ الفُروعُ كمثلِ هذا | فقد دلَّتْ على كَرمِ الأُصولِ

---

(١١) المُولي: الذي يُقدِّم الإحسان، ويقوم بأعمال الخير.

(١٢) المُقيل من العثرات: المنقذ من الصِّعاب.

(١٣) وسولي، أصلُها: وسُؤْلي، وخفَّف الهمز للضرورة.

(٨١)

وقال في المولَى تاجِ[1] الدِّين أحمدَ بنِ الأثيرِ وفي وَلدِهِ عمادِ الدِّين إسماعيل: [الكامل]

١. يا ربِّ كُنْ لبني الأثيرِ فإنَّهمْ بيتُ المُروءَةِ ناصراً وكفيلا

٢. وتَولَّ «تاجَ الدِّينِ أحمدَ» فيهمُ واحْرُسْ «عمادَ الدِّينِ إسْماعيلا»

٣. أَصْلٌ وفَرعٌ يُثمرانِ كلاهما للسَّائلينَ السُّؤْلَ والمأمولا

٤. فجبينُ هذا في الحوادثِ نَيِّرٌ ويمينُ هذا في المَكارمِ طُولى

---

(١) المولى تاج الدين هو القاضي أبو العباس أحمد بن شرف الدين أبي الفضل سعيد بن شمس الدين أبي جعفر محمد بن الأثير الحلبي التَّنوخي، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية، كان فريد زمانه في المروءة ومكارم الأخلاق والنَّزاهة، متقناً لصناعة الإنشاء، وله نظم جيد. ولي القضاء إثر وفاة فتح الدين بن ظاهر سنة ٦٩١هـ، فلم يلبث في القضاء إلاَّ شهراً أو حوله، وتوفي في غزَّة سنة ٦٩١ عن عمر يناهز الحادية والسبعين. انظر في ترجمته: عقد الجمان؛ ٣/ ١٤٥، وتذكرة النبيه؛ ١/ ١٥٨، الوافي؛ ٦/ ٣٩٢، تاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ١٤٧، النجوم الزّاهرة؛ ٨/ ٣٤، السلوك؛ ١/ ٧٨١، المنهل الصَّافي: ١/ ٣٠٠. وولدُه القاضي عماد الدين أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد، ولي القضاء بعد والده، ثم ترك هذه الوظيفة في نهاية سنة ٦٩٢. توفي سنة ٦٩٩هـ. انظر في ترجمته: تذكرة النبيه؛ ١/ ١٥٨، عقد الجمان؛ ٣/ ١٤٥، النجوم الزاهرة؛ ٨/ ١٩٥، الوافي؛ ٩/ ٩٠، المنهل الصَّافي؛ ٢/ ٣٩١.

(٨٢)

وقالَ في القاضي شرفِ الدِّين أبي طالب بن النَّابلسيِّ[١]: [المتقارب]

١. «أبا طالبٍ» دُمْ رحيبَ الفِناءِ طَويلَ الحياةِ مديدَ البَقاءِ

٢. تُفَرِّقُ بالجُودِ شَملَ اللُّها[٢] وتجمعُ بالحمدِ شملَ الثَّناءِ

٣. وتُجري على الطِّرسِ أنبوبةً لها سابقاتٌ بنُجْحِ الرَّجاءِ(٣)

٤. ألا قُلْ لطالبِ نَيْلِ الفَخارِ: دعِ الفخرَ «للشَّرَفِ بنِ العَلاءِ»

٥. فتًى وطَّدَ المجدَ حتَّى اغتدَى رفيعَ العِمادِ أثيلَ البناءِ

٦. يرَى في الأمورِ وجوهَ الصَّوابِ إذا ما اشتبهْنَ على كُلِّ رائي

٧. ويَمضي مَضا[٤] السَّيفِ يومَ الجِدالِ بفصلِ الخِطابِ وفضْلِ القضاءِ

٨. لهُ فكرةٌ ولهُ شِيمةٌ فهذي كنارٍ وهذي كماءِ

٩. فمَشبوبةٌ هذهِ بالذَّكاءِ ومَثلوجةٌ هذهِ بالسَّخاءِ

١٠. فراحتُهُ خُلِقَتْ مِنْ نَدىً وصورتُهُ صُوِّرَتْ مِنْ بَهاءِ

١١. فهذي تسُحُّ بماءِ الحيَا وهذي تسُحُّ بماءِ الحياءِ

---

(١) لعلَّه الشيخ شرف الدين أبو طالب عبد الرحيم بن محي الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبي طالب عبد الرحمن بن الشهيد شهاب الدين أبي صالح بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي. كان من كبار أهل بيته وحدَّث. أسره التَّتار، وبقي عندهم مدَّة ثم عاد إلى حلب، وبها توفي سنة ٧٢٠هـ، وهو في عشر الثمانين. تذكرة النبيه؛ ٢/ ١٠٩.

(٢) اللُّها: العطايا.

(٣) في (ب): «النَّجاء».

(٤) مضا: أصلُها مضاء، وقصر المدَّ للضرورة.

(٨٣)

وقال في القاضي فتحِ الدِّين محمد بن عبدِ الظاهرِ رحمه اللَّهُ[١]:

[المنسرح]

١. ما قلَّص اللَّهُ ظِلَّ مملكةٍ ... عن الرَّعايا والفتحُ كاتبُها

٢. ولا وهَتْ دولةٌ معظَّمةٌ ... «محمَّدٌ» صَدرُها وغاربُها[٢]

٣. الأريحيُّ الذي أناملُه ... عمَّتْ جميعَ الورى مواهبُها

٤. كأنَّ في الطِّرسِ مِنْ كتائبِه ... خميلةً كفُّه سحائبُها

٥. وهْوَ إذا ما تطاولتْ هِمَمٌ ... ساحبُ أذيالِها وصاحبُها

---

(١) هو القاضي الصاحب فتح الدين أبو عبد اللَّه محمد بن المولى محي الدين أبي الفضل عبد اللَّه بن المولى رشيد الدين عبد الظاهر السعدي المصري، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية عند قدومه إليها بعد العود من فتح قلعة الروم. ولد بالقاهرة سنة ٦٣٨ كان مقدَّماً في دولة الملك المنصور وولده الأشرف خليل. كان متقناً لصناعة الإنشاء كاتباً مجيداً أميناً عفيفاً رئيساً معظَّماً في النفوس فصيحاً حسن العبارة، متقناً لعلوم كثيرة ذا حرمة وافرة عند الملوك والأكابر عالي الهمة سديد الرأي، مجتهداً في مصالح المسلمين، وله نظمٌ حسن. توفي بدمشق سنة ٦٩١هـ، ودفن بسفح قاسيون وولي عوضاً عنه صحابة ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية المولى تاج الدين بن الأثير. انظر تذكرة النبيه؛ ١/ ١٥٦، الوافي بالوفيات؛ ٣/ ٣٦٦، تاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ١٥١، عقد الجمان؛ ٣/ ١٤٤.

(٢) الغارب: الكاهل أو الظَّهر أو بين الظهر والعُنق.

(٨٤)

وكتبَ إلى القاضي علم الدِّين أحمد بن إبراهيم بن القَمَّاح[1]: [البسيط]

١. خيرُ المدائحِ ما كانتْ ملابسُها مُطرَّزاتٍ مِنَ الفتيانِ بالعلَم

٢. الطَّيِّبِ الذِّكرِ والأعرافِ نجلِ أبي إسحاقَ والطَّاهرِ الأخلاقِ والشِّيَم

٣. وابنِ الألى بلغُوا شَأْوَ العُلا وبَنَوا بيتَ الفَخارِ على أُسٍّ مِنَ الهِمَم

٤. للَّهِ دَرُّ بني «القَمَّاحِ» إنَّهُمُ أهلُ الصَّنائعِ والإحسانِ والكرَم

٥. قومٌ إذا استمطَرَ العافي أكُفَّهُمُ سحَّتْ عليهِ شآبيبٌ مِنَ النِّعَم

٦. إنْ لم أُجِدْ مَدَحاتي في محاسنِهِمْ فلا اقتطفتُ ثِمارَ النُّطْقِ والكَلِم

٧. ولا اقتنصتُ القوافي الشَّارداتِ ولا وشَّتْ[2] يدي صَفَحاتِ الطِّرْسِ بالقلَم

٨. زُرْ «أحمداً» تلْقَ وجهاً سافراً أبداً للزَّائرينَ وثغراً جِدَّ مُبتسِم

٩. سهلُ الخِلالِ وإنْ كانتْ عريكتُهُ أشدَّ وَقْعاً مِنَ الصُّمْصامةِ الخَذِم

١٠. يا أسمحَ النَّاسِ مِنْ بَدْوٍ ومِنْ حضَرٍ وأفصحَ النَّاسِ مِنْ عُربٍ ومِنْ عجَم

١١. ومَنْ له طلعةٌ غرَّاءُ واضحةٌ كأنَّها البدرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَم

١٢. أحيا بكَ اللَّهُ آمالَ العُفاةِ كما أحيا النَّباتَ بوكَّافٍ مِنَ الدِّيَم

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن حيدرة بن علي بن حيدرة بن عقيل، القاضي علم الدين أبو العبَّاس القمَّاح القرشي الفقيه الشافعي الأديب. ولد في رمضان سنة ٦٣٠، وسمع من عدد من العلماء، ودرَّس بالمدرسة الناصرية وبالشَّريفيَّة بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر. صحب الأمير علم الدين سنجر الشُّجاعي، وصارت له به وجاهةٌ، وتردَّد إليه الأعيان. فلما قُتل الشُّجاعي وثب عليه طائفة من الفقهاء، ونفوا عنه الأهلية، فقام في أمره قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة حتَّى عُزل عنها، وولي بعده تدريسها. وله شعر حسن. توفي في ربيع الآخر سنة ٦٩٥هـ. انظر: المقفى الكبير؛ ١/٣٤٦.

(٢) وشَّت: زَيَّنتْ.

(٨٥)

وقال في بني العنبريّ: [الخفيف]

١. يا بني العنبريِّ طِبتُم ثناءً وعلوتُم قدراً وطُلْتُم بناءَ

٢. أَنتمُ أسرةٌ متى ما دُعيتُم لابتِذالِ النَّدى تُجيبوا النِّداءَ

٣. لكمُ أنعُمٌ وفضلُ أيادٍ لو رآها الحَيا لولّى حَياءَ

(٨٦)

وكتبَ إلى الرَّشيد[1]: [مجزوء الكامل]

١. قُـــلْ للرَّشـــيدِ الفـــارقيِّ   أخـــي النَّـــدى وســـليلهِ
٢. والمُرتقـــي مجـــداً أثيْـــ   ـــلُ النُّجـــمِ دونَ أثيلـــهِ:
٣. أمَّـــا القريـــضُ فـــأنتَ ســـا   لِـــكُ نهجـــهِ وســـبيلهِ
٤. والفـــارسُ المشـــهورُ بيـــ   ـــنَ كُماتِـــهِ وفُحولـــهِ
٥. والنَّحْـــوُ أنـــتَ أجـــلُّ مَـــنْ   يرويـــهِ بعـــدَ «خليلـــهِ»[2]
٦. والمُعْلَـــمُ الطَّرَفَـــينِ في   بُرهانـــهِ ودليلـــهِ
٧. يـــا ســـيِّداً ســـادَ الـــورى   بفُروعـــهِ وأصُولـــهِ
٨. وأنـــالَ كـــلَّ مُؤَمِّـــلٍ   أقصـــى مُنـــاهُ وسُـــؤْلهِ
٩. عِـــشْ للقريـــضِ تجـــوبُ بيـــ   ـــنَ حُزونـــهِ وسُـــهولهِ

---

(١) هو العلاَّمة القاضي رشيد الدين الحَرَشيُّ الفارقيُّ، ولي وكالة بيت المال بحلب سنة ٦٩١هـ، ودرَّس في المدرسة العصرونية بحلب، كان له نظمٌ ونثر، وكتب بديوان الإنشاء بدمشق، وكان يحضر مجالس النَّاصر الحلبي، كان ذا عقلٍ وصيانة. توفي بحماة سنة ٧١١هـ. انظر ترجمته في المنهل الصافي؛ ٥/ ٣٥٢، الوافي؛ ١٤/ ١٢٤، تذكرة النبيه؛ ٢/ ٤٤ وفيها «الخرشي» بالخاء المعجمة. وانظر تذكرة النبيه؛ ١٠/ ١٥٤، شذرات الذهب؛ ٦/ ١٤٥، أعيان العصر؛ ٢/ ٣٧١.

(٢) خليله: الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب معجم العين في اللُّغة، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه صاحب الكتاب.

١٠. وتُطيـــلُ في «جُمَـــلِ» الكـــلا م يـــداً وفي «تفصيلـــهِ»[٣]

١١. وارتـــعْ «رشـــيدَ الدِّيـــنِ» في عَـــرْضِ البقـــاءِ وطُولـــهِ

١٢. مُســـتنصراً باللّـــهِ بـــلْ مُســـتعصماً برســـولهِ

---

(٣) الجُمل: كتاب في النحو يُنسَبُ للخليل، ولمّا قال جمل من الإجمال طابق فقال: تفصيل. والمفصَّل كتاب في النحو للزَّمخشري.

(٨٧)

وكتبَ إلى ناصرِ الدّين منصور الحلبيِّ الجوهريِّ[1] رحمه اللّه تعالى:

[المديد]

١. زرتُ منصـــــوراً فـــــأكْرَمني ... فليثِـــقْ بـــالخيرِ زائـــرُهُ

٢. وتلقَّـــــاني بمعـــــذرةٍ ... وهْـــوَ طلـــقُ الوجـــهِ ســـافرُهُ

٣. فجـــزاهُ اللّـــهُ صالحـــةً ... وكفـــاهُ مـــا يُحـــاذرُهُ

٤. ســـيِّدٌ طـــابتْ خلائقُـــه ... مثلمـــا طـــابتْ عنـــاصرُهُ

٥. مَـــنْ رأى كفَّيـــهِ واهبـــةً ... كيـــفَ لا تُثْنَـــى خنـــاصرُهُ؟

٦. فلِتقْـــوَى اللّـــهِ باطنُـــه ... ولنفْـــعِ النَّـــاسِ ظـــاهرُهُ

٧. ولبـــذلِ المـــالِ راحتُـــه ... ولحفـــظِ المجـــدِ ســـائرُهُ

٨. كـــلُّ مَـــنْ في العصـــرِ مادحُـــه ... ولســـانُ الدَّهـــرِ شـــاكرُهُ

٩. فاضَ بحـــرُ الجوهـــريِّ فقـــلْ ... في خِضَـــمٌ هـــاجَ زاخـــرُهْ

١٠. وأحـــاطَ القـــاصدونَ بـــه ... حـــينَ حلَّتْهُـــمْ جواهـــرُهُ:

١١. يـــا ابـــنَ مَـــنْ دقَّـــتْ فضائلُـــهُ ... وابـــنَ مَـــنْ جلَّـــتْ مـــآثِرُهُ

١٢. عِـــشْ لِمَلْـــكٍ أنـــتَ ناصحُـــهُ ... ولديـــنٍ أنـــتَ نـــاصرُهُ

---

(١) لم أعثر على ترجمة يقينيَّة له، وقد رجَّحت أن يكون ناصر بن منصور بن شرف التغلبي الزَّرعي الذي ولي خطابة زرع ثم قضاءها وقضاء بلادها وبلاد كثيرة بحمص وصفد وطرابلس كما يذكر ابن حجر في الدرر الكامنة؛ ٤/ ٢٣٨، وقد توفي سنة ٧٢٨هـ أو هو ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن سالم بن جميل الحلبي، وقد توفي في القاهرة سنة ٧٢٨هـ كما يذكر ابن حبيب في تذكرة النبيه؛ ٢/ ١٨٤ . على عدم اطمئناني إلى الأمرين.

(٨٨)

وكتبَ إلى الشَّريفِ عزِّ الدِّين[1] يذكِّرُهُ بوعدٍ سبقَ: [البسيط]

١. يا خيرَ مَنْ قال قولاً ثمَّ قامَ بهِ ... وخيرَ مَنْ فاهَ[2] بالحُسنَى ومَنْ

٢. ومَنْ إذا قلتُ: إنَّ اللَّهَ فضَّلَهُ ... على الورى كرَماً قالَ الورَى: صدَقا

٣. ويا ابنَ مَنْ كُلَّما كرَّرتُ ذكْرَهمُ ... تضوَّعَ المسكُ بينَ النَّاسِ أو عبِقا

٤. يُذكِّرُ العبدُ مولاهُ وسيِّدَهُ ... دامتْ معاليهِ بالوعدِ الذي سَبَقا

---

(١) هو السيد الحسيب النسيب الحافظ الشريف عز الدين أبو القاسم الإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد العلوي الحسيني المصري، المعروف بابن الحلبي، نقيب الأشراف بالديار المصرية. ولد سنة ٦٣٦، وتوفي في محرم سنة ٦٩٥هـ، ودفن بالقاهرة. انظر في ترجمته: عقد الجمان؛ ٣/ ٣٣٧، المنهل الصافي؛ ٢/ ١١٩، الوافي؛ ٨/ ٤٤، السلوك؛ ١/ ٨٣١، وذكر وفاته سنة ٦٩٦هـ.

(٢) فاهَ: تكلَّم.

وبعثَ إلى نور الدِّينِ[١] الكاتبِ بحماةَ هذه الأبياتَ في صدرِ كتابٍ:

[مجزوء الكامل]

١. لي مُقْلَةٌ مُشتاقةٌ طولَ الحياةِ لنُورِها

٢. وحُشاشةٌ لفراقهِ تُصلَى بنارِ زفيرِها

٣. وجوانحٌ تصبو إليهِ وَهْوَ بينَ ضميرِها

* * *

ومنها(٢):

١. كم قلَّدتْ جيدَ الطُّروسِ بنانُه بشُذورِها

٢. وحكتْ أزاهيرَ الرَّبيعِ بِمُذْهَباتِ سُطورِها

٣. ذُو فِطْنةٍ سحَبَتْ بها الـدُّنيا ذُيولَ سُرورِها

٤. وعبارةٍ كمْ أسكرَ الألبابَ نَشْرُ عبيرِها

٥. يا مَنْ محاسنُ وجههِ كالشَّمسِ عندَ سُفورِها

٦. أرسلتُها لكَ مِدْحَةً كالرَّوض في تحبيرِها

٧. فإذا وقفْتَ وقُوفَ مُنْتقدٍ على تَسطيرِها

٨. أَسْبِلْ منَ الإغضاءِ أذْيالاً على تقصيرِها

---

(١) لم أهتد إلى ترجمة يقينيَّة له.

(٢) كذا في أصل المخطوط.

(٩٠)

وكتبَ إلى الأميرِ نجمِ الدِّينِ: [مجزوء الكامل]

١. شَـــرُفتْ برُتْبَتِـــكَ الإمـــارهْ	وعلـــتْ برفعتِـــكَ الـــوزارهْ
٢. يـــا صـــاحبَ الوجـــهِ المحلَّـــى	بالوَســـامةِ والنَّضـــارهْ
٣. شـــوقي إلـــى جســـدِ الأميـــ	ـــرِ لـــهُ علـــى جســـدي أمـــارهْ[1]
٤. وجـــهٌ محاســـنُه غـــدتْ	منهـــا المحاســـنُ مُســـتعارَهْ
٥. وكأنَّمـــا الفاظُـــــه	للنَّـــاسِ كاســـاتٌ مُـــدارهْ
٦. وكأنَّمـــا نشْـــرُ العبيـــ	ـــرِ يفـــوحُ مِـــنْ تلـــكَ العبـــارهْ

(١) أمارةٌ: علامةٌ ودليل.

الفصل الثالث

(٩١)

وقال يتغزَّلُ، عفا اللَّهُ عنهُ: [البسيط]

١. حتَّامَ أَستعطِفُ الجاني وأسألُهُ؟ ... والتقيهِ بعُذرٍ ليسَ يَقبلُهُ؟

٢. وكمْ أحمِّلُ قلبي في محبَّتهِ ... ما لا تُطيقُ قلوبُ النَّاسِ تحملُهُ؟

٣. أجريتُ دمعي عسَى أُطفي به ظمَأي ... وما علمتُ بأنَّ الدَّمعَ يُشعلُهُ

٤. وطالَ حُزني على نفسٍ أُسَوِّفُها ... بوصلِهِ وعلى قلبٍ أُعَلِّلُهُ

٥. فديتُ مَنْ هجرُهُ لم يُبقِ لي رَمَقاً ... والهجرُ أيسرُهُ في الحُبِّ أقتلُهُ

٦. إنْ غابَ عنِّي فأفكاري تُصوِّرُهُ ... بينَ الضُّلوعِ وأشواقي تُمثِّلُهُ

٧. خَلاصةُ السِّحرِ ما تَحوي لواحظُهُ ... وخالصُ الدُّرِّ ما يُبدي مُقَبَّلُهُ

٨. إنْ كنتُ أبصرتُ أحلى مِنْ شمائلهِ ... لا بلَّغَ اللَّهُ قلبي ما يُؤمِّلُهُ[1]

---

(١) في (ب): «ما يوصله» تحريف.

(٩٢)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الكامل]

١. صبٌّ تـأوَّهُ في الرِّجالِ لشجوهِ وصَبا إلى نَوحِ الحَمامِ وشَدْوِهِ[1]

٢. كيف السَّبيلُ إلى إقامتهِ وقدْ بَعُدَتْ مسافةُ سُكرِهِ مِنْ صحوهِ؟

٣. أخذَ الصَّبابةَ عنْ ثِقاتِ رُواتِها فانقُلْ حديثَ الوجدِ عنهُ وارْوِهِ

٤. وإذا تلاحَى النَّاسُ في طَعمِ الهوَى فاسألْهُ عن مُرِّ الهوى أو حُلْوِهِ

٥. وأغنَّ أيَّةُ عبرةٍ «بالسَّفحِ» لم يَسْفَحْ ودِينٌ «باللِّوى» لم يَلْوِهِ؟

٦. غضبانَ ما عاتبتُهُ بضَراعةٍ إلاَّ انثنَى متمادياً في زهْوِهِ

---

(١) في (ب): «وشجوه»، وهو سهو من الناسخ.

(٩٣)

وقال، عفا اللَّهُ عنه: [البسيط]

١. قالوا: عشقتَ وهلْ في العشقِ منْ عارٍ؟ فليعذِلُوا ويُقيموا فيهِ أعذاري

٢. وما عليهمْ إذا مَزَّقتُ منْ وَلَهَي أثوابَ صبريَ أو هتَّكْتُ أستاري؟

٣. يا أقربَ النَّاسِ في سِرٍّ وفي عَلَنٍ منِّي وإنْ كانَ عنِّي نازحَ الدَّارِ

٤. ويا مُجاورَ قلبٍ ليسَ يَحفَظُهُ وعادةُ الجارِ يرعَى حُرمةَ الجارِ

٥. «مُهاجري» في الهوى منْ غيرِ ما سببٍ ها قد جعلتُ دموعَ العينِ «أنصاري»[1]

٦. لئنْ قطَعْتَ عنِ الأجفانِ راتبَها منَ الكرى فلها منْ دمعِها جاري[2]

---

(١) في البيت توريتان، والمعنى البعيد يُشير فيه إلى المهاجرين الذين هاجروا مع رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم من مكة إلى المدينة، والأنصار أهل المدينة الذين ناصروا النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم.

(٢) لمَّا قال: قطعتَ عن العين الكرى، قال: لها راتبٌ جارٍ من دمعها، وجاري بمعنى سائل، وبمعنى مستمرّ.

(٩٤)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [السريع]

١. إنْ أقبلوا مِنْ بينِ تلكَ السُّتُورْ ... وأسبلوا فوقَ القُدودِ الشُّعورْ

٢. فقلْ: شُموسٌ أسفرتْ في الدُّجى ... وقُلْ: غُصونٌ أثمرتْ بالبُدورْ

٣. نواعسُ الأجفانِ بِيْضُ الطُّلَى ... نواعمُ الأبدانِ هِيْفُ الخُصورْ

٤. كأنَّما أدمعُ عُشَّاقِهِمْ ... قَدْ نظَّمُوها دُرَراً في النُّحورْ

٥. يا كَحَلاً حلَّ بألحاظِهِمْ ... جُرْتَ كما جارَ عليَّ الفُتورْ

٦. وأنتَ يا نرجِسَ أحداقِهِمْ ... شاركتَ في قتْلي أقاحِ الثُّغورْ

(٩٥)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الطويل]

١. إذا كان طيفُ «المالكيَّةِ»[1] لا يَسْري — ولا ينجلي همّي ولا ينقضي فكْري

٢. فلا غروَ إنْ باتتْ جُفوني بلا كرىً — ولا عَجَباً إنْ كانَ ليلي بلا فجْرِ

٣. يقولونَ لي: مَتِّعْ جُفونَك بالكَرى — وخلِّصْ فُؤداً للصَّبابةِ في أسْرِ

٤. فقلتُ: ومَنْ لي بالذي قدْ أسرتُمُ؟ — ولكنْ بلا حُكْمي عشقْتُ ولا أمْري

٥. تعشَّقتُها تَحكي الغزالةَ مُقلةً — وتُزري إذا ماسَتْ على الغُصُنِ النَّضْرِ

٦. تَصولُ بأحداقٍ كأنَّ جُفونَها — يُحدِّثْنَ عنْ ضَعْفٍ ويُخْبِرْنَ عنْ كَسْرِ

٧. إذا أغلقَ السُّلوانُ باباً مِنَ الهوَى — فَتَحْنَ[2] عليهِ ألفَ بابٍ منَ السِّحْرِ

٨. وليلةَ بِتْنا في أمانٍ مِنَ النَّوى — ودونَ حجابٍ للقطيعةِ والهَجْرِ

٩. نُعيدُ على السُّكْرِ العتابَ الذي مضى — وللَّهِ ما أحلى العتابَ على السُّكْرِ

١٠. فلم تَرَ إلاَّ مبسِماً فوقَ مبسِمٍ — وخدّاً على خَدٍّ ونحْراً على نَحْرِ

---

(١) المالكيَّة اسم امرأةٍ مُتخيَّلة على عادتهم، وأوَّلُ ما وردت في معلَّقة طرفة بن العبد، بقوله:

كأنَّ حدوجَ المالكيَّة غُدوةً — خلايا سفينٍ بالنَّواصف منْ دد

والمالكيَّة نسبةً إلى بني مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة. انظر ديوان طرفة بن العبد؛ ٧.

(٢) في الأصل: «فنحنُ»، وقيَّدها مضبوطةً. والصَّواب من (ب). ولعلَّ الأصوب «فتحنا» بنا المتكلِّم!!.

(٩٦)

وقال أيضاً، أعزَّه اللَّهُ: [السَّريع]

١. لولا هــوَى العــادلِ والجــائرِ — مِــنْ عــاملِ القامــةِ والنَّــاظرِ
٢. مـا كـانَ ليلـي «بـالطَّويلِ» المَدَى — فيـكَ ولا وجْـديَ «بـالوافرِ»[1]
٣. يـا «حاكمـاً» فِـيَّ ويـا «آمِـراً» — روحـي فِـداءُ الحـاكمِ الآمـرِ[2]
٤. غَفلْـتَ مـولايَ عـنِ المُبتلـي — ونُمْـتَ مـولايَ عـنِ السَّـاهرِ
٥. هـا أنـا فيمـا ترتضـي صـابرٌ — فمـا جـزاءُ العاشـقِ الصَّـابرِ؟
٦. مُهَفْهَـفُ الأعطـافِ ذُو قامـةٍ — ممشـوقةٍ كـالغُصُنِ النَّـاضرِ
٧. يَلْحظُ عـنْ عـينٍ «كِنانيَّـةٍ» — منسـوبةِ الفتْـكِ إلـى «عـامرٍ»
٨. يا خصـرَهُ الـدَّارسُ أشـكوكَ مـا — حُمِّلْتَـهُ مِـنْ رِدْفِـهِ العـامرِ
٩. يـا أيُّهـا الفـاحمُ مِـنْ شَـعْرِهِ — للَّـهِ كـمْ أفحمـتَ مِـنْ شـاعرِ

---

(١) في البيت توريتان حيث وصف اللَّيل بـالطُّول والوجـد بـالكثرة، والمعنى البعيد هما بحران من بحور الشعر: الطويل والوافر.

(٢) في البيت توريتان أشار بهما إلى الخليفتين الفاطميين: الحاكم بأمر اللَّه (٣٨٦-٤١١)، والآمر بأحكام اللَّه (٤٩٥-٥٢٥).

(٩٧)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. لا تَسَلْ عنْ مَبيتهِ كيفَ باتا ساهرٌ طلَّقَ المنامَ بتاتا؟

٢. صرَّعتْهُ العيُونُ سُكْراً وما حثَّـ ـتْ كؤوساً ولا أدارتْ سُقاتا

٣. أيُّها العاشقونَ مِنْ شَرَكِ الأحـ ـداقِ أُوصيكُمُ: النَّجاةَ النَّجاتا

٤. وبروحي أَلْمى الشِّفاهِ كأنَّ اللَّـ ـهَ أجرَى بفيهِ ماءَ فُراتا

٥. راحَ شاكي السِّلاحِ تحمِلُ عينا هُ حُساماً ومِعطفاهُ قَناتا

٦. فهْو كالبانةِ انعطافاً وكالبدْ رِ اتِّساقاً وكالغزالِ التِفاتا

٧. لا ومَنْ مَدَّ غايةَ السِّحرِ في عَيْـ ـنيهِ حتَّى أحيا بها وأماتا

٨. وسقَى خَدَّهُ بعارضِ حُسْنٍ فجلتْ منهُ عارضاهُ نَباتا

٩. لا عصيتُ الهوى ولو ذُبتُ سُقْماً وغراماً ولا أطعتُ الوُشاتا

(٩٨)

وقال أعزَّه اللَّهُ: [الخفيف]

١. لا ومَنْ ثبَّتَ القلوبَ الضِّعافا ... يومَ هزُّوا القدودَ والأعطافا

٢. لا تسلَّيتُ عن هوى الحَدقِ النُّجْـ ... ـلِ ولو أنَّ في هواها التَّلافا[1]

٣. أنكرَ العاذلُونَ إفراطَ عشقي ... فاغتدى اللَّومُ منهمُ إسرافا

٤. ولئِنْ صيَّروا الهوى ليَ ذنباً ... ربِّ زدْني مِنَ الهوى أضعافا

٥. ما علينا إذا لَثَمْنا خُدوداً ... قد كسا الحُسْنُ روضَها أَفوافا[2]

٦. واقتطفْنا واواً وراءً ودالاً ... وانتشقْنا ميماً وسيناً وكافا[3]

---

(١) التَّلاف والتَّلَف: الهلاك.

(٢) الأفواف: الثياب المزركشة.

(٣) أي اقتطفنا ورداً وانتشقنا مسكاً.

(٩٩)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الكامل]

١. إنْ كنتُ أسمعُ فيكَ قولَ معنِّفٍ ... لا فُزتُ منكَ بزَورةٍ وتعطُّفِ

٢. أو بتُّ أُضمِرُ سلْوةً لكَ لا اشتفتْ ... منِّي بوصلِكِ غُلَّةٌ لا تشتفي

٣. يا هاجري كُنْ واصلي يا ظالمي ... كُنْ راحمي يا حاكمي كُنْ مُنْصفي

٤. سأصيحُ في إثْرِ الحُمولِ ومُقلتي ... ملأى المَحاجرِ بالدُّموعِ الذُّرَّفِ

٥. هلْ عينُ يعقوبٍ تعودُ بصيرةً ... وتظلُّ ترتعُ في محاسنِ يُوسُفِ[1]؟

٦. قمَرٌ منيرٌ بارزٌ مِنْ كِلَّةٍ ... وقضيبُ بانٍ مائِسٌ في مُطْرَفِ

٧. فَضَحَ الشَّقيقَ بملْثَمٍ والأُقْحُوا ... نَ بمبسِمٍ والأُرجوانَ بمَرْشَفِ[2]

٨. وحمَى الثَّلاثةَ أنْ تُنالَ بمقلَةٍ ... كمُهنَّدٍ وبقامةٍ كمُثَقَّفِ[3]

---

(١) يُشير إلى قصّة سيدنا يوسف عندما جرى له ما جرى، فعمي والده يعقوب حزناً عليه، ثمَّ قدَّر اللَّه أن أرسلَ له يوسف قميصه، فعاد إليه بصرُه.

(٢) المرشف: الثغر.

(٣) المثقَّف: الرُّمح.

(١٠٠)

وقال، أعزَّه اللَّهُ: [المنسرح]

١. حيَّا وشَملُ السُّرورِ ملتئِمُ ... بهِ وعِقْدُ الهناءِ منتظِمُ

٢. بكأسِ راحٍ كأنَّها قَبَسٌ ... على بَنانٍ كأنَّها عَنَمُ

٣. أَهيفُ أوهَى الفُتورُ أجفانَ عيـ ... ـنيهِ وأودى بخَصْرِهِ السَّقَمُ

٤. في خدِّه جمرةٌ إذا اضطرمتْ ... حسبْتُها في حشايَ تضطرِمُ

٥. كالبدرِ والغُصْنِ واللألِيءِ إذْ ... يبدو وإذْ ينثني ويبتسِمُ

٦. لهُ مِنَ الوردِ والبنفْسجِ والـ ... قَهْوةِ خَدٌّ وعارضٌ وفَمُ

٧. أشكو إليهِ فلا يَرِقُّ لِما ... أشكوهُ حتَّى كأنَّهُ صَنَمُ

٨. رأيتُني في الكرى أُقبِّلُهُ ... وكانَ وُدِّي لو صحَّتِ الحُلُمُ

(١٠١)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. لا تسلْني عمَّا[1] جناهُ الفِراقُ حمَّلتْني يداهُ ما لا يُطاقُ

٢. أينَ صبري أمْ كيفَ أملِكُ دمعي والمطايا بالظَّاعنينَ تُساقُ؟

٣. قِفْ معي نَندُبِ الطُّلولَ فَهذي سُنَّةٌ قَبْلُ سنَّها العُشَّاقُ

٤. وأعِدْ لي ذِكْرَ «الغُويرِ»[2] فكم ما لَ بعِطْفي نسيمُهُ الخفَّاقُ

٥. يومَ ولَّتْ طلائعُ الصَّبرِ منَّا ثُمَّ شنَّتْ غاراتِها الأشواقُ[3]

---

(١) في الأصل: «عن ما»، والصَّواب من (ب).

(٢) الغُوير: ماءٌ لكلب بارض السَّماوة بين العراق والشام، وقيل: ماءٌ بين العقبة والقاع في طريق مكَّة، وقيل: موضعٌ على الفرات، وفيه قالت الزَّبَّاءُ: عسى الغُويرُ أبؤساً، والغُوير: واد. انظر معجم البلدان (الغوير).

(٣) في الأصل و(ب): «الأسواق» بالسِّين المهملة، والصَّواب ما أثبتنا.

(١٠٢)

وقالَ، أعزَّهُ اللَّهُ: [الكامل]

١. إنْ حلْتُ عنْ عهدي وعنْ ميثاقي — لا حُلَّ مِنْ أسْرِ العيُونِ وِثاقي

٢. أو خُنْتُ أيمانَ الهوى فبرئتُ مِنْ — دِينِ الغرامِ وسُنَّةِ العُشَّاقِ

٣. يا مَنْ يميلُ إلى القُدودِ موائساً — ويَهيمُ بالأقمارِ في الأطواقِ

٤. لا تصحُ مِنْ خمرِ الهوى واشربْ على — وردِ الخدودِ ونرجسِ الأحداقِ

٥. يا غائباً وهْوَ المخيِّمُ في الحشا — طالتْ إليكَ مسافةُ الأشواقِ

٦. أتعودُ بَعْدَ تَهاجُرٍ لتَواصُلٍ؟ — ونَفوزُ بعد تفَرُّقٍ بتلاقِ؟

٧. فَلَئِنْ هَزَزْتَ على القَوامِ ذُؤابةً — أخجلتَ غُصْنَ البانِ في الأوراقِ

٨. ولَئِنْ سَفَرْتَ هتكتَ أستارَ الدُّجى — وكسوتَ بدرَ التِّمِّ ثوبَ مُحاقِ

(١٠٣)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الكامل]

١. وافَى يغُشُّ ويدَّعي انْ يَنصحا ... مَنْ ليسَ يُسْمِعُ إنْ الحَّ وإنْ لحا[1]

٢. أوَ كيفَ يُصغي للملامةِ عاشقٌ ... أمسى على حِفْظِ العهودِ وأصبحا؟

٣. هل مِنْ جُناحٍ[2] إنْ جنحتُ إلى الهوى ... وعشِقْتُ مُستحلَى الصِّبا مُستَمْلَحا؟

٤. فتَنَ العُيونَ مُكحَّلاً ومُورَّداً ... وسبا العُقولَ مُقَلَّداً ومُوشَّحا[3]

---

(١) لحا: لامَ.

(٢) جُناحٌ: ذنبٌ.

(٣) سقطت الصفحة (١٦٢) من الأصل و(ب)، وسقط معها تتمة هذه المقطعة، وربَّما مقطعة أخرى، وكتب على الهامش في (ب): «بياض في الأصل».

(١٠٤)

[وقال][1]: [الرَّمل]

١. آلَ سعدِ الدِّين يا أهلَ الحمى ... أسعفوا مَنْ قد أتاكُمْ مُغْرَما

٢. آلَ سعدِ الدِّين هل مِنْ نجدةٍ ... لمحبٍّ فيكُمُ قد هُيِّما؟

٣. آلَ سعدِ الدِّين أعدائي بَغَوا ... فاخضِبوا أسيافَكُمْ فيهم دَما

---

(١) سقط ما في هذه الصفحة عدا ثلاثة أبيات في أسفلها سنثبتها بعد قليل، وكتب بخطٍّ آخر هذه الأبيات الثلاثة، ولا أدري ما إذا كانت للشهاب العزازي أم لا، وقد سقطت من (ب).

(١٠٥)

[وقال عفا اللّه عنه][1]: [مجزوء الخفيف]

١. مَوْثِقٌ لا أُضيعُهُ وجَوىً لا أُذيعُهُ
٢. وعَذولٌ عليكمُ في الهوى لا أُطيعُهُ
٣. يا أحبَّايَ واصلوا مَنْ جَفاهُ هُجوعُهُ
٤. مُستهامٌ على الصَّبا بَةِ تُطْوَى ضُلوعُه
٥. حمَّلتْهُ يدُ الهوى فوقَ ما يَستطيعهُ
٦. كلَّما عنَّ[2] ذِكرُكمْ غلبتْهُ دُموعُهُ

---

(١) زيادة من عندي، وأشرنا إلى أنَّ الصفحة قد طُمس ما فيها إلاَّ الأبيات التالية، وكذا في (ب).

(٢) عنَّ: خطرَ.

(١٠٦)

وقال، عفا اللَّهُ عنه: [المنسرح]

١. دارٌ «لريَّـا»[1] كالمسـكِ ريَّاهـا سَـقى ثراهـا الحيـا وحيَّاهـا

٢. أعِـدْ أحاديثَهـا علـيَّ فقـدْ طـابتْ أحاديثُهـا وذِكراهـا

٣. وهـاتِ يـا بـرقُ عـنْ ثنيَّتِهـا واحكِ وصِفْ نُورَهـا ولألاهـا[2]

٤. وأنـتِ يـا نَسـمةَ الشَّمالِ متَـى عهدُكِ بالطِّيبِ مِنْ خُزاماها؟

٥. دارٌ كـأنَّ الرَّبيـعَ دبَّجهـا بزهرِهـا والسَّـحابَ وشَّـاها

٦. يَروقُ عينيكَ[3] حسنُ منظرِها وحُسْـنُ أرجائهـا ومرآهـا

٧. وتحسَـبُ السِّـرْبَ مِـنْ جآذرِهـا نظـائراً أقبلـتْ وأشـباها

٨. جـآذرٌ كـمْ أحـلَّ سَـفْكَ دمـي أحْوَرُهـا مُقلـةً وأحواهـا[4]

٩. بقامـةٍ منـه مـا أُميلَحهـا وريقـةٍ منـه مـا أُحيلاهـا

١٠. أسـكرتِ العاشـقينَ أعينُـه فـأصبحَ العاشـقونَ صَرعاهـا

١١. وكيـفَ يَصحـو مِـنَ العيُـونِ فتـىً مـالتْ بأعطافـهِ حُميَّاهـا؟

١٢. مَـنْ مُنصفي مِنْ رشا[5] لواحظُه مـا بـتُّ نهـبَ الغـرامِ لولاهـا؟

---

(١) ريَّا: اسمُ فتاة، وهي في الأشهر عشيقة الصِّمَّة القُشيري، يقولُ:

حَنَنْتَ إلى ريَّـا ونفسُـكَ بـاعدتْ مزارَكَ مِـن ريَّـا وشَـعبا كمـا معـا

(٢) ولألاها: أصلُها: ولألاءَها، وحذف الهمزة الثانية للضرورة.

(٣) في الأصل و(ب): «عيناك».

(٤) الأحور: الجميل المقلة، والأحوى: المليح الشَّفة.

(٥) رشا: أصلُها: رشأ، وخفَّف الهمز ضرورةً.

١٣ .كم قلتُ للقلبِ حينَ شاكلَها: إيَّاكَ قبلَ الهوى وإيَّاها

١٤ .يا قومُ صونوا في الحُبِّ مُنهتِكاً وأرشدوا في الغرامِ مَنْ تاها

١٥ .واستنقِذوا عاكفاً على صَنَمٍ واستغفروا في الهَوى لهُ اللَّهَ

(١٠٧)

وقال، عفا اللَّهُ عنه، يصفُ بُستاناً دُعي إليه: [الرَّجز]

١. للَّـــهِ ليـــلٌ لـــمْ تَغِـــبْ أقمـــارُهُ — حتَّـــى تبـــدَّى ســـافراً نهـــارُهُ

٢. ليـــلٌ توشَّـــى بـــالنُّجومِ بُـــرْدُهُ — وطرَّزَتْـــهُ بالصَّبـــا أَســـحارُهُ

٣. بـــاتَ يُديـــرُ راحَنـــا ســـاقٍ لنـــا — كـــالرَّاحِ مـــاءُ خَـــدِّهِ ونـــارُهُ

٤. لمْ نـــدرِ مُـــذْ حيَّـــا بكـــأسِ ريقِـــهِ — وخمـــرِهِ أيُّهمـــا عُقـــارُهُ[١]

٥. في ظِـــلِّ بُســـتانٍ صَفـــا هـــواؤُهُ — ومـــاؤُهُ وأمَّنـــا[٢] نَـــوَّارُهُ

٦. نَرْجِسُـــهُ معقـــودةٌ أكمامُـــهُ — ووَردُهُ محلولـــــةٌ أَزرارُهُ[٣]

٧. وللنَّســـيمِ في حِمـــاهُ نفْحـــةٌ — تُذيعُهـــا إذا ســـرَى أســـرارُهُ

٨. عاليـــةٌ قُصـــورُهُ دانيـــةٌ — قُطوفُـــهُ يانعـــةٌ ثمـــارُهُ

٩. إذا تغنَّـــتْ ســـحَراً حَمامُـــهُ — في كُـــلِّ فـــرعٍ صَفَّقـــتْ أنهـــارُهُ

١٠. وكلَّمـــا تَمـــايلتْ أغصانُـــهُ — مِـــنْ طَـــرَبٍ تعـــانقتْ أشـــجارُهُ

١١. قـــدْ خَلَّقَـــتْ[٤] جُيوبَهـــا رياضُـــهُ — وعَصفَـــرتْ[٥] خُدودَهـــا أزهـــارُهُ

١٢. واتَّفقَـــتْ في ضَربِهـــا قِيانُـــهُ — واختلفَـــتْ في لحنِهـــا أطيـــارُهُ

---

(١) العُقارُ: الخمرة.

(٢) أمَّنا: زارنا.

(٣) في الأصل و(ب): «أزهـارُهُ»، والصَّـواب مـا أثبتنـا، والحَـلُّ بـالأزرار أليـق لتناسـب الصدر، فالعقد بالأكمام أجدر.

(٤) خلَّقتْها: طيَّبتها بالخلوق، وهو الطِّيبُ.

(٥) عصفرتْها: لوَّنتْها بالصُّفرة.

(١٠٨)

وقال، أعزَّه اللَّهُ: [الطويل]

١. بعفوِكمُ مِـنْ سُـخْطِكمُ أتوسَّـلُ ... وللغَـرَضِ الأقصـى بهـا أتوصَّـلُ

٢. ولا ألتجـي إلاَّ لِبـابِ رِضـاكِمُ ... ولا أرتجـي إلاَّكُـمُ وأُؤمِّـلُ

٣. إذا لمْ تكونوا لي على السُّخْطِ والرِّضا ... فمَنْ أترجَّى او على مَنْ أُعوِّلُ[1]؟

٤. أحبَّـايَ إنْ كـانَ التَّذلُّـلُ شـأنَكُمْ ... فشـأني كمـا عوَّدتُموني التَّذلُّـلُ

٥. إذا غُبتُـمُ لا أورقَ «البـانُ» بعدَكـمْ ... ولا طابَ في ظِلِّ «المُحَصَّبُ»[2] منزِلُ

٦. ومَـنْ لـي بـأنْ أُهـدي إليكمْ تحيَّةً ... يُبلِّغُهـا ركـبُ الصَّـبا المُتحمِّـلُ؟

---

(١) أعوِّلُ: أتَّكيءُ وأستعين.

(٢) المحصَّبُ: موضعٌ فيما بين مكَّة ومنىً، وهو إلى منىً أقرب، وهو بطحاءُ مكَّة، وهو خيفُ بني كنانة، وحدُّه من الحجونِ ذاهباً إلى منى. انظر معجم البلدان (المحصَّب).

(١٠٩)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. زارني مَـنْ أُحِـبُّ مِـنْ غـيرِ وَعْـدِ بعـدَ يـأسٍ مِـنَ اللِّقـاءِ وبُعْـدِ

٢. زورةً أوجبـتْ لهـا الحمْـدَ منِّـي ويـداً جـدَّدتْ لها الشُّكرَ عنـدي

٣. غـابَ عنِّـي ومـا تنـاقصَ ميْثـا قـي ووافَـى ومـا تنـاقضَ عهـدي

٤. وقليـلٌ إذا فرشْـتُ جفُونـي تحـتَ أقدامِـهِ وعفَّـرْتُ خَـدِّي

(١١٠)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الخفيف]

١. ويحَ قلبِ الوحيدِ بعْدَ الأنيسِ ... ما يُلاقي مِنْ لوعةٍ ورسيسِ

٢. غابَ مَنْ كان مُسعدي ومُعيني ... ونَديمي في خَلْوتي وجليسي

٣. الذي وجنتاهُ وردي وعَينا ... هُ مُدامي ومَرشِفاهُ كؤوسي

٤. لا تلُوحي يا شمسُ بعدَ مُحيَّا ... هُ ويا بانةَ النَّقا لا تَميسي

٥. كيفَ يا جنَّتي وناري تناسيْـ ... ـتَ عُهودي ويا نعيمي وبُوسي؟

٦. كيف يا نُزهةَ العيونِ تشاغلْـ ... ـتَ بغيري ويا حياةَ النُّفوسِ؟

(١١١)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. بـاكرتْك الدُّمـوعُ يـا دارَ «سُـعدَى» وسـقتْ وادِيَيْـكِ غَـوْراً ونجْـدا

٢. والتقتْ في محلَّتَيْـكِ الغـوادي ثُـمَّ حلَّـتْ مِـنَ السَّحائبِ عِقْدا

٣. أيـنَ أحبابُنـا المَلِيـؤُنَ[1] دَيْنـاً؟ وأخِلاَّؤُنـا الوفيُّـونَ عهـدا؟

٤. نـالتِ النَّائبـاتُ منهـنَّ بالبُعْـ ـدِ فسُـحْقاً للنَّائبـاتِ وبُعْـدا

٥. أيُّهـا الحاديـانِ إنْ جُزتمـا «البـا نَ» وشـارفتُما «الكثيـبَ» الفَـرْدا

٦. فتلقيَّـتَ يـا «نجـاحُ» نجاحـاً عن قريبٍ ونلتَ يا «سعدُ» سعدا

٧. روِّحـا سـاعةً ظُهـورَ المطايـا فالمطايـا كلَّـتْ ذميـلاً ووخْـدا

٨. واجعلا وِرْدَهـا جِفـارَ دُموعـي فدُموعـي تـروي الرَّكـائبَ وِرْدا

---

(١) رسمها في الأصل و(ب) من دون همز.

(١١٢)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الرجز]

١. قِفْ سائِلاً في الحيِّ: أينَ عرَّسا ... ركبٌ سرى مِنْ «رامةٍ» مُغَلِّسا؟

٢. وانشُدْ فُؤاداً ليسَ لي عهدٌ بهِ ... كانَ معي يومَ النَّوى فاختُلِسا

٣. ولا تَلُمْني إنْ بكيتُ ملعباً ... أقوى وربعاً «لسُلَيْمَى» درَسا

٤. ففي البُكاءِ راحةٌ لعاشقٍ ... ملتهِبِ القلبِ بنيرانِ الأسى

٥. يا صاحبيَّ استنشِقا ريحَ الصَّبا ... لعلَّ فيها مِنْ «سُليمَى» نفَسا

٦. ويا خليليَّ قِفا دونَ «اللِّوى» ... واستوضحا مِنْ حيِّ «ليلى» قَبسا

٧. هبَّتْ علينا نفحةٌ فجْريَّةٌ ... كأنَّها الرَّوضُ إذا تنفَّسا

٨. ورنَّحتْ أعطافَنا كأنَّما ... باتَ يُعاطينا شَذاها أكْؤُسا

(١١٣)

وقال، عفا اللّهُ عنهُ: [الوافر]

١. تشــكّى حــين زادَ بــه النُّحــولُ		فــرقٌ لفــرطِ شــكواهُ العَــذولُ

٢. مُحــبٌّ جَفْــنُ مقلتــهِ قصــيرٌ		وصَــبٌّ عُمْــرُ ليلتــهِ طويــلُ

٣. يُــلامُ علــى هــوى وجــهٍ جميــلٍ		ومــا لسُــلُوِّهِ وجــهٌ جميــلُ

٤. وكيــفَ يَميــلُ للسُّــلْوانِ قلــبٌ		يقــودُ زِمامَــهُ الطَّــرْفُ الكحيــلُ؟

(١١٤)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الوافر]

١. أيطمعُ بالحيــــاةِ المُســــتهامُ ... وقد شطَّتْ «بكاظمةَ»[1] الخيامُ؟

٢. ويَرجــــو أن يُعـــاوِدَهُ مَنــــامٌ ... ويــومَ رحيلِهــمْ رحــلَ المنــامُ؟

٣. أيــا ركْبــاً ســرَى ليــلاً «بليلــى» ... سقَى داراً حللْـتَ بهــا الغَمــامُ

٤. ويــا قمــري الــذي قــد غــابَ عنِّـي ... علــى الدُّنيــا لغيبتِــكَ السَّــلامُ

---

(١) كاظمةُ هنا اسم امرأةٍ تخيّلها فيما تخيَّل وافترض من أسماء محبوباتٍ.

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الكامل]

١. حمَل النَّسيمُ تحيَّةً مِنْ «حاجرٍ»[١] فجرتْ لِمَجْراها غُروبُ محاجري

٢. وسرى خيالٌ مِنْ «أُمامةَ»[٢] زائراً فشكرتُ عاطفةَ الخيالِ الزَّائرِ

٣. وافى يُحدِّث عنْ «عقيلةِ عامرٍ» والنَّجمُ أقربُ مِنْ «عقيلةِ عامرٍ»

٤. بيضاءُ يعطِفُها الدَّلالُ فتنثني وتَميسُ في بُرْدِ الشَّبابِ النَّاضرِ

٥. منعتْ أسنَّةُ قومِها مِنْ خدرِها وحمتْ حماهُ بكلِّ ليثٍ خادرِ

٦. ما ضرَّ مَنْ قَتلتْ بجيدٍ عاطلٍ لو أنَّها أحيتْ بثغرٍ عاطرٍ؟

٧. ويلاهُ كمْ أشكو وِشاحاً جائلاً منها إلى لَحَظاتِ طرْفٍ جائرِ

٨. يا للرِّجالِ قُتلتُ في شرَعِ الهوى أفما لمقتولِ الهوى مِنْ ثائرِ؟

٩. وأغنَّ قلتُ لصاحبي لمَّا عطا[٣]: أرأيتَ سالفةَ الغزالِ النَّافرِ

١٠. ساجي الجُفونِ إذا تثنَّى أو رنا سلبَ العُقولَ بفاتنٍ وبفاترِ

---

(١) حاجر: موضعٌ في ديار بني تميم. انظر معجم ما استعجم؛ ١/ ٤١٦.

(٢) أمامةُ: اسم امرأة كثر ذكرها على ألسنة الشُّعراء، وورد في شعر النَّابغة الذبياني باسم أمامة وأميمة، وقيل: هو اسم ابنته.

(٣) عطا الغزال، تطاول لتناول ورق الشجر.

(١١٦)

وقال، أعزَّه اللَّهُ: [مجزوء الرَّمل]

١. يــا قضيبــاً مائســاً يحْـــمِـــلُ في أعـــلاهُ بـــدْرا
٢. أنـــا مِـــنْ أوضـــحِ خلـــقِ اللَّـــهِ في عِشـــقِكَ عُـــذْرا
٣. ســـيدي مُـــرْ عَـــبرتي تـــرقَ وأجفـــانَي تَكْـــرا[1]
٤. وأَبِحْنـــي منـــكَ وَصْـــلاً واقلِنْـــي منـــكَ هَجْـــرا
٥. مَـــنْ يـــرى وجهَـــكَ يـــا بَـــدْرُ ويُعطَـــى عنـــه صَـــبْرا؟

---

(١) تكرى: تنام، والألفُ المقصورة حذفت جواب الطلب، والألف التي أثبتناها ألفُ القافية.

(١١٧)

وقال أيضاً: [المجتث]

١. قـالَ العـذولُ: تَسـلاً ... فقلـتُ: حاشـا وكـلاً

٢. وهـلْ يُطيـقُ سُـلُوّاً ... فِي الحُـبِّ غـيرَ مُخلَّـى

٣. صـبٌّ علـى جمَـراتٍ ... مِـنَ القِلَـى[1] يتقلَّـى

٤. يبكـي زمانـاً تقضَّـى ... وطِيْـبَ عيـشٍ تولَّـى

٥. طَـوراً بسَـفْحِ «زَرودٍ»[2] ... وتـارةً «بـالمُصلَّى»[3]

٦. وفِي الخيـامِ هِـلالٌ ... مِـنَ الجُيـوبِ تجلَّـى

٧. إذا رنَـتْ مُقلتـاهُ ... فسـالِمُوها وإلاّ

---

(١) القِلَى: الهجر والبغض.

(٢) زرود: بلوعٌ. وسميت بذلك لأنَّها تبتلع المياه التي تمطرها السَّحائب لأنها رمال، وهي بين الثَّعلبية والخُزيميَّة بطريق الحاج من الكوفة، وهي خمسة أجبل منها جبلا زرود. انظر معجم البلدان (زرود).

(٣) المُصلَّى: موضع الصَّلاة، وهو موضع بعينه في عقيق المدينة.

(١١٨)

وقال، عفا اللّهُ عنهُ: [الهزج]

١. وَقَفْنــــا بحِمــــى الـــــدأ ... رِ فســـــلّمْنا وحيّيْنـــــا

٢. وأطلقْنـــا شُـــؤونَ الدّمــــ ... ـــع في الرّبْـــع وأجرينـــا

٣. وأظهرْنـــا الـــــذي كُنّـــا ... مِــنَ الواشـــينَ أخفيْنـــا

٤. و«بالسّـــــفحِ» تفرّقْنـــــا ... و«بـــالجزْعِ» تلاقينـــا

٥. ولمّـــــا أنْ تعاتبْنـــــا ... طويــــــلاً وتشــــاكَينا

٦. تذكّرْنــــــا ليالِيَنــــــا ... «بنجـــــدِ» فتباكيْنـــــا

٧. تفرّقنـــــا ويـــــا مـــــا أ ... صعـــبَ الفُرقـــةَ والبَينـــا

٨. فِـــراقٌ أحـــرقَ القلـــبَ ... وبُعـــدٌ أقـــرحَ العَيْنـــا

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ[1]: [الكامل]

١. مـا عُـذرُ مثلِـكَ والرِّكـابُ تُسـاقُ ... ألاَّ تفيـضَ بدمعـهِ الآمـاقُ؟

٢. فـأذِلْ[2] مَصُونـاتِ الدُّمـوعِ فإنَّمـا ... هـيَ سُـنَّةٌ قـدْ سـنَّها العُشَّـاقُ

٣. ولـرُبَّ[3] دمـعٍ خـانَ بعـدَ وَفائـهِ ... مُذْ خـانَ مِـنْ ذاكَ الفريـقِ فِـراقُ

٤. ووراءَ ذَيَّـاكَ «الكثيـبِ»[4] مُنَـيْزِلٌ ... لَعِبَـتْ بقلبِـكَ نحـوَهُ الأشـواقُ

٥. خُذْ «أيْمَنَ الوادي» فكم مِنْ عاشقٍ ... فتكـتْ بـهِ مِـنْ سِـرْبِهِ[5] الأحـداقُ

٦. واحفَظْ فُؤادَكَ إنْ هفـا[6] بَـرْقُ «الحِمى» ... أو هَـبَّ منـهُ نسـيمُهُ الخَفَّـاقُ

---

(١) وردت الأبيات بتمامها في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧١، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥٠، وفوات الوفيات؛ ١/ ٩٦، وورد منها في تذكرة النبيه، ٢/ ٣٥، الأبيات: (٥-٦-٢-٣).

(٢) تذكرة النبيه: «وأذِلْ».

(٣) في تذكرة النبيه «فلَربّ».

(٤) في أعيان العصر، والوافي بالوفيات، وفوات الوفيات «العُذيب».

(٥) فوات الوفيات: «أهله».

(٦) في تذكرة النبيه «همى».

(١٢٠)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الطويل]

١. قِفُوا «باللِّوى» نبكي على منزلٍ عَفا ... ونسألُ حادي الظَّعْنِ أنْ يتوقَّفا

٢. لعلَّ البُكا أنْ يُبْرِدَ القلبَ ماؤُهُ ... وذاتِ اللَّمى والخالِ أنْ تَتعطَّفا

٣. يقولُ أُصيحابي وقدْ بحتُ بالهوى: ... إلاَ إنَّما الكِتْمانُ أشبهُ بالوفا

٤. أأكتُمُ أشجاني ودمعي يُذيعُها؟ ... وأُخفي تباريحي وقدْ بَرَحَ الخَفا؟

٥. ولمَّا تلاقيْنا «بمنعَرَجِ اللِّوى» ... أطَلْنا على يومِ «الكثيبِ» التَّأسُّفا

٦. ومِنْ خِيفةِ الواشي جعلْنا خِطابَنا ... دموعاً كتبْناها على الخدِّ أَحرُفا

(١٢١)

وقالَ، أعزَّهُ اللَّهُ: [الخفيف]

١. أيُّها المُستبيحُ قتْلي خَفِ اللَّهْ ... وانْهَ عينيكَ للدَّمِ المستحِلَّهْ

٢. وأَبِنْ لي بأيِّ ذنبٍ تقلَّدْ ... تَ دمي عامداً وأيَّةِ زَلَّهْ؟

٣. يا نَحيفَ القَوامِ مِنْ غيرِ ضعفٍ ... وسقيمَ الجُفونِ مِنْ غيرِ عِلَّهْ

٤. بأبي منكَ وجنةٌ لدمِ العُشَّا ... قِ فيها شَواهِدٌ وأدِلَّهْ

٥. كتَبَ الحُسْنُ فوقَها سُورةَ «النَّمـ ... ـلِ»[1] فكانتْ للعاشقينَ مُضِلَّهْ

٦. مُشْكَلاتٌ حُروفُها وهْيَ لا تُكْـ ... ـتَبُ إلاَّ بِنُقْطةٍ أو بِشَكْلَهْ

٧. بدرُ تِمٍّ يَلوحُ في فلَكِ الحُسْـ ... ـنِ فيكسو البدورَ نقصَ الأهلَّهْ

٨. وَإذا ما خطا فبانةُ حِقْفٍ ... وإذا ما عَطا فجُؤْذَرُ رَمْلَهْ

٩. لو بدا للحِسانِ تحتَ الأكاليـ ... ـلِ تهتَّكْنَ مِنْ سُتورِ الأكِلَّهْ

١٠. قلتُ لمَّا بدا لعينيَّ: لي عنْـ ... ـدَكَ مولاي حاجةٌ وهْيَ سهلَهْ

١١. قالَ: صِفْها فقلتُ: قدْ شرحَتْها ... لكَ في الخدِّ أدمُعي المستهلَّهْ

١٢. قال لي: قُبلةً أظنُّكَ تعني ... قلتُ: لمْ تعدُها اجلْ هيَ قُبْلَهْ

١٣. فتصدَّقْ بها لتُطفي أُواما[2] ... قدْ أذابَ الحشَا وبرِّدْ غُلَّهْ

١٤. فإلى بَرْدِ فيكَ واحرَّ قلبا ... هُ ومَنْ لي مِنْ بَرْدِ فيكَ بنهلَهْ؟

١٥. أتُرَى يَسمَحُ الزَّمانُ بلُقيا ... كَ؟ وهل يغلَطُ الرَّقيبُ بغفلَهْ؟

---

(١) سورة النَّمل وهي السورة (٢٧) في القرآن الكريم، وقوله سورة النَّمل لنمنمة الوجنة وملاستها ونعومتها.

(٢) الأوام: شدَّة العطش.

١٦. كمْ أُمنّي بوصلِكَ القلبَ في السـ ـرِّ وفي الجهْرِ والأمانيُّ ضَلَّهْ

١٧. وأُلاقي الأشجانَ مُكْثِرةً فيـ ـكَ بنفسٍ مِنَ العَزاءِ مُقِلَّهْ

١٨. أنا أشكو لعزّةٍ منكَ ما أَلْـ ـبَسَني الحُبُّ مِنْ خُضوعٍ وذِلَّهْ

١٩. لِيَ دمعٌ أجادَ في الخَدِّ ما خطَّ ولِمْ لا يُجيدُ وهوَ «ابْنُ مُقْلَهْ»[3]؟

٢٠. وفُؤادٌ مُقلْقَلٌ وضُلُوعٌ واهياتٌ ومُهْجَةٌ مُضْمَحِلَّهْ

٢١. يا نبيَّ الجمالِ في أُمَّةِ العُشَّا قِ لا تجْعلِ المَلالةَ مِلَّهْ

٢٢. وترفَّقْ بأُمَّةٍ جعلتْ حُبَّـ ـكَ دِيناً لها ووجْهَكَ قِبْلَهْ

٢٣. أطرقَ الغُصنُ مُذْ خطرْتَ حياءً واعترى البدرَ مُذْ تبدَّيتَ خجلَهْ

٢٤. قسَماً لا سلوتُ عنكَ ولو ذُبْـ ـتُ سَقاماً أو صِرتُ في الحُبِّ مُثْلَهْ

٢٥. كيفَ أسلوكَ والملاحةُ تجلو كَ لِعيني في حُلَّةٍ بعدَ حُلَّهْ[4]؟

---

(٣) في البيت تورية، المعنى القريب أنَّ الدَّمع يسيلُ من المُقلة، وهو ابنُها، على المجاز، والمعنى البعيد ابن مُقلة هو الوزير العبَّاسيُّ الشَّهير، وقد عُرِفَ بالكرم. وهو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، ولد ببغداد، استوزره المقتدر سنة ٣١٦ ثم غضب عليه، واستوزرهُ القاهر سنة ٣٢٠، ثمَّ اتَّهمه بالمؤامرة، واستوزره الراضي سنة ٣٢٢، ثم نقم عليه، وقطع يده اليمنى، ثم قطع لسانه سنة ٣٢٦، وسجنه، انظر الأعلام؛ ٦/ ٢٧٣.

(٤) بعد هذا البيت بياضٌ إلى آخر الصفحة عدا بيت من قصيدة أخرى.

(١٢٢)

[وقال][1]: [الرَّمل]

١. يـــا عُرَيبـــاً إنْ أرادوا فتنـــةً لِخَلـــيُّ في الهـــوَى مـــا افْتُتِنـــا
٢. أطلَعـــوا مِـــنْ كُـــلِّ وجـــهٍ قمَـــراً وثَنَـــوا مِـــنْ كُـــلِّ قَـــدٍّ غُصُنـــا

---

(١) زيادة من عندي.

(١٢٣)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [السَّريع]

١. أثنتْ علــى عِطفَيْــهِ لمَّـا انثنَــى ... مَعــاطفُ البــانِ وليْــنُ القنــا

٢. غُصْنُ نَقــاً تنبُــتُ في خَــدِّهِ ... أزاهــرٌ للحُسْــنِ لا تُجْتَنَــى

٣. يُعطيــكَ مِــنْ أحداقــهِ نَرْجِســاً ... غَضّــاً ومِــنْ أصداغــهِ سوسَــنا

٤. فهْــوَ هِــلالٌ طــالعٌ إنْ بــدا ... وَهْــوَ غــزالٌ راتــعٌ إنْ رنــا

٥. للَّــهِ مــا أفتَــكَ ألحاظَــهُ ... في مُهَــجِ الخلْــقِ ومــا أفتَنــا

٦. يــا رِدْفَــهُ رِفْقــاً علــى خصْــرهِ ... فقــدْ تشــكَّى بلِســانِ الضَّــنا

(١٢٤)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [مجزوء الرَّجز]

١. عذَّبتَ طَرْفي بالبُكا — مَنْ لِفُؤادي مَلَكا

٢. وما درى ناظرُهُ — أيُّ دمٍ قدْ سَفَكا

٣. بدرُ دُجىً أضحى لهُ — كلُّ فُؤادٍ فلَكا

٤. قدْ نصَبتْ جفونُهُ — لعاشقيهِ شَرَكا

٥. يا ريقَهُ هل لكَ في — حياةِ صَبٍّ هلَكا؟

٦. وأنتَ يا ناظرَهُ — إليكَ منكَ المُشتكى!

(١٢٥)

وقال أيضاً، أعزَّه اللَّهُ: [المتقارب]

١. عسَــى عَطْفَـــةٌ وعسَـــى نَظـــرةٌ تَسُــرُّ النُّفــوسَ وتُحيــي القُلوبــا

٢. فقـدْ طـالَ سُـقْمُ كئيـبِ الصُّـدودِ وأنـــتَ الطَّبيـــبُ فـــداوِ الكئيبــا

٣. أمــولايَ عُــدْ للــودادِ القديـــمِ لتَنكا[1] الحَسودَ وتُخزي الرَّقيبا

٤. أقِلْنـــي ذُنوبـــي إذا مـــا عـــثرتَ فــإنَّ الكريــمَ يُقيــلُ[2] الذُّنوبــا

٥. فـإنْ عـدتَ مِـنْ بعدِهـا فـاملأنَّ جُفونـــي دُموعـــاً وقلبـــي لهيبــا

٦. وقـــالُوا: اسْــلُهُ واتَّخِــذْ غــيرَهُ حبيبــاً ومِـنْ أيـنَ ألقَـى حبيبـا؟

٧. إذا مـــا رنـــا نـــاظراً أو جَـــلا جَبينـــاً وهـــزَّ قوامـــاً رَطيبـــا

٨. فــلا تَلتفـــتْ لالتفـــاتِ الغـــزالِ وذُمَّ الهِـــلالَ وسُـــبَّ القَضيبـــا

---

(١) نكَى الحسودَ: قهرَه وأغاظه.

(٢) يُقيل الذُّنوب: يغفرها.

(١٢٦)

وقال أيضاً، أعزَّه اللَّهُ: [الرَّجز]

١. راحٌ بكأسَــي ريقِهــا وخمرِهــا ... يَسْحبُ ذَيْلَيْ سُكْرِها وشُكْرِها

٢. غانِيــةٌ قــدْ قتلــتْ ألحاظُهــا ... فينـا بسيفَيْ غُنْجِهـا وسِحْرِها

٣. ذاتُ جفــونٍ لــمْ تــزلْ قويَّــةً ... بضَعْفِهــا منصــورةً بكسْــرِها

٤. ووجنــةٍ ورديَّــةٍ سُــبْحانَ مَــنْ ... ألَّــفَ بــينَ مائِهــا وجَمْرِهــا

٥. بــين دُموعــي ولآلــي فمِهــا ... وبـينَ جسـمي نسـبٌ وخصْرِهـا

٦. كيف أرَى لـي مِـنْ هواهـا مَخْلَصاً ... ومُهْجتــي بأسْــرِها في أسْــرِها؟

٧. أم كيــف تنــدَى بــأصيلِ وصلِهــا ... وقَــدْ رمتْهــا بهجــيرِ هجرِهــا؟

٨. واللَّــهِ لــولا رشَــقاتُ طَرْفِهــا ... شَــفَيْتُها مِــنْ رشَــفاتِ ثغرِهــا

(١٢٧)

وقال، عفا اللّهُ عنهُ: [مجزوء الرَّمل]

١. حيِّ بالكـــــأسِ نداما ... كَ تَكُـــنْ خَـــيْرَ نديـــمِ

٢. واصْبَـــحِ[1] القَـــومَ بمـــا طـــا ... بَ مِـــنَ الخمـــرِ القديـــمِ

٣. مـــا تَـــرى ثـــوبَ الدُّجـــى كَيْـــ ... ـــفَ توشَّـــى بـــالنُّجومِ؟

٤. وسَـــقيطَ[2] الطَّـــلِّ قَـــدْ بـــ ... ـلَّـــلَ أذيـــالَ النَّســـيمِ؟[3]

---

(١) أصبح القوم: اسقهم الخمرةَ صباحاً.

(٢) سقيط الطَّلِّ: النَّدى المتناثر.

(٣) سقط البيت من (ب).

(١٢٨)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الوافر]

١. أعِدْ حركـاتِ ذَيَّـاكَ القَـوام وصُـنْ تلـكَ المحاسـنَ باللِّثام

٢. فما للغُصْـنِ قَـدُّكَ في التَّثنِّـي ولا للبـدرِ وجهُـكَ في التَّمـام

٣. ألا[1] يـا خصـرَهُ رفْقـاً بجسـمي فبينَكمـا مناسـبةُ السَّـقام

٤. ويـا مَـنْ بـاتَ يلحـاني عليـهِ عصتْـكَ صَبـابتي وأبـى غرامـي

٥. أتقـدِرُ أنْ تُعيـدَ علـيَّ صـبري وتجمـعَ بـينَ جفنـي والمَنـام؟

٦. فجـاذبْ غـيرَ قلبـي بالتَّسـلِّي وخـادعْ غـيرَ سَـمْعي بـالمَلام

---

(١) سقطت «لا» من (ب) سهواً من الناسخ، فاختلّ الوزن.

(١٢٩)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الطويل]

١. تبسَّمَ برقُ «الأبرقينِ» فأبكاني ... وجَدَّدَ أشواقي وهيَّجَ أحزاني

٢. وأذكرني دونَ «المُحَصَّبِ» مِنْ «مِنًى» ... منازلَ أحبابٍ تناءتْ وجيرانِ

٣. سقى عذَباتِ «البانِ» صوبٌ مِنَ الحيا ... وجادتْ مغانيها سَحائبُ أجفاني

٤. أماكنُ ظَرفٍ قدْ أعلَّتْ بها الصبَّا ... وصحَّتْ صباباتي بهنَّ وأشجاني

٥. تَميلُ بعِطْفي للصَّبابةِ هَزَّةٌ ... كما هزَّتِ الصَّهباءُ أعطافَ نشوانِ

٦. إذا البرقُ حيَّا مِنْ ثنايا «تِهامةٍ» ... وحدَّثَ خفَّاقُ النَّسيمِ عنِ البانِ[1]

---

(١) كذا في الأصل و(ب)، والأفضل لو كان البيت السادس قبل الخامس.

وقال أيضاً، أعزَّهُ اللَّهُ: [الطويل]

١. خُذوا بدَمي مِنْ طرْفهِ فهْو قاتلي ... بسهْمِ فُتورٍ قدْ أصابَ مَقاتلي

٢. ولا تُنْكِروا منه صِناعةَ سِحْرِهِ ... فقدْ أخذتْ عيناهُ عنْ سحرِ بابلِ

٣. غَزالٌ دَعاني لاقتناصِ خيالهِ ... فأوقعَني مِنْ طَرْفهِ في حبائلِ

٤. رعى اللَّهُ أيَّاماً مضَتْ بوصالهِ ... صقيلةَ أطرافِ الضُّحَى والأصائلِ

٥. أبثُّكَ ما بي مِنْ هوًى لو شرحتُهُ ... لأقلقَ عُوَّادي وأبكي عواذلي

٦. هوًى كلَّما غنَّتْ على عَذَبِ «الحمَى» ... حَمائمُها هاجتْ عليه بلابلي[1]

---

(١) لمَّا قال حمائمها قال: بلابلي، وفيها تورية بين البلابل التي هي نوع من الطُّيور عذب الصوت، والبلابل التي هي الهواجس والهمومُ، وهو المقصود.

(١٣١)

وقال، أعزّه اللّهُ: [الخفيف]

١. سائقَ الظَّعْنِ[1] لو حَبَسْتَ الرِّكابا ... لشَـفَيْنا صَبابـةً واكْتِئابـا

٢. قِفْ قليـلاً عسَـى نبـلُ غليـلاً ... وعسَـى أنْ نُـودِّعَ الأحبابـا

٣. فارقُونـا وليتَهـمْ فارقُونـا ... عنْ رِضاً بل مضَوا علينا غضابا

٤. أيُّهـا الرَّاحلـونَ عنَّـا أنرجُـو ... بعدَهـا عـودةً لكـم وإيابـا؟

٥. كيف حتَّى[2] خُنتُمْ عهودَ هوانـا ... وقطعتُـمْ مِـنْ وصْلنـا أسـبابا

٦. بذِمـامِ الهَـوَى أَعيـدوا وصـالاً ... قـدْ مضـى في حِمـاكمْ واقترابـا

٧. وحديثـاً مسـتَعْذباً مِـنْ رِضـاكمْ ... لـو مَزجْتُـمْ بـهِ جَفـاكُمْ لطابـا

---

(١) في (ب): «الأظعان» تحريف أخلَّ بالوزن.

(٢) سقطت من (ب)، و اختلَّ وزن البيت.

(١٣٢)

وقالَ، عفا اللَّهُ عنهُ: [الخفيف]

١. هذهِ بانــةُ «الكثيــبِ» فميلُــوا   بالمطايــا فقــدْ بَراهــا الذَّميــلُ

٢. وقِفُوا في ظِلالهــا واســألُوها: كيف سارتْ بالظَّاعنينَ الحمُولُ؟

٣. أيُّها الرَّاحلونَ عنْ سفحِ «نجدٍ»   لا خلَتْ منكُمُ الرُّبى والطُّلولُ

٤. حبَّــذا عنكــمُ حديــثٌ صحيــحٌ   قــدْ رواهُ لنــا النَّســيمُ العليــلُ

(١٣٣)

وقال أيضاً، أعزَّهُ اللَّهُ: [المقتضب]

١. بُحْتُ فِي هـــــواكَ بمـــــا	لا أُطيـــــقُ أَكْتِمُــــــهُ
٢. وأذابنـــــي سَـــــقَمٌ	مُقلتـــــاكَ تَعْلَمُــــــهُ
٣. فـــارثِ ســـيِّدي لفتـــىً	طُـــلَّ فِي الهـــوى دَمُـــهُ
٤. العِـــدَى تـــرِقُّ لـــهُ	والوُشـــاةُ تَرحمُـــــهُ

(١٣٤)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [السَّريع]

١. لاحَ ففـدًى وجهَـه كـلُّ لاحْ[1] ... وراحَ يهـتزُّ كنَشْـوانٍ راحْ

٢. وأشـرَقَتْ طلعتُـه في الدُّجـى ... فكـادَ أنْ ينشـقَّ منهـا الصَّبـاحْ

٣. أغيدُ معسـولُ مُـذاقِ اللَّمَـى ... أهيـفُ مجـدولُ مكـانِ الوِشـاحْ

٤. ذُو مُقلـةٍ تـأخذُ عنهـا الظُّبَـى ... وقامـةٍ تنقـلُ عنهـا الرِّمـاحْ

٥. يـا أيُّهـا الطَّـالبُ قتلـي لقـدْ ... أَبحـتَ مِـنْ قتْلـيَ مـا لا يُبـاحْ

٦. كلَّفـتَ عِطْفيـكَ اعتقـالَ القَنـا ... ولا افتقـارٌ مَعْهُمـا للسِّـلاحْ

* * *

(١) اللاَّحي: اللائم.

(١٣٥)

وقال، عفا اللّهُ عنهُ: [الكامل]

١. لا تلحُ مَنْ لا فِي يديكَ صَلاحُهُ ... فلقدْ يَرَى ما لا تَرَى نُصَّاحُهُ

٢. أَتلومُ فِي مَنْ لو رأيتَ قَوامَهُ ... مُتخطِّراً لحلا لكَ اسْتِملاحُهُ؟

٣. ساجي الجُفونِ مريضةٌ لحَظاتُهُ ... والحُسْنُ حيثُ مِراضُه وصِحاحُهُ

٤. ظَلمتْ مناطقُه نَحافةَ خصرِهِ ... وجنَى عليهِ بَنْدُهُ ووشاحُهُ

٥. بُستانُ حُسْنٍ وجهُهُ فبصُدْغِهِ ... رَيحانُه وبخدِّهِ تُفَّاحُهُ

٦. فعلَتْ بنا عيناهُ فِعْلَ كؤوسِهِ ... فكأنَّما أحداقُهُ أقداحُهُ

٧. ويُريبُنا أيُّ الثَّلاثةِ خمرُهُ: ... ألحاظُهُ أمْ ريقُهُ أمْ راحُهُ؟

٨. أرخَى ذوائبَهُ وحطَّ لثامَهُ ... فرأيتُ ليلاً قدْ علاهُ صباحُهُ

٩. وبدا بوجهِ فِي الدُّجُنَّةِ سافرٍ ... متوقِّدٍ بضيائهِ مصباحُهُ

وقال أيضاً، أعزَّه اللَّهُ: [الطويل]

١. أَتكتُمُ سِـرَّ الحُـبِّ أمْ أنـتَ بـائحُ ... وبرقُ الثَّنايا مِنْ «تِهامةَ»[1] لائِحُ؟

٢. ومـا أنـتَ إلاَّ كـاتِمٌ حُـرَقَ الجـوَى ... وسِرَّ الهَوى لولا الدُّموعُ السَّوافحُ

٣. أقولُ لركْبٍ شـارِفُوا عَـذَبَ «الحِمَـى»: ... أَرِيحُـوا المطايا فالمَطايـا طلائِـحُ

٤. وعُوجُوا على الوادي لترْقَا مدامِعٌ ... يَفيضُ بها الوادي وتَهدَى جوانحُ

٥. أحِنُّ علـى تلـكَ الأبـاطحِ والرُّبـى ... وإنْ بَعُدتْ تلكَ الرُّبـى والأبـاطحُ

٦. وأهـوَى التـي في مُقلتَيْهـا وجيدِهـا ... مَشابِهُ مِنْ ظَبْيِ النَّقا[2] وملامِـحُ

٧. خُذوا عنْ خيامِ «العامريَّـةِ» يَسْـرَةً ... نَصَحْتُ لكمْ إنْ كانَ يُقبَلُ ناصحُ

٨. فـدُونَ خيـامِ «العامريَّـةِ» تلتقـي ... رِمـاحٌ دِقـاقٌ أو تُهَـزُّ صفـائحُ

---

(١) تهامة، تساير البحرَ، منها مكَّة، قال: والحجاز ما حجز بين تهامة والعَروض، قال الأصمعي: إذا خلَّفتَ عمان مُصعداً فقد أنجدتَ، فلا تزالُ منجداً حتَّى تنزل في ثنايا ذات عِرقٍ، فإذا فعلتَ ذلك، فقد أتهمتَ إلى البحر. ومكَّة من تهامة. وأتهم الرجل: صار إلى تهامة. انظر (تهامة) في معجم البلدان.

(٢) في الأصل و(ب): «اللّقا».

(١٣٧)

وقال، أعزَّه اللَّهُ: [البسيط]

١. لو كنتَ تقبلُني عبْداً بلا ثَمَنِ رأيتُها مِنَّةً من أعظمِ المِنَنِ[1]

٢. يا مُعْرِضاً عنْ عِتابي في محبَّتهِ كمِثْلِ إعراضِ أجفاني عَنِ الوسَنِ

٣. صِفْ لي المَنامَ فإنِّي لستُ أعرِفُهُ كَلاًّ ولَمْ أرَهُ يوماً ولَمْ يَرَني

٤. ولم يَمُنَّ[2] له شَخْصٌ على بَصَري لَكِنْ أحاديثُه مَرَّتْ على أُذُني

---

(١) سقطت الصفحة (١٨١) من مخطوط الأصل. وسقط معها تتمة المقطَّعة هذه وأبيات أخرى، وأكملناها من (ب) من هنا حتى آخر بيت في القصيدة (١٤٢).

(٢) كذا في (ب). ولعلَّها: «يمرَّ».

[وقال أعزَّه اللَّهُ][(١)]: مجزوء الكامل]

١. كــادتْ لِفَـرْطِ نُحولِـهِ تبكـي عيُـونُ عَذُولِـهِ

٢. صَـبٌّ يَميـلُ إلـى «الحِمَـى» ويميـلُ نَحْـوَ[(٢)] طُلولِـهِ

٣. كَـمْ حمَّلتْـهُ فـوقَ مـا يَقْـوى حُـداةُ[(٣)] حمولِـهِ

٤. سـاروا بمِهضُـومِ الحشَـا عَـذْبِ اللَّمـى مَعْسُـولِهِ

٥. يَسْـطُو علـى عُشَّـاقِهِ[(٤)] بأسـيلِهِ وكحيلِـهِ[(٥)]

٦. يا مَـن يـرقٌّ لعاشـقٍ[(٦)] نَـزْرِ المنـامِ قليلِـهِ

٧. تجـري دُمـوعُ عيونِـهِ فـيزيدُ حَـرُّ غليلِـهِ

٨. غَزِلٌ يُرنِّحُـهُ الحَمَـا مُ بَنْوحِـهِ وهديلِـهِ

٩. أتُـرى يَفـوزُ بنظـرةٍ مِـنْ إلْفِـهِ وَخَلِيْلِـهِ؟

١٠. ويَنـالُ مِـنْ أحبابِـهِ أقصَـى مُنـاهُ وسُـولِهِ؟

---

(١) زيادة من عندي.

(٢) في المخطوط «نحول» تحريف يختل معه الوزن والمعنى.

(٣) في المخطوط «جداة»، والصَّواب ما أثبتنا.

(٤) في المخطوط «عاشقه» تحريف يختل معه الوزن.

(٥) أسيلُه: خدُّه، وكحيلُه: طرفُه.

(٦) في المخطوط «لعشّاق» تحريف يختل معه الوزن والمعنى.

[وقال عفا اللَّهُ عنه](١): [الكامل]

١. يا ربِّ هـ [illegible] لبي الضَّعيفَ تجلُّداً — عمَّـنْ أُحـبُّ فقـد دَنـا تَوْديعُـهُ

٢. يـا ربِّ هـذا بَيْنُـه وفراقُـهُ — فمتَـى يكـونُ قُدومُـه ورُجوعُـهُ؟

٣. لو عادَ [عادَ](٢) إلى الفُؤادِ هُدوُهُ — وسَرى إلى الجَفْنِ القريحِ هُجوعُهُ(٣)

٤. لَكَ يـا مُبَشِّرُ إنْ أتـاني سالماً — رُوحـي ومـا مَلَكَتْ يـداي جَميعُهُ

٥. أُخفي الهَوى جُهدي وسُحْبُ مدامعي — تُبديـهِ عنـدَ عواذلـي وتُذيعُـهُ

٦. مـا كُنـتُ في العُشّاقِ أوَّلَ عاشقٍ — نَمَّتْ(٤) عليـه بمـا أسَرَّ دُموعُـهُ

---

(١) زيادة من عندي.

(٢) زيادة يستقيم بها الوزن والمعنى. وعادَ الأولى بمعنى زارَ، وعاد الثانية: رجع.

(٣) الهجوعُ: النَّوم.

(٤) نمَّت: دلَّت، وفضحت السِّرَّ.

(١٤٠)

[وقال غفر اللَّهُ لهُ][1]: [الطويل]

١. زمانَ شَبابي كنتَ خيرَ زمانِ ... فلا زِلْتَ مشكوراً بكُلِّ لِسانِ

٢. فللَّهِ كم جرَّرْتُ ذيلَ بِطالتي ... وأطلقْتُ للَّذَّاتِ فيكَ عِناني

٣. وقد كنتُ سبَّاقاً إلى غايةِ الصِّبا ... مُجيباً إذا داعي المُجونِ دعاني

٤. أقبِّلُ ثَغْرَ الكأسِ أبيضَ واضحاً ... وألثِمُ خَدَّ الرَّاحِ أحمرَ قاني[2]

٥. [3][ألا خَلِّياني والتَّصابي فإنَّني ... أرى في التَّصابي غيرَ ما تَرَيانِ

٦. سأملأُ من طيبِ العِذارِ مفارقي[4] ... وأخضِبُ من صِرْفِ الكُؤوسِ بناني[5]]

---

(١) زيادة من عندي، ووردت الأبيات أيضاً في فوات الوفيات؛ ١/ ١٠٤.

(٢) كتب على الهامش: «بياض في الأصل»، ويكون سقط حوالي ستة أبيات من القصيدة التالية.

(٣) البيتان (٥ و٦) زيادة من فوات الوفيات.

(٤) المفارق: جمع مَفْرِق: موضعُ فرقِ الشّعر من الرّأس.

(٥) البنانُ: أطراف الأصّابع.

(١٤١)

[وقال أعزَّه اللَّهُ][1]: [مجزوء الكامل]

١. وأمَـــا واغْصـــانِ القُـــدو ... دِ وحُسْـــنِ أقمـــارِ الجيُـــوبِ[2]

٢. لا حُلْـــتُ عـــن عَهْـــدِ «الكثيـــ ... ـــبِ» وحَبَّـــذا عَهْـــدُ «الكثيـــبِ»

٣. كَـــلاً ومَـــنْ جَعَـــلَ العيُـــو ... نَ مُوَكَّـــلاتٍ بـــالقُلوبِ

(١) زيادة من عندي. وعلى هامش (ب) عبارة: «بياض في الأصل»، وهو بياضٌ مقداره تسعةُ أسطر، فيكون قد ضاع بيتان من المقطعة السَّابقة، ومقدّمة هذه المقطعة وست أبيات منها.

(٢) أمامها على هامش المخطوط: «إلى هنا».

[وقال أعزَّه اللَّهُ][1]: [الخفيف]

١. يـا نَديمَـيَّ طـابَ خَمْـرُ الدِّنَـانِ فامزُجا لـي كُؤُوسَـها واسْقِياني

٢. بِتُّ منهـا مَيْتـاً وأَصبحْـتُ حَيّـاً فَدَعـاني أمـوتُ مَوْتـاً ثـاني

٣. فإذا مـا قَضيْتُ بـالصَّحْبِ نَحْبـي غَسِّلاني مِنْ صِرْفِ ما تَمْزُجانِ[2]

٤. وادْرِجاني في نَسْجِ ما صَنَعَ الكَرْ مُ إذا مـا أردتُما تُكرِمـاني

٥. واحْمِلانـي علـى رؤوسِ النَّدامـى وبأرجـاءِ كرْمِهـا فادفِنـاني

٦. ثُمَّ قُـولا: قضَـى صريـعَ الأباريـ ـقِ شـهيدَ الجُنُـوكِ[3] والعِيْـدانِ

٧. فسَـقَتْ قَـبْرَهُ السُّـقاهُ بمـا طـا بَ ومـا رقَّ مِـنْ سُـلافِ الدِّنـانِ

٨. فلقَـدْ كـانَ مُغْرَمـاً بالمَسَـرَّا تِ كَئيبـاً بـالرَّاحِ والرَّيحـانِ

٩. يـا نَديمـيَّ بـاكِرا الـرَّاحَ فـالرَّا حُ حيـاةُ الأرواحِ والأبـدانِ

١٠. فزَمـانُ الصِّبـا أجَـلُّ زَمـانِ وأوانُ الشَّـبابِ خَـيرُ أَوانِ

١١. بنـتُ كَـرْمٍ تُصبـي النَّديـمَ إذا مـا بـرَزَتْ في قميصِها الأُرْجوانـيِ[4]

١٢. بـاتَ يسعَى بها أغَـنُّ غضيـضُ الـ طَّرْفِ غضٌّ الشَّبابِ رخْصُ البَنانِ

١٣. ذو عِـذارٍ بَنَفْسَـجيٌّ وطَـرْفٍ نَرْجِسـيٌّ ومَبْسِـمٍ أُقحوانـيِ[5]

١٤. وخُـدودٍ كأنَّمـا خَلَـعَ الـرَّوْ ضُ عليهـا شَـقائِقَ النُّعمـانِ

---

(١) زيادة من عندي.

(٢) في المخطوط: «ما تمزجاني».

(٣) الجُنُوك، ومفردها: الجُنْكُ، كلمة فارسية، وتعني آلات الطَّرب. والعيدان: آلات الطَّرب أيضاً.

(٤) في المخطوط: «الأرجوان».

(٥) في المخطوط: «أقحوان».

(١٤٣)

[وقال أعزَّه اللَّهُ][1]: [الطويل]

١. إذا لاحَ مِنْ نحوِ «الثَّنيَّةِ» بارقٌ ... تأوَّهُ مُشتاقٌ وحَنَّ مُفارقُ

٢. وإنْ ركضَتْ خيلُ النَّسيمِ جرتْ لهُ ... دُموعٌ بِميدانِ الخُدودِ سَوابِقُ

٣. دَعُوني ووجْدي والغرامَ وصَبوتي ... فإنِّيَ مِنْ طعْمِ الثَّلاثةِ ذائِقُ

٤. إذا أنا لمْ أُعطِ الصَّبابةَ حَقَّها ... على حُبِّ مَنْ أهوى فما أنا عاشِقُ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق. وإلى هنا ينتهي النقص الحاصل في نسخة الأصل.

(١٤٤)

وقال أيضاً، أعزَّهُ اللَّهُ: [الرَّمَل]

١. لا ومَــنْ تيَّمنــي في حُــبِّ «عَلْــوَهْ» لا تسـلَّيتُ ولا أضمـرْتُ سَـلْوَهْ

٢. بــلْ إذا أبليــتُ في عَشْــقَتِها[1] وهَواهـا صبـوةً جـدَّدتُ صَبْـوَهْ

٣. مَــنْ لصَــبٍّ هــائمٍ في حُبِّهــا عَظُمـتْ شِقْوَتُه والحـبُّ شِقْوَهْ؟

٤. كُلَّمــا قيــلَ: صحــا مِــنْ سُـكْرَةٍ جذَبـتْ أعطافَـهُ للوجـدِ نشْـوَهْ

٥. لا تلُومــوهُ: إذا هــامَ أسَــى فلـهُ يـا قـومُ بالعُشَّـاقِ أُسْـوَهْ

٦. ولئِنْ مــاتَ بــأدواءِ الهَــوَى فلقد ماتَ بها «قَيْسٌ» و«عُروَهْ»[2]

٧. يــا أخِلاَّئــي أعينُــوا عاشِــقاً فبنُـو العِشْـقِ[3] أخـلاَّءٌ وإخْـوهْ

٨. وبــإدراكِ المُنَــى فــادعُوا لــه لعسَـى أن يستجيبَ اللَّـهُ دَعْـوَهْ

---

(١) في (ب): «عشقها» تحريف يختلّ معه الوزن. والعَشْقَةُ: المرَّة من العشق.

(٢) قيس أحد العُشَّاق الذين جُنُّوا حُبّاً، وعُروة هو عروة بن حزام هام بابنة عمّه عفراء، وجُنَّ أيضاً، وهما من عشَّاق وشعراء يُعرفون بالعُذريّين نسبةً إلى قبيلة بني عذرة التي عُرفت بالحُبّ العفيف.

(٣) في (ب): «العشاق» تحريف يختلُّ معه الوزن.

(١٤٥)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الخفيف]

١. يـا قضيبـاً يميـلُ تيهـاً وزهْـوا ... فيكَ ما تشتهي النُّفُوسُ وتهْوَى

٢. وهـلالاً لا يعتريـهِ مَحـاقٌ ... لكَ عيني في القلبِ والطَّرْفِ[1] مَثْوَى

٣. كم أُناديكَ: مسَّني منكَ ضُرٌّ ... كم أُناجيك شفَّني منكَ بلْوَى

٤. فأجِرْني مِنَ الجفونِ فإنِّي ... لستُ أقوى بضَعْفِها لستُ أقوَى

٥. لو قضَى اللَّهُ باللِّقاءِ لأوسَعْـ ... ـتُكَ بثّاً مِنَ العتابِ وشكوَى

٦. زَعَمُوا أنَّني سلوتُ وها أنْـ ... ـتَ عليمٌ منِّي بسرٍّ ونجْوَى

٧. بأبي قامةٌ ومُقلةُ عينٍ ... منكَ هذي سَكْرى وهاتيكَ نَشْوَى

٨. طالما عربدَتْ عليَّ وقالتْ: ... لا تَلُمْني مَجالسُ الشُّرْبِ تُطوَى

---

(١) لمّا قال: «يا هلالاً»، ويعني محبوبَه، قال لك منزلٌ في القلب والطرف أي في قلب الشاعر وعينه، ولكنَّ القلبَ والطَّرف منزلتان من منازل القمر، فيكون في البيت تورية.

(١٤٦)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الطويل]

١. قِفا ساعةً مِنْ دُونِ منعقِدِ الرَّملِ ... أُبدِّدُ دَمْعاً كانَ مُجتمِعَ الشَّمْلِ

٢. ولا تعذِلاني في البُكاءِ فإنَّني ... أزيدُ بُكاءً كُلَّما زِدْتُما عَذْلي

٣. خليليَّ لو أحببْتُما لعَلِمْتُما ... يَقيناً بأنَّ اللَّومَ يُغري ولا يُسْلي

٤. ولو ذُقتُما طعْمَ الهوى لوجدتُما ... حلاوتَه بينَ المواعيدِ والمَطْلِ

٥. رعَى اللَّهُ دهراً كنتُ في غَفَلاتِهِ ... أُجرِّرُ أذيالَ البَطالةِ والجَهْلِ

٦. أروحُ على سُكْرٍ وأغدو على هوىً ... وأُضحي على وعدٍ وأُمسي على وَصْلِ

(١٤٧)

وقال في غرضٍ له دُوبيتَ[١]:

١. لوْ أمكنَنـــي ســـطَّرْتُها بـــالدَّمع   يا خالصتي يا ناظري يا سمْعي[٢]

٢. يـا سُؤْلي مِـنْ دهـري هـل فُرقَتُنـا   تَلتـامُ؟ وهـلْ لشمْلِنا مِـنْ جَمْـعِ؟

---

(١) الكلمة من أصل المخطوط.

(٢) في (ب): «يا سمعِ».

(١٤٨)

وقال في غرض له أيضاً: [الدّوبيت]

١. الشَّمْلُ على رغمِ الحَسودِ اجتمَعا   والنَّازحُ عنْ أوطانهِ قدْ رجَعا

٢. إنْ قيلَ: فقدْ غابَ فقُلْ معتذراً:   أفدي قمراً ما غابَ حتَّى طلَعا

(١٤٩)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الطويل]

١. أشارتْ بأطرافِ البَنانِ المُخضَّبِ غداةَ التقينا «باللِّوى» و«المُحَصَّبِ»

٢. وما وقفتْ إلاَّ وُقوفَ مودِّعٍ ولا سلَّمتْ إلاَّ سلامَ مُجنِّبِ[١]

٣. وكنتُ أُمنِّي العينَ منها بنظرةٍ وأُطمِعُها في طيفِها المتأوِّبِ[٢]

٤. حمَى طرْفُها عنِّي لآلِيءَ ثَغْرِها وكم مَهْلَكٍ تلقاهُ مِنْ دونِ مطلَبِ

٥. فديتكُ قدْ جانبتَ غيرَ مجانبٍ وواخذْتَ في شرعِ الهوى غيرَ مُذْنبِ

٦. ولمَّا تمادى الهجرُ يا «أمَّ مالكٍ» عَتَبْتُ ومَنْ يُودِبه[٣] الهجرُ يَعْتُبِ

٧. إذا قيلَ: إنِّي فيكِ عانٍ[٤] فصدِّقي وإنْ قيلَ: إنِّي عنكِ سالٍ فكذِّبي

٨. ولا تَعجَبي إنْ متُّ مِنْ خيفةِ النَّوى ولكنْ إذا ما عِشتُ بعدَكِ فاعجَبي

* * *

---

(١) مُجنِّب: أي غريب، أي سلَّمت بتكلُّف، وكأنَّها لا تعرفه.

(٢) المتأوِّبُ: الذي يُعاودُ مرَّةً بعد مرَّة.

(٣) يودي به: يُضرُّه، ويهلكه.

(٤) العاني: الأسير.

(١٥٠)

وقال، أعزَّهُ اللَّهُ: [الطويل]

١. أيا ملعبَ «الجَرْعاءِ»[1] حُيِّيتَ مَلْعَبا ... فقدْ كنتَ للأقمارِ شرْقاً ومغربا

٢. فلا زالَ يغدو في مَحلَّتِكَ الحَيا ... مُلِثّاً وتَسري في مَيادينكَ الصَّبا

٣. ولا برِحَتْ منكَ النَّواحي رَحيبةً ... مُعَنْبَرَةَ[2] الأرجاءِ مِسكيَّةَ الرُّبى

٤. عَهِدْناكَ مأوىً للحسانِ ومرتَعاً ... تَهيجُ[3] لنا سِرْباً وتبعثُ رَبْرَبا

٥. ولمْ أَنْسَ لمَّا أنْ تلاقتْ «برامَةٍ» ... قُلوبٌ أبَتْ في الحبِّ أنْ تتقلَّبا

٦. ولمَّا تَفاوضْنا الأحاديثَ بيننا ... فلم يبقَ منَّا شيِّقٌ أو تعتَّبا

٧. عتاباً وجدْنا في القُلوبِ وقُوعَهُ ... ألذَّ منَ الماءِ القَراحِ وأعذَبا

---

(١) الجرعاء بالأصل: المكان الذي فيه سُهولة ورمل. وجرعاءُ مالك: بالدَّهناء قرب حُزوى. وقيل: جرعاء مالك: رملةٌ. وقد ورد ذكرها بقول ذي الرُّمَّة:

وما استجلبَ العينينِ إلاَّ منازلٌ ... بجُمهورِ حُزوى أو بجرعاءِ مالكِ

انظر معجم البلدان (جرعاء مالك).

(٢) في (ب): «بعنبرة».

(٣) في (ب): «تهجع» تحريف.

(١٥١)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الطويل]

١. لقدْ حاكَ صوبُ المُزْنِ ديباجةَ الرُّبى فأبدعَ فيما حاكَ منها وأَغْرَبا

٢. وقدْ لبِسَ النَّوَّارُ ثوباً مُشَهَّراً ومَدَّ إلى النَّدمانِ كفّاً مُخضَّبا

٣. وقدْ راقَنا ثَغْرُ الأقاحي مُفضَّضاً وقدْ شاقَنا خَدُّ الشَّقائقِ مُذْهَبا

٤. وفي وَجَناتِ الرَّوضِ مِنْ أدمعِ النَّدى بقايا رذاذٍ رقرقتْهُ يدُ الصَّبا

٥. إذا ركضتْ خيلُ القِطارِ تقطَّرتْ عليها وإنْ جالَ النَّسيمُ بها كَبا

٦. وذي خَفَرٍ ثوبُ الحياءِ لِباسُهُ يَزورُ النَّدامى خائفاً مُتَرَقِّبا

٧. إذا حدَّقتْ فيهِ العُيونُ تَخالُهُ حُساماً بِنَوْبِ العَسْجدِ المَحْضِ مُشْرَبا

٨. يَجودُ بهيْدابِ السَّحابِ وتارةً يجيءُ كما جاءتْ مواعيدُ «زينبا»

٩. ولِلَّهِ نَدمانٌ أجَبْتُ نِداءَهُ غداةَ دعاني للصَّبوحِ فثَوَّبا[1]

١٠. إلى مجلسٍ رقَّتْ نداماهُ فِطنةً وراقتْ ذَكاءً ثاقباً وتأدُّبا

١١. تَكادُ بهِ الكاساتُ لولا تَشُجُّها الـ سُقاةُ بِبَرْدِ الماءِ أنْ تتلهَّبا

---

(١) في (ب): «فشربا» تصحيف. والتَّثويب: التكرار.

(١٥٢)

وقال أيضاً: [البسيط]

١. إن لم أَمُتْ في هوى الأجفانِ والمُقَلِ ... فواحيائي مِنَ العُشَّاقِ.. واخجلي

٢. ما أطيبَ الموتَ في عِشْقِ المِلاحِ كذا ... لا سيَّما بُسيوفِ الأعيُنِ النُّجُلِ

٣. يا صاحبيَّ إذا ما مُتُّ بينَكما ... دُونَ الشَّهِيَّيْنِ: وَردِ الخَدِّ والقُبَلِ

٤. فاستغفِرا لي وقُولا: عاشقٌ غزِلٌ ... قضَى صريعَ القُدودِ الهِيْفِ والمُقَلِ

٥. راشَ الفُتورُ له سَهْماً فأخطأهُ ... حتَّى أُتيحَ لهُ سَهْماً مِنَ الكَحَلِ

٦. وللعيُونِ اللَّواتي هُنَّ مِنْ «أسَدٍ» ... إلى القلُوبِ سِهامٌ هُنَّ مِنْ «ثُعَلِ»[1]

---

(١) أسد وثُعَل: حيَّان من العرب.

(١٥٣)

وقال، عفا اللّهُ عنهُ[1]: [الخفيف]

١. ليتَ شِعري هل تسمحنَّ اللَّيالي | مِنْ «سُلَيْمَى» بِزَورةٍ أو بوصْلِ؟
٢. واقولنَّ بعدَ فُرقَةِ يأْسٍ: | جَمَعَ اللَّهُ بالمليحةِ شَمْلي
٣. فرعى اللَّهُ «بالغُوَيْرِ» زماناً | مَرَّ حلْواً بينَ «النَّقا» و«الأثْلِ»[2]
٤. زمَنٌ كمْ لبستُ في طرَفَيْهِ | ثَوبَ عِشقٍ مُطَرَّزٍ بالوصْلِ
٥. وليالٍ قطعتُهنَّ حميدا | تٍ بِعَلٍّ مِنَ الكُؤُوسِ ونَهْلِ
٦. بينَ عيشٍ مِنَ البطالةِ غَضٌّ | وطريقٍ إلى الأحبَّةِ سَهْلِ
٧. وحديثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ | ضِ سَقَتْها دُموعُ وَبْلٍ وطَلِّ[3]
٨. وعتابٍ أرقَّ مِنْ نسْمةِ الفجْـ | ـرِ تمشَّتْ ما بينَ ماءٍ وظِلِّ

---

(١) ورد منها البيتان (٧ و٨) في المقفَّى الكبير؛ ١/ ٥١٠.

(٢) الأثلُ: شجرٌ يُشبه الطَّرفاء، إلاَّ أنَّه أعظم منه وأكرم وأجودُ عوداً، تُسوَّى به الأقداح الصُّفر الجياد، ومنه اتَّخذ منبر النبي، صلَّى اللَّه عليه وسلَّم. انظر لسان العرب (أثل). والأثلُ والأثلات والأثلة أسماء مواضع. وذاتُ الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة. انظر معجم البلدان (الأثل). وذو الأثل: موضعٌ يردُ في شعر العشَّاق والمتصوِّفة، قال الشاعر:

فإنْ تُرجعِ الأيَّامُ بيني وبينكم | بذي الأثْلِ صيفاً مثلَ صيفي ومَرْبَعي
أشُدَّ بأعناقِ النَّوى بعدَ هذه | مرائرَ إنْ جاذبتُها لم تقطَّعِ

وقال الشاعر العرفاني منتجب الدين العاني:

ليلٌ بذي الأثلِ أعياني تَطَاولُه | أشهى إلى القلبِ مِن ليلِ بعُسفانِ
أكانَ بدعاً منَ الأيَّام لوَ رجَعتْ | عيشي كما كان لي يومٌ بنعمانِ؟
إذ عهدُ أيَّام ذاك الوصلِ مقتبلٌ | ومن نعاني هواهُ ودّهُ داني

(٣) الوبلُ: المطر، والطَّلُّ: الندى.

(١٥٤)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [المنسرح]

١. جـارتْ علـيَّ الجُفـونُ والمُقَـلُ ... فـالقلبُ فِي أسْـرهِنَّ مُعْتَقَـلُ

٢. كنتُ خليّـاً فَمُـذْ نظـرتُ إلـى ... مَحاجرِ العُـرْبِ صارَ لي شُغُلُ

٣. فلا يَغُرَّنَّـكَ الفُتـورُ ويُصْـ ... ـبيـكَ ولا يخْدعنَّـكَ الكَحَـلُ

٤. وانـجُ مِـنَ الحُـبِّ فهْـو مَصْيَـدَةٌ ... أشـراكُها البابليَّـةُ النُّجُـلُ

٥. يا قـومُ مـا لـي بـأعْيُنِ البَـدَوِ ... يَّـاتِ يـدٌ فِي الهَـوى ولا قِبَـلُ

٦. العـاقداتِ الشُّـعورِ واشـحة ... علـى قُـدودٍ يزينُهـا المَيَـلُ

٧. والشَّـاهراتِ السُّيوفِ مِـنْ حـدَقٍ ... كأنَّمـا هُـنَّ للقضـا رُسُـلُ

٨. يـا مـا تضـمُّ المَطـارفُ اليَمنيَّـ ... ـاتُ وتَحـوي السُّـتُورُ والكِلَـلُ

(١٥٥)

وقال أيضاً: [الرَّمل]

١. يا حُداةَ الظُّعْنِ رفقاً بالمطايا   فالسُّرَى لم يُبْقِ منهنَّ بقايا

٢. فارقتْ «نجداً» وكانتْ أسهُماً   وأتتْ «سَلْعاً»[1] وقدْ صارتْ حنايا

٣. كلَّما أقلقَها طُولُ السُّرى   ذكرتْ تلكَ الأضاحي والعَشايا

٤. خلِّها تتعبُ في راحتِها   فالمُنَى مِنْ دونها خوضُ المنايا

٥. يا بُروقَ السَّفْحِ مِنْ «كاظمةٍ»   خبِّريني كيف هاتيكَ الثَّنايا؟

٦. واشرحي لي يا نُسيماتِ الصَّبا   مِنْ حديثِ البانِ ما فيهِ خفايا

٧. أنا مفتونٌ بأعرابيَّةٍ   ارسلتْ أجفانَ عينيها سرايا

٨. كلَّما شنَّتْ علينا غارةً   فلَها الأنفُسُ نهْباً وسَبايا

---

(١) السُّلوع: شقوقٌ في الجبال، وسَلْعٌ وسِلْعٌ بفتح السِّين وكسرها وتسكين اللام، وسَلَعٌ بتحريك السِّين واللاَّم، كلُّها أسماء أمكنة. وسَلْعٌ جبلٌ بسوق المدينة، ويُحكى أنَّ حبَّابةَ جاريةَ يزيد بن عبد الملك، وكانت من أحسن الناس وجهاً ومسموعاً، وكان شديدَ الكلَف بها؛ وكان منشؤها المدينة، غنَّته يوماً بشعر قيس بن ذريح:

لعمْرُكَ إنَّني لأُحبُّ سَلْعاً   لرؤيته ومن أكناف سَلْعِ

تقَرُّ بقربه عيني وإنِّي   لأخشى أن يكون يريدُ فجْعي

حلفتُ بربِّ مكَّة والمصلَّى   وأيدي السَّابحات غداةَ جَمْعِ

لأنت على التَّنائي فاعلميه   أحبُّ إليَّ من بصَري وسمعي

ثمَّ تنفَّست الصُّعَداءَ، فقال لها: لم تَتنفَّسين؟ واللَّه لو أردته لقلعتُه إليك حجراً حجراً، فقالتْ: وما أصنعُ به؟ إنَّما أريدُ ساكنيه. انظر معجم البلدان (سلع).

(١٥٦)

وقال أيضاً: [الطويل]

١. أيا ربِّ هلْ مِنْ دعوةٍ مُسْتجابةٍ ... تُبلِّغُني ممَّنْ أُحبُّ الأمانيا؟

٢. أيا ربِّ لو أتممتَ ما قدْ وهبتَني ... لَعَطَّفْتَ غَضباناً وليَّنْتَ قاسيا

٣. تعشَّقْتُه للغدْرِ والهجْرِ ذاكراً ... وأحببْتُهُ للعهدِ والوصلِ ناسيا

٤. إذا شاءَ أنْ يُجري دموعاً مَصُونَةً ... ويُشعِلَ قلباً مِنْ جوَى الحُبِّ خاليا

٥. فيسكرَ طرْفاً فاتِنَ الجَفْنِ فاتراً ... ويَثْني قَواماً واهنَ الخصرِ واهيا

٦. أَجِدُّ له وجدي فيصدِفُ هازئاً ... وأشكو له بثِّي فيُعرِضُ لاهيا

٧. ومِنْ عجَبي أنّي أُنبِّيءُ في الهوى ... عَليماً بأمري أو حكيماً بحاليا

٨. فلو جاءَني منه بشيرٌ بِزَوْرَةٍ ... لجُدْتُ له عفواً بشَطْرِ حياتيا

٩. وما ذاكَ بُخْلٌ بالحياةِ جميعِها ... ولكنْ لأقضي قبلَ موتي مُراديا

(١٥٧)

وقال أيضاً: [الطَّويل]

١. تعلَّقْ بأذيالِ الخُضوعِ إذا اشتطُّوا وكُنْ مُستجيراً بالدُّموعِ إذا شَطُّوا

٢. وذُلَّ لمَنْ تهوى وإنْ زادَ سَطْوُهُ فما العِشْقُ إلاَّ أنْ تُذَلَّ لِمَنْ يَسْطُو

٣. جَلَوا بثَنيَّاتِ «العُذيبِ» مباسماً منظَّمةً فانحلَّ مِنْ أدمعي سِمْطُ

٤. وراشُوا سِهاماً مِنْ جُفونٍ فواترٍ أصابُوا بها منَّا القُلوبَ ولم يُخْطوا

٥. وفي ذلكَ الحيِّ الهِلالي[1] شادنٌ لهُ الشَّمسُ وجْهٌ والثُّريَّا لهُ قُرْطُ

٦. إذا لاحَ في أُفْقِ الغلائلِ وانثنى فقلْ: قمرٌ يبدو وقُلْ: غُصُنٌ يخطو

---

(١) في الكلمة تورية، فالهلاليُّ: نسبةٌ إلى قبيلة بني هلال، والهلاليُّ نسبةٌ إلى المحبوب الذي يُشبه الهلال، ويزيده وضوحاً عجز البيت.

(١٥٨)

وقال، عفا اللَّهُ عنهُ: [الرّمل]

١. كتمَ الحُبَّ زماناً ثُمَّ باحا ... وغدا في طاعةِ الشَّوقِ وراحا

٢. عاشقٌ إنْ ضَحِكَ الواشي بكَى ... وإذا ما غَنَّتِ الورقاءُ ناحا

٣. كُلَّما لاقَى تباريحَ الهَوَى ... ثبَّتَ القلبَ ونادى: لا بَراحا[1]

٤. في سبيلِ الحُبِّ منهُ كَبِدٌ ... أوثقتْها الحَدَقُ النُّجْلُ جِراحا

٥. أكثرتْ[2] عُذَّالُهُ اللَّومَ ولو ... أَنْصَفُوا أو عرَفوا لاموا المِلاحا

٦. ويكاهُ[3] حاسِدُوهُ رحمةً ... خَشْيةَ الموتِ ولو ماتَ اسْتَراحا

٧. يا جُفوني بالبُكا كوني كِراماً ... أنا لا أصحبُ أجفاناً شِحاحا

٨. لو تكلَّفتُ سُلُوّاً لم أُطِقْ ... أوَ يخفَى قَطُّ سَكرانُ تَصاحَى؟

---

(١) البراحُ: الظُّهورُ والبيان، ولا براح: لا ريب، وربَّما أراد: لا براحَ: لا مغادرة أو تبدُّل، يؤكّدها قوله: ثبَّت.

(٢) في الأصل و(ب): «أكثروا».

(٣) في الأصل و(ب): «وبكتْه».

(١٥٩)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. فَضَحُوا بالمعـاطِفِ الأغصانـا وحَكَـوا بالسَّـوالفِ الغِزلانـا

٢. ثُـمَّ هَـزُّوا مِـنْ كُـلِّ قَـدٍّ قَنـاةً واستمدُّوا مِنْ كلِّ لحظٍ سِنانا

٣. خُذْ لقلبـي مِـنْ أعْـيُنِ البَدويِّـا تِ ذِمامـاً في حُبِّهِـمْ وأَمانـا

٤. عَـرَبٌ يَـبرُزُ الجمـالَ سُـفُوراً كُلَّمـا أَبـرزوا الوجـوهَ الحِسـانا

(١٦٠)

وقال أيضاً: [الخفيف]

١. صـاحَ في العاشـقين: يـا لَكِنانَـهْ رَشَـأٌ في الجُفـونِ منـهُ كِنانَـهْ

٢. بَـدَوِيٌّ بـدتْ طلائِـعُ صِدغَيْـ ـهِ فكـانتْ فتَّاكـةً فتَّانَـهْ

٣. ردَّ منَّـا القُلـوبَ مُنكسِـراتٍ عندمـا راحَ كاسِـراً أجفانَـهْ

٤. وغَزانـا بقامـةٍ وبِعَيْـنٍ تلـكَ سـيَّافةٌ وذي طَعَّانَـهْ

٥. وأرانـا وقـدْ تبسَّـمَ بَرْقـاً فأرينـاهُ دَيمـةً هتَّانَـهْ

٦. فهْوَ يقضي على النُّفوسِ ولمْ تَقْـ ـضِ مِنَ الوصلِ في هـواهُ لُبانَـهْ

٧. سافِرُ الوجـهِ عـنْ محاسِـنِ بَـدْرٍ مـائِسُ القَـدِّ عـنْ معـاطِفِ بانَـهْ

٨. لسـتُ أدري أراكـةٌ[1] هَـزَّ مِـنْ أعـ ـطافِـهِ الهيفِ أمْ لـوَى خَيزُرانَـهْ؟

٩. خَطَراتُ النَّسـيمِ تجـرَحُ خدَّيْـ ـهِ ولَمْسُ الحريرِ يُدمـي بَنانَـهْ

١٠. قـالَ لـي والـدَّلالُ يعطِـفُ منـهُ قامـةً كـالقضيبِ ذاتَ لِيانَـهْ:

١١. هلْ عرفتَ الهوى؟ فقلتَ وهـل أُنْـ ـكِـرُ دعـواهُ؟ قـالَ: فـاحمِلْ هوانَـهْ.

١٢. فـأجَلُّ العُشَّـاقِ مَـنْ لَـزِمَ الصَّبْـ ـرَ وأضحـى مُكـابِداً أشـجانَهْ

---

(١) الأراكة واحدة شجر الأراك، تُشبَّه بها قدود الحسان للينها ونضارتها، ووادي الأراك: موضع قرب مكَّة سُمِّي بذلك لكثرة هذا النوع من الشجر فيه، وأراكة: موضع من اليمامة. انظر معجم البلدان (أراك) و(أراكة). يقولُ الشّاعر العرفانيُّ المنتجب العاني:

بُرَيْـقٌ أضـا بالغضـا مَوْهِنـا فذكَّرنـي زمـنَ المُنْحَنـى
ووادي الأراكِ وكثبانَـه وغـزلانَ نجـدٍ يُغازِلْنَنـا

١٣ .زارنـي والصبَّـاحُ قـدْ هـمَّ أن يُـوْ | لِـجَ في مَقْتَـلِ الظَّـلامِ سِـنانَهْ
١٤ .في قميـصٍ يَجـرُّ أذيالَـه عُجْـ | ـبـاً ويَثنـي في مَشْـيِهِ أردانَـهْ
١٥ .ووِشَـاحاهُ جـائلانِ علـى خصْـ | ـرٍ تشـكَّى أردافَـهُ المَلآنَـهْ
١٦ .فتلقَّيتُـهُ بضَـمٍّ ولَثْـم | سَـكَنا مِـنْ تَشـوُّقي خَفَقانَـهْ
١٧ .ودَعـوتُ المُدامَ في الكـأسِ والجـا | مِ فنـادى: دعِ المُـدامَ وشـانَهْ
١٨ .وارتشِفْ مِنْ فمـي ومِنْ رشَـفاتي | قهَوات[٢] تُغنيْكَ عنْ كُلِّ حانَهْ
١٩ .واقتطِـفْ وردَ وَجنتـيَّ جنيَّـاً | واجْنِ مِنْ زَهْرِ مَبْسِمي أُقحوانَهْ
٢٠ .واحتكِمْ غيرَ خَصلَةٍ تُسْخِطُ اللّـ | ـهَ فإيَّـاكَ ترتضـي عِصْيانَـهْ
٢١ .ثُمَّ إنَّا بِتْنا ضجيعينِ مِنْ غيْـ | ـرِ قبيحٍ مـا بينَنـا أو خيانَـهْ
٢٢ .فوحَـقِّ الهـوى وحُبِّيـهِ مـا حلَّـ | ـتْ يـدي بَنْـدَهُ[٣] ولا هِمْيانَـهُ[٤]
٢٣ .وعجيبٌ مِنْ عاشقٍ غلبَ الحُـ | ـبُّ عليـهِ فغالبتْـهُ الأمانَـهْ
٢٤ .فسَـأُثني علـى محاسِـنِهِ الـلا | ئـي أرانـي في ضِمْنِها إحسـانَهْ
٢٥ .بقَـوافٍ سـيَّارةٍ حدَّثَـتْ عنـ | ـهـا القـوافي سلاسـةً ومتانَـهْ
٢٦ .يَنْثنـي الضِّدُّ مُفْحَماً مِنْ معانيـ | ـهـا كـأنِّي بهـا عَقَـدْتُ لِسـانَهْ

* * *

(٢) في (ب): «قهوةً» تحريف يختلُّ معه الوزن.

(٣) كذا في الأصل و(ب)، والبند: العلم، ولم أفهم لها موضعاً هنا، ولعلَّها: بَنْقَه، أي عرى الأزرار من قميصه.

(٤) الهمْيان: شدادُ السَّراويل، قال صاحب اللسان: قال ابن دريد: أحسَبُه فارسياً مُعرَّباً. وقال: الهمْيان: المِنْطقةُ كُنَّ يَشْدُدنَ به أحقيَهنَّ، إمَّا تكَّة وإمَّا خيط. انظر اللسان (بند) و(همى). والبيت كناية عن تعفف الشَّاعر.

نجز ديوان شعر المولى الأجلّ الإمام العالم الفاضل الأديب شهاب الدّين أحمد بن الخطيب عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز العزازي، أطال[1] اللّه تعالى بَقاءَهُ. ومولدُهُ في أواخرِ سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بقلعة عزاز. غفر اللّه لمن نظرَ فيه واستغفرَ لكاتبه، أفقرِ عبادِ اللّه إلى رحمتهِ الفقير علي بن سليمان المغربي رحمه اللّه.

برسمِ سيّدي صلاح الدين بن القاضي محمد بن محمد بن محمد الشّهير نسبه الكريم بالكورانيّ الشّافعي مذهباً. رضوان اللّه عليهم أجمعينَ[2].

---

(١) هذه العبارة تدلُّ على أنَّ الدّيوان جمع في حياة الشّاعر.

(٢) على هامش الأصل بخطٍّ كبير: «ديوان الأعزازي»، ولم يرد من هذه الخاتمة في (ب) سوى قوله: «تمَّ الديوان بحمد اللّه وعونه والحمدُ للّه وحدَه».

(١٦١)

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم:

وما توفيقي إلاَّ باللَّه، عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب. ربِّ يَسِّرْ يا كريمُ. هذا الذي [قَدْ][١] تَجَدَّدَ نظمُه ووُجِدَ بعدَ كتابةِ الدِّيوانِ، فأُلحِقَ به[٢].

وقالَ، يمدحُ السُّلطانَ الملكَ المظفَّر تقيَّ[٣] الدِّينِ أبا الفتح محمودَ بنَ شاهنشاهَ: [الوافر]

١. أنابَ عنِ الغوايةِ والغَواني	وأقلعَ عنْ مُعاقَرةِ الدِّنانِ
٢. وكانَ يُجيبُ داعيةَ النَّدامَى	ويَصْبو للمَثالثِ والمثاني
٣. ولكنَّ الشَّبيبةَ مُذْ تولَّتْ	تولَّى اللَّهْوُ مصروفَ العِنانِ
٤. أَلَهْواً بعدَما خمسينَ عاماً	وقدْ أشفتْ على حِججٍ[٤] ثمانِ؟
٥. وفي النَّفسِ التفاتٌ للتَّصابي	ولكنَّ النُّهَى عنهُ نَهاني
٦. وقدْ كنتُ المُجيبُ إلى اصطباحٍ	وراحٍ للنَّديمِ متَى دعاني
٧. أُجرِّرُ في المُجونِ ذُيولَ لَهْوي	وأعصي في البَطالةِ مَنْ لَحاني
٨. بوصْلِ خفيفةِ الحركاتِ رُودٍ[٥]	تَثنَّى كانثناءِ الخَيزُرانِ

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) لم يرد من هذه المقدِّمة في (ب) سوى قوله: «هذا الذي قد تجدَّد نظمه ووجد بعد كتابة الدِّيوان، فألحق بالجزء».

(٣) هو المظفر (الثالث) تقي الدين محمود [٦٨٣-٦٩٨] بن السلطان الملك المنصور (الثاني) ناصر الدين محمد بن الملك المظفر (الثاني) تقي الدين محمود بن المنصور (الأول) محمد بن المظفر (الأول) تقي الدين عمر. وترجمنا له في حاشية القصيدة (١٨).

(٤) الحجج: السَّنوات، ومفردها: حِجَّةٌ.

(٥) الرُّودُ: النَّاعمة.

٩. إذا ما أدبَرتْ فكثيبُ رمْلٍ وإمَّا أقبلتْ فقضيبُ بانِ

١٠. وإنْ سَفَرتْ فيانعُ جُلَّنارٍ أوِ ابتسمتْ فناصعُ أُقْحوانِ

١١. وصافيةٍ إذا السَّاقي جَلاها كَسَتْهُ حُلَّةً مِنْ أُرْجُوانِ

١٢. مُشَعْشَعةٌ يَطوفُ بها غُلامٌ لهُ سبعٌ وخمسٌ واثنتانِ

١٣. زماناً كانَ فيهِ العيشُ غضّاً وكانَ الشَّمْلُ مِنْ «لمياءَ» داني

١٤. وأيَّاماً حِساناً كانَ فيها شَبابي شافعي عندَ الحِسانِ

١٥. سَأبكي صَبْوةً كنتُ المُجلِّي لغايتِها البعيدةِ غيرَ واني

١٦. وأذكرُ بالعواصمِ طِيْبَ عيشٍ تولَّى والصِّبا في العُنْفُوانِ

١٧. وإلهامي بإحضارِ النَّدامى وإنصاتي لألحانِ القِيانِ

* * *

١٨. وتغليسي[٦] على «عاصي حماةٍ» وتَبكيري «لمَرجِ الدَّيدبانِ»[٧]

١٩. ومُنْقَطَعي إلى مَلِكٍ كريمٍ سَخيِّ النَّفسِ وكَّافِ[٨] البنانِ

٢٠. «تَقيِّ الدِّينِ» والدُّنيا وأندَى «بني أيُّوبَ» ساداتِ الزَّمانِ

٢١. «لمحمودِ بنِ شاهنْشاهَ» مَجْدٌ يُقصِّرُ عنْ مداهُ الفَرقدانِ

٢٢. وأخلاقٌ رقيقاتُ الحواشي وألفاظٌ دقيقاتُ المعاني

٢٣. وجُودٌ إنْ جرى والبَحرَ يوماً فقلْ ما شِئْتَ في فَرَسَيْ رِهانِ

٢٤. أشدُّ الدَّارعينَ ثَباتَ جأشٍ وأقدَمُها على الحربِ العَوانِ

---

(٦) التَّغليسُ: السَّير في اللَّيل، والتبكير: السَّير في الصباح.

(٧) مرج الدّيدبان: من متنزّهات حماة، وذكرناه سابقاً.

(٨) في الأصل: «أو كاف»، وأثبتنا ما في (ب). والوكَّاف البنان: الغزير العطاء. والوكَفُ: السَّحاب.

٢٥.واضربُ بالمهنَّدةِ المواضي | وأطعنُ بالمثقَّفةِ اللِّدانِ
٢٦.فتًى يغشَى الوغى طَلْقَ المُحيَّا | ويَقتحمُ الرَّدى ثبْتَ الجَنانِ
٢٧.إذا امتلأ الشُّجاعُ القلبِ رُعْباً | بهيبتِهِ فما حالُ الجَبانِ؟
٢٨.مواهبُهُ تُقلقِلُ في ركابي | وأنعُمُهُ تُجاذبُ مِنْ عِناني
٢٩.وما عاودتُهُ أبغي نَداهُ | وأسألُ رِفْدَهُ إلاَّ بَداني[٩]
٣٠.فكمْ أغلى مُهورَ بناتِ فِكري | وأعلى في الكرامةِ مِنْ مكاني
٣١.وكمْ أسدَى إليَّ يدَ اصطناعٍ | وطوَّقَني بأطواقِ امتنانِ
٣٢.أحِنُّ إلى «حماةَ» وساكنيها | كما حنَّتْ بها «النَّاعورتانِ»
٣٣.وأسألُ عنْ معالِمها اللَّواتي | كأنَّ قُصورَها غُرَفُ الجِنانِ
٣٤.بِلادٌ بتُّ مِنْ شوقي إليها | أُعاني للصَّبابةِ ما أُعاني
٣٥.و«بالفُسْطاطِ» لي جسَدٌ مُقيمٌ | وقلبٌ في «حماةِ الشَّامِ» عانِ
٣٦.ومَنْ لي أنْ تُبلِّغَني المطايا | إلى «ابنِ محمَّدٍ» الملكِ الهِجانِ
٣٧.إلى مَلِكٍ بنَى شَرَفاً رفيعاً | على الجَوزاءِ يُعجِزُ كُلَّ بانِ
٣٨.إذا جادَ «المُظَفَّرُ» بالعطايا | فقدْ أغنى عنِ الدِّيَمِ الدَّوانِ
٣٩.أنارَ[١٠] المُلْكُ منهُ «بِشاذَويٍّ» | تبلَّجَ كالحُسامِ الهُندُواني
٤٠.«أبا الفتحِ» استمِعْها مِنْ وليٍّ | بذكرِكَ لمْ يزلْ رَطْبَ اللِّسانِ
٤١.مُنقَّحةٍ تُميلُ بكُلِّ عِطْفٍ | كما مالتْ بهِ بِنتُ الدِّنانِ
٤٢.كأنَّ بلفظِها سِحْراً مُبيناً | وبينَ سُطورِها سِحرَ البَنانِ
٤٣.إذا وشَّى المدائحَ فيكَ فِكْري | فلا تَستطرفِ الوَشْيَ اليَماني

---

(٩) بداني، بدأني، أي أعطاني قبل السُّؤال، وخفف الهمزة للضرورة.
(١٠) أنارَ الشَّيءُ: أضاءَ وحَسُنَ، وهو لازمٌ هنا.

٤٤. ففكْري في مديحِكَ جوهريٌّ يُفصِّلُهُ كتفصيلِ الجُمانِ

٤٥. وقدْ علِمتْ رُواةُ الشِّعرِ طُرّاً طريقي في القوافي وافتنَاني

٤٦. وأنتَ فَدوحةٌ طابتْ ثِماراً فمالَ إلى جَناها كُلُّ جانِ

٤٧. نَوالُكَ للحواضرِ والبوادي وسَيْبُكَ للأقاصي والأداني

٤٨. «بني أيُّوبَ» دُوموا في نعيمٍ وفي خفْضٍ وعِيْشُوا في أمانِ

٤٩. فلا جَهِلَتْكُمُ سُبُلُ المعالي ولا عرَفَتْكُمُ نُوَبُ الزَّمانِ[11]

★ ★ ★

(١١) هذا البيت غايةٌ في الدُّعاء العامر بالحب، وطابق بين هاتين الكلمتين «جهلت» و«عرفت»، أي يدعو لهم في صدر البيت أن يبقوا عنوان المعالي ورمزها، ويدعو لهم في عجز البيت ألاَّ يردَ لهم ذكرٌ في مصائب الدَّهر.

(١٦٢)

وقال أيضاً يمدحُه، وقد قدمَ على جبلِ البريدِ في ديارِ مصرَ المحروسة[1]: [الطويل]

١. قَدِمْتَ فقالَ النَّاسُ: أهلاً ومرْحبا — وحلَّتْ مُلوكُ الخافقينِ لكَ الحبُا

٢. وأقبلتَ تَطوي الأرضَ شوقاً وطاعةً — فكدتَ تفوتُ البَرقَ أو تسبِقُ الصبَّا

٣. فأشرقَ عنْ مرآكَ ما كانَ مُظلِماً — وأخصبَ مِنْ نُعماكَ ما كانَ مُجْدِبا

٤. وأمسَى مَقالُ الأولياءِ مُحقَّقاً — وأصبحَ ظَنُّ الحاسدينَ مُخَيَّبا

٥. وأدناكَ سُلطانُ الزَّمانِ مَحبَّةً — إليهِ وما زلتَ العزيزَ المُحَبَّبا

٦. وألبسَكَ النُّعْمَى التي أنتَ أهلُها — وأوردَكَ الوِرْدَ الذي طابَ مَشْرَبا

٧. «أبا الفتحِ» يا أسنَى المُلوكِ مواهباً — وأفضلَهُمْ جَدّاً وأشرفَهمْ أبا

٨. تَهَنَّ ازْدياراً كانَ للشَّمسِ جامعاً — وللهَمِّ كشَّافاً ولليأسِ مُذْهِبا

٩. ودُم «لصَلاحِ الدِّينِ» سَيْفاً وجُنَّةً — وباعاً إذا اشتدَّ الزَّمانُ ومَنْكِبا

---

(١) كان ذلك في جُمادى الأولى، سنة ٦٩٢هـ. قال أبو الفداء في المختصر: «وفي هذه السنة [أي ٦٩٢هـ] في جمادى الأولى أرسل السلطان الملك الأشرف أحضر الملك المظفر [الثالث] محمود صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي على البريد إلى الدِّيار المصرية، فتوجها من حماة، وعندهما من الخوف بسبب طلبهما على البريد، ووصلا إلى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما من حماة»، ويبدو أنَّ السلطان أعدَّ لهما استقبالاً وقرَّبهما، وقد رجعا من مصرَ إلى الكرك بصحبة السلطان. انظر المختصر؛ ٤/ ٢٨. وإذا كانت هذه هي الزيارة الوحيدة للمظفر الثالث لمصر، فيكون العزازي قد مدحه بثلاث قصائد في هذه الزيارة، انظر القصيدة رقم ٢٦ و٢٧، وتعليقنا هناك.

١٠ .بلغتُمْ «بني أيُّوبَ» قاصيةَ العُلَى ... وذلَّلتُمُ الدَّهرَ الحَرونَ فأصْحَبا[٢]

١١ .وأُوتِيتمُ الصَّبرَ الذي أعجزَ العِدى ... إذا اسودَّتِ الهيجاءُ واحمرَّتِ الظُّبا

١٢ .وأنتُمْ سُيوفُ اللّهِ في كُلِّ مارقٍ[٣] ... كريهِ فلا فَلَّ الزَّمانُ لكمْ شَبا

---

(٢) أصحبَ: لانَ.

(٣) كذا في الأصل و(ب)، ولعلّها: «مأزق».

(١٦٣)

وقالَ يمدحُ الصَّاحبَ تاجَ الدِّين[1] محمد بنَ الصَّاحب فخر الدِّين:

[الكامل]

١. أبكاهُ تفويضُ الشَّبابِ الذَّاهبِ ... وشجاهُ إعراضُ الفتاةِ الكاعبِ

٢. وثَناهُ عَنْ صَبَواتِهِ فَقْدُ الصِّبا ... وعَنِ المُجونِ بياضُ رأسٍ شائبِ

٣. ومُناهِزُ السِّتينَ إنْ سمحتْ لَهُ ... بِيضُ الدُّمى سَمَحتْ بوعدٍ كاذبِ

٤. هيهاتَ تصفُو أو تصِحُّ مَودَّةٌ ... ما بينَ مَخضوبِ البنانِ وخاضِبِ

٥. وإذا تَصابَى المرءُ بعدَ شبابِهِ ... لم يخلُ مِنْ مُتَهكِّمٍ أو عائبِ

٦. ومِنَ البليَّةِ راغبٌ في زاهدٍ ... مُتَبَرِّمٍ أو زاهدٌ في راغبِ

٧. سأرُوضُ قلبي عنْ متابعةِ الهوى ... وعنِ الوقوفِ بأربُعٍ ومَلاعبِ

٨. وعنِ الوُلوعِ بقامةٍ وذُؤابةٍ ... وعنِ الخُضوعِ لغادةٍ ولكاعبِ

٩. ولرُبَّ أيَّامٍ بواسطةِ الصِّبا ... قُضِيَتْ لُباناتي[2] بها ومآربي

---

(١) هو الصَّاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصَّاحب الكبير الوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المصري المعروف بابن حنَّا. ولي الوزارة بالديار المصرية غير مرَّة. وكان صدراً كبيراً وعالماً خيِّراً ووزيراً أديباً، حسن الخلق محبّاً لأهل الديانة، محسناً لأهل العلم مكرماً لهم، له فضل وأدب. بنى رباطاً بالقدس الشريف. وسمع الحديث، ولهُ نظمٌ ونثرٌ. ولد بمصر سنة ٦٤٠هـ، وتوفي فيها سنة ٧٠٧هـ. انظر في ترجمته: تذكرة النبيه؛ ١/ ٢٨٤، عقد الجمان؛ ٤/ ٤٧٥، فوات الوفيات؛ ٢/ ٣١٥، الوافي بالوفيات؛ ١/ ٢١٧، كنز الدرر؛ ٩/ ١٥٢، شذرات الذهب؛ ٦/ ١٥٣.

(٢) اللُّباناتُ: الحاجات والرَّغائب.

١٠. أيَّامُ لهوٍ كانَ فيها شافعي عندَ الحِسانِ البِيْضِ سُودُ ذَوائبي

١١. وعليَّ مِنْ شَرْخِ الشَّبابِ نَضارةٌ بيني مُؤَلِّفةٌ وبينَ حبائبي

١٢. وإذا هصرتُ هصرتُ قُضْبَ معاطِفٍ وإذا قنصتُ قنصْتُ سِرْبَ كواعبِ

١٣. والغانياتُ فلا الوصالُ مُقاطعي منها ولا طيفُ الخيالِ مُجانبي

١٤. وحديثُنا وَحْيٌ بكَسرةِ ناظرٍ مِنْ خَوفِ واشِيْنا وغَمزَةِ حاجبِ

١٥. واليومَ ألقى الغانياتِ بِلِمَّةٍ عَبِثَ المشيبُ بها ولونٍ شاحبِ

١٦. ولقدْ بُليتُ بعاذلٍ لمْ يَلْقَني إلاَّ بوجهِ مُؤَنِّبٍ أو عاتبِ

١٧. فيرى عليهِ اللَّومَ ضربةَ لازمٍ وأرى عليَّ المنْعَ ضربةَ لازبِ[٣]

١٨. إنْ كان حُبِّي للمَعاطفِ والطُّلى ذنبي إليهِ فلستُ منه بتائبِ

* * *

١٩. لا والذي جعلَ المروءَةَ كلَّها في الصَّاحبِ بنِ الصاحبِ بنِ الصَّاحبِ

٢٠. اللَّهُ أوضحَ بالوزيرِ «مُحمَّدٍ» لصَلاحنا سُنَنَ الطَّريقِ اللاَّحبِ[٤]

٢١. راضَ الأمورَ الجامحاتِ فأصْحَبَتْ[٥] بسياسةٍ مقرونةٍ بتجاربِ

٢٢. وكفايةٍ تُرضي الملوكَ فإنْ دجا خطبٌ فرأيٌ كالشِّهابِ الثَّاقبِ

٢٣. راعَ العُداةَ يراعةٌ بيمينِهِ كالسَّيفِ يُرهبُ في يمينِ الضَّاربِ

٢٤. واستمطرَ العافونَ خمسَ أناملٍ منه فقُمْنَ مقامَ خمسِ سحائبِ

٢٥. لا ينثني عنه بسَعْيٍ مُخفِقٍ راجي نَداهُ ولا بظَنٍّ خائبِ

---

(٣) اللاَّزب واللاَّزم بمعنى: الثابت.

(٤) اللاَّحب: المستقيم والواضح.

(٥) في الأصل و(ب): «فأصبحتْ»، والصَّواب ما أثبتنا.

٢٦. خُلُقٌ أرقُّ مِنَ النَّسيمِ إذا سرَى ... وأرقُّ مِنْ زهرِ الرِّياضِ العازبِ[٦]

٢٧. ورسائلُ أربتْ على وشْيِ الرُّبا ... وحكتْ عُقودَ الجوهرِ المُتناسِبِ

٢٨. يُغضي لها «عبدُ الرَّحيمِ» مهابةً ... وتَغُضُّ مِنْ «عبدِ الحميدِ الكاتبِ»[٧]

٢٩. فَرِحتْ بعودتِهِ البريَّةُ كلُّها ... فرَحَ المُفارِقِ بالحبيبِ الآيبِ

٣٠. قرَّتْ بهِ عينُ الوزارةِ بعدما ... سَخِنتْ وسُرَّتْ بعدَ وجهٍ قاطِبِ

٣١. وأبتْ بأنْ تُعطي القِيادَ لطالبٍ ... وثنتْ مقادتَها لغيرِ الطَّالبِ

٣٢. جاءتْهُ خاطبةً فنكَّبَ مُعْرِضاً ... عنها وكمْ قدْ جاءَها مِنْ خاطبِ

٣٣. ما نالَها مُتَوثِّباً كلاَّ ولا امْـ ... ـتَدَّتْ إليها منهُ راحةُ غاصبِ

٣٤. ولقدْ تولاَّها سواهُ وإنَّما ... لا يلحقُ المسنونُ شَأْوَ الواجبِ[٨]

٣٥. والآنَ قامَ بأمرِها مُتيقِّظٌ ... ماضي العزيمةِ كالحُسامِ القاضِبِ

٣٦. جَذلانُ ينبجسُ النَّدى مِنْ جانبٍ ... منه ويلتهبُ الذكا[٩] مِنْ جانبِ

٣٧. قد حدَّثتْنا بالمُنى آمالُنا ... عنهُ وما آمالُنا بِكَواذبِ

---

(٦) العازبُ: البعيد عن متناول أيدي النَّاس، فيكون أزكى له.

(٧) عبد الرحيم هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن السعيد [٥٢٩-٥٩٦]، وزير من أئمة الكُتَّاب، كان من وزراء صلاح الدين ومن مُقرَّبيه، كان السلطان صلاح الدين يقول: «لا تظنُّوا أني ملكتُ البلادَ بسُيوفكم بل بقلم الفاضل». له رسائل كثيرة وديوان شعر مطبوع. انظر الأعلام؛ ٣/ ٣٤٦.
وعبد الحميد الكاتب هو عبد الحميد بن يحي بن سعد العامري، من أئمة الكُتَّاب، يُضرب به المثل في البلاغة، واختصَّ بمروان بن محمد آخر ملوك بني أميَّة، قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد. بقي مع مروان إلى أن قتلا معاً في بوصير بمصر سنة ١٣٢هـ. انظر الأعلام؛ ٣/ ٢٩٠.

(٨) المسنون: السُّنة، والواجب: الغرض.

(٩) الذَّكا: أصلُها الذَّكاءُ، وقصر الهمزة ضرورةً.

٣٨.وهبَ الزَّمانُ عِصابةً هُوَ تاجُها | شرَفاً فلا شُلَّتْ يمينُ الواهبِ
٣٩.مِنْ أُسرَةٍ رفعُوا الفَخارَ وأسَّسُوا | أركانَهُ بمآثرٍ ومناقبِ
٤٠.كَرُموا فبرْهنَ آخِرٌ عنْ أوَّلٍ | وزَكَوا فحدَّث شاهدٌ عنْ غائبِ
٤١.وتوقَّلُوا[10] درَجَ المفاخِرِ والعُلَى | بكريمِ أحسابٍ وطيْبِ ضرائبِ[11]
٤٢.فُرسانُ أقلامٍ وأُسْدُ وَقائعٍ | وجِبالُ أحلامٍ وسُحبُ مواهِبِ
٤٣.فهَمُ إذا جَلسُوا صُدورُ أسِرَّةٍ | وهُمُ إذا رَكِبُوا وُجوهُ مواكبِ
٤٤.فكأنَّهُ وكأنَّهمْ مِنْ حولِهِ | قمَرٌ تبدَّى بينَ زُهْرِ كواكبِ
٤٥.زُرْهُمْ ورِدْ منهمْ بُدورَ سَماحةٍ | وارجِعْ وحدِّث عنهمُ بعجائبِ
٤٦.«أبني عليٍّ» إنَّ طِيبَ ثَنائِكُمْ | قدْ سارَ بينَ مشارقٍ ومغاربِ
٤٧.فإذا أنا حدَّثتُ عنْ إحسانِكُمْ | حدَّثتُ عنْ صَوْبِ الغمامِ الصَّائِبِ[12]
٤٨.فابْقَوا على مَرِّ اللَّيالي مُنْيَةً | لِمُسالمٍ ومَنِيَّةً لِمُحاربِ
٤٩.لا زالَ بابُكمُ محطَّ رواحلٍ | لبني الحَوائجِ أو مُناخَ ركائِبِ

---

(١٠) التوقُّلُ: نوع من السَّير، أي صعدوا في المعالي.

(١١) الضَّرائب: الصِّفات والطِّباع.

(١٢) الصَّائب: المنهلُّ، وتصوُّب الغمام: تحدُّر مطرِه.

(١٦٤)

وقال يتغزَّلُ: [البسيط]

١. دمعٌ يَفيضُ وقلبٌ نارُهُ تَقِدُ ... ومُهجةٌ نالَ منها الشَّوقُ والكَمَدُ

٢. ومُقلَةٌ قدْ تحاماها خيالُكُمُ ... بعدَ المزارِ وقدْ أودَى بها السَّهَدُ

٣. يا راحلينَ وقلبي في ركائبِهِمْ ... لمْ يبقَ لي بعدَكُمْ صبرٌ ولا جَلَدُ

٤. غِبْتُمْ فلا والهوَى العُذْريِّ ما غَمَضَتْ ... عينُ المُحبِّ ولا قرَّتْ لهُ كَبِدُ

٥. تُرى تَعودُ اللَّيالي السَّالفاتُ بكُمْ ... إلى الدِّيارِ أوِ الدُّنيا بكُمْ تَعِدُ؟

٦. أشتاقُكمْ ما هفتْ بالبانِ خافقةٌ ... مِنَ النَّسيمِ وغنَّى الطَّائرُ الغَرِدُ

(١٦٥)

وقال في واقعة جرتْ: [السَّريع]

١. أفدي الــذي نــامَ إلــى جــانبي ... ونــاظري في أسْــرِ أحلامــهِ

٢. والخَمْرُ قــدْ مــالتْ بأعطافــهِ ... والسُّــكْرُ قــدْ مَــنَّ بإلمامــهِ

٣. لمَّــا رأى صِدْقــيَ في حُبِّــهِ ... رقَّ لجســـمي ولأسْــقامهِ

٤. وزارَنــي في مضجَعــي مُنْعِمــاً ... فــالحمدُ والشُّــكرُ لإنعامــهِ

٥. وحقِّ إخلاصــيَ في حُبِّــهِ ... ومُلْبِســي حُلَّــةَ إكرامــهِ

٦. لــو كنــتُ لمَّــا زارَ مُسْــتَيقظاً ... فرشْــتُ خَــدِّي تحــتَ أَقدامــهِ

(١٦٦)

وقالَ يستدعي الأديبَ أبا الحسينِ الجَزَّارَ[1]، رحمهُ اللَّهُ: [الخفيف]

١. يـا أديبـاً لـهُ مِـنَ الأدبِ المَحْـ ـضِ وإنْ عَـزَّ صَفْـوُهُ ولُبابُـهْ

٢. وكريمـاً[2] كـأنَّ كَفَّيـهِ بَحْـرٌ فـاضَ تيَّـارُهُ وزادَ عُبابُـهْ

٣. نحنُ في مجلسٍ يطولُ على هـا مِ الثُّريَّـا أركانُـه وقِبابُـهْ

٤. وهْـوَ مُشْـفٍ علـى بُلـوغِ مَشيبٍ ومتَـى مـا حضـرتَ عـادَ شبابُهْ

* * *

(١) هو الشيخ جمال الدين يحي بن عبد العظيم بن يحي بن محمد بن علي أبو الحسين الجزَّار المصري، كان جزَّاراً بالفُسطاط، ولد سنة ٦٠٣هـ، وتوفي في شوال سنة ٦٧٩ بالفالج. شاعر بديع المعاني جيد التورية عذب التركيب فصيح الألفاظ حلو النادرة، صاحب مجون وزوائد، يمدح الملوك والكبار، عاش مرتزقاً بالشِّعر، وتعرَّض لهجاء مُرٍّ من شعراء زمانه.

انظر في ترجمته: فوات الوفيات؛ ٤/ ٢٧٧، المغرب (قسم مصر)؛ ١/ ٢٩٦، شذرات الذهب؛ ٦/ ٢٠، النجوم الزاهرة؛ ٧/ ٣٤٥، عقد الجمان؛ ٢/ ٢٦٠، تذكرة النبيه؛ ١/ ٦٠، السلوك؛ ١/ ٦٨٤، البداية والنّهاية؛ ١٧/ ٥٦٩، ذيل مرآة الزمان؛ ٤/ ٦١، العبر؛ ٥/ ٣٢٤، حسن المحاضرة؛ ١/ ٥٦٨، الأعلام؛ ٨/ ١٥٣.

(٢) في الأصل و(ب): «وكريمٌ».

(١٦٧)

وقال في بعضِ الوزراءِ، وقدِ انتقلَ من دارٍ إلى دارٍ: [الرَّمل]

١. إنَّ للدَّارِ التي استوطنتَها بسَنا وجهِكَ إقبالاً جَديدْ[1]

٢. وعلى الدَّارِ التي فارقْتَها أسفٌ في طيِّهِ شوقٌ شديدْ

٣. وأرَى كلَّ لسانٍ قائلاً: أنتَ في الدَّارينِ واللَّهِ سَعيدْ

* * *

---

(١) وقع في خطأ نحويٍّ، حيث يجبُ أن يكون: «إقبالاً شديداً» لأنه اسم إنَّ المؤخَّر، ولذلك ضبطْناها بالتَّسكين لتلافي الخلل النَّحوي. وكان قد حرَّك الرَّويَّ في الأبيات الثلاث. بضمِّ الدَّال، ورسم: «إقبالٌ جديدُ»، والصَّواب ما أثبتنا.

(١٦٨)

وأنشدَه الأمير عزُّ الدِّين أيدمر السَّنائيُّ[1] أبياتاً يهجو بها إنساناً، فكتبَ إليه على رويِّها: [السَّريع]

١. يا صاحبَ الفكرِ السَّليمِ الذي	منظومُـــه جـــارٍ ومَنْثُـــورُهُ
٢. ومَـــنْ شَـــقيُّ النَّـــاسِ مَهجُـــوُّهُ	وأســـعدُ العـــالَمِ مشـــكورُهُ
٣. ويلٌ لمَـــنْ عـــاداكَ جَهـــلاً ولـــمْ	تَلْقَـــكَ بـــالذُّلِّ معـــاذيرُهُ
٤. فـــاغمِدْ لســـاناً مُصْلَتـــاً طالمـــا	فَـــلَّ حديـــدَ الهنـــدِ مَطْـــرورُهُ[2]

* * *

فأجاب عنها [أيدمرُ] بهذهِ الأبيات: [السَّريع]

١. يـــا خـــيرَ بحـــرٍ يَمنـــحُ المُجتـــدي	درَّ المعـــاني الزُّهْـــرِ[3] مَسْـــجورُهُ
٢. ومَـــنْ حـــوَى ســـحْرَ البيـــانِ الـــذي	كـــلُّ بليـــغٍ فهْـــوَ مســـحورُهُ

---

(١) هو الأمير عزُّ الدِّين أيدمر بن عبد اللَّه السَّنائيُّ الجنديُّ، كان فاضلاً أديباً، لـه معرفة بتعبير الرُّؤيا والأدب. كان ينظمُ الشِّعرَ الجيِّد، قال الصَّفديُّ: شعره متوسِّط. خدم بقلعة دمشق، وبقي في مغارة بها. توفي بدمشق سنة ٧٠٧هـ. انظر في ترجمته: الوافي بالوفيات؛ ١٠/ ١٥، فوات الوفيات؛ ١/ ٢١٤، عقد الجمان؛ ٤/ ٤٨١، وسمَّاه (علاء الدين السِّناني)، تذكرة النَّبيه؛ ١/ ٢٣٥، وذكره في وفيات ٧٠٠هـ، النجوم الزَّاهرة؛ ٨/ ٣٣٧، المنهل الصَّافي؛ ٣/ ١٧٩، وفيه (السِّناني)، أعيان العصر؛ ١/ ٦٥٧، وترجمته فيه في غاية الملاحة.

(٢) مطرورُهُ وصفٌ للسانه الذي شبَّهَهُ بالسَّيف، والسِّنان المطرورُ المُحَدَّد. انظر اللسان (طرر).

(٣) في الأصل و(ب): «الدَّهر».

٣. والمقْـولُ المـاضي الـذي غَرْبُـهُ | اغمـدَ بِيْـضَ الهنـدِ مَشـهورُهُ
٤. مدحْـتَ هجـوي فـانثنى طَـرْزُهُ | مُطَـرَّزاً بـالفضلِ مَسـطورُهُ
٥. فـراحَ كالرَّوضـةِ غِـبَّ الحَيـا | ففـاقَ زهْـرَ الزَّهْـرِ منثـورُهُ

(١٦٩)

وقال، وأرسلَها إلى الأميرِ عزِّ الدِّين أيدمرَ المقدَّم ذكرُهُ: [الوافر]

١. أمَا وجميلِ «أيدمُرَ» السَّنائي ... ورِفْعةِ مجدِهِ العالي البناءِ

٢. وما قدْ حازَ مِنْ كرَمِ السَّجايا ... وما قدْ نالَ مِنْ طِيْبِ الثَّناءِ

٣. لقد عزَّتْ بهِ غُرَرُ القوافي ... وقدْ ذلَّتْ بهِ بعدَ الإباءِ

٤. كريمٌ فاتَ «مَعْناً» في العطايا ... و«كَعْباً» و«السَّمَوْألَ» في الوَفاءِ[1]

٥. ذَوو الحاجاتِ تَزدحمُ ازدحاماً ... على أبوابِهِ وبنوُ الرَّجاءِ

٦. لهُ وجهٌ يَجولُ البِشْرُ فيهِ ... مُحلَّىً بالمحاسنِ والحَياءِ

٧. ونفْسٌ لا تَميلُ إلى الدَّنايا ... وكفٌّ لا تَمَلُّ مِنَ العطاءِ

٨. وشِعْرٌ فاقَ شِعْرَ «أبي مَعاذٍ» ... وعِلْمٌ فوقَ علمِ «أبي العلاءِ»[2]

---

(١) معنٌ هو معن بن زائدة الشَّيباني من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعبَّاسي، ولاَّه المنصور اليمن، ثمَّ ولي سجستان، وقُتل فيها غيلةً، سنة ١٥١هـ، أكثر الشعراء من مدحه. انظر الأعلام؛ ٧/ ٢٧٣. وكعب: هو كعب بن مامة الإيادي، أتينا على ذكره سابقاً، وانظر الأعلام؛ ٥/ ٢٢٩، والسَّموأل: هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي شاعر جاهلي حكيم. ضرب به المثل بالوفاء. انظر الأعلام؛ ٣/ ١٤٠.

(٢) أبو معاذ: بشار بن برد العقيلي (٩٥-١٦٧)هـ. أشعر المولدّين. كان ضريراً، نشأ بالبصرة. أدرك الدَّولتين الأموية والعباسية. اتُّهم بالزَّندقة ومات ضرباً بالسِّياط. دُفن بالبصرة. وأبو العلاء: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي. الشاعر الفيلسوف (٣٦٣-٤٤٩)هـ ولد ومات في معرّة النّعمان. عمي في الرابعة من عمره بسبب الجدري. لمّا مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه. مؤلَّفاته أشهر من أن يُشار إليها، ، وشعره في الطَّبقة الأولى من العمق والسَّبك.

٩. وفِكْـرٌ كلَّمـا سَـبكَ القـوافي ... خَشِيتُ عليهِ مِنْ فرطِ الذَّكاءِ

١٠. وإنْ صاغَ الكـلامَ فصارَ تِبْراً ... حكَمْتُ لـه بعلـمِ الكيميـاءِ

١١. أ«عِزَّ الدِّينِ» سمعاً مِنْ ولـيٍّ ... لـهُ شـرَفٌ بـإخلاصِ الدُّعـاءِ

١٢. يَمُـتُّ بكـلِّ ناصعـةِ المعـاني ... إليـكَ وكـلُّ صادقـةِ الـولاءِ

١٣. فعِشْ رَحْبَ الجَنابِ إذا أناختْ ... بِـكَ الآمـالُ مَطـروقَ الفِنـاءِ

١٤. شَـديدَ الـرَّأيِ مَهـزوزَ العَوالـي ... شَـديدَ العَـزمِ مَنشـورَ اللِّـواءِ

١٥. تُهَنَّـأُ بالأيـامِنِ[3] والأمـاني ... وتَحظَـى بـالخُلودِ وبالبقـاءِ

* * *

فأجابَ [أيدمُرُ] بهذهِ الأبياتِ: [الوافر]

١. أيـا ربَّ المـآثرِ والمعـالي ... ويـا جَـمَّ المواهـبِ والعَطـاءِ

٢. ومَـنْ عنـه رَويـتُ ومَـنْ إليـهِ ... مـدَى الأيَّـامِ في الأدبِ انتهـائي

٣. ويا حَبْراً سما «سَحبانَ» فَضْلاً ... و«قُسّاً» في الفَصاحـةِ والـرُّواءِ[2]

٤. و«حـاتمُ» فاتَـه جُـوداً وفضـلاً ... وفاقَ «إياسَ» مِنْ فرطِ الذَّكاءِ[3]

---

(٣) الأيامن جمع اليُمْن: التَّوفيق.

(٢) سحبان وائل، هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة، خطيب يُضرب به المثل في البيان عاصر الجاهلية والإسلام. أسلم زمن النَّبي، ولم يره. أقام في دمشق أيام معاوية. توفي سنة ٥٤هـ. انظر الأعلام؛ ٣/ ٧٩.

وقُسٌّ بن ساعدة الإيادي، من حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، طالت حياته، وأدركه النَّبيُّ قبل النُّبوَّة، ورآه في عُكاظ، توفي حوالي ٢٣ قبل الهجرة. انظر الأعلام؛ ٥/ ١٩٦.

(٣) حاتم: هو حاتم الطَّائي، وإياس: هو إياس بن معاوية بن قرَّة المزني، أبو واثلة قاضي البصرة، أحد أعاجيب الدَّهر في الفطنة والذكاء، يضرب به المثل في الذكاء والزَّكانة أي الفراسة. توفي بواسط سنة ١٢٢هـ.

٥. ويا سمحاً حوى خُلُقاً وخَلْقاً … تجمَّل بالمروءةِ والإباءِ
٦. لهُ وجهٌ كبدرٍ في مساءٍ … بَهِيٌّ بلْ كشمسٍ في سَماءِ
٧. وكمْ شفَعَ الجَميلَ إلى جمالٍ … تَبرْقَعَ بالجَلالةِ والبَهاءِ
٨. تيمَّمُهُ بَنُو الآدابِ طُرّاً … فتَحظَى بالأماني والرَّجاءِ
٩. إذا ما شَحَّ[4] جَودٌ سَحَّ جُوداً … فيَحيا بالنَّدى دانٍ وناءِ
١٠. وإنْ أبدَى الجميلَ أعادَ عفواً … بغيرِ مِراً[5] يشينُ ولا رياءِ
١١. حَباني رَوضةً غنَّاءَ تَزْهَى … بأفنانٍ بها حُلْوُ الجَناءِ
١٢. فخلتُ الطِّرْسَ شمساً قدْ تجلَّتْ … ونَقْشَ النِّقْسِ[6] ليلاً في ضياءِ
١٣. «شهابَ الدِّينِ» دعوةَ ذي دُعاءٍ … بأنْ تَحيا وتُحيي بالحِباءِ
١٤. تُزَفُّ إليكَ كلُّ عَروسِ بِكْرٍ … تُحلَّى في حُلَى حُسْنِ الوفاءِ
١٥. لقدْ قلَّدتَني دُرَراً فمنها … مدَى الدَّهرِ اقتنائي واغتنائي[7]
١٦. فَعِشْتَ سَعيدَ جَدٍّ في هَناءٍ … ودُمْتَ جديدَ سَعْدٍ في عَلاءِ
١٧. ولا زالتْ بنو الآمالِ تَنْحُو … مَقرَّكَ في الصَّباحِ وفي المساءِ
١٨. ومَنْ يَشْناكَ[8] في ذُلٍّ وبُؤْسٍ … وأنتَ رَخِيُّ بالٍ في رَخاءِ

* * *

---

(٤) شحَّ جودٌ: احتبسَ المطر.

(٥) مراً: أصلُها: مراءٌ، وخفِّفَ الهمزة لضرورة الشعر، والمِراء: الجدالُ.

(٦) النِّقس: الحبر.

(٧) الأصل و(ب): «وافتنائي». ولعلَّ ما أثبتنا الصَّواب.

(٨) يشناك: أصلُها: يشنؤكَ، وخفَّف الهمزة ضرورةً.

(١٧٠)

وقال وقد حصل على زهْرِ كتَّانٍ، والماءُ قد أحدقَ بهِ في يومِ دَجْنٍ:

[الرجز]

١. كأنَّما كَتَّانُنا وزهْرُهُ والطَّلُّ والماءُ بهِ مُدارُ

٢. زَبَرْجَدٌ وعَسْجَدٌ ولُؤلُؤٌ وحولَه مِنْ فِضَّةٍ سِوارُ

(١٧١)

وقال يمدحُ الصَّاحبَ شمسَ الدِّين بنَ السَّلْعوسِ[1]، رحمهُ اللَّهُ: [الوافر]

١. قُدومُكُمُ أجـــدَّ لنـــا سُـــرورا ... وأضحــكَ مِــنْ مآرِبنــا ثُغــورا

٢. قُـــدومٌ هـــزَّ أعطـــافَ الأمـــاني ... وأبـــرزَ للهنـــا وجهـــاً سَـــفُورا

٣. أَحبَّتَنـــــا بِليـــــلاتٍ تَولَّـــــتْ ... حَميـداتٍ كَسـاها القُـربُ نُـورا

٤. أَعيـــدوا مِـــنْ وِصـــالِكُمُ أَصيـــلاً ... عسَـى يُطفـي لهجرِكـمُ هَجـيرا

٥. فسـاعاتُ اللِّقـاءِ مضـتْ قِصـاراً ... وفُرقتُكـمْ فقـدْ طـالتْ شُـهورا

٦. وَأظلـــمَ ليـــلُ بُعدِكُـــمُ إلـــى أنْ ... طلعتُــــمْ في دَياجيــــهِ بُــــدورا

٧. فعاطُونـــا حديثـــاً مِـــنْ رِضـــاكُمْ ... نَبُـــلُّ بـــهِ الجَوانـــحَ والصُّـــدورا

٨. حديثـــاً لَـــوْ نظَمْنـــاهُ عُقـــوداً ... لقلَّدْنـــا بجوهـــرهِ النُّحـــورا

٩. إذا كتبـــتْ لواحظُكـــمْ سُـــطوراً ... قرأنـا في الهَـوى تلـكَ السُّـطورا

١٠. ونَفْهـــمُ مِـــنْ إشـــارتِكمْ عِتابـــاً ... إذا نـاجَى الضَّمـيرُ بـهِ الضَّمـيرا

١١. أحبَّـــائي الذيـــن نَـــوَوا فِراقـــي ... ولســتُ علــى فِراقِهــمُ صَبُــورا

١٢. ومَـــنْ جَعلُـــوا لأجفـــاني مَســـيلاً ... عَشـــيَّةَ أزمَعـــوا عنِّـــي مَســـيرا

١٣. عَـلامَ تركتُمـو دمعـي طليقـاً؟ ... وفيـمَ أخذتُـمُ قلبـي أسـيرا؟

١٤. ومـا كُنـتُ المُقيـمَ علـى هَواكُـمْ ... فُحلْـتُ ولا المُحـبَّ المُستشـيرا

١٥. وإنِّـي لَلْغيـورُ علـى هواكُـمْ ... وأهـوى في المُحبيِّـنَ الغَيُـورا

١٦. إذا أنـا لـمْ أَمُـتْ فيكـمْ غَرامـاً ... وفـرطَ صبابـةٍ وأَذُبْ زَفـيرا

(١) ترجمنا له عند القصيدة (٥٩).

١٧. فلا استنبطتُ أبكارَ المعاني — ولا صُغْتُ اللآلىءَ والشُّذورا
١٨. ولا أنضيتُ في الفَلَواتِ عَنْساً — ولا أعملتُ للكَوْماءِ[٢] كُورا

* * *

١٩. وإلاَّ لا ارْتَجيتُ «أبا المعالي» — «محمَّداً بْنَ عُثمانَ» الوزيرا
٢٠. كريماً كُلَّما استَسقيتُ منهُ — أناملَ كفِّه فاضتْ بُحورا
٢١. يُنافِسُ في المكارمِ عاشقيها — ومَنْ خطبَ العُلَى أغلَى المُهورا
٢٢. تَرَى في الدَّسْتِ مِنْهُ طَوْدَ حُلْمٍ — مَهيباً مِنْ جلالتهِ وَقُورا
٢٣. إذا امتزجتْ حفيظتُه بعفوٍ — رأيتَ الموتَ فيها والنُّشورا
٢٤. وإنْ جَهِلَ الأُمورَ له حَسُودٌ — فحسبُكَ أنَّهُ عَلِمَ الأُمورا
٢٥. وإنْ جالتْ يراعتُه بطِرْسٍ — فلا تَصِفِ المُهنَّدةَ الذُّكورا
٢٦. وإنْ ناجاكَ في سِرٍّ وجَهْرٍ — سَمعتَ عبارةً نَفحتْ عبيرا
٢٧. فكمْ أحيا رَجاءً بعدَ يأسٍ — وأنهضَ جِدُّهُ الجَدَّ العَثُورا[٣]
٢٨. وكمْ فتحَ الفُتوحَ بيُمْنِ رأيٍ — وكمْ بِسَدادهِ سَدَّ الثُّغورا
٢٩. وكمْ راشتْ مواهبُه لعافٍ — جناحاً كانَ مُنهاضاً كَسيرا
٣٠. وكمْ ساسَ الوِزارةَ والرَّعايا — وكانَ بأمرِها الطَّبَّ الخبيرا
٣١. وما بَرِحَ «ابنُ فخرِ الدِّينِ» فينا — بأمرِ الدِّينِ والدُّنيا بصيرا
٣٢. لقدْ قَدِمَ الوزيرُ قُدومَ سَعْدٍ — وآبَ بكُلِّ مَكرُمةٍ جديرا
٣٣. فكمْ جَفْنٍ بغيبتهِ سَخينٍ — رأيناهُ بعَودتهِ قريرا

---

(٢) في الأصل: «للكرماء»، والصَّواب من (ب). والكَوماء: النَّاقة العظيمة السَّنام الطويلة، والكُور: الرَّحل.

(٣) الجَدُّ العثور: الحظ السَّيء.

٣٤.فـأهلاً بـالذي أسـدى مُقيمـاً وأولى ظاعنـاً كرَمـاً وخِيْرا[٤]

٣٥.فلو أنّي قـدَرْتُ لطـرْتُ شـوقاً ومَـنْ يَسْطيعُ شـوقاً أنْ يطـيرا؟

٣٦.ولَـوْ طلبَ البشيرُ بـه حياتي لأعطيتُ الـذي طلبَ البشيرا

٣٧.وقالوا: لـو حضرتَ شَرُفْتَ قَدْراً فقلتُ: العَجزُ يَمنعُني الحُضورا

٣٨.وذاكَ بـأنَّ في أدبـي ومَدْحـي عـنِ اسْتيعابِ رِفْعتِـهِ قُصـورا

٣٩.وأنّـي أسـتقِلُّ لـه القَـوافي ولو كنتُ «الفرزدقَ» أو «جريرا»[٥]

٤٠.وها أنا قدْ جَسَرتُ على مُثُولي وحِلْمُ «مُحمَّدٍ» يَسَعُ الجَسُورا

٤١.دَجا لفراقِ وجهِكَ كلُّ قُطْرٍ فَمُذْ وافيتَ أصبحَ مُستنيرا

٤٢.وعُقْبَى الشَّمسِ إنْ غابتْ ظلامٌ وإنْ عادتْ أضاءَ الكونُ نُورا

٤٣.مضَى الشَّهْرُ الذي أُوتيتَ فيه بمـا قدَّمتَـه أجـراً كبـيرا

٤٤.وقدْ أرضيتَ فيهِ اللَّهَ صَوماً وعـنْ كَثَـبٍ ستُرضيهِ فُطُـورا

٤٥.فلو أَثْنَى على صُلحاءِ قومٍ لكـانَ إليـكَ قَبْلَهُـمُ مُشيرا

٤٦.وهذا العيدُ عِيدُ الفطرِ وافى يُجدِّدُ ما استطاعَ لكَ السُّرورا

---

(٤) الخِيْرُ: الكرمُ والشَّرفُ والأصل.

(٥) الفرزدق الشاعر الأموي المشهور، واسمه همَّام بن غالب بن صعصعة التميميُّ. من النبلاء، كان يُقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، وكان لا ينشد الشعر بين يدي الخلفاء والأمراء إلاَّ قاعداً، وتهاجيه مع جرير والأخطل مشهورة توفي سنة ١١٠هـ.

وجرير: ندُّ الفرزدق المشهور، وهو جرير بن عطيّة بن حذيفة الخَطَفي، أشعر أهل عصره، وَلد ومات في اليمامة في العام الذي مات فيه الفرزدق سنة ١١٠هـ بعده بقليل، ويُعَدُّ من أغزل الناس وأعفّهم على ما اشتهر به من أهاجٍ.

٤٧. وقـد أسْـدَى الهنـاءَ بـه ولـيٌّ … ومـا أولَـى الولـيَّ بـأنْ يُنـيرا[٦]

٤٨. أحبُّـكَ حُـبَّ مَـنْ حَـلاَّهُ صـدقٌ … وطـابَ سـريرةً وصَفـا ضمـيرا

٤٩. وأُثني جُهْـدَ مقدرتـي وأدعـو … لنعمتِـكَ الأصـائلَ والبُكـورا

٥٠. ولـو أنِّـي شـكوتُ إليـكَ دهـري … لأقبَـلَ عـائذاً بـي مُسـتجيرا

٥١. فسَـمْعاً سـيِّدَ الـوزراءِ سَـمْعاً … مدائـحَ فيـكَ لـمْ تَحتـجْ سـفيرا

٥٢. وخُـذْ عَـذراءَ لـمْ تَـرَ في هواهـا … وفي تفضيلِهـا إلاَّ عذيـرا

٥٣. تعشَّـقَها بنـو الآدابِ طُـرّاً … كمـا تتعشَّـقُ الظَّبـيَ الغريـرا

٥٤. ويجتنـبُ الغَبـيُّ لهـا سَـماعاً … كمـا تتجنَّـبُ الخَـودُ القتـيرا[٧]

٥٥. تهُـزُّ معـاطفَ الكُرَمـاءِ سُـكْراً … كما هزَّ الصَّبا الغُصُنَ النَّضيرا

٥٦. ولِـمْ لا تنثنـي الأعطـافُ سُـكْراً … بهـا ولكأسِـها كنـتَ المُديـرا؟

٥٧. تناسـبَ لفظُهـا فلأجـلِ هـذا … أتـتْ أعجازُهـا تحكـي الصُّـدورا

٥٨. فلـم أرَ في الكـلامِ لهـا شـبيهاً … ولـم أرَ «لابـنِ عُثمـانٍ» نظـيرا

★ ★ ★

---

(٦) الإسداء والإنارة من حياكة الثياب. وأسدى الثوبَ: أقام سَداهُ، والسَّدى من الثوب ما مُدَّ من خيوطه، وهو خلاف اللَّحمة. والإنارة: أن يُجعلَ للثوب نِيْراً، وهو علَمُ الثَّوب. وقد استعار ذلك للشعر والكرم.

(٧) الخودُ: المرأة الشَّابة : والقتيرُ: الشَّيبُ.

(١٧٢)

وكتبَ إلى القاضي علاءِ الدِّين أحمدَ بنَ بنتِ الأعزِّ العلاميِّ[1]، يُهنِّئُه بالصَّوم: [الخفيف]

١. يا سُطوري صِفي ثَنائي وشَوقي	لأخي العلمِ «أحمدِ بنِ العَلامي»
٢. وقِفي في حِمَى الجَنابِ «العَلائـ[2]	ـيِّ» وفي حضرةِ المَقرِّ الإمامي
٣. ثُمَّ قُولي مِنْ بعدِ تقبيلِ كفَّيْـ	ـهِ اللَّواتي يُخْجِلْنَ صَوبَ الغَمامِ
٤. يا ابنَ أقضَى القُضاةِ في الشَّرقِ والغَرْ	بِ جميعاً وأحكمِ الحُكَّامِ
٥. والذي شَرَّفَ القواعدَ والدِّيـ	ـنَ وأعلَى قواعدَ الإسلامِ
٦. جاءَ شَهرُ الصِّيامِ يُزْهَى بأعما	لِكَ فيه فاهنَأْ بشهرِ الصِّيامِ
٧. فاقْطَعَنْهُ مُواظِبَ العَمَلِ البَـ	ـرِّ وصُمْهُ مُجانِبَ الآثامِ
٨. بسُعودٍ مقرونةٍ بسُعودٍ	وحياةٍ مَقرونةٍ بدَوامِ

* * *

---

(١) هو أحمد بن عبد الوَّهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامي القاضي علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز، وهو أخو الأخوين: قاضي القُضاة صدر الدين محمد وقاضي القُضاة تقي الدين عبد الرحمن.

تولَّى الحسبةَ بآخره، كان له معرفة بالأدب وتقييده. كان فصيح العبارة جميل الصورة حسن الشارة، فيه إحسان ومكارم ومروءة، لَطيف المزاج كثير التبسُّم شهماً جزلاً. له نظم جيّد، وامتدح الصَّفديُّ نظمَه. قدم دمشق، وولي تدريس الظاهريَّة والقَيمريَّة، ثم عاد إلى مصر، وأقام بها مُديدةً. توفّي سنة ٦٩٩هـ. انظر في ترجمته: الوافي؛ ٧/ ١٦٣، فوات الوفيات؛ ١/ ٩٩، المنهل الصافي؛ ١٠/ ٣٧٨، أعيان العصر؛ ١٠/ ٢٧٩، النجوم الزاهرة؛ ٨/ ١٨٩، عقدالجمان؛ ٤/ ٩٤، تذكرة النبيه؛ ١/ ٢٢٨، السلوك؛ ١/ ٩٠٤.

(٢) كذا في الأصل، نسبةً إلى اسمه «علاء الدِّين».

(١٧٣)

وعبَر الأميرُ العالِمُ العلاَّمةُ شمسُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ الصَّاحبِ شرفُ الدِّينِ المعروفَ بابن التِّنَّبيّ[1] رسولُ السُّلطانِ[2] أحمدَ إلى قيساريَّةِ جهاركس، فقالَ فيهِ: [الكامل]

١. يا رَوضةَ الآدابِ بل يا فتنةَ الـ ... ـألبابِ بل يا نُزهةَ الألحاظِ

---

(١) هو الأمير شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين محمد بن محمد بن عقيل بن سالم بن عقيل المعروف بابن التِّنَّبي، ونصَّ الصَّفدي في الوافي على أنها بالتَّاء المثناة والنُّون الموحدة والباء الموحدة على وزن (جلَّق). كان كاتباً مجيداً عارفاً من بيت الكتابة والتقدم. كان خطُّهُ من أحسنِ الخطوط، انتفع النَّاس بعلمه ممَّن وفدوا عليه بدمشق. كان عنده انقطاع وعزَّة نفس، سمع الحديث من جماعة وحدَّث وروى وأفاد. توفي بدمشق سنة ٦٩٣. وقد ورد في عدد من المصادر باسم «فخر الدين» لا شمس الدين. انظر في ترجمته: الوافي؛ ١/ ٢٠٥، عقد الجمان؛ ٣/ ٢٤٨، و٤/ ٣٦٠، وشذرات الذهب؛ ٦/ ٩٢، وتذكرة النبيه؛ ١/ ١٧٣، النجوم الزاهرة؛ ٨/ ٥٣، العبر؛ ٥/ ٣٨٠. وذكر العيني علاقة شمس الدين بسلطان أحمدَ في عقد الجمان؛ ٤/ ٣٦٠.

(٢) هو السلطان توذكار بن هلاون بن باطوني جنكز خان المُلَقَّب في الإسلام أحمد سلطان. قتله ابن أخيه أرغون سنة ٦٨٢، وانظر تفصيل الواقعة في عقد الجمان؛ ٢/ ١١٥، والمنهل الصافي؛ ٢/ ٢٥٥. كان ملكاً شجاعاً مقداماً مسلماً ديِّناً، وفي أيَّامه انتشر الإسلام ببلاد الشرق وغيرها. انظر ترجمته في عقد الجمان؛ ٢/ ٣١٩ و٤/ ٣٦٠، والمنهل الصافي؛ ٢/ ٢٥٤، والوافي؛ ٨/ ٢٢٧، والنجوم الزاهرة؛ ٧/ ٢٦٣، والعبر؛ ٥/ ٣٨١، والسلوك؛ ١/ ٧٢٧، وتذكرة النبيه؛ ١/ ٩٠، وتاريخ ابن الفرات؛ ٨/ ٣.

٢. والفاضلُ المَشهورُ في أدَواتِهِ والطَّاهرُ الأخلاقِ والألفاظِ

٣. فكأنَّ «قُسّاً» زارَ لمَّا زُرْتَنا وكأنَّ هذا السُّوقَ سُوقُ «عُكاظِ»[3]

* * *

فبعثَ بهذهِ الأبياتِ جوابَها: [الكامل]

١. يا راحةَ الأرواحِ بل يا مُتعةَ الـ أسماعِ بل يا بَهجةَ الألحاظِ

٢. يا فارسَ الآدابِ بل يا فارسَ الـ ألبابِ بالأسنَى مِنَ الألفاظِ

٣. يا قُدوةَ الأُدباءِ والشُّعراءِ والـ فُصَحاءِ والفُضلاءِ والحُفَّاظِ

٤. لا زلتَ كاسْمِكَ ذا سَناءٍ ثاقبٍ وحَسودُ فَضلِكَ مُحْرَقاً بِشُواظِ[2]

٥. ما أشرقتْ شمسٌ وأومضَ بارقٌ وحدا الحُداةُ العِيْسَ تحتَ شِظاظِ[3]

---

(٣) قُسُّ بن ساعدة أشرنا إليه من قبلُ وذكرنا عُكاظَ، وأشرنا من قبل إلى أنَّ الرَّسولَ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، رأى قُسّاً في عُكاظ، وعُكاظُ: سُوقٌ كانت للعرب، وسُمِّيت عُكاظاً، لأنَّ العربَ كانت تجتمع فيها فيعكظُ بعضُهم بعضاً بالفخار، أي يغلبُ بعضُهم بعضاً، وذلك مرَّة في العام في شهر شوال، قال الأصمعي: عكاظٌ نخلٌ في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وقال الواقدي: عكاظ بين نَخلة والطائف. انظر (عكاظ) في معجم البلدان.

(٢) الشُّواظ: بضم الشِّين وكسرها: لهبُ النار. اللسان (شوظ).

(٣) الشِّظاظ: العُودُ الذي يدخلُ في عروة الجوالق. اللسان (شظظ).

(١٧٤)

فعادَ فكتبَ إليه: [الكامل]

١. «لمُحَمَّدٍ» الصَّاحبِ الباني العُلا ... فوقَ السُّهى كَرَمٌ وحُسْنُ حِفاظِ[١]

٢. وسجيَّةٌ حَوتِ الأُبُّوةَ والتُّقَى ... وخَلَتْ مِنَ الشَّحْناءِ والإِحفاظِ[٢]

٣. ما زالَ إنْ غفلَ الكريمُ عنِ النَّدى ... واخلَّ بالحُسْنَى عنِ استيقاظِ

٤. وأراهُ أَولى النَّاسِ باستعلائِهِ ... لولا جُدودٌ قُسِّمتْ وأَحاظِ[٣]

★ ★ ★

---

(١) الحفاظ: رعاية العهد، والحفاظ: الأنفة.

(٢) الشَّحناء: البغضاء، والإحفاظ: إثارة الضَّغائن.

(٣) الأحاظي جمع حظٍّ.

(١٧٥)

وقال على لسانِ التَّلَّعفري[(١)]: [الخفيف]

١. ما يقولَ الهاجُونَ في شيخِ سُوءٍ	راجحِ الجهلِ ناقصِ المقدارِ
٢. شانَ «تَلَّعْفراً» فأضحتْ به أَلْـ	أمَ أرضٍ نَعمْ وأخبثَ دارِ
٣. ذُو مُحيًا في غايةِ القُبْحِ لَمْ يُرْ	خِ عليهِ الحَياءُ فَضْلَ خِمارِ
٤. فَلكمْ جاءَ لابِساً ثَوبَ عابٍ	ولكمْ راحَ ساحِباً ذَيْلَ عارِ
٥. بَينَ مِيْمَيْ مهانةٍ ومَساوٍ	ثُمَّ قافَيْ قِيادةٍ وقِمارِ

* * *

---

(١) هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود الموصليّ التَّلعفري الشَّيبانيُّ، شاعرٌ مقدَّم في شعره، ولد في الموصل سنة ٥٩٣، وتوفّي في حماة سنة ٦٧٥ أيام المنصور الثاني.

انظر ترجمته في وفيات الأعيان؛ ٤/ ٤٠٤ و٣/ ٣٧، وكنز الدرر؛ ٨/ ٢٧٩، والعبر؛ ٥/ ٣٠٦، والوافي؛ ٥/ ٢٥٥ و٢١/ ٣٠١، وفوات الوفيات؛ ٢/ ٥٧ و٣/ ٦٦ و٤/ ٦٢، والبداية والنهاية؛ ١٧/ ٥٢٦، وتاريخ ابن الفرات؛ ٧/ ٧٦، والمقفّى؛ ٧/ ٥١٥، والنجوم الزَّاهرة؛ ٧/ ٢٥٥. وانظر مقدّمة ديوانه بتحقيقنا، وأتينا على علاقته بالعزازي.

(١٧٦)

وقال على لسانِ غيرهِ: [مجزوء المتقارب]

١. حَلَلْتُ سَــــــــــــراويلَهُ وقــــد نــــامَ نَومــــاً ثَقيــــلا[١]

٢. وســــــاعَدني سُــــــكْرُهُ إلــــى أنْ شــــفيتُ الغليــــلا

٣. فلمَّــــا بلغــــتُ المُنــــى شَــــكرتُ الكَــــرى والشَّــــمُولا

* * *

(١) في (ب): «طويلا»، ثم كتب على الهامش: «ثقيلا». وهـذه أبيـات كدنـا نسـقطها، ولكن أثبتناها للأمانة العلمية.

(١٧٧)

وقال في مُغنيّةٍ وزوجِها[١]: [السَّريع]

١. ليَّنتِ الأخلاقُ مِنْ زوجِها ... لَمَّا رأتْ أخلاقَها فِجَّهْ

٢. وعندما تبلُغُ بَيْضَ الخُصَى ... تقلبُه في رأسِهِ عُجَّهْ

* * *

(١) وهذان البيتان ممَّا ينبو عنهما الذَّوق، ولكن أثبتناهما للأمانة العلمية التي يقتضيها التحقيق.

(١٧٨)

وقال يتغزَّلُ: [المنسرح]

١. حسْبُكَ منِّي ما ذابَ مِنْ جسَدي ... وما وهَى بالصُّدودِ مِنْ جلَدي

٢. يا قمَراً أصبحتْ محاسنُهُ ... لا ينتهي سيرُها إلى أمَدِ

٣. يَفديكَ ذو مُقلةٍ مؤَرَّقةٍ ... تَعومُ في لُجَّةٍ مِنَ السُّهُدِ

٤. ومُهْجَةٍ تَنثني على حُرَقٍ ... وأضلُعٍ تنطوي على كَمَدِ

٥. يا بِأَبي أهيفُ معاطفُهُ ... تُخجِلُ غُصْنَ الكَثيبِ في المَيَدِ

٦. لو رأتِ الشَّمسُ حُسْنَ صورتِهِ ... لأظهرتْ صورةً مِنَ الحَسَدِ

* * *

وكتبَ إليهِ وجيهُ الدِّينِ[1] يطلبُ منه ورَقاً، فأرسله إليه، فكتب[2] هذهِ الأبيات:

١. جادَ الأديبُ «شِهابُ الدِّينِ» بالورَقِ	ولم يزلْ جائداً بالعَيْنِ والوَرِقِ[3]
٢. سُبحانَ مُعطيهِ ظَرفاً في شمائلهِ	وظَرفَ نُطْقٍ بلا عِيٍّ ولا مَلَقِ
٣. إنْ تاهَ مَنْ يُعْطِه الحُسْنَ الإلهُ فقدْ	أعطاهُ حُسْنَيْنِ: حُسْنَ الخَلْقِ والخُلُقِ
٤. لم يَحْكِهِ شاعرٌ في العصرِ مُشْتَهَرٌ	هل أسودُ اللَّيلِ يحكي أبيضَ الفَلَقِ؟
٥. إنِّي لحظِّيَ أمَّلتُ البياضَ لهُ	تَفاؤُلاً ببَياضِ اللَّونِ في الورَقِ[4]
٦. وقدْ تشرَّفتُ مِنْ تقليدِ مُنَّتِهِ	لإنَّها مُنَّةٌ يزهو بها عُنُقي

* * *

(١) هو الشيخ الإمام العالم الصدر وجيه الدين أبو المعالي محمد بن أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التَّنوخيُّ الدمشقيّ الحنبليُّ. كان شهماً جليلاً نبيهاً نبيلاً، ذا نعمة واسعة، محبّاً للفقراء كثير الإيثار، ولي نظر الجامع الأموي، وسمع وروى، أنشأ داراً للقرآن بدمشق، ورباطاً بالقُدس، ولد سنة ٦٣٠، وتوفي بدار القرآن بدمشق في شعبان سنة ٧٠١. انظر في ترجمته: الوافي؛ ٤/ ٩١، عقد الجمان؛ ٤/ ٢٠٢، تذكرة النبيه؛ ١/ ٢٤٢.

(٢) في الأصل: «وكتب»، والصَّواب ما أثبتنا، فالأبيات هذه لوجيه الدّين، وسيردُّ عليها الشهاب. .

(٣) الورق: النُّقود.

(٤) الورَق هنا: ورقُ الكتابة.

(١٧٩)

فقال [شهابُ الدِّينِ] مُجيباً: [البسيط]

١. جـاءتْ مُنَظَّمـةً كـالدُّرِّ في نَسَـقِ ... تَضـوعُ أنفاسُـها كـالعنبَرِ العَبِـقِ

٢. كأنَّمـا عَنِيَـتْ أيـدي الرَّبيـعِ بهـا ... أوِ النُّجـومُ كسـتْها حِلْيَـةَ الأُفُـقِ

٣. فبِـتُّ أَجْنـي ثِمـاراً مِـنْ فضائلِهـا ... كأنَّهـا دَوحـةٌ مُخضلَّـةُ الـورَقِ

٤. عِقْدٌ لِمتَّشِـحٍ زَنْـدٌ لمقتـدحٍ ... مِسْـكٌ لِمنتشِـقٍ خمـرٌ لمغتبِـقِ[١]

٥. جادتْ سجايا «وجيهِ الدِّينِ» غاديةٌ ... كجُـودِ راحاتـهِ بـالصَّيِّبِ الغَـدِقِ

٦. إذا أناملُـه هـزَّتْ يراعتَهـا ... كادتْ تطولُ أنابيبَ القنا الصُّدُقِ

٧. يا صاحبَ الكَلِمِ اللاَّتي حدائقُها ... رقَّتْ وراقتْ فكانتْ نُزهـةَ الحَـدَقِ

٨. جـاراكَ فكـري ولكـنْ جـزْتَ غايتَـهُ ... وما السُّواكُ مِنَ الوَجناءِ كالعَنَقِ[٢]

---

(١) المغتبق: الذي يشربُ الخمرة عشاءً.

(٢) الوجناءُ: الناقةُ السَّريعةُ، والسُّواكُ: السَّير الضَّعيف، والعَنَقُ: السَّير المنبسط السَّريع.

(١٨٠)

وكتبَ إلى جمالِ الدين يوسف ابن التَّلمساني[١] يُعاتبه، ويعتذرُ إليه:

[الوافر]

١. أخٌ لي كانَ يَمنحُني الودادا ... ويَحمِلُ عنِّيَ النُّوبَ الشِّدادا

٢. وكانَ إليَّ أوفى النَّاسِ بِرّاً ... وأكثرَهمْ حُنُوّاً وافتقادا

٣. وكنتُ أشدَّهمْ شَغفاً وحُبّاً ... بهِ وأصحَّهمْ فيهِ اعتقادا

٤. وأوفاهمْ مُحافظةً وعَهْداً ... وأوفَرَهمْ رَجاءً واعتِمادا

٥. فبَدَّلَ ذلكَ الإخلاصَ مَذْقاً[٢] ... وصيَّرَ تلكُمُ القُرْبَى بِعادا

٦. وباعَ أُخُوَّتي منه بِنَزْرٍ ... ومَنْ باعَ الصَّديقَ فما استفادا

٧. أديبٌ كالنَّسيمِ شَذاً وشِعْراً ... وكالوُدِّ انتقاءً وانتقادا

٨. وكالغيثِ انسكاباً وانسجاماً ... وكالنَّجمِ اتِّضاحاً واتِّقادا

٩. وفارسُ حلْبةِ الشُّعراءِ سَبْقاً ... وأكملُهمْ وأطولُهمْ نِجادا

---

(١) كذا في المخطوطة. وذهب رأيي إلى أنَّ المقصود بهذه التَّرجمة هو الشيخ جمال الدين يوسف بن الزَّكيِّ عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن أبي الزَّهر الشيخ الإمام العلاَّمة محدّث الشام ومصر، أبو الحجَّاج القضاعي الكلبي المِزِّيُّ، الحلبي المولد. ولد في حلب سنة ٦٥٤، له مؤلَّفات كثيرة أشهرها تهذيب الكمال. قال عنه ابن سيد النَّاس: هو في اللغة إمام، وله بالقريض إلمام. توفي بدمشق سنة ٧٤٢هـ، ودفن بمقابر الصُّوفية. وقد رَجَّحت أن يكون هو المقصود، لتطابق الاسم واللَّقب والكنية، فهو يخاطبه في البيت (٢٥) بأبي الحجاج. انظر في ترجمته: فوات الوفيات؛ ٤/ ٣٥٣، النجوم الزاهرة؛ ١٠/ ٧٦.

(٢) المذقُ: المودَّة المشوبة بعدم الإخلاص.

١٠. وأرواهُمْ لمنتجعٍ غَماماً ‏ ‏ وأوراهُمْ لمُقتبِسٍ زِنادا

١١. يُلبّيهِ الكَلامُ إذا دعاهُ ‏ ‏ ويَصحبُ منه أعصاهُ قِيادا

١٢. فكمْ كاتبتُه بحلْيِ شِعري ‏ ‏ وكمْ عنه أجابَ وقدْ أجادا

١٣. «أيوسفُ» يا ابنَ مَنْ شادَ المعالي ‏ ‏ ومَنْ أبدى السَّماحَ ومَنْ أعادا

١٤. أعِدْ نوماً فَجعتَ بهِ جفوني ‏ ‏ فقدْ سَئِمتْ محاجرُها السُّهادا

١٥. وعُدْ[٣] جسماً مضاجعُهُ أُقِضّتْ ‏ ‏ كأنَّكَ قدْ فرشتَ له القَتادا[٤]

١٦. تُرَى الغضبانُ يُهدي لي خيالاً ‏ ‏ ولو أهداهُ ما وجدَ الرُّقادا؟

١٧. وهل يهتزُّ عند سَماعِ شعري ‏ ‏ ويعهدُني أهزُّ بهِ الجَمادا؟

١٨. فكم شوقٍ إليهِ وفرطِ حُبٍّ ‏ ‏ أدومُ عليهِ أو ألقَى المعادا

١٩. تجنَّى قَسْوةً وجَفا مَلالاً ‏ ‏ وأظهرَ نَبْوةً ونَوَى عِنادا

٢٠. وحمَّلَني مِنَ الإعراضِ عِبْئاً ‏ ‏ كأنِّي قدْ خُلِقتُ لهُ فُؤادا

٢١. صبرتُ على قطيعتهِ زماناً ‏ ‏ إلى أنْ كدتُ أنْ أقضي وكادا

٢٢. وقلتُ: لعلَّه وعساهُ يرضَى ‏ ‏ فأسرفَ في حفيظتهِ وزادا

٢٣. وما أحلى الحبيبَ إذا تجنَّى ‏ ‏ وفي هِجرانِ عاشقهِ تَمادى

٢٤. ألا لا تنقلُوا عنِّي عتاباً ‏ ‏ لهُ ودعوهُ يفعلُ ما أرادا

٢٥. أبا الحجَّاج لا يُنسيكَ عَتْبٌ ‏ ‏ ومَوْجِدَةٌ أناةً واتِّئادا

٢٦. وسامحْني بما أنكرتَ منِّي ‏ ‏ فكمْ قدْ سامحَ اللّهُ العبادا

٢٧. وإنْ أذنبتُ اللّهُمَّ غَفْراً ‏ ‏ فَعُدْ وأَعِدْ وِداداً واتِّحادا

٢٨. فلو أنِّي قَدَرْتُ جعلتُ خدِّي ‏ ‏ سِجِلا والدُّموعَ بهِ مِدادا

* * *

---

(٣) عُدْ: أي زُرْ.

(٤) القتادُ: الشَّوك.

وأرسلَ إليه ناصرُ الدِّين محمَّدُ[1] بن النُّوريّ الكاتبُ، وهو يومئذ حديثُ السِّنِّ هذه الأبياتَ يسألُهُ أن يُجيبَهُ ويطلبُ شهادتَه في نظمه للشِّعر: [الكامل]

١. ما ضلَّ مَنْ كانَ الشِّهابُ له هُدَى ... كيف الضَّلالُ ونورُ وجهكَ قَدْ بدا؟

٢. يـا هاديـاً بولائـهِ أنـا واثـقٌ ... بكَ قدْ غدوتُ إلى الحجَى مُستَرْشِدا

٣. كـمْ مِدْحَـةٍ بيَّضتَهـا فغـدا بهـا ... مَمدوحُهـا بـينَ الأنـامِ مُسَـوَّدا

٤. وقصـائدٍ كـالزَّهْرِ يُشـرقُ نورُهـا ... بـل نَوْرُهـا كـالزَّهرِ كلَّلَـهُ النَّـدى

٥. يـا آخـراً فـاتَ الأوائـلَ عِلْمُـه ... ولـوَ انَّهُـمْ جـاروهُ مـا بلغُـوا المَدَى

٦. أنـتَ «العَـزازيُّ» الـذي يُعـزَى لـه ... فَضْلٌ سما وعلا السُّها والفَرْقدا

٧. أقسـمتُ إنِّـي في الثَّنـاءِ مُقَصِّـرٌ ... ولـوَ انَّنـي أمسـيتُ فيـهِ مُقَصِّـدا

٨. يـا أحمـداً أضحـى يفُـوقُ كلامُـه ... ويفـوتُ نَظْـمَ «البُحتريِّ» و«أحمـدا»[2]

٩. لا غَـرْوَ إنْ نظَّمـتُ دُرَّ قصـائدٍ ... فلقَـدْ غـدا لـي دُرُّ بحـرِكَ مَـوْرِدا

١٠. إنِّـي لجوهرِهـا البسـيطِ مُرَكِّـبٌ ... والفكـرُ أضحَـى مُنْتِجـاً ومُوَلِّـدا

١١. كَـلاَّ ولا أمسَـى لـدُرِّ عُقودِهـا ... أحـدٌ سِـوايَ منظِّمـاً ومُنَضِّـدا

١٢. ولـوِ اختُـبِرتُ وجدْتَنـي فوقَ الـذي ... شـاهدتَهُ وسـمعتَه بـلْ أزيَـدا

١٣. ولأيِّ شـيءٍ أدَّعـي غـيرَ الـذي ... نظَمتْـهُ أيـدي فكرتـي فتنضَّـدا؟

١٤. لا زلْتَ تُنشي في الطُّروسِ جواهراً ... بقديمِهـا يُمسـي ثنـاكَ مُجـدَّدا

١٥. ما لاحَ برقٌ في الصَّباحِ وفي الدُّجى ... أو نـاحَ طـيرٌ في الغُصـونِ وغـرَّدا

---

(١) لم أهتد لترجمته.

(٢) البحتريُّ أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحي الطَّائي (٢٠٦-٢٨٤) الشاعر العباسي الكبير، كان يُقال لشعره: سلاسل الذهب. اتَّصل بالمتوكِّل العباسي، وعاد إلى الشام، توفي بمنبج. وأحمد بن الحُسين أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤) شاعر العربية الأكبر، ومالىء الدُّنيا وشاغل الناس.

(١٨١)

فأجابَهُ بهذهِ الأبياتِ: [الكامل]

١. نزَّهتَ عينـي في بديـعِ كتابـةٍ كخميلـةٍ غنَّـاءَ باكرَهـا النَّـدى

٢. وهَزَزْتَ عِطفي بالتي لو صافحتْ غُصْـنَ النَّقـا لا اهـتزَّ أو لتـأوَّدا

٣. وسـقيتَني منهـا الرَّحيـقَ معتَّقـاً وكسـوتَني منهـا الثَّنـاءَ مُجـدَّدا

٤. كَلِمٌ أرقُّ مِـنَ الصَّبـا وأرفُّ مِـنْ زَهْرِ الرُّبى وألذُّ مِنْ نَقْعِ الصَّدى

٥. وفضيلـةٌ أوضحـتَ مِـنْ أشـكالِها حتَّى لقدْ ثبتتْ على رغمِ العِدى

٦. للَّـهِ دَرُّ «محمَّـدٍ» مِـنْ شـاعرٍ أضحى عليّاً في القريضِ مُحمَّدا

٧. وأرى فتـى «النُّـوريِّ» في مَيدانـهِ فـاتَ «الكُميتَ» مُرَجِّـزاً ومُقصِّـدا

٨. قَمَرٌ وروضٌ يـانعٌ وغمامـةٌ لِمَنِ اجتلى ومَنِ اجتنى ومنِ اجتَدَى

٩. مـا زالَ يعتلـجُ الذَّكـاءُ بذهنـهِ حتَّـى لقـدْ أشـفقتُ أنْ يتوقَّـدا

١٠. لـولا حداثَـةُ سِنِّهِ لشَـأى مِـنَ الـ شُّـعراءِ قبـلُ مُخَضْرَمـاً ومُوَلَّـدا

١١. لبِـسَ الفضيلـةَ ثُـمَّ جَـرَّ ذُيولَهـا مُذْ كانَ مُحْتَلِمـاً وبـالأدبِ ارتدَى

١٢. لـو أنصـفَ المتشـاعرونَ «مُحمَّـداً» وصَفُوهُ مثنىً في القريضِ ومَوْحَدا

١٣. إنِّـي لِمـا اسـتصغرتُ مِـنْ أعوامِـهِ أكبرتُـهُ عِلْمـاً بـهِ ومُقَلَّـدا

١٤. وبلوتُـهُ فبلـوتُ منـهُ فـاضِلاً وهززْتُـهُ فهـززْتُ منـهُ مُهنَّـدا

١٥. وعلمـتُ أنْ سـيفوقَ أهـلَ زمانـهِ في المُنتهَـى حَزْمـاً بهـذا المُبتـدَى

* * *

(الضاد)

(١٨٢)

وقال يرثي الملك الأفضلَ نور الدِّين علي بن الملك المظفر[1] تقيِّ الدِّين عمر، رحمه اللّهُ: [الطويل]

١. سَموتِ بما أوتيتِ أيَّتُها الأرضُ ... فقدْ حَلَّ فيكِ المجدُ والكرَمُ المَحْضُ

٢. عجبتُ لذاكَ الطُّولِ والعَرْضِ كيفَ لم ... يَضِقْ بهما مِنْ رَحْبِكِ الطُّولُ والعَرْضُ؟

٣. مضَى ابنُ «تقيِّ الدِّين» والذِّكْرُ بعدَهُ ... جميلٌ وهاتيكَ المكارمُ لم يَمْضُوا

٤. وولَّى حميداً لا عزائمُهُ نَبَتْ ... ولا راحتاهُ شانَ بَسْطَتَها قَبْضُ

٥. فأَجسامُنا قدْ شفَّها بَعدَهُ الضَّنا ... وأجفانُنا قدْ خانَها بَعدَهُ الغُمْضُ

٦. فتىً كانَ يلقَى السَّائلينَ ووجْهُه ... لدَى اللَّزبةِ[2] السَّوداءِ أبلجُ مُبْيَضُّ

٧. وكانَ إذا استجداهُ عافٍ تهلَّلتْ ... أَسِرَّتُهُ والغيثُ أوَّلُهُ الوَمْضُ

٨. تَحُفُّ بهِ أهلُ الرَّجاءِ كأنَّما ... لها عندَه دَينٌ تقاضاهُ أو قَرْضُ

٩. كريمٌ أنالَ المالَ في طلَبِ العُلَى ... فطابَ له ذِكْرٌ وصِينَ له عِرْضُ

١٠. مُطِلٌّ على سَهلِ الأمورِ وحَزْنِها ... برأيٍ وثيقٍ ما لإبرامِهِ نَقْضُ

١١. فقلْ لعُداةٍ: يَرفعُوا الصَّوتَ بعدَهُ ... فأصواتُهُمْ كمْ غضَّ مِنْ دفعِها خَفْضُ

١٢. فإنَّ سيوفَ «ابنِ المُظَفَّرِ» أُغمِدتْ ... وخيلَ «عليٍّ» لا يُحَسُّ لها رَكْضُ

١٣. يَحِقُّ على كُلِّ البريَّةِ شُكرُهُ ... وهيهاتَ يُحصَى مِنْ مآثرِهِ البعضُ

١٤. ومَنْ سَنَّ للنَّاسِ المكارمَ والنَّدى ... أليسَ على كلِّ الورَى شُكرُهُ فرضُ؟

* * *

(١) ترجمنا له عند المقطعة رقم (٦).

(٢) اللَّزبة: الشِّدة، ووصفها بالسَّواد لعظَمها.

(١٨٣)

وقال يُعزِّي فيه ولدَهُ الأميرَ أسدَ الدِّين، أطالَ اللَّهُ بقاءَهُ: [الخفيف]

١. لكَ طولُ البقاءِ يا «أسدَ الدِّيـ ـنِ» فإنَّ العزاءَ والصَّبرَ عَزَّا[1]

٢. جلَّ خَطْبُ رُزْئتَهُ في «عليٍّ» فلهذا فيهِ «العَزازيُّ» عزَّى

٣. ماتَ مَنْ باهتمامهِ ثبَّتَ المُلْـ ـكَ وذلَّ العَدُوُّ والدِّينُ عَزّا[2]

٤. أيُّ حَيٍّ مِنَ المنيَّةِ ينجُو؟ قَهَرَ الموتُ كلُّ حَيٍّ وعَزّا[3]

* * *

تمَّت وللهِ الحمْدُ والمُنَّةُ والشُكرُ له على ما أنعمَ ومنّ[4].

---

(١) عزَّ: قلَّ وندرَ.

(٢) عزَّ: قوي وارتفع.

(٣) عزَّ: غلب.

(٤) تحته في الأصل عبارة: «أوراقه ١٠٧».

تمَّت وبالخير عمَّت، آمين؛ يا معين. وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يا ربّ العالمين وبه نستعين ولا عدوان إلاَّ على الظالمين».

وتحته تملك غير واضح منه: «. . . ابن الحاج بدر الدين غفر الله له ولمن دعا له بمغفرة يا ربَّ العالمين بجاه محمد وآله يا ربّ العالمين».

وخاتم تملك كبير غير واضح. وإلى جواره كلام غير واضح: «. . . ابن الحاج بدر الدّين، غفر الله له، ولمن دعا له بالمغفرة يا ربّ العالمين، بجاه محمد وآله يا رب العالمين».

وفي (ب): «تمَّتْ وبالخيرِ عمَّتْ، وباللَّه التوفيق. تحرَّرت في ٢٦ شهر ربيع الأول يوم الأربعاء سنة ١٢٥٥» وتحته خاتم كبير غير واضح.

المستدرك على الديوان

الألف الليِّنة

(١٨٤)

وقال[1]: [السَّريع]

١. هل حكَمٌ يُنصِفُني مِنْ[2] هوَى ... مُصارعٍ يَصْرَعُ أُسْدَ الشَّرَى؟

٢. مُذْ فَرَّ منِّي الصَّبرُ في حُبِّهِ ... حكَى عليهِ مدمعي ما جرَى

٣. أباحَ قَتْلي في الهوَى عامِداً ... وقالَ[3]: كم مِنْ عاشِقٍ في الورَى

٤. رَمَيْتُهُ في أسْرِ حُبِّي ومِنْ ... أَجْفانِ عَيْنيهِ أخذتُ الكَرَى

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات؛ ٣/ ٢٩٥-٢٩٦، والوافي بالوفيات؛ ٢/ ١٤، وعقد الجمان؛ ٣/ ٤٧٩.

(٢) الوافي: «في».

(٣) عقد الجمان: «وصاح».

(١٨٥)

وقالَ ملغزاً في شبَّابة[1]: [الوافر]

١. ومـا صفـراءُ شـاحبةٌ ولَكِـنْ ... تُزيِّنُهـا النَّضـارةُ والشَّـبابُ

٢. مُكَتَّبَـةٌ[2] ولَيـسَ لهـا بنـانٌ ... مُنَقَّبَـةٌ[3] ولَيـسَ لهـا نِقـابُ

٣. تَصيـحُ لهـا إذا قبَّلْـتَ فاهـا ... أحـاديثٌ تَلَـذُّ وتُسـتطابُ

٤. ويَحلو المـدحُ والتَّشـبيبُ[4] فيهـا ... ومـا هـي لا «سُعادُ» ولا «الرَّبـابُ»[5]

---

(١) الأبيات في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٢ والدرر الكامنة؛ ١/ ١١٥، وفوات الوفيات؛ ١/ ٩٧، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥٠، وقدَّم لها الصَّفدي بقوله: «وكتب شهاب الدّين العزازيّ إلى ناصر الدين حسن بن النَّقيب ملغزاً في شبَّابة». وعلَّق عليها بقوله: «قلتُ: ما أحسن ما جاءت الرَّباب هنا». ثم قال: «وأجابَ ابن النَّقيب عن ذلك:

أتـتْ عجميَّـةٌ أعربـتْ عنهـا ... لسـلمان يكـونُ لهـا انتسـابُ

ويُفهَـمُ مـا تقـولُ ولا سُـؤالٌ ... إذا حقَّقـتَ ذاكَ ولا جـوابُ

يَكـادُ لهـا الجمـالُ يهـزُّ عطفـاً ... ويرقـصُ في زجاجتـه الحَبـابُ

وعلَّق الصَّفدي بقوله: «قلتُ: الأوَّلُ أجودُ وأحسن».

(٢) مكتَّبةٌ: تورية المعنى الأول عليها كتابة، والمعنى الثاني مجهَّزة الكتائب المقاتلة.

(٣) مُنَقَّبةٌ: تورية: المعنى الأوّل من النَّقب، وهو الثَّقب، والثاني من النِّقاب وهو الغطاء.

(٤) التَّشبيبُ: تورية: المعنى الأول: التَّغزلُ بالمرأة. والثاني مشتقٌ من اسم الشَّبَّابة، أي العزفُ عليها.

(٥) الرَّباب: تورية: الأوَّل: اسم امرأة. والثاني: اسم آلة موسيقيَّة: الرَّبابة.

(الحاء)

(١٨٦)

وقال أيضاً[(١)]: [مخلَّع البسيط]

١. كـأسٌ رويَّـهْ — جَلا علينا النَّديمُ — أَمْ سَنا مِصباحْ؟

٢. أمْ شمسُ حُسْنِ — قَدْ توَّجتْها النُّجومُ — في سَما الأفراحْ؟

٣. هـاتِ الكُؤُوسا — ممزوجةً بالرُّضابْ — مِـنْ ثناياكـا

٤. واخْطُبْ عَروسا — تَروقُ تحتَ الحَبابْ[(٢)] — كسَـجاياكا

٥. وادْعُ الجَليسا — لِمَجْلِسِ وشَرابْ — مِثْـلِ رَيَّاكـا

٦. واشربْ سَبِيَّهْ[(٣)] — بها النُّفوسُ تهيمُ — وَلَهـا تَرتـاحْ

٧. مِـنْ بنـتِ دَنٌ — أليسَ نحنُ الجُسومُ؟ — وَهِـيَ الأرواحْ؟

٨. خُذْهـا مُدامـا — وَجُـرَّ ذيـلَ المجونِ — أيمّـا جَـرِّ

٩. وافْضِضْ فِداما[(٤)] — لها مِنَ الزَّرَّجونِ[(٥)] — طَيِّـبَ النَّشْـرِ

١٠. حيًّا النّدامى — بها سَقيمُ الجفونِ — نـاحلُ الخَصْـرِ

١١. حُـرُّ السَّجيَّهْ — حلْوُ الدَّلالِ رَخيمُ — خَنِـثٌ مَـزَّاحْ

---

(١) الموشح في فوات الوفيات؛ ١/ ١٠٠.

(٢) الحباب ما يظهر على سطح الخمرة من فقاعات، والعروس هي الخمرة، وخطبتها: عقد مجلس شرابها.

(٣) سبيَّةٌ: أصلُها: سبيئةٌ، وخفَّف الهمز، وقد وردت الخمرة بهذا الاسم في معلَّقة عمرو بن كلثوم المشهورة:

كـأنَّ سـبيئةً مـن بيـتِ رأسٍ

(٤) الفدامُ: الغطاء الذي على فم الإبريق لتصفيته.

(٥) الزَّرجون: الخمر.

١٢. لَدْنُ[6] التَّثَنِّي لَهُ قَوامٌ قَويمُ للقَنا فَضَّاحْ

١٣. مَدَّ الربيعُ للوَرْدِ أيَّ بِساطِ حَفَّ بالآسِ[7]

١٤. قُمْ يا خَليعُ إلى الصَّبوحِ بشاطي نَهْرِ باناسِ[8]

١٥. فما الهُجوعُ وقَدْ دعاكَ مُعاطي جذوةِ الكاسِ

١٦. في سُنْدُسيَّهْ أجرتْ عليها الغُيومُ مَدْمَعاً سَحَّاحْ[9]

١٧. مِنْ ماءِ مُزْنِ[10] وَصالَ منها النَّسيمُ أرجاً نَفَّاحْ

١٨. لنا خَليلُ نَراهُ منذُ ليالي غابَ عنَّا

١٩. وَما الشَّمولُ[11] لذيذةٌ وهْوَ سالي ألَيْسَ منَّا؟

٢٠. قُلْ يا رسولُ بأنَّنا في ظِلالِ رَوْضةِ غَنَّا[12]

٢١. زَبَرْجَديَّهْ وثَمَّ شادٍ وريمُ ويقايا راحْ

٢٢. ويومَ دَجْنِ وقَدْ دعاكَ النَّديمُ أَجِبْ يا صاحْ

٢٣. سَقْياً لِدَهْرِ مضى بعَلٍّ ونَهْلِ وبغِزلانِ

٢٤. وطِيْبِ عُمْرِ قضَى بليلةِ وَصْلِ ما لَها ثاني

٢٥. خَلَعْتُ عُذْري فيها وقُلْتُ لِخَليٍّ ولِنْدماني:

٢٦. في البَابليَّةْ[13] لا تَسْمَعنْ مَنْ يَلُومُ واهْجُرِ النُّصَّاحْ

٢٧. واشْربْ وغَنِّي: يا ليلةً لو تَدومُ دامَتِ الأفراحْ

---

(٦) اللَّدن: اللَّين.

(٧) الآس: الرَّيحان.

(٨) نهر باناس: أحد أنهار دمشق. يدخل إلى وسطها، يفترق عن بردى عند دمَّر انظر معجم البلدان (بردى) و(باناس).

(٩) سحَّاح: غزير.

(١٠) المزن: المطر.

(١١) الشمول: الخمرة.

(١٢) غنَّا: أصلُها: غنَّاء، وقصر الهمز للضرورة.

(١٣) البابلية: الخمرة: نسبةً إلى مدينة بابل.

(١٨٧)

وقال أيضاً[١] يعارضُ أحمدَ بن حسن الموصليَّ[٢]: [مخلع البسيط]

---

(١) الموشح في فوات الوفيات؛ ١/ ٩٩، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥٣، والمنهل الصافي؛ ١/ ٣٦٩.

(٢) أحمد بن الحسن بن علي الشَّاعر شهاب الدِّين الموصلي، شاعرٌ شهيرٌ بارعُ النَّظم ذو تفوُّق وغزارة في نظم الموشَّحات. ليس لدينا من أخباره ما يشفي، ولكن يبدو أنه كان من شعراء الملك المنصور الثاني ملك حماة [٦٤٢-٦٨٣]، مدحه بمدائح كثيرة، شعراً وموشَّحات. وقد عارضَ شعراء عصره كالقاضي الفاضل وغيره، وعارضه الشُّعراء، ومن بينهم الشاعر شهاب الدين العزازي، وقد عارضه في أكثر من موشَّحة انظر أخباره في المنهل الصَّافي؛ ١/ ٢٦٦، والدليل الشافي؛ ١/ ٤٣، والوافي؛ ٦/ ٣٢٣، وتوشيع التوشيح؛ ٣٩. وأما موشحته التي عارضها العزازي، فهي:

١. بأجفانــــــه الفَواتــــــرْ وقــــد تثنَّــــى زَيْــــنُ المــــلاحْ

٢. فســلَّ مِــنْ طَرْفــه بواتــرْ وهــزَّ مِــنْ عِطْفــه رِمــاحْ

★ ★ ★

٣. نـــاظرُه جـــرَّدَ المهنّـــدْ وغمْـــدُه منِّـــيَ الحَشـــا

٤. وعـــاملُ القَـــدِّ فهـــوَ أمْلَـــدْ يَطْعَـــنُ في القَلْـــب إذْ مَشـــا

٥. والعـــارضُ القَـــائمُ المُــزَرَّدْ لفتنـــة النَّـــاسِ قـــدْ نشَـــا

★ ★ ★

٦. والحـــاجبُ القَـــوْسُ بـــالفَواترْ لنبلـــه في الحَشـــا جـــراحْ

٧. ومُشـــرفُ الصُّـــدْغِ فهـــو جـــائرْ سُـــلطانُه للدِّمـــا أبـــاحْ

★ ★ ★

٨. فجفْنُـــه الفـــاتكُ «الكنـــاني» مِـــنْ مُقَـــلٍ راش لـــي نبـــالْ

٩. وَهْـوَ «الخَفـاجيُّ» قـد غزانـي وَوجْهُـــهُ مِـــن «بنـــي هِـــلالْ»

١٠ . «عَبْسيٌّ» لَحْظ لـه سَباني جسْـمُ «زَبْيـدي» بـالدَّلالْ

★ ★ ★

١١ . والرِّدْفُ يُدْعَى منْ «آل عامرْ» وواضحُ الصَّلْت منْ «صَباحْ»

١٢ . وخَصْرُه من هَضيم ضَامرْ يَدورُ منْ حولـه وشاحْ

★ ★ ★

١٣ . فوجهُـه جَنَّـةٌ وكَوثـرْ رُضابُـه العَذْبُ لـي حَلاَ

١٤ . والنَّـارُ في وَجنتيه تَسْعَرْ والخَـالُ حيالَهـا اصْطلَـى

١٥ . عَجبْتُ منْ خالـه المُعَنْبرْ إذْ يَعْبُـدُ النَّـارَ كَيْفَ لا

★ ★ ★

١٦ . يُحْرَقُ بالنَّار وَهْـوَ كـافرْ؟ وَمـا سَـقى ريْقُـه القَـراحْ

١٧ . «كاملٌ» حُسْن معناهُ «وافرْ» «بَسيطٌ» وَصْـف كالمسْك فاحْ

١٨ . ما اخضرَّ نبتُ العذار إلاَّ بآسـه يُبْهـجُ الشَّـقيقْ

١٩ . وهَـوَ كَنَمْل سعَى وولَّـى ولمْ يجدْ للجنَى طريقْ

٢٠ . منْ ريقه البدرُ إذ تجلَّـى في هالـة العـارض الأنيقْ

★ ★ ★

٢١ . لَمَّا تبدَّى بالوجه دائـرْ وحيَّر العقـلَ حينَ لاحْ

٢٢ . شـقَّ علـى خدِّه المرائـرْ وقطَّعَ الأنفُسَ الصِّحاحْ

★ ★ ★

٢٣ . وربَّ يـوم أتَـى وحيَّـا بالنَّجْم والشَّمس والقَمـرْ

٢٤ . بالكأس والـرَّاح والمُحيَّا ثلاثـة تَفْتـنُ البشَـرْ

٢٥ . وقالَ: قُمْ يا نديمُ هيَّا اقْض بنـا لَـذَّةَ الوطَـرْ

★ ★ ★

٢٦ . فالخمرُ تُجْلَى على المَزاهرْ منْ اغتباق إلى اصْطباحْ

٢٧ . وطافت الـرَّاحُ بالمجـامرْ منْ عنبر الزَّهْـر في البطاحْ

١. مـا سَـلَّتِ الأعـينُ الفَواتـرْ — مِـنْ غِمْـدِ أجفانِهـا الصِّفـاحْ
٢. إلاَّ أسـالتْ دَمَ المحـاجِرْ[١] — مِـنْ غـيرِ حَـرْبٍ ولا كِفـاحْ
٣. تاللّـهِ مـا حَـرَّكَ السَّـواكنْ — غـيرَ الظِّبـاءِ الجـآذِرْ
٤. لمَّـا اسـتجابتْ بكـلِّ طـاعنْ — مِـنَ القُـدودِ النَّواضِـرْ
٥. وفوَّقـتْ أسـهمَ الكَنـائنْ — مِـنْ كـلِّ جَفْـنٍ ونـاظرِ
٦. عُـرْبٌ إذا صِحْـنَ: يـالَ عـامرْ — بـينَ سَـرايا مِـنَ المـلاحْ
٧. ظَلَّـتْ علينـا مِـنَ المحـاجِرْ[٢] — طلائـعٌ تحمـلُ السِّـلاحْ
٨. أحبِـبْ بمـا تُطلِـعُ الجيُـوبُ — منهـا ومَـا تَـبرزُ الكِلَـلْ
٩. مِـنْ أقمُـرٍ مـا لهـا مغيـبُ — وأغْصُـنٍ زانَهـا المَيَـلْ
١٠. هيهـاتِ أنْ تَعـدِلَ القلُـوبُ — عنهـا ولَـوْ جـارتِ المُقَـلْ
١١. لمَّـا توشَّـحْنَ بـالغَدائرْ[٣] — سَـفَرنَ عـن أوجـهٍ صِبـاحْ
١٢. فـانهزمَ اللّيْـلُ وهْـوَ عـاثرْ — بذَيْلـهِ واختفَـى الصَّبـاحْ
١٣. وأهيـفٍ نَـاعمِ الشَّـمائلْ — تهـزُّه نَسْـمةُ الشَّـمالْ
١٤. فينثنـي كـالقَضيبِ مـائلْ — كمـا انثنـى شـاربٌ ومـالْ
١٥. لـهُ عِـذارٌ[٤] كـالنَّدِّ سـائلْ — للهِ كَـمْ مِـنْ دمٍ أَسـالْ
١٦. شُـقَّتْ علـى نَبْتـهِ المَرائـرْ[٥] — مِـنْ داخـلِ الأنْفُـسِ الصِّحـاحْ

---

(١) المحاجر: مفردها: محجر: الحجرة التي تستقرُّ فيها العين. وأسالت دمَها: أي صارت تبكي بدل الدُّموعِ دماً.

(٢) المحاجر هنا: مفردها محجر: الحرم والخدر الذي يَسترُ الملاح.

(٣) الغدائر: الضَّفائر: و توشَّحن بها لغزارتها وطولها صارت لهنَّ كالوشاح.

(٤) العذارُ: الخال.

(٥) المرائر: مفردها المرارة: وشقَّتْ لشدَّة الحزن والكلف به.

١٧. تَكِـــلُّ في وصفـــهِ الخواطِــرْ — وتَخْــرَسُ الألسُــنُ الفِصــاحْ

١٨. ظَبْـــيٌ إلـــى الإِنْـــسِ لا يَميـــلُ — الشَّــمسُ والبــدرُ مِــنْ حُــلاهْ

١٩. والحســـنُ قـــالوا ولَـــمْ يَقولـــوا: — مَبْـــداهُ منْـــهُ ومُنتهـــاهْ

٢٠. وطَرْفُـــه النَّـــاعسُ الكحيـــلُ — هيهـــاتَ مِـــنْ صُنْعِـــهِ النَّجـــاهْ

٢١. أَذَلَّ بالسِّـــحْرِ كُـــلَّ ســـاحِرْ — فهْـــوَ لـــه خـــافضُ الجَنـــاحْ

٢٢. يَجـــولُ في بـــاطِنِ الضَّمـــائرْ — كمـــا يجـــولُ القَضـــا المُتـــاحْ

٢٣. أَمَـــا تـــرَى الصُّبـــحَ قـــدْ تَطَلَّـــعْ — مُـــذْ غَمَّضَـــتْ أعـــينُ الغَسَـــقْ؟

٢٤. والبـــدرَ نحـــوَ الغُـــروب أســـرعْ — كهـــاربٍ نَالـــهُ فَـــرَقْ[٦]؟

٢٥. والبرقَ بـــينَ السَّـــحابِ يَلْمَـــعْ — كصـــارمٍ حـــينَ يُمْتَشَـــقْ؟

٢٦. وتحسَـــبُ الأَنْجُـــمَ الزَّواهـــرْ — أسِـــنَّةَ القَـــتِ الرِّمـــاحْ؟

٢٧. فـــانهزمَ النَّهْـــرُ وهْـــوَ ســـائرْ — فدرَّعتْـــهُ يـــدُ الرِّيـــاحْ

* * *

---

(٦) الفرق: الفزع و الخوف.

(الرّاء)

(١٨٨)

وقال[1]، يمدح السلطان الملك النَّاصر محمد بن قلاوون، ويُهنِّئُه بالنَّصر في غزوة شقحبَ[2] قبلي دمشق على التتار سنة ٧٠٢هـ: [الطويل]

١. لقد تمّتِ النُّعمى وضُوعِفَتِ البُشْرى ... وأظهرَ هذا الفتحُ في الأوجهِ البِشْرا

٢. فمنْ كان ذا نَذْرٍ فهذا أوانُه ... وَمَن كان ذا وِتْرٍ فقد أدرك الوِتْرا

٣. هناءً هناءً أيُّها النَّاسُ فالهُدى ... عَلاَ الشِّركَ والإيمانُ قدْ غلبَ الكُفْرا

٤. ولَمَّا غزا غازانُ عُقْرَ ديارنا ... وأعطاه مَنْ يُعطي ومَنْ يمنَحُ النَّصْرا

٥. تمرَّدَ طُغياناً وتَاهَ تجبُّراً ... ولم يَسْتَبِنْ نُصْحاً ولم يَسْتفِقْ سُكْرا

٦. وظنَّ بِأنْ لا غالباً لجُنُودهِ ... ولا قاهراً حتّى فتكْنا بهمْ قَهْرا

٧. وراسَلنا في الصُّلحِ مَكْراً وخِدْعةً ... وأيُّ امرِئٍ يرضَى الخديعةَ والمَكْرا؟

٨. فَسارَ لهُ منَّا رسولُ مُذكِّرٌ ... يُحذِّره العُقبى فلمْ تنفعِ الذِّكْرى

٩. وعاوَدنا بَغْياً وللبَغْيِ مَصْرعٌ ... فشاهدَ مِنْ إقدامِنا الآيةَ الكُبرى

---

(١) القصيدة في عقد الجمان؛ ٤/ ٢٧١-٢٧٢، وقد أكثر الشعراء القول في هذه المعركة، وصوّروا النصر الباهر الذي أحرزه السُّلطان على التتار . .

(٢) انظر ترجمتنا للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عند القصيدة (٣٧). وشقحب قبلي دمشق كما ذكر العزازي، وهي قرية في الشمال الغربي من جبل غباغب من أعمال حوران من نواحي دمشق. انظر معجم البلدان: (شقحب)، وقد قاد الملك الناصر قلاوون هذه المعركة بنفسه، ومعه جمع من الأمراء والجيوش المصريين والحلبيين وعساكر حماة والعربان، فالتقى الفريقان عند شقحب هذه بطرف مرج الصُّفّر في الثاني من شهر رمضان سنة ٧٠٢هـ، وأحرز فيها المسلمون نصراً كبيراً على التتار. انظر تذكرة النبيه؛ ١/ ٢٤٦.

١٠.وأنصفتِ الأيامُ في الحكمِ بيننا وكانتْ له الأولى[٣] وكانتْ لنا الأخرى

١١.هوَ الدهرُ لا يبقَى على فَرد حالةٍ فَطوراً يُرَى حلواً وطَوراً يُرى مُرًّا

١٢.رعَى اللهُ يوم المَرْجِ[٤] للتُّركِ أنفُساً تدرَّعَتِ الإقدامَ والبأسَ والصَّبْرا

١٣.غداةَ يَرَوْنَ القَتلَ في اللّهِ طاعةً صيامٌ يودُّون الحِمامَ لهُمْ فِطْرا

١٤.إذا ذكروا أُحُداً تمنَّوا بأنَّهمْ رأوا أُحُداً أو شاهدوا قَبْلَهُ بَدْرا[٥]

١٥.تَنادَوا وقالوا: في الثَّباتِ حَياتُنا ومِنْ هَهُنا نَلقَى النَّجاةَ أوِ الخُسْرا

١٦.وجاءتْ جيوشُ المَغْلِ كالرَّملِ كثرةً وقدْ مَلأتْ سهلَ البَسيطةِ والوَعْرا

١٧.وأقبلَ سُلطانُ الزَّمانِ «محمَّدٌ» يقودُ العِتاقَ الجُرْدَ والعَسْكَرَ المَجْرا[٦]

١٨.فطارتْ قلوبُ المارقينَ مخافةً وذُعْراً ويا ما أقتلَ الخوفَ والذُّعْرا

١٩.رأتْ أسْيُفاً شُهْباً وبِيْضاً قَواضِباً وخَطِّيَّةً سُمْراً وألويةً صُعْرا[٧]

٢٠.وحزِباً مِنَ الأتراكِ شُوساً ضَراغماً يَذُودونَ عن مصرٍ وعنْ ساكني مِصْرا

٢١.وكانَ نهارُ السَّبْتِ بالنَّصرِ شاهداً صَدوقاً وكان الوقتُ قد زاحمَ العصْرا

٢٢.فكرَّتْ وكرَّ المُسلمونَ فلا تَسَلْ لدَى الرَّوْعِ عن بحْرٍ غدا صادماً بحرا

---

(٣) يُشير العزازي إلى هزيمة المسلمين في معركة سابقة سنة ٦٩٩، انظر تذكرة النبيه؛ ١/ ٢٢٠.

(٤) المرج، هو مرج الصُّفَّر الذي حدثت فيه المعركة.

(٥) بدر وأحد الغزوتان الشّهيرتان بين النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وكفَّار قريش، وقعت بدر الكبرى سنة ٢هـ، وكان فيها النَّصر المؤزَّر للمسلمين، . وقعت أحد سنة ٣هـ، وفيها هزم المسلمون، واستشهد عدد من فرسانهم على رأسهم سيد الشهداء حمزة عمُّ النبي (ص).

(٦) العتاقُ الجرد: الخيل الأصيلة، والعسكر المجرُ: الجيش الكثير.

(٧) ألوية صعرٌ: رايات مرفوعةٌ تيهاً وزهواً، ولعلَّها: «صفرٌ» يُشير إلى لونها.

٢٣. ومدَّ سوادُ النَّقْعِ ليلاً فأطلعَتْ ... ذُبالُ القنى في كلِّ داجيةٍ فجرا
٢٤. ولله درُّ التُّركِ كمْ سفكتْ دَماً ... وكمْ فلَقتْ رأساً وكمْ طعنَتْ نحرا
٢٥. وكمْ طاعَنَتْ بالسُّمرِ حتَّى تقصَّفتْ ... وكمْ ضاربتْ بالبيضِ حتَّى انثنتْ حُمرا
٢٦. أمالوا عُروشَ الكافرينَ وكافحوا ... عنِ الدِّينِ يَرْجُونَ المثوبةَ والأجْرا
٢٧. فذلَّتْ وكانَ العزُّ ملْءَ رؤوسِها ... وقدْ أوطأتْها التُّركُ مِنْ بأسِها جَمْرا
٢٨. وولَّتْ ولاذَتْ بالجبالِ تحصُّناً ... ولولا تخافُ القتلَ لاختارتِ الأسْرا
٢٩. وجافتْ رحابُ الأرضِ من قُتلوا[٨] بِها ... ولكنَّها طابتْ لَنا شَقَّها نَشْرا
٣٠. ولمّا أتى الفتَّاحُ بالفتْحِ نحْوَنا ... شكَرْنا الذي يستوجبُ الحمدَ والشُّكرا
٣١. فحمداً لمنْ أعلى منارَ نبيِّهِ ... وشُكْراً لسُلطانٍ أبادَ العدَى قَسْرا
٣٢. أجلُّ الملوكِ «النَّاصرُ بنُ قَلاوُنٍ» ... وأبركُهمْ وجْهاً وأرحبهُمْ صَدْرا
٣٣. لقدْ خلَفَ «المنصورَ»[٩] هدْياً وَهيبةً ... ومَنْقبةً طُولَى ومنقبةً بِكْرا
٣٤. فلا زالتِ الأقدارُ طَوْعَ مُرادهِ ... ولا زالَ يَعلُو فوقَ هَامِ السُّهَى[١٠] قَدْرا

---

(٨) في المطبوعة: قتلائها، والصَّواب ما أثبتنا.

(٩) المنصور والد السلطان الناصر.

(١٠) السُّهى: أحد الكواكب السَّيَّارة، وهو كوكبٌ خفيٌّ من بنات نعش الصُّغرى، والنَّاسُ يمتحنون به أبصارهم.

(١٨٩)

وقال أيضاً[(١)]: [البسيط]

١. أدركْ بقيَّـةَ نَفْـسٍ مَـاتَ أكثرُهـا ... اصبحتَ بالهجرِ تَطويها وتنْشُرُها

٢. يا مَنْ إذا نظرتْ عيني محاسنَهُ ... أَلومُها في هَواه ثُمَّ أَعذِرُها

٣. حسبي عَلاقةُ حُبٍّ قدْ بَرَتْ جسَدي ... حَتَّامَ أكتُمُها والدَّمعُ يُظهِرُها

٤. ومهجةٌ يتَحاماها تجلُّدُها ... إذا هجرتَ ويَغشاها تذكُّرُها

٥. يا للِّرجالِ أما في الحبِّ مِنْ حَكَمٍ ... ينهَى العُيونَ إذا جارتْ ويزجرُها؟

٦. ويا وُلاةَ الهوى قوموا لِنَصْرِ فتًى ... حقوقُه بيِّناتٌ وهْيَ تُنكِرُها

٧. لا تطلُبنَّ مِنَ الأعطافِ عاطفةً ... فإنَّ أعدَلَها في الحُبِّ أَجْوَرُها

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات: ١/ ١٠٥.

(١٩٠)

وقال[1]: [الوافر]

١. أراكَ فيمتلــــي قلبـــي سُـــروراً وأَخْشَــى أَنْ يَشِــطَّ بنـــا المَــزارُ

٢. أَقِــمْ واهجــرْ وصُــدَّ ولا تَصِلْنــي رَضيــتُ بــأنْ تَجـورَ وأنــتَ جــارُ[2]

---

(١) البيتان في المنهل الصَّافي؛ ١/ ٣٦٥.

(٢) في (وأنتَ جارُ) تورية جميلة، فالجملة المؤلفة من المبتدأ والخبر مسبوقة بـواو الحـال، أي: أنـتَ جـارٌ مجاورٌ لـي. ويصـح أن يقـالَ: وأن تُجـارُ رغـم الوقــوع في الخلــل الإعرابي، ويكون المعنى أرضى أن تظلمَ مُحبَّكَ وأن تُجارَ وتُحَمى من قبله.

(١٩١)

وقال أيضاً[1]: [السريع]

---

(١) الموشح في فوات الوفيات؛ ١/ ٩٨، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥١، والمنهل الصَّافي؛ ١/ ٣٦٥، وقد ذكرنا أنَّ العزازيَّ عارض الموصلي بأكثر من موشَّحة، وأمَّا موشَّحة الموصلي التي عارضها هنا، فقد أوردها الصفدي في الوافي؛ ٦/ ٣٣٠، وهذا ما ذكره منها:

بـي حـارسٌ في خـدّه الجُلّنـارْ   على البَهارْ بنرجسِ الطَّرفِ وآسِ العذارْ

فـالوردُ مـنْ وجَنْتـه والشَّـقيقْ

والشَّـهدُ مـنْ ريقتـه والرَّحيـقْ

وثغـرُه البلّـورُ غشّـى العقيـقْ

عقـدٌ ثمـينٌ كـاللآلي الصِّغـارْ   لـه افترارْ بـه حَوى رقَّ النُّفوسِ الكبارْ

الصُّبـحُ واللَّيـلُ لهـذا الهـلالْ

الفَرْقُ والفـرعُ هـدًى مَـعْ ضـلالْ

وعمَّـه بالحُسـنِ في الخـدِّ خـالْ

فخدُّه والصُّدغُ بالاحمرارْ والاخضرارْ   قـدْ ألبسـاني حُلَـلَ الاصفـرارْ

بـدرُ تمـامٍ في بـروجِ السـعودْ

ظبـيُ كنـاسٍ قـاتلٌ بالأُسـودْ

غصـنُ أراكٍ مـائسٌ في بـرودْ

فـذا لـه الأفـقُ الرَّفيـعُ المنـارْ   وذا النِّفارْ وذا مـنَ الحُسـنِ . . . . . (*)

رَنـا حُسـاماً وانثنـى أسـمرا

(*) هنا عبارة ساقطة من الأصل.

يـا لَيلـةَ الوَصْـلِ وكـأْسِ العقـارْ دُونَ اسْـــتتارْ عَلَّمْتُاني كيفَ خَلْعُ العِذارْ

اغتنــم اللّـــذَّاتِ قبــلَ الذّهـــابْ

وجـــرّ أذيـــالَ الصِّبــا والشَّـــبابْ

واشـربْ فقـدْ طـابتْ كُـؤوسُ الشَّـرابْ

علـى خُـدودٍ تُنبـتُ الجلُّنـارْ ذاتِ احمـــرارْ طرزّهـا الحُسْنُ بـآسِ العِذارْ

الـــرَّاحُ لا شـــكَّ حيـــاةُ النُّفـــوسْ

فحَـلَّ منهـا عـــاطلاتِ الكُـــؤُوسْ

واســتَجْلِها بـينَ النَّدامـى عــروسْ

تُجلَـى علـى خُطَّابِهـا في إزارْ مِـنَ النُّضـارْ حبَابُهـا قـامَ مقـامَ النُّثـارْ

أَمــا تَـــرى وجــهَ الهَنـا قـدْ بــدا؟

وطــــائرَ الأشـــجارِ قـــدْ غَـــرَّدا؟

والـرَّوضَ قَـدْ وَشَّـاهُ قَطْـرُ النَّـدى؟

ولاحَ بـــدراً وعَطـــا جـــؤذرا

ومـــاجَ بحـــراً وســـطا قَسْـــوَرا

وفـــاحَ مســـكاً وتغنَّـــى هـــزارْ حيّا وزارْ و ردَّ حبّاتِ القلوب الفتارْ

في بلـــدةِ القلــــبِ تبـــدّى القَمْـــر

وبالجمـــال الفـــردِ عقلـــي قَهَـــرْ

وأســهرَ الطَّـــرفَ الرشــا إذ هجـــرْ

وجَفْنُـه الوَسْنانُ بالانكسارْ لـه انتصـارْ وقـــدُّه العـــادلُ بـــالميلِ جـــارْ

ورُبَّ يـــومٍ قـــدْ ســـقاني المُـــدامْ

راحٌ لهـا بـالرُّوح قـدْ ســامَ ســامْ

وكـمْ علـى كاسـاتها حــامَ حــامْ

شـبّهتُه لمّا علينـا أدارْ كـأسَ العقـارْ بـدرَ الدُّجى يسعَى بشمسِ النهـارْ

فكمِّلِ اللَّهْوَ بكأسٍ تُدارْ على افترارْ مَباسمِ النُّوَّارِ غِبَّ القِطارْ

اجْنِ مِنَ الوَصْلِ ثِمارَ المُنَى

وواصلِ الكأْسَ بما أمْكَنا

معْ طَيِّبِ الرِّيْقَةِ حلْوِ الجَنَى

بِمُقْلَةٍ أفْتَكَ مِنْ ذِي الفَقارْ[1] ذاتِ احْوِرارْ منصورةِ الأجفانِ بالانْكِسارْ

زارَ وقدْ حلَّ عُقودَ الجَفا

وافترَّ عَنْ ثغرِ الرِّضى والوَفا

فقلتُ والوقتُ لنا قدْ صَفا:

يا ليلةً أنْعَمَ فيها وزارْ شَمْسُ النَّهارْ حُيِّيتِ مِنْ بَيْنِ اللَّيالي القِصارْ

---

(١) شبَّه ألحاظه بذي الفقار سيف الإمام عليّ كرم اللّه وجهه المشهور بالمضاء، والذي اقترنَ حدُّه بانتصارات الإسلام الباهرة على الشرك.

(العين)

(١٩٢)

وقال أيضاً[١]: [الطويل]

١. أَ «رامـةُ»[٢] لـلآرامِ[٣] كنـتِ مراتعـا ... فمالَكِ للعُشّاقِ صرتِ مَصارعا؟

٢. فـأين غصـونٌ كـنَّ فيـك مَوائسـاً؟ ... وأيـنَ بُـدورٌ كُـنَّ فيـك طوالعـا؟

٣. وقفْنـا لتوديـعِ الحمُـولِ عشـيَّةً ... نَبـثُّ صبابـاتٍ ونُـذري[٤] مدامعـا

٤. وعُدْنـا ومـا بَـلَّ الـوَداعُ غليلَنـا ... ولا بـرَّدَتْ منَّـا الدُّمـوعُ الأضالعـا

٥. سـألتُكما مـا ضـرَّ حـادي ركـابِهِمْ ... لـو احتَبـسَ الأظعـانَ أو كَـرَّ راجعـا؟

٦. ومـاذا علـى المُسـتودَعين قلوبَنـا ... «بحَبْلَـي زَرُودٍ»[٥] لـو ردَدْنَ الودائعـا؟

٧. تعرَّضْـنَ لـي يـوم «الكَثيـبِ» كأنَّمـا ... تعـرَّضَ لي سِرْبٌ مِنَ الرَّملِ راتعـا

٨. ومـا كنـتُ أدري أنَّ بـينَ سُـتورِهِمْ ... شُموسَ الضُّحى حتَّى رفعْنَ البَراقعا[٦]

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات؛ ١/ ١٠٤.

(٢) رامة: اسم مكان في جزيرة العرب كثير الورود في أشعار العرب العذريّين والمتصوّفة.

(٣) الآرامُ: الظّباء.

(٤) نُذري مدامعاً: نصبُّ الدُّموع بكاءً على الفراق.

(٥) زرودُ، لعلَّها من الزَّرد، وهو البلع، وسمّيتْ بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السَّحائب، وزرود: رمالٌ بين الثَّعلبيَّة والخُزيميَّة بطريق الحاج مـن الكوفة، وزعـم ابـن الكلبي أنَّ زرود والشُّقرة والرَّبذة بناتُ يثرب بن قانية بن مهليل بن رخام. . . بن نوح عليه السَّلام. وتسمَّى زرود العقبة، وهي دون الخزيمية بميل. قالوا: أوّل الرمال: الشيحة ثم رمل الشـقيق، وهـي خمسة أجبل: جبلا زرود وجبل الغرِّ ومُربخ وجبل الطريـدة حتى تبلـغ الحجـاز. انظر معجم البلدان (زرود). وحبلا زرود هنا «بالحاء»: طريقان من الرَّمل فيها.

(٦) البراقع: السُّتور.

(القاف)

(١٩٣)

وكتب هذه الموشَّحةَ، يمدحُ بها الشَّاعرَ شهابَ الدِّين التَّلَّعفريَّ[1]: [الرمل]

---

(١) الموشحة في فوات الوفيات؛ ٤/ ٦٨، والوافي بالوفيات؛ ٥/ ٢٦٠. وانظر ديوان التلعفري بتحقيقنا؛ ٥٩٨. وأما الموشحة التي أجابه بها شهاب الدين التلعفري فهي:

لَيْسَ يَروي ما بِقَلْبي مِنْ ظما غَيْرُ بَرْقٍ لائحٍ مِنْ «إِضَمِ»

إِنْ تَبَدَّى لَكَ بانُ «الأَجْرَعِ»

وَأُثَيْلاتُ النَّقى مِنْ «لَعْلَعِ»

يا خَليلي قِفْ على الدَّارِ مَعي

وَتَأَمَّلْ كَمْ بِها مِنْ مَصْرَعِ

واحترِزْ واحْذَرْ فَأَحداقُ الدُّمى كَمْ أَراقَتْ في رُباها مِن دَمِ

حَظُّ قَلْبي في الغَرامِ الوَلَهُ

فَعَذولي فيهِ ما لي وَلَهُ؟

حَسْبِيَ اللَّيلُ فَما أَطْوَلَهُ

لَمْ يَزَلْ آخِرُهُ أَوَّلَهُ

في هَوَى أَهْيَفَ مَعْسولِ اللَّمى ريقُهُ كَمْ قَدْ شَفى مِنْ أَلَمِ

سائلي عَنْ «أَحمدٍ» ممّا حَوى

مِنْ خِلالٍ هِيَ لِلدَّاءِ دوا

ما سِواهُ وهْوَ ـ يا صاحِ ـ سِوَى

ناشِرٍ مِنْ كُلِّ فَنٍّ ما انْطَوى

بـاتَ طَـرْفِي يتشـكّى الأَرَقـا وتوالَـتْ أدمُعـي لا ترتقـي

ليـتَ أيّـامي ببانـاتِ اللّـوَى

غفلَـتْ عنهـا لُيَيْـلاتُ النَّـوى

عـاذلاتي بـاعتلاقي بـالهوى

كيـف سُلواني وقلبـي والجَـوَى

أقسَما في الحـبّ لـنْ نفترقـا وجفونـي أقسـمت لا تلتقـي؟

ولقـد همْـتُ بـذي قـدٍّ نَضِـرْ

قامَـةُ البانـةِ منـهُ تنهصِـرْ[1]

ذي رضـابٍ بـاردِ الظَّلْـم خَصِـرْ

في فـؤادي منـهُ نـارٌ تسـتعِرْ

بَحْـرُ آدابٍ وَفَضْـلٍ قَـدْ طَمَـى فاخْشَـى مِـنْ آذيِّـهِ الْمُتَطِـمِ

العَـزَازيُّ الشِّـهابُ الثَّـاقِبُ

شُـكْرُهُ فَـرْضٌ عَلَينـا واجِـبُ

فَهْـو ـ إذ تَبْلـوهُ ـ نعْـمَ الصَّاحِبُ

سَـهمُهُ في كُـلِّ فَـنٍّ صَـائِبُ

جـائِلٌ في حَلْبَـةِ الفَضْـلِ كَمـا جَالَ في يَوْمِ الوَغَـى شـهمٌ كمـي

شـاعرٌ أبـدَعَ في أشـعارِه

وَمَتـى أنْكَـرْتَ قَوْلـي بـارِه

لـو جَـرى «مهْيـارُ» في مضْمـارِه

و«الخوارزمـيُّ» في آثـارِه

قُلْـتُ: عـودا وارجِعـا مَـنْ أنتُمـا ذا «امـرؤُ القَيْـسِ» إليـهِ يَنْتَمـي

(١) تنهصرُ: تتثنَّى.

رشـأٌ قلبـي بـهِ قـدْ علِقـا　　جلَّ مَـنْ صـوّره مِـنْ عَلَـقِ[٢]

سـالَ في سـالفهِ المِسـكُ فنَـمْ[٣]

وشـذا المسـكِ أبَـى أن يُكتَتَـمْ

أحـورٌ صحّـحَ عينيـهِ السَّـقَمْ

مُـذْ تبـدّى وتثنّـى وابتسَـمْ

خِلتُـه بـدراً علـى غُصـنِ نقـا　　باسـماً عـن أنفَسِ الـدرِّ نقـي

سـادَ بـالدلِّ وفـرطِ الخَفَـرِ

سـانِحاتِ الظَّبَيـاتِ العُفُـرِ[٤]

مثلمـا فـاقَ فتـى «التّلّعفـري»

قالـةَ الشِّـعر بوشْـيِ الحِـبَرِ

أريَحِـيٌّ خُـصَّ لمّـا خُلِقـا　　بِسَخا[٥] النَّفس وحُسْنِ الخُلُقِ

شـاعرٌ فـاقَ فُحـولَ الشُّـعَرا

بقَـوافٍ مِثـلِ إطـراقِ الكَـرَى

باسـماتٍ يَجتلـي منهـا الـوَرَى

ثَغـراً يبسـمُ أو زَهْـراً يُـرَى

كُلّمـا لاحَ سَـناها مُشْـرِقا　　سجدَ الغـربُ لفضـلِ المَشـرقِ

شيمةٌ أصفى منَ الرَّاحِ الشَّمُولْ

همّةٌ أوفتْ على العلياءِ طُولْ

نَبْعةٌ[٦] جرَّتْ على النَّجمِ النُّيولْ

---

(٢) العلقُ: الدَّمُ، واقتبس الصُّورة من القرآن الكريم في سورة العلق: ﴿خلق الإنسان من علق [العلق؛ ٢]﴾.

(٣) نم: أصلُها: نمَّ، أي: انتشر وشاع، وسكَّنها ضرورةً.

(٤) العفر واحدها أعفر وعفراء: الظّبي الأبيض.

(٥) سخا: أصلُها: بسخاء، وخفَّف الهمز للضرورة.

(٦) النَّبعة: الأصل، وهو في الأصل نوعٌ من الشجر الطويل القاسي.

دوحـةٌ طـابتْ فروعـاً وأصـولْ

سـحّ جَـودٌ[٧] في ذُراهـا ورَقـا فكســاها يانعــاتِ الــوَرَقِ

أيّهـا المُـوفي علـى عهـدِ الزَّمـنْ

كَرمـاً مَحْضـاً وفضـلاً ومِنَـنْ

حاكـه الخـادمُ مـن غـير ثمـنْ

جـالبَ الوشْـيِ لِصنعـاءِ اليمـنْ

فاســتمْعها زادكَ اللّـــهُ بَقـا مَدْحةً لمْ يحكِها «ابنُ بقـي»[٨]

---

(٧) سحَّ جودٌ: انسكب مطرٌ.

(٨) ابنُ بقي: أشهر شعراء الموشَّحات في الأندلس، وأوَّل من طوَّر هذا الفنّ.

(١٩٤)

وقال أيضاً[١]: [مخلع البسيط]

١. وَقفتُ مُـذْ سـارتِ المَحامِلْ ... واقتربتْ ساعةُ الفِراقْ
٢. أُكفْكِفُ الدَّمعَ بالأنامِلْ ... والدَّمعُ يأبى إلاَّ الدِّفاقْ
٣. هلْ للعَزا بعدهمْ سَبيلُ؟ ... أَمْ هلْ لطيفِ الكَرى مَزارْ؟
٤. هيهاتَ والصَّبرُ مستحيلُ ... والقلبُ لا يملِكُ القَرارْ
٥. إنْ أوحشتْ منهمُ الطُّلولُ ... فَطالَما آنسَوا الدِّيارْ
٦. ساروا وقدْ زُمَّتِ المَحامِلْ ... بهمْ وأظعانُهمْ تُساقْ
٧. وخلَّفوا أضلعاً نَواحِلْ ... تَرِقُّ مَعْ أدمُعٍ تُراقْ
٨. قِفْ باللِّوى نندُبِ الرُّبوعا ... على فِراقِ الحَبائِبِ
٩. واسفحْ بأطلالِها الدُّموعا ... إنْ كنتَ خِلِّي وصاحبي
١٠. ملاعبٌ تُنْبِتُ الوُلوعا ... سَقْياً لها مِنْ مَلاعِبِ
١١. ما بالُ أقمارِها أوافِلْ ... وقَدْ محا نُورَها المَحاقْ؟
١٢. ومَا لِباناتِها ذَوابِلْ ... وكُنَّ مهزوزةً رِشاقْ؟
١٣. بكيتُ مِنْ لوعتي ووَجْدي ... حتَّى فَني كَنْزُ أدْمُعي
١٤. وكانَ يومَ الفِراقِ وُدِّي ... تبكي عُيونُ الحَيا[٢] معي
١٥. إنْ لمْ أفِ بعدَهمْ بعهْدي ... فكنتُ في الحُبِّ مُدَّعي
١٦. فإنْ جَفا النَّومُ وَهْوَ واصِلْ ... فكلُّ شَمْلٍ لهُ افتراقْ

---

(١) الموشح في فوات الوفيات؛ ١/ ١٠٣.

(٢) الحيا: المطر.

١٧. أو غـاضَ دَمعـي وكـانَ سـائلْ فـالنِّيلُ يعتـادُه احـتراقْ

١٨. مَـنْ لِفتـى سـاهرِ المـآقي قـدْ ذَلَّ في طاعَـةِ الهَـوى؟

١٩. يشـكو إلـى الله مـا يُلاقـي مِـنَ التَّبـاريحِ والجَـوَى

٢٠. قـد بلغـتْ رُوحُـهُ الـتَّراقي[٣] مُـذْ بَعُـدَتْ شُـقَّةُ النَّـوى

٢١. صَـبٌّ لِثِقْـلِ الغَـرامِ حـاملْ وحَمْـلُ ذَيَّـاكَ لا يُطـاقْ

٢٢. راحَ لكـأسِ الفِـراقِ نـاهلْ وكأسُـهُ مُـرَّةُ المَـذاقْ

---

(٣) التَّرقوة وجمعها التَّراقي: مقدَّم الحلق في أعلى الصَّدر حيث يترقَّى فيه النَّفَس، وبلغت الرُّوح التراقي كنايةٌ عن دنوِّ الأجل أو بلوغ الأمر ذروته في الصُّعوبة، والصُّورة مستفادةٌ من القرآن الكريم: ﴿كلاَّ إذا بلغتِ التَّراقي [القيامة: ٢٦]﴾.

(الكاف)

(١٩٥)

وقالَ[١]: [الخفيف]

١. جَعَلَتْ يومَ «قارةٍ»[٢] كُلَّ وجهٍ شِدَّةُ البردِ وَهْوَ للقارِ يَحكي

٢. وأسالتْ مِنَّا الدُّموعَ وما زِلْـ ـنا بها في منازلِ «النَّبْكِ»[٣] نَبْكي

---

(١) البيتان في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٣، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥١.

(٢) قارة: اسمُ قريةٍ كبيرةٍ على قارعة الطريق، وهي المنزلُ الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وهي كانت آخرَ حدود حمص، وما عداها من أعمال دمشق... وهي على رأس قارة.. وبها عيونٌ جاريةٌ يزرعون عليها. انظر قارة في معجم البلدان (قارة). وجانس بين قارة: اسم البلدة، والقار: الطلاء المعروف.

(٣) النَّبْكُ: قرية مليحة بذات الذَّخائر بين حمص ودمشق، فيها عين عجيبةٌ باردةٌ في الصَّيف صافية طيِّبة عذبةٌ، يقولون: مخرجُها من يبرود. انظر معجم البلدان: (النبك). وجانس بين النَّبك اسم البلدة ونبكي الفعل من البكاء.

(اللام)

(١٩٦)

ومن موشَّحاته[1]: [السّريع]

مـــا علَـــى   مَـــنْ هـــامَ وَجْـــداً بِـــذَوات الحلَـــى

مُبْتَلَـــــى   بـــالحدَقِ السُّـــودِ وبِيْـــضِ الطُّلَـــى

بـــــاللِّوى   مَلَـــيٌّ حُسْـــنٍ لِدِيُونـــي لـــوَى

كَـــمْ نـــوَى   قَتْلـــي وكَـــمْ عذّبَنـــي بـــالنَّوى

قَـــدْ هـــوَى   في حُبِّـــهِ قلبـــي بحُكْـــمِ الهـــوَى

واصطلَـــــى   نـــارَ تجنّيْـــهِ ونـــارَ القِلَـــى

كيـــــفَ لا   يَـــذُوبُ مَـــنْ هـــامَ بريـــمِ الفَـــلا؟

هَـــلْ تُـــرَى   يجمعُنـــا الدَّهـــرُ ولـــو في الكـــرَى

أمْ تَـــــرَى   عينـــي مُحيًّـــا مَـــنْ لجِســـمي بَـــرَى؟

بالسُّـــــرى   يـــا حـــادِيَيْ ركـــبٍ بليـــلٍ سَـــرَى

عَلِّـــــلا   قلبـــي بِتَذْكـــارِ اللِّقـــا علِّـــلا

وانْـــــزِلا   دُونَ الحِمَـــا حَـــيّاً الحِمـــى مَـــنْزِلا

بـــي رَشَـــا[2]   دَمْعـــي بِسِـــرِّي في هـــواه فَشـــا

---

(١) الموشح في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٣، وتوشيع التوشيح؛ ٨٠، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥٢، والمنهل الصافي؛ ١/ ٣٦٧.

(٢) رشا: أصلُها: رشأٌ، وخفَّف الهمز للضرورة.

لَـوْ يشَـا[٣]	بَـرَّدَ منِّـي جَمَـراتِ الحشَـا
مـا مشَـى	إلا انْثَنـى مِـنْ سُـكْرِهِ وانتشَـى
عَطْـلا	مِـنَ الحمُيَّـا يـا مُديـرَ الطِّـلا
مَـا حَـلا	إذا أدارَ النَّـاظرَ الأكْحَـلا
هـلْ يُـلامْ	مَـنْ غَلَـبَ الحُـبُّ عليـهِ فهَـامْ؟
مُسْـتَهامْ	بفـاترِ اللَّحْـظِ رشـيقِ القَـوامْ
ذي ابتسـامْ	أحسـنَ نظمـاً مِـنْ حُبـابِ المُـدامْ
لـو مَـلا[٤]	مِـنْ رِيقِـهِ كأسـاً لأحيْـا المَـلا
أوْ جَـلاَ	وَجْهـاً رأيـتَ القَمَـرَ المُجْتَلـي
لـو عَفَـا	قلبُـكَ عمَّـنْ زلَّ أو مَـنْ هفَـا
أوْ صفَـا	مـا كـانَ كـالجَلْمَدِ أوْ كالصفَّـا[٥]
بالوفَـا[٦]	سَـلْ عـنْ فتَـى عنَّبْتَـهُ بالجَفـا:
هـلْ خـلاَ	فُـؤادُه مِـنْ خَطـراتِ الـوَلا[٧]؟
أوْ سَـلا	أوْ خـانَ ذاكَ المَوْثِـقَ الأوَّلا؟

---

(٣) يشا: أصلُها: يشاءُ: وخفَّف الهمز للضرورة.

(٤) ملا: أصلُها: ملأ، وخفف الهمز للضرورة.

(٥) الجلمد والصَّفا: الصَّخر.

(٦) بالوفا: أصلُها: بالوفاء، وخفَّف الهمزة للضرورة.

(٧) الولا: أصلُها: الولاء، وخفف الهمزة للضرورة.

(١٩٧)

وقال ملغزاً في القَوس والنَّشَّاب[1]: [الخفيف]

١. مـا عَجـوزٌ كبـيرةٌ بلغَـتْ عُمْــ ـراً طويـلاً وتتَّقيهـا[2] الرِّجـالُ؟

٢. قَدْ عـلا جِسْمَهَا صَغـارٌ ولـمْ تَشْـ ـكُ سَـقاماً ولا عَراهـا هُـزالُ

٣. ولَهـا في البَنـينَ سَـهمٌ وقَسْـمٌ وبنوهـا كِبـارُ قَـدْرٍ نِبـالُ

٤. وأراهـا لَـمْ يُشْـبِهوها ففـي الأمِّ اعْوِجـاجٌ وفي البنـينَ اعْتِـدالُ

---

(١) الأبيات في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٢، وعلَّق الصَّفديُّ بقوله: «قلتُ: ما أصنعَ البيت الثالث وأحسنَه!»، والدرر الكامنة؛ ١/ ١١٥، وفوات الوفيات؛ ١/ ٩٧، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥١، وشذرات الذهب؛ ٦/ ١٦٢.

(٢) في الدرر وشذرات الذهب: «ويبتغيها»، وهو الأصوب.

(١٩٨)

وقال أيضاً[١]: [المتقارب]

١. تَعَشَّقْتُهُ ساحِرَ المُقْلَتَيْنِ   كَبدْرٍ يَلوحُ وغُصْنٍ يَميلُ
٢. إذا احمرَّ مِنْ وَجْنتيهِ الأسِيلُ[٢]   أو احورَّ مِنْ مُقْلَتيهِ الكحيلُ
٣. فقُلْ للشَّقائِقِ: ماذا تَرَيْنَ؟   وللنَّرجسِ الغَضِّ: ماذا تَقولُ؟
٤. وقالُوا: ذُبُولٌ بِأعطافِهِ   فقُلْتُ: يَزينُ القَناةَ الذُّبُولُ[٣]
٥. وعابُوا تَمَرُّضَ أجْفانِهِ   فقلتُ: أصحُّ النَّسيمِ العَليلُ[٤]

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات؛ ١/ ٩٧، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥٠.

(٢) الأسيل: صفحة الخد الناعمة.

(٣) تُمدح القناة بالذُّبول، وبها يُشبَّه العاشقُ النَّاحل، ولعلَّه اقتبس البيت من المتنبي في إحدى سيفياته:

إن تريني أدمتُ بعدَ بياضٍ   فحميدٌ من القناةِ الذُّبولُ

(٤) في العليل تورية مليحة.

(١٩٩)

وقال[1]: [السّريع]

١. مُنذُ عشقتُ الشَّارعي[2] الذي بالحُسْنِ يَغْتالُ ويَخْتالُ

٢. لم يَبْقَ فِي ظهري ولا راحتي تاللَّهِ لا ماءٌ ولا مالُ[3]

---

(١) البيتان في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧١، وفوات الوفيات؛ ١/ ٩٦، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٤٨.

(٢) لعلَّ اسم الغلام هو الشَّارعيُّ، وفي البيت تورية بين اسمه ونسبتهِ للشَّارع رمزاً للتهتُّك والخلاعة.

(٣) في البيت خبثٌ وجرأةٌ تتجاوز الحدَّ، وأثبتناهما للأمانة العلمية.

(الميم)

(٢٠٠)

وقال أيضاً[1]: [المضارع]

١. يـــا راشـــقَ القَلْـــبِ منّـــي	أصبـــتَ فـــاكْفُفْ سِـــهامَكْ
٢. ويـــا كثـــيرَ التَّجَنُّـــي	منعـــتَ عنّـــي سَـــلامَكْ
٣. وخُنْـــتَ ذِمَّـــةَ صَـــبٍّ	مـــا خـــانَ قَـــطُّ ذِمـــامَكْ
٤. فـــارْدُدْ علـــيَّ مَنـــامي	فـــلا عَدِمْـــتَ مَنـــامَكْ
٥. فمَـــنْ رأى سُـــوءَ حـــالي	بكَـــى علـــيَّ وَلامَـــكْ
٦. فَلـــو أردتَ حيـــاتي	لَمـــا هـــزَزْتَ قَوامَـــكْ
٧. بمَنْ أحلَّـــكَ قَلْبـــي	ارفَـــعْ قليـــلاً لِثـــامَكْ
٨. وابسِـــمْ لعلِّـــيَ أَحْيـــا	إذا رأيـــتُ ابتســـامَكْ
٩. يـــا خـــدَّه مـــا أُحَيْلـــى	للعاشـــقينَ التثـــامَكْ
١٠. بكيتُ دالاً وميمـــا	لَمّـــا تـــأمَّلْتُ لامَـــكْ[2]

---

(١) الأبيات في فوات الوفيات: ١/ ١٠٥.

(٢) اللاَّم: الشخصُ والهيئة، وقولُه: بكيتُ دالاً وميماً، أي دماً، ولمَّا ذكر الدَّال والميم في الصَّدر ذكر اللاَّم في العجز، فيكون في البيت تورية بين اللاَّم الشخص، واللاَّم: الحرفُ، واللاَّم: العذار.

(٢٠١)

قال العيني في عقد الجمان[1]: «ولَّما فتح بابَه، وجد شخصاً من طلبته جالساً على الباب، فسلَّم عليه، وناوله ورقَةً مكتوبٌ فيها: من شهاب الدين الأعزازي الشَّاعر، وأخبرَ أنَّ شهاب الدين المذكور حضرَ إلى بيته وقتَ الأذانِ، وأعطاهُ هذه الورقة، وقال: عرِّف قاضي القُضاةِ: ما انتظارُه في هذا الزِّنديقِ؟ وفيها من شِعرِه: [السَّريع]

١. قُل للإمامِ العادلِ المُرتَضَى　　　وكاشِفَ المُشْكِلِ والمُبْهَمِ:

٢. لا تُمْهِلِ الكافرَ واعمَلْ بما　　　قد جاءَ في الكافرِ عن «مسلمٍ»[2]

فلَّما وقف عليها تبسَّمَ، وقال: شاعرٌ ومكاشِفٌ، هكذا عَزَمْنا إنْ شاءَ اللَّه».

---

(١) انظر عقد الجمان؛ ٤/ ١٨٠، والسلوك؛ ١/ ٩٢٦، وقد ذكر محقّق السلوك أنَّ لهذين البيتين تتمَّةً عددُها ثلاثة أبيات، ولم يثبتها.

وقال: «قال العزازي الأبيات، يحرِّض فيها القاضي ابن دقيق العيد على قتل فتح الدين أحمد بن محمد البققيّ الحموي الأصل». وقد قُتِلَ بحكمٍ قضائي في القاهرة في ربيع الأوَّل سنة ٧٠١هـ. انظر تفصيل القصَّة في عقد الجمان؛ ٤/ ١٧٧ وما بعد، والسلوك؛ ١/ ٩٢٥ وما بعد.

(٢) في البيت تورية بين مسلم: صفة من يدين بالإسلام، ومسلم إمام من أئمة الحديث السّتَّة، وصاحب الصَّحيح المشهور.

النّون

(٢٠٢)

وقال[1]: [الخفيف]

١. قالَ لي مَنْ أُحِبُّهُ عندَ لَثْمي ... وجَناتٍ يُحَدِّثُ الوردُ عنْها:

٢. خلِّ عنّي أمَا شَبِعْتَ؟ فناديـ ... ـتُ: رايتَ[2] الحياةَ يُشبَعُ منْها؟

---

(١) البيتان في أعيان العصر؛ ١/ ٢٧٣، وفوات الوفيات؛ ١/ ٩٨، والوافي بالوفيات؛ ٧/ ١٥١، وتذكرة النَّبيه؛ ٢/ ٣٤.

(٢) رأيتَ: أصلُها: أرأيت؟ وحذف همزة الاستفهام، وهو كثير في أشعارهم.

(٢٠٣)

وقال[1]: [الخفيف]

١. بَدَوِيٌّ كَمْ[2] حَدَّثَتْ مُقْلَتَاهُ عاشِقاً عَنْ[3] مَقَاتِلِ الفُرْسانِ[4]

٢. بِمُحَيّاً يَقُولُ: يا لَهِلالٍ[5] ولِحاظٍ تَقُولُ: يا لَسِنَانِ[6]

---

(١) البيتان في النُّجومِ الزَّاهرة؛ ٩/ ٢١٤، والمنهل الصافي؛ ١/ ٣٦٤. وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: «ومن شعره في مليحٍ بدويّ»، وفي المنهل الصافي: «ومن شعره بالسَّند إجازةً إليه».

(٢) المنهل الصافي: «قد».

(٣) المنهل الصافي: «منِ».

(٤) مقاتل الفرسان: اسم كتاب مشهور، ولهذا قال: «حدَّثت».

(٥) في البيت تورية بين يا لِهلالٍ الذي هو وجه الحبيب، وهلال جدّ القبيلة المشهورة التي يستعين بها لنصرته.

(٦) وهنا أيضاً تورية: يا لسنان، أي طرف عينه فتَّاك كالرُّمح، وهو أيضاً جدٌّ قبيلة أو اسم فارس.

(٢٠٤)

وقال موشَّح دُوبيتي[1]:

أقسـمتُ عليـكَ بالأسـيل القَـاني: أَنْ تنظرَ في حالِ الكئيب العاني

أو تُقْصِـرَ عـنْ إطالـةِ الهُجْـرانِ يا مَنْ سلَبَ المنامَ مِنْ أجفاني

ما أَلْيَقَ هذا الحُسْنَ بالإحسانِ

واللهِ لقدْ ضاعفتَ عندي الكَمَدا مُذْ جُزْتَ مِنَ الهجرِ الطَّويلِ الأمدا

أدركْ رمَقي أو هَبْ فؤادي جلَدا يا منْ أخذَ الرُّوحَ وأبقَى الجَسدا

ما أصنعُ بعدَ الرُّوحِ بالجُثمانِ؟

باللهِ إذا قضَيتُ وجداً وغرامْ فابْسُطْ عُذْري يومَ عِتابٍ وملامْ

قدْ كنتُ خَليّاً مِنْ عِذارٍ وقَوامْ لا أُعطي لصَبْوةٍ قياداً وزِمامْ

حتَّى عَلِقَتْ بي أعينُ الغِزلانِ

مَنْ لي بِسَقيمِ الجَفْنِ واهي الخَصْرِ يرنو بعيونٍ كُحِلَتْ بالسِّحْرِ؟

كمْ أوضحَ لي عِذارُه مِنْ عُذْرِ ما مالَ بهِ الدَّلالُ مَيْلَ السُّكْرِ

إلاّ سجدَتْ معاطفُ الغِزلانِ

في مَرْشَفِهِ مواردٌ للقُبَلِ تُحْمَى بفُتورِ لحظهِ والكَحَلِ

كمْ قلتُ لِمَنْ كثَّرَ فيه عَذَلي: ما دامَ سوادُ طَرْفِهِ لم يَحُلِ[2]

لا تطمعْ يا عذولُ في سُلواني

بدريٌّ مُحيَّا غُصُنيُّ القَدِّ يَسبيكَ بجُلَّنارةٍ في الخَدِّ

---

(١) الموشح في فوات الوفيات: ١/ ١٠٢، وكلمة (دوبيتي) من أصل المطبوع.

(٢) لم يحلُ: لم يتبدَّل.

ذُو مبتسمٍ عَذْبٍ [وخَدُّ وَرْدي] مُذْ عاينتِ العينُ نِظامَ العِقْدِ

منه نَثَرَتْ قلائدَ العِقْيانِ[٣]

سالمْ لحظَاتِ طرفِهِ الرَّشَّاقِ واستكْفِ سهاماً ما لها مِنْ واقِ

أو خُذْ لكَ مَوْثقاً مِنَ الأحداقِ واستخبرْ عن مَصارعِ العُشَّاقِ

تُنْبِئْكَ وعَنْ مَقاتلِ الفُرْسانِ

---

(٣) العقيان: الفضة، ونثرت قلائده: أي انحدرت دموعٌ بيضاء، و«قلائدُ العقيان» اسم كتاب أيضاً ففيه تورية.



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأمثال والأقوال المأثورة.
- فهرس الأعلام[(١)].
- فهرس القبائل والجمعات والأمم.
- فهرس الكتب المقدسة والسّور القرآنية.
- فهرس الأمكنة والمياه والجبال.
- فهرس النجوم والكواكب ومنازل القمر.
- فهرس الأشعار الشواهد في الحواشي.
- فهرس بحور الشعر وأرقام القصائد.
- فهرس القصائد حسب تسلسلها في الديوان.
- فهرس القوافي حسب التسلسل الهجائي.
- فهرس المصادر والمراجع.

---

(١) فهرسنا للأعلام في المتن والحواشي، ولم نكرر اسم العلم إذا تكرر في الصفحة الواحدة.

١ـ فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأمثال الأقوال المأثورة

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
أبو الفتح = الملك المظفر	٧٢، ٨٣، ٩٣، ٣١٣
أبو الفتح اليعمري	١٧
أبو الفداء	٣٨، ٦٦
أبو الفداء = الملك الأشرف خليل	١٥٢
أبو الفداء إسماعيل ملك حماة	١٥، ٥٤، ٣١٣
أبو الفداء عماد الدين إسماعيل	٥٤
أبو الفضل بن العميد	١٥٤
أبو المعالي = الملك المنصور	٤٣، ٥٥
أبو المعالي = محمد بن عثمان السلعوس	٣٣٠
أبو تمام	٦٢، ٧٧، ١٥٣
أبوجعفر السفَّاح الخليفة العباسي أبوالعباس	٦٣
أبو حجاز = سليمان حجي	٧٦
أبو حيان	١٧
أبو سفيان بن حرب	١٣٦، ١٥٢
أبو طالب	٣٦
أبو لهب	٢٠٣
أبو معاذ = بشار بن برد	٣٢٥
أبو موسى الأشعري	١٣٤
أبو نواس	٢١
أحمد = الأمير شهاب الدين أحمد	١٦٨
أحمد = الشاعر العزازي	١١٨، ٣٦٩
أحمد بن الحسن الموصلي	٣٥٥
أحمد بن موسى = الأمير شهاب الدين أحمد	١٧٣
أخت سيف الدولة الصغرى	١٩٥

الاسم	الصفحة
علي = الملك الأفضل نور الدين	٩٧، ١٠١، ١٠٩، ١١٠، ٣٤٧، ٣٤٨
علي بن سليمان المغربي	٢٢، ٣٠٨
العلياء	١٩٨
عماد الدين إسماعيل بن الأثير	٢٢٢
عمر = أسد الدين	١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٨، ١١٩
عمر بن أبي ربيعة	٢٠، ٢١
عمر بن الخطاب (رض)	٢١٥
عمرو بن العاص	٤١، ٧٣، ٢١٥، ٢٢٥
عمرو بن كلثوم	١٣٤، ١٣٨، ٣٥٣
عمرو بن معدي كرب	٦٠، ٧٥، ٧٧، ١٣٥، ١٧٢
عمرو بن ودّ	١٣٥
عنتر = عنترة	٦٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٩٠
العيني	١٢٨، ٣٨١
عينية بن الحارث	١٣٦
عَلْوَى	٩٤
(غ)	
غازية خاتون بنت الملك الكامل	٣٨
الغريض	٢١١
(ف)	
فاطمة البتول	٣٦
فتح الدين أحمد بن محمد البقي الحموي	٣٨١
فتح الدين محمد بن عبد الظاهر	٢٢٢، ٢٢٤
الفرزدق	٣٣١

الاسم	الصفحة
محمد بن أبي بكر العرضي الشافعي	٢٣
محمد بن العباس الكلابي	١٧١
محمد بن حسام الدين مهنا	٩٢
محمد بن عبيد الله بن طفج	١٧٦
محمد زغلول سلام	١١، ١٢
محمود = الملك المظفر	٧٣، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٣
محمود = الملك المظفر الأول	٩٠، ٩٣، ١٠١
محمّد = ناصر الدين النوري الكاتب	٣٤٦
مروان بن محمد	٣١٧
مريم (ع)	٣٦
مضاض بن عمرو الجرهمي	١٣٥
المظفر	٨٨، ٩٣
المظفر = المظفر قطز	٦٢، ١٤٠
المظفر = ملك حماة	٨٦
المظفر الأول تقي الدين عمر	٣٠٩
المظفر محمود	٦١
معاوية بن أبي سفيان	٢٩، ٣٦
معبد	٢١١
المعتصم	٦٠، ٦٢، ١٤٣، ١٥٣
معدّ	١٢١
المعزّ = المعز الفاطمي	٧٣، ١٣٨
معن بن زائدة	٣٢٥
المقتدر	٢٦٧
المقريزي	١١، ١٤، ١٧

فهرس القبائل والأمم والجماعات

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
	(ع)
عاد	١٣٧، ١٨٨
عامر = أبو قبيلة	٢٤٠، ٣٥٧
عبسي	٣٥٥
العجم	١٤٥
العذريون	٢٩٠، ٣٦٧
عرب	٣٠٥، ٣٥٧
العرب	٣٣، ٧٥، ٩٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٥، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٦٧
عرب الجنوب	١٢١
عرب الشمال	١٢١
العرب العاربة	١٢١
العرب المستعربة	١٢١
العريان	٣٥٩
عريب = قوم	٢٦٨
عين جالوت	٦٢
	(ف)
الفارسية = لغة	١٣٢
الفرس	٤١، ١٤٥
الفرنج	١٢٦، ١٥١، ١٥٣
	(ق)
القاسطين	١١٣
القاهرة	٨٧
قريش	٣٦، ٣٧، ١٣٥، ٣٦٠
القسوس	١٧٢

الاسم	الصفحة
قيسارية الروم	٣٢

فهرس الكتب المقدسة والسّور القرآنية

فهرس الأمكنة والمياه والجبال

فهرس النجوم والكواكب ومنازل القمر

فهرس الأشعار الشواهد في الحواشي

لأنـتِ علـى التّنـائي فاعلميـه	أحـبُّ إلـيَّ مـن بصَـري وسـمعي	قيس بن ذريح	٣٠١
وإذا استطال الشيء قام بنفسهِ	وشعاعُ ضوءِ الشمس يذهبُ باطلا	المتنبي	٣٦
بـدتْ قمـراً وماسـتْ خُـوطَ بـانٍ	وفـاحتْ عنـبراً ورنـتْ غـزالا	المتنبي	٣٩
ولكـنَّ بالفُسطاط بحـراً أزرتُـه	حياتي ونُصحي والهوى والقوافيا	المتنبي	٧٣
تجـانَفَ عـن ذاتِ اليمـينِ كأنَّهـا	تـرقُّ لِميَّافـارقين وترحـمُ	المتنبي	١٤١
عُقبى اليمين على عُقبى الوغى ندمُ	مـاذا يزيـدكَ في إقدامـكَ القسَـمُ؟	المتنبي	١٤٦
بـادِ هـواكَ صـبرتَ أم لـم تصـبرا	وبُكاكَ إن لـم يجـرِ دمعُكَ أو جرى	المتنبي	١٥٤
إنْ يكـنْ صـبرُ ذي الرَّزيَّـةِ فضْـلا	تكـنِ الأفضـلَ الأعـزَّ الأجـلاَّ	المتنبي	١٩٥
تذكَّـرتُ مـا بـينَ العُذَيـبِ وبـارقٍ	مَجَـرَّ عوالينـا ومجـرى السَّـوابقِ	المتنبي	١٩٧
إن تريـنـي أدمـتُ بعـدَ بيـاضٍ	فحميـدٌ مـن القنـاةِ الذُّبـولُ	المتنبي	٣٧٨
وتركـتُ مدحـي للوصـيِّ تعمُّـداً	إذ كـان فضـلاً مسـتطيلاً شـاملا	المتنبي	٣٦
كأن لم يكن بينَ الحَجونِ إلى الصَّفا	أنيـسٌ ولـم يسْـمُرْ بمكَّـة سـامرُ	مضاض بن عمرو الجرهمي	١٣٥
حيِّ المحجَّر ذاتَ الحاضرِ البادي	وانعمْ صباحاً سُقيتَ الغيثَ من وادِ	يحي بن أبي حفصة	٩٣

فهرس بحور الشعر وأرقام القصائد

البيـــــــــت		الرقم	الصفحة
ـ الطويل ـ			
ضراعةُ عبدٍ لم يَحُلْ عن وفائهِ	مُقيمٌ على إخلاصهِ وولائهِ	٢٥	٨٤
لقدْ حاكَ صوبُ المُزْنِ ديباجةً	فأبدعَ فيما حاكَ منها وأَغْرَبا	١٥١	٢٩٩
أيا ملعبَ «الجَرْعاءِ» حُيِّيتَ مَلْعَبا	فقدْ كنتَ للأقمارِ شَرْقاً ومغربا	١٥٠	٢٩٨
قَدِمْتَ فقالَ النَّاسُ: أهلاً ومرْحبا	وحَلَّتْ مُلوكُ الخافقينِ لكَ الحُبا	١٦٢	٣١٣
أشارتْ بأطرافِ البَنانِ المُخضَّبِ	غداةَ التقينا «باللِّوى» و«المُحَصَّبِ»	١٤٩	٢٩٧
أَتكتُمُ سِرَّ الحُبِّ أمْ أنتَ بائحُ	وبرقُ الثَّنايا مِنْ «تِهامةَ» لائحُ؟	١٣٦	٢٨٣
فَتحْتَ التي أعيا المُلوكَ افتتاحُها	ولمْ يُغْنِها عِصيانُها وجِماحُها	٥٦	١٦٢
لقد تمَّتِ النُّعمى وضُوعِفَتِ البُشْرى	وأظهرَ هذا الفتحُ في الأوجهِ البِشْرا	١٨٨	٣٥٩
إذا كانَ طيفُ «المالكيَّةِ» لا يَسْري	ولا ينجلي همِّي ولا ينقضي فكْري	٩٥	٢٣٩
سَموتَ بما أوتيتَ أيَّتُها الأرضُ	فقدْ حَلَّ فيكِ المجدُ والكرَمُ المَحْضُ	١٨٢	٣٤٧
تعلَّقْ بأذيالِ الخُضوعِ إذا اشتطُّوا	وكُنْ مُستجيراً بالدُّموعِ إذا شَطُّوا	١٥٧	٣٠٣
تُرى عَلِمَ النَّاعي جَلالةَ مَنْ نعَى؟	وهلْ عَرفَ الدَّاعي إلى الموتِ مَنْ دعا؟	١٨	٦٦
«أرامةُ» للآرامِ كنتِ مراتعا	فما لَكِ للعُشَّاقِ صِرتِ مَصارعا؟	١٩٢	٣٦٧
قِفُوا «باللِّوى» نبكي على منزلٍ عَفا	ونسألُ حادي الظَّعْنِ أَنْ يتوقَّفا	١٢٠	٢٦٥
إذا لاحَ مِنْ نحوِ الثَّنيَّةِ بارقُ	تأوَّهَ مُشتاقٌ وحَنَّ مُفارقُ	١٤٣	٢٨٩
على هذهِ الدُّنيا بمُلْكِكَ رونَقٌ	فلا برحتْ تحمي حِماهُ الملائكُ	٥٨	١٥٥
لِصَدْرِ بني «أيُّوبَ» تُعزَى الفضائلُ	وتُثني عليهِ في البلادِ الأفاضلُ	٤١	١٠٩

ـ البسيط ـ

ـ مخلع البسيط ـ

ـ الكامل ـ

-مجزوء الكامل-

ـ مجزوء الرمل ـ

ـ السريع ـ

فهرس القصائد حسب تسلسلها في الديوان

الرقم	البيـــــــت		الصفحة
١٣٩.	يا ربِّ هَبْ قلبي الضَّعيفَ تجلُّداً	عَمَّنْ أُحِبُّ فقد دَنا تَوْديعُهُ	٢٨٥
١٤٠.	زمانَ شَبابي كنتَ خيرَ زمانِ	فلا زِلْتَ مشكوراً بكُلِّ لِسانِ	٢٨٦
١٤١.	وأمَا وأغْصانِ القُدو	دِ وحُسْنِ أقمارِ الجُيوبِ	٢٨٧
١٤٢.	يا نَديمَيَّ طابَ خَمْرُ الدِّنانِ	فامزُجا لي كُؤُوسَها واسْقياني	٢٨٨
١٤٣.	إذا لاحَ مِنْ نحو «الثَّنيَّةِ» بارقٌ	تأوَّهُ مُشتاقٌ وحَنَّ مُفارقُ	٢٨٩
١٤٤.	لا ومَنْ تيَّمني في حُبِّ «عَلْوَهْ»	لا تسلَّيتُ ولا اضمرْتُ سَلْوَهْ	٢٩٠
١٤٥.	يا قَضيباً يميلُ تيهاً وزَهْوا	فيكَ ما تشتهي النُّفُوسُ وتهْوَى	٢٩١
١٤٦.	قِفا ساعةً مِنْ دُونِ منعقدِ الرَّملِ	أُبدِّدُ دَمْعاً كانَ مُجتمِعَ الشَّمْلِ	٢٩٢
١٤٧.	لوْ أمكنَني سطَّرْتُها بالدَّمعِ	يا خالصتي يا ناظري يا سمْعي	٢٩٣
١٤٨.	الشَّمْلُ على رغمِ الحَسودِ اجتمَعا	والنَّازحُ عنْ أوطانِهِ قدْ رجَعا	٢٩٤
١٤٩.	اشارتْ بأطرافِ البَنانِ المُخضَّبِ	غداةَ التقينا «باللِّوى» و«المُحَصَّبِ»	٢٩٥
١٥٠.	أيا ملعبَ «الجَرْعاءِ» حُيِّيتَ مَلْعَبا	فقدْ كنتَ للأقمارِ شَرْقاً ومغربا	٢٩٦
١٥١.	لقدْ حاكَ صوبُ المُزْنِ ديباجةَ الرُّبى	فأبدعَ فيما حاكَ منها وأَغْرَبا	٢٩٧
١٥٢.	إنْ لم أَمُتْ في هوى الأجفانِ والمُقَلِ	فواحيائي مِنَ العُشَّاقِ.. واخجلي	٢٩٨
١٥٣.	ليتَ شِعري هل تسمحنَّ اللَّيالي	مِنْ «سُلَيْمَى» بِزورةٍ أو بوصْلِ؟	٢٩٩
١٥٤.	جارتْ عليَّ الجفُونُ والمُقَلُ	فالقلبُ في أسْرِهِنَّ مُعْتَقَلُ	٣٠٠
١٥٥.	يا حُداةَ الظَّعْنِ رفقاً بالمطايا	فالسُّرَى لم يُبْقِ منهنَّ بقايا	٣٠١
١٥٦.	أيا ربِّ هلْ مِنْ دعوةٍ مُسْتجابةٍ	تُبلِّغُني ممَّنْ أُحبُّ الأمانيا؟	٣٠٢
١٥٧.	تعلَّقْ بأذيالِ الخضوعِ إذا اشتطُّوا	وكُنْ مُستجيراً بالدُّموعِ إذا شَطُّوا	٣٠٣
١٥٨.	كتمَ الحُبَّ زماناً ثُمَّ باحا	وغدا في طاعةِ الشَّوقِ وراحا	٣٠٤

فهرس القوافي حسب التسلسل الهجائي

(قافية الدال)

البيت		البحر	الرقم	الصفحة
واطلبْ حديثَ الجُودِ عند «محمَّدٍ»	«فمحمَّدٌ» يرويه عن «محمودِهِ»	الكامل	٤	٤٣
زارني مَنْ أُحِبُّ مِنْ غيرِ وَعْدِ	بعدَ يأسٍ مِنَ اللِّقاءِ وبُعْدِ	الخفيف	١٠٩	٢٥٤
سُليمانُ بنُ أحمدَ بنِ حجِّي	رفيعُ البيتِ موطودُ العِمادِ	الوافر	٢٠	٧٥
لو قيلَ: مَنْ أكرمُ الورى شِيَماً	قُلتُ: «عليٌّ» سليلُ «محمودِ»	المنسرح	٣٥	١٠١
حسْبُكَ منِّي ما ذابَ مِنْ جسَدي	وما وهَى بالصُّدودِ مِنْ جلَدي	المنسرح	١٧٨	٣٤٠
طافتْ بكأسٍ مثْلِ لونِ خَدِّها	وطعْمِ فيها وصَفاءِ وُدِّها	الرجز	٧٩	٢١٤
يا قاتلي ولم يَدِ	ملكْتَني فاتَّئِدِ	مجزوء الرجز	٤٤	١١٤
قُلْ للملِكِ «الأفضلِ» بحرِ الجُودِ	والأفضلِ مِنْ بني الملوكِ الصِّيْدِ	الدوبيت	٣٨	١٠٥

(قافية الراء)

البيت		البحر	الرقم	الصفحة
خَطَرَ النَّسيمُ وقد تعطَّرْ	وجرى فحينَ جَرى تقطَّرْ	مجزوء الكامل	٢١	٧٨
هاجَهُ الشَّوقُ فأظهَرْ	في الهَوى ما كانَ أضمَرْ	مجزوء الرمل	٣٠	٩٣
إنْ أقبلوا مِنْ بينِ تلكَ السُّتُورْ	وأسبلوا فوقَ القُدودِ الشُّعورْ	السريع	٩٤	٢٣٨
يا لَيلةَ الوصْلِ وكأسِ العُقارْ دُونَ استتارْ	علَّمْتِني كيفَ خَلْعُ العِذارْ	السريع	١٩١	٣٦٤
أطلَعَ في ليلِ الشَّعَرْ	مِنْ فَلَكِ الحُسْنِ قَمَرْ	مجزوء الرجز	٤٣	١١٢
لقد تمَّتِ النُّعمى وضُوعِفَتِ البُشْرى	وأظهرَ هذا الفتحُ في الأوجُهِ البِشْرا	الطويل	١٨٨	٣٥٩
سافرتَ «منصوراً» وعدتَ «مُظفَّرا»	وبلغْتَ حظّاً للجهادِ مُوَفَّرا	الكامل	٥٧	١٥٠
فُتْنَ الظِّباءَ سوالفاً ونُحورا	والخيزُرانَ معاطفاً وخُصورا	الكامل	٣	٣٨
شَرُفتْ برُتْبَتِكَ الإمارهْ	وعلتْ برفعتِكَ الوزارهْ	مجزوء الكامل	٩٠	٢٣٢
يا لها فرحةً تعُمُّ وبُشرَى	وَسَمتْ في الوجوهِ نُوراً وبِشْرا	الخفيف	٧٥	٢٠٧
ألا عظَّمَ اللّهُ أجرَ الأميرِ	وأحسنَ منه عزاءً وصَبْرا	المتقارب	٦٦	١٧٩

(قافية اللام)

البيـــــت		البحر	الرقم	الصفحة
مـا عَجـوزٌ كبـيرةٌ بلغَـتْ عمْـ	ـراً طويـلاً وتتَّقيهـا الرِّجـالُ؟	الخفيف	١٩٧	٣٧٧
تشـكَّى حـينَ زادَ بـه النُّحـولُ	فـرقٌ لفـرطِ شـكواهُ العَـذولُ	الوافر	١١٣	٢٥٨
هـذهِ بانـةُ «الكثيـب» فميلُـوا	بالمطايـا فقـدْ بَراهـا الذَّميـلُ	الخفيف	١٣٢	٢٧٨
تَعَشَّـقتُه سـاحرَ المُقْلَتَيْـنِ	كَبـدْرٍ يلـوحُ وغُصْـنٍ يَميـلُ	المتقارب	١٩٨	٣٧٨
مُنذُ عشـقتُ الشَّـارعيَّ الـذي	بالحُسْـنِ يَغْتـالُ ويَخْتـالُ	السريع	١٩٩	٣٧٩
جـارتْ علـيَّ الجُفـونُ والمُقَـلُ	فـالقلبُ في أسْـرِهِنَّ مُعْتَقَـلُ	المنسرح	١٥٤	٣٠٠
خُذوا بدَمي مِنْ طرْفهِ فهْو قاتلي	بسـهْمِ فُتـورٍ قـدْ أصـابَ مَقـاتلي	الطويل	١٣٠	٢٧٦
قِفا ساعةً مِنْ دُونِ منعقِدِ الرمْلِ	أُبـدِّدُ دَمْعـاً كـانَ مُجتمِـعَ الشَّـمْلِ	الطويل	١٤٦	٢٩٢
إن لم أمُتْ في هوى الأجفانِ والمُقَلِ	فواحيائي مِنَ العُشَّاقِ.. واخجلي	البسيط	١٥٢	٢٩٨
اطْلَـعْ بوجـهِ كالصبَّـاحِ المُقبِـلِ	وافخَـرْ بكـفٍّ كالغَمـامِ المُسْـبِلِ	الكامل	١٠	٥٤
شَـهْرُ الصيَّـامِ أتـاكَ في إقْبالـهِ	فاهْنَـأْ بـهِ واسـلَمْ إلـى أمثالـهِ	الكامل	٤٩	١٢٢
كـادتْ لِفَـرْطِ نُحولـهِ	تبكـي عيـونُ عَذُولـهِ	مجزوء الكامل	١٣٨	٢٨٤
قُـلْ للرَّشـيدِ الفـارقيّ	أخـي النَّـدى وسـليله	مجزوء الكامل	٨٦	٢٢٧
ليتَ شِعري هل تسمحنَّ اللَّيالي	مِنْ «سُلَيْمَى» بِزَورةٍ أو بوصْلِ؟	الخفيف	١٥٣	٢٩٩
خُذوا بدَمي مِنَ الطَّرْفِ الكَحيلِ	متَى عزمَ الخَليطُ على الرَّحيلِ	الوافر	٨٠	٢١٨
لِمواعيـدِ الوزيـرِ غـدتْ	مُقلتـي ممتـدَّةَ الأمـلِ	المديد	٦١	١٦٦
قـدْ طـالَ وقوفُـكَ في الطلَـلِ	مِـنْ بعـدِ مفارقَـةِ الكلَـلِ	المتدارك	٣٣	٩٨

(قافية الميم)

البيت		البحر	الرقم	الصفحة
أمَـا واللّـهِ لـو حسـرَ اللّثامـا	شفيتُ القلبَ مِنْ فمـهِ التثامـا	الوافر	١٩	٧٠
آلَ سـعدِ الدِّيـنِ يـا أهـلَ الحمـى	أسـعفوا مَـنْ قـد أتـاكُمْ مُغْرَمـا	الرمل	١٠٤	٢٤٨

(قافية النون)

البيت		البحر	الرقم	الصفحة
يـــا عُرَيبـــاً إنْ أرادوا فتنـــةً	لِخَلــيٍّ في الهــوَى مــا افْتُتِنــا	الرمل	١٢٢	٢٦٨
انثنــتْ علــى عِطفَيْــهِ لَمَّــا انثنَــى	مَعــاطفُ البــانِ وليْــنُ القنــا	السريع	١٢٣	٢٦٩
يــا قادمــاً قــرَّتِ العيُــونُ بــهِ	وكــلُّ قلــبٍ خفوقُــه سَــكنا	المنسرح	٦٩	١٨٩
وَقفْنـــا بحِمـــى الـــداً	رفســـلَّمْنا وحيَّيْنـــا	الهزج	١١٨	٢٦٣
«أبـا الفتـح» عُـدْتَ فعـادَ الهنـاءُ	وطـــابتْ «حَمـــاةُ» وسُــكَّانُها	المتقارب	٢٤	٨٣
تبسَّــمَ بــرقُ «الأبرقَــينِ» فأبكــاني	وجَـدَّدَ أشــواقي وهيَّــجَ أحزانــي	الطويل	١٢٩	٢٧٥
زمــانَ شَــبابي كنــتَ خــيرَ زمــانِ	فــلا زلْــتَ مشــكوراً بكُــلِّ لِســانِ	الطويل	١٤٠	٢٨٦
لمْ نستطعْ شُكرَ ما أوليتَ مِنْ مِنَنٍ	ولــو شــكرناكَ في سِــرٍّ وفي علَــنِ	البسيط	٥١	١٢٤
لـو كنـتَ تقبلُنـي عبْـداً بـلا ثَمَـنِ	رأيتُهــا مِنَّــةً مــن أعظــمِ المِنَــنِ	البسيط	١٣٧	٢٨٣
أنــابَ عــنِ الغِوايــةِ والغَوانــي	وأقلــعَ عــنْ مُعــاقَرةِ الدِّنــانِ	الوافر	١٦١	٣٠٩
يــا نَديمَــيَّ طــابَ خَمْــرُ الدِّنــانِ	فامزُجــا لــي كُؤُوسَــها واسْــقياني	الخفيف	١٤٢	٢٨٨
رحــلَ العبــدُ شــاكراً مِــنْ نَداكــمْ	وعُلاكــمْ يَثنــي بكــلِّ لســانِ	خفيف	١٦	٦٤
قــالَ لــي مَــنْ أُحِبُّــهُ عنــدَ لَثْمــي	وجَنــاتٍ يُحَــدِّثُ الــوردُ عنهــا	الخفيف	٢٠٢	٣٨٢
أقسـمتُ عليـكَ بالأسـيلِ القَـاني:	أنْ تنظـرَ في حـالِ الكَئيـبِ العـاني	الدوبيت	٢٠٤	٣٨٤

(قافية الهاء)

البيت		البحر	الرقم	الصفحة
لـو زَارنـي مَـنْ بِـتُّ أرجـو وَفـاهْ	قبَّلْــتُ خدَّيْــهِ مــراراً وفــاهْ	السريع	٧٣	٢٠١
أرســـلْتَها سِـــرّاً فكـــا	نَ شُـــكرُها علانيَـــهْ	مجزوء الرجز	٣٦	١٠٢
أمسـى وحيـداً في الجمـالِ فتاهـا	وغــدا يفــوقُ «زُليخــةَ» وفَتاهــا	الكامل	٦	٤٧
دارٌ «لريَّــا» كالمســكِ رِيَّاهــا	سَــقى ثراهــا الحيــا وحيَّاهــا	المنسرح	١٠٦	٢٥٠
كــمْ مِنَّــةٍ للأمــيرِ في عُنُقــي	وكــمْ أيــادٍ إلــيَّ أســداها	المنسرح	٧٧	٢٠٩

فهرس المصادر والمراجع

أ- المصادر المخطوطة:

١. الدر المنتخب في تاريخ حلب، لابن خطيب الناصرية، مخطوط في مكتبة الأسد برقم ١٤٥٠٢.

٢. ديوان شهاب الدين العزازي، مخطوطتان في دار الكتب المصرية، لأولى رقم ٤٧٩ أدب، والثانية رقم ٥٩٥ أدب.

٣. عقد الجمان، صورة عن المخطوط رقم ٣٣٨ بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

٤. عقود الجمان من شعراء هذا الزمان، لابن الشعار الموصلي، صورة عن ميكروفيلم رقم ٣٣٩ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

٥. مخطوط مجموع في الأدب، مكتبة الأسد رقم ٣٢٥٥.

٦. مخطوط مجموع في الأدب، مكتبة الأسد رقم ٤٨٥٤.

٧. مخطوط مجموع في الأدب، مكتبة الأسد رقم ٢٩٩٨٧.

ب- المصادر والمراجع المطبوعة:

١. ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، الدكتور عمر موسى باشا، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.

٢. أدب الدول المتتابعة، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، الدكتور عمر موسى باشا، دار الفكر الحديث، لبنان، ط١، ١٩٦٧.

٣. أدب في العصر الأيوبي، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.

٤. الأدب في العصر المملوكي، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

٥. أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.

٦. الأعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠.

٧. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٨٨.
٨. أعيان العصر وأعوان النصر، لخليل بن آيبك الصفدي، تحقيق الدكتور علي أبي زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨.
٩. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨.
١٠. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٧٧.
١١. البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حامد عبدالمجيد، القاهرة، ١٩٦٠.
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤.
١٣. تاج العروس، مرتضى الزبيدي، تحقيق عبدالستار فراج وآخرين، وزارة الأعلام، الكويت، ١٩٥٦ وما بعد.
١٤. تاريخ ابن الفرات، ناصرالدين محمد بن الفرات، تحقيق الدكتور قسطنطين زريق والدكتورة نجلاء عزالدين، بيروت، ١٩٣٩.
١٥. تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات ج،٥، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.
١٦. تاريخ الأدب العربي، طارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠.
١٧. تاريخ حماة، الشيخ أحمد الصابوني، المطبعة الأهلية، حماة، ١٩٥٦.
١٨. تتمة المختصر في أخبار البشر، ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٠.
١٩. التذكرة الفخرية، للصاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.
٢٠. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، لابن حبيب، تحقيق د.محمد محمد أمين، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٧٦ وما بعد.

٢١. تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داوود الأنطاكي، تحقيق الدكتور محمد التونجي، عالم الكتب بيروت، ١٩٩٣.
٢٢. توشيع التوشيح، لخليل بن آيبك الصفدي، تحقيق ألبير حبيب مطلق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.
٢٣. الحركة المصرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الدكتور عبداللطيف حمزة، دارالفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٤٧.
٢٤. خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الكاتب الأصفهاني:
أ- قسم شعراء مصر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف وأحمد أمين والدكتور إحسان عباس، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٩٥١.
ب- قسم شعراء الشام، تحقيق الدكتور شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.
جـ- قسم شعراء العراق، تحقيق الدكتور جميل سعيد والأستاذ محمد بهجت الأثري، المجمع العلمي العراق، بغداد، ١٩٥٥.
خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، تحقيق الدكتورة كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١.
٢٥. الدارس في تاريخ المدارس، عبدالقادر النعيمي، تحقيق الأستاذ جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٨.
٢٦. دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق الدكتور جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٠.
٢٧. دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، الدكتور محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٥٧.
٢٨. الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، ضبطه الشيخ عبدالوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٢٩. الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي الأتابكي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٧٩.
٣٠. ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٦.

٣١. ديوان ابن الخياط، تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٨.
٣٢. ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢.
٣٣. ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبدالوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤.
٣٤. ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٣.
٣٥. ديوان التلعفري، تحقيق د.رضا رجب، دمشق، دار الينابيع، ٢٠٠٤.
٣٦. ديوان الحلاج، جمع الدكتور سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٣٧. ديوان سبط بن التعاويذي، تحقيق مرجليوس، دار المقتطف، مصر، ١٩٠٣.
٣٨. ديوان صفي الدين الحلي، الدكتور محمد حوّر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
٣٩. ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق،
٤٠. ذيل مرآة الزمان، القطب اليونيني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢.
٤١. السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤ وما بعد.
٤٢. سير أعلام النبلاء، الذهبي، بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦.
٤٣. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٨.
٤٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٤٥. الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، للأدفوي، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.
٤٦. العبر في أخبار من غبر، الذهبي، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، وزارة الإعلام، الكويت، ط٢، ١٩٨٤.
٤٧. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين العيني، تحقيق الدكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.
٤٨. عيون التواريخ، ابن شاكر الكتبي، الجزأان ٢١ و٢٢، تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة داود، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٢.
٤٩. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ١٩٤٥.
٥٠. الغيث المسجم في شرح لامية العجم، خليل بن آيبك الصفدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٥.
٥١. الفلاكة والمفلوكون، الدلجي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٢.
٥٢. فن المنتجب العاني وعرفانه، الدكتور أسعد علي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
٥٣. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
٥٤. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
٥٥. كتاب الروضتين في أخبار الدولتين مع الذيل، أبو شامة المقدسي، تحقيق إبراهين الزيبق، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٥٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٩٩٢.
٥٧. كنز الدرر، الداواداري، تحقيق بيرند راتكة وآخرين، القاهرة، ١٩٨٢.
٥٨. لسان العرب، ابن منظور، مراجعة وضبط عدد من الباحثين، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧.
٥٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تقديم الدكتور أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

٦٠. المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء ملك حماة، دار المعرفة، بيروت.
٦١. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي، حيدرآباد الهند، ١٣٣٧-١٣٣٩هـ.
٦٢. مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، حيدرآباد، ١٩٥١.
٦٣. المستطرف في كل فن مستظرف، أبشيهي، تحقيق إبراهيم الصالح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩.
٦٤. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٦٥. معجم الأنساب والأسر الحاكمة، زامباور، ترجمة الدكتور زكي حسن وآخرين، دار الرأي العربي، بيروت، ١٩٨٠.
٦٦. معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠، معجم مصطلحات العروض والقافية، الدكتور محمد علي الشوابكة والدكتور أنور أبو سويلم، دار البشير، عمان - الأردن، ١٩٩١.
٦٧. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٨. المعرّب، للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٦١هـ.
٦٩. معرفة الله والمكزون السنجاري، الدكتور أسعد علي، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٢.
٧٠. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣ وما بعد.
٧١. المقفّى، المقريزي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩١.
٧٢. المنجد في اللغة والأعلام، للمعلوف، دار المشرف بيروت، ١٩٧٣.
٧٣. المنهل الصافي لابن تغري بردي، تحقيق د.محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥ وما بعد.
٧٤. موسيقا الشعر، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥.

٧٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري برتي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠.
٧٦. نسمات الأسحار على نفحات الأزهار، عبد الغني النابلسي، تحقيق الدكتور رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٣.
٧٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقّري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.
٧٨. النقد المنهجي عند العرب، الدكتور محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٣.
٧٩. نهاية الأرب لشهاب الدين النويري، القاهرة، دار الكتب والهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد من المحققين، ١٩٢٣ وما بعد.
٨٠. الوافي بالوفيات، خليل بن آيبك الصفدي، تحقيق عدد من الباحثين، فيزبادن - ألمانيا، ١٩٦٢ وما بعد.
٨١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق عدد من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت؛ ط١، ١٩٩٤.
٨٢. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

